

# موسوعة من حياة المستبصرين

المجلد الحادي عشر

تأليف  
مركز الأبحاث العقائدية

مركز الأبحاث العقائدية:

● إيران - قم المقدّسة - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف: ٣٧٧٤٢٨٠٨ - ٣٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥) (٠٠٩٨)

الفاكس: ٣٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥) (٠٠٩٨)

● العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول ﷺ

شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف: ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)

● الموقع على الإنترنت: [www.aqaed.com](http://www.aqaed.com)

● البريد الإلكتروني: [info@aqaed.com](mailto:info@aqaed.com)

شايك (ردمك)

موسوعة من حياة المستبصرين

المجلد الحادي عشر

تأليف: مركز الأبحاث العقائدية

الطبعة الأولى - ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع: ١٤٣٤ هـ

المطبعة:

**\* جميع الحقوق محفوظة للمركز \***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## دليل الكتاب

٥	دليل الكتاب
٩	مقدمة المركز
فرنسا	
١١	(١) بول جورج
٢٠	(٢) ترانس ماسه (كميل)
٣٢	(٣) جلز ميشيل بيكون (رضا)
٤٤	(٤) دوج آلاوية (محمد)
٥٥	(٥) دومينيكو (مريم)
٦٧	(٦) سيلفا جاك (إبراهيم)
٨٣	(٧) عبد الحلیم هربرت
٩٧	(٨) عبد الرحمن
١١١	(٩) عبد الکریم باسیل
١٣١	(١٠) عبد الله
١٣٩	(١١) علي دروا
١٥٣	(١٢) فاضلة

- ١٥٩ ..... (١٣) فرانسوا توال
- ١٦٨ ..... (١٤) فرانسيس بلانس (فرشته)
- ١٧٦ ..... (١٥) فليب برسانج (أمير)
- ١٨٤ ..... (١٦) كارولين روسيه
- ١٨٨ ..... (١٧) لاورن فيريج
- ٢٠١ ..... (١٨) لوران (علي عبد الله)
- ٢١٠ ..... (١٩) ماري كلاود نيكولاس
- ٢٢٣ ..... (٢٠) مونريكو دي لورتيا
- ٢٣١ ..... (٢١) ميشيل (الشيخ علي)
- ٢٣٨ ..... (٢٢) هلن ليزت كامى (مريم)
- ٢٥٣ ..... (٢٣) هنري كوربان
- ٢٨٤ ..... (٢٤) وارتون كرباسين (حسين)

### الفليين

- ٢٩٢ ..... (٢٥) أرفولد آريس (أمير علي)
- ٣٠٠ ..... (٢٦) اندرو ورياني (علي)
- ٣١٦ ..... (٢٧) أولفو كاستيلو (محمد حسين)
- ٣٢١ ..... (٢٨) ايسترا مالانا (زينب)
- ٣٣٢ ..... (٢٩) برانيا نيليا (فاطمة)
- ٣٤٤ ..... (٣٠) بلن ماتتو هيا
- ٣٥١ ..... (٣١) جيرن ماريو
- ٣٥٨ ..... (٣٢) ريكاردو بوئينا (رضا)

٣٦٥	٣٣) رينالدو ريز (رضا)
٣٧٩	٣٤) زيندا كورس (زهراء)
٣٨٥	٣٥) سنن هاجوئي
٣٩٩	٣٦) طالب أبو ذر
٤١٠	٣٧) فاطمة أيوب
٤٢٢	٣٨) فاطمة عبد الله
٤٣٣	٣٩) فيكتور جالان (حسين)
٤٤٠	٤٠) كاباي (حسين)
٤٤٨	٤١) كلوريا
٤٦٠	٤٢) كونستانسيو ماهيناي (علي ياسر)
٤٧٩	٤٣) ليندا فلورمونت (فاطمة)
٤٨٧	٤٤) ليوناردو ميراندا (محمد حسين)
٤٩٠	٤٥) مدين يو (مهدي)
٤٩٧	٤٦) منتظر بونغالون (دو غلاس)
٥٠٦	٤٧) نيكانور كيكو (علي)
٥٢٠	٤٨) والتين كومز (علي رضا)
٥٢٨	٤٩) ويكي لاهرا (زينب)
٥٣٩	المصادر





## مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الحمد لله على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضى الرب الإسلام ديناً لنا، بولاية سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين، الإمام علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين عليه السلام.

هذا هو المجلد الحادي عشر - بين يديك عزيزي القارئ - من «موسوعة من حياة المستبصرين»، وهو يضم بين دفتيه ترجمة ٤٩ رجلاً وامرأة ممن اعتنقوا مذهب أهل البيت عليهم السلام وركبوا سفينة النجاة، سفينة علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من أبناء الحسين عليه السلام.

والملاحظ في تراجم المستبصرين في هذا المجلد - الذين هم من دولتي فرنسا والفلبيين - أنّ جلّهم من المسيحيين، الذين شرّفهم الباري عزّ وجلّ باعتناق الإسلام المحمّدي الأصيل المتمثّل بمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ هذه الثلة المثقفة تركت ميراث الآباء والأجداد، بعد بحث وتحقيق عميقين في الديانات السماوية التي بشرت بنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله، وأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين.

والذي يراجع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وينظر فيه نظرة متفحص منصف يجد فيه الكثير من النصوص الدالة على كلامنا، وقد تضمن هذا المجلد من هذه الموسوعة الكثير من هذه النصوص، استدلل بها أصحاب التراجم، والتي اعتبروها من الأدلة على تركهم لدينهم القديم واعتناق الدين الإسلامي الحنيف.

ولا أريد أن أسبق القارئ الكريم وأذكر هذه النصوص، فإنه سوف يجدها مثبتة في طيات هذا الكتاب إن شاء الله.

إنّ تراجم هذا المجلد لا يمثل العدد الواقعي للمستبصرين في فرنسا والفلبيين، وإنما هي نماذج دالة على اتساع حركة المستبصرين العالمية.

ختاماً نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل الإخوة الأعزاء الذين ساهموا في إخراج هذا المجلد والمجلدين التاليين له، ونخص بالذكر أصحاب السماحة الشيخ عصري الباني، والشيخ علي الحسون، والسيد محمد الرضوي، والسيد مرتضى الشيرازي، وفقهم الله وإيانا لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام وجعله في ميزان حسناتنا إن شاء الله.

علماً بأنّ الإخوة الأعزاء مستمررون في إكمال هذه الموسوعة، التي ستصدر تبعاً إن شاء الله، والحمد لله أولاً وآخراً.

محمد الحسون

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ

## (١) بول جورج (مسيحي / فرنسا)

ولد في «فرنسا»، ودرس في المدارس الأكاديمية حتى حاز على شهادة الدكتوراه في التجارة والاقتصاد.

نشأ «بول» في أسرة تعتنق الديانة المسيحية، خاض رحلة فكرية شاقّة بحثاً عن الحقيقة؛ ليحرّر فكره من التقليد الأعمى والتعصب والأنانية، فشملته العناية الربّانية، واهتدى إلى سبيل الحقّ والرشاد.

### التقليد الأعمى:

من الطبيعي أنّ الذي يولد في بيئة خاصّة، وفي ظروف معيّنة، وفي دين أو مذهب خاص، ويبلغ أشدّه على تلك الحالة، يكون متأثراً بتلك الظروف، وتتكوّن شخصيّته الدينية والمذهبية وفقاً لتلك البيئة.

ومن الطبيعي أيضاً أنّ الذي يعيش في هذه البيئة يكون متقبّلاً لكلّ التعاليم التي يبيّنها علماء ذلك الدين والمذهب على أنّها أمور صحيحة ومسلّم بها، وأنّها تعاليم من السماء، كلّ ذلك من غير تحقيق وتدبّر فيها، كما هو حال أغلب الناس الذين ينتمون إلى الديانات السماوية، من اليهودية والمسيحية، وغير السماوية كالمجوسية والوثنية والبوذية، وغيرها؛ لانشغالهم وانغماسهم في حياتهم المادّية

والدنيوية وتعلّقهم بها، وحصر أفكارهم وعقولهم في زاوية معيّنة، وجهة خاصّة، وهي التفكير في كيفية الوصول إلى أسباب ووسائل الراحة لحياة سعيدة في الدنيا، والعيش الرغيد، وأمّا بالنسبة لأموّهم العقديّة والدينيّة والعباديّة والحياة الأبديّة في الآخرة، فلا يهتمّون بها، ولا تعدو بالنسبة إليهم سوى كونها عادات وتقاليد مأخوذة من الآباء والأجداد، لا عن وعي وبحث بل عن تقليد أعمى، ويؤدّونها تقليداً ليس إلّا. ومع ذلك كلّهم فإنّ أصحاب هذه الديانات يؤمنون بقوة بصحة دينهم، وأنّه الحقّ فقط دون غيره من الأديان والملل والمذاهب؛ فإنّها خرافات وأباطيل.

ومن هذه الديانات الدين المسيحي، فهو غير خارج عن هذه القاعدة، فالفرد المسيحي يرى أنّ كلّ ما جاءت به تعاليمه من قبيل الذهاب إلى الكنيسة، والصلاة والصوم، وغسل التعميد الذي يُعدّ تطهيراً للنفس من الخطيئة والنجاسة، وإعلان التوبة، وطلب المغفرة من الربّ، يراها تعاليم صحيحة ومسلّم بها، من غير إمام بمسائلها، وتحقيق فيها.

فالمولود في هذه الأجواء المسيحية، والذي يبلغ أشدّه على تلك الحالة تترسّخ في نفسه هذه العقائد والتعاليم التي تمارس، وترى المسيحية أنّها هي الدين الحقّ، وما سواها خرافات وأباطيل. فيرى اليهودية باطلة؛ لأنّ اليهود لم يتّبّعوا المسيح عليه السلام، فهم يستحقّون غضب الربّ، والمسلمون كذلك، وعلى هذا فمن لم يكن مسيحياً فلا يدخل الجنّة مهما فعل، وأمّا المسيحي الذي يؤمن بعيسى عليه السلام ويحبّه ويتّبّعه فإنّ مصيره لا محالة إلى الجنّة مهما كان عمله؛ لأنّ ذنوبه وخطاياها قد عُفرت بالمسيح عليه السلام.

وقد جاء القرآن الكريم برسالة الإسلام، فحارب تلك العقائد والخرافات الباطلة، وأدان هذا المنطق الخرافي القائم على أساس التقليد الأعمى لعادات

الآباء، والجمود على تراث السلف، من دون تمحيص أو تحقيق؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

فاتّباع الآباء بغير علم، وعلى أيّ حال، سواء كانوا يعلمون شيئاً أو لم يهتدوا إلى شيء ينافي حكم العقل بلزوم اتّباع الحق؛ فإن اتّباع الآباء صحيح على تقدير كونهم على طريق العقل المتّبع للحق والهداية، فإن لم يكونوا كذلك فلا يكون اتّباعهم إلاّ تركيزاً للجهل والضلال، ويؤاخذهم عزّ وجلّ على ذلك بقوله: ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣)، أو ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٤).

وقد أدّت هذه الدعوة من القرآن الكريم إلى تعريض كلّ الأفكار السابقة والموروثية إلى الاختبار من جديد في ضوء العقل، وعلى هدى الإسلام.

ومن الآيات التي تنهى عن التقليد الأعمى: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (٥).

فقد أضاف عبدة الأصنام والمشركون الذين كانوا يبدون سواهم في

(١) البقرة (٢): ١٧٠.

(٢) المائدة (٥): ١٠٤.

(٣) البقرة (٢): ١٧٠.

(٤) المائدة (٥): ١٠٤.

(٥) الأعراف (٧): ٢٨ - ٢٩.

طوافهم: النساء والرجال الحمس خاصة<sup>(١)</sup> - مضافاً إلى مسألة التقليد الأعمى للآباء - حجة كاذبة أخرى، قائلين: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾؛ لتبرير أعمالهم القبيحة التي كانوا يقومون بها، فردّ الله عليهم فقال: قل لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ \* قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴿٢﴾.

ومنها: قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَّنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى على لسان فرعون وملئه لموسى وهم يعاتبوه: ﴿أَجِئْنَا لِنُلْفِتَّنَا﴾ وتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ يريدون بذلك سنة قدامئهم وطريقتهم معاتبين بذلك موسى وأخاه هارون أنهما اتّخذا الدعوة الدينية وسيلة إلى إبطال طريقة فرعون، ووضع طريقة جديدة لقيادة الأمة؛ كي ﴿تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾، ولا ننضم إليكما حتى تنالا بذلك أمنيتهما وتبلغا غايتكما من هذه الدعوة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾.

ونلاحظ في هذه الآية حصر طرق الهداية بأمور ثلاثة: ﴿عِلْمٍ﴾، ﴿هُدًى﴾، ﴿كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾، إلا أن هذه الجماعة العنيدة لم تمتلك علماً ولم تتبع مُرشداً ولا هادياً، ولا استلهمت من الوحي الإلهي شيئاً، وإنما تمسكت بمنطقٍ ضعيفٍ سقيم،

(١) التبيان ٤: ٣٨٢.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٢٦.

(٣) يونس (١٠): ٧٨.

(٤) لقمان (٣١): ٢٠ - ٢١.

وهو: اتباع، الآباء والأجداد، فالله تعالى يطلب من الكفار والمشركين الإيمان بما أنزل من القرآن والأحكام، والعمل بموجبه، والافتداء به: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، فيجيب الكفار بسوء اختيارهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، فذمهم الله على هذا التقليد الأعمى، فقال لهم مستفهماً مستنكراً عملهم: ﴿أَوَلَمْ يَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ حَتَّىٰ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَىٰ مَا يُوْجِبُ الْعَذَابَ السَّعِيرِ﴾، والهلاك؟!

ومنها: قول الله عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾.

وقول إبراهيم عليه السلام هنا ما هذه التماثيل التي لا تضر ولا تنفع، فيه تحقير لشأنها وتوبيخ لهم على إجلالها، إذ كانوا لها عاكفين، أي: مقبلين عليها على سبيل التعظيم لها، فما كان جواب قومه لسؤاله عليه السلام إلا تبريراً لما يقومون به؛ إذ لم يكن عندهم في الحقيقة جواب مقنع أمام هذا المنطق السليم القاطع، سوى أن يبعدوا المسألة عن أنفسهم، ويلقوها على عاتق آبائهم، ولهذا قالوا: إن هذه السنن من سنن آباءنا وأجدادنا فاقتردينا بهم، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، لعدم استنادكم لا أنتم ولا آباءكم إلى حجة قوية.

ومنها: قوله عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ \* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ \* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ \* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢﴾.

ففي هذه الآيات يتساءل إبراهيم عن سبب عبادتهم للأصنام، هل أنها تسمع

(١) الأنبياء (٢١): ٥٢ - ٥٤.

(٢) الشعراء (٢٦): ٧٠ - ٧٣.

دعاءكم إن دعوتموها، أو تنفعكم ان عبدتموها، أم أنها تضرّكم إن لم تعبدوها؛ لأنّ أقلّ ما ينبغي توفّره في المعبود هو أن يسمع نداء من يعبده، وأن ينصره في البلاء، أو يضرّه عند مخالفة أمره.

إلا أنّ عبدة الأصنام، الجهلة المتعصّبين، واجهوا سؤال إبراهيم عليه السلام بجوابهم القديم، الذي طالما كرّروه، فـ: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ مضرّبين عن جواب سؤاله واقعاً، و متمسّكين بالتقليد الأعمى لأسلافهم.

ومنها: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿<sup>(١)</sup>

ويتضح من هذه الآيات الكريمة أنّه لم تكن لمن كان يعبد الملائكة من المشركين حجّة على عبادة الملائكة، لا عقلاً ولا نقلاً - فلم يأذن الله بها - ولا دليل لهم على أحقيّة عبادتهم، سوى ما توهّموه بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾، فإنّ التشبّه بذيل التقليد ليس ممّا يختصّ بهؤلاء، فقد كان ذلك دأب أسلافهم من الأمم المشركة؛ فإنّه ما من نبيّ أو رسول أرسله الله إلى أمةٍ إلاّ تشبّهت متنعموها ومترفوها بالتقليد الأعمى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

فهذه الآيات تشير إلى المنطق الواهي في تحريم ما أحلّ الله، أو عبادة الأوثان، وغير ذلك، ويدين القرآن هذا المنطق الخرافي، القائم على أساس التقليد الأعمى لعادات الآباء والأجداد، إذ ليس اتّباعهم إلاّ تركيزاً للجهل والضلال.

(١) الزخرف (٤٣): ١٩-٢٣.



فالإنسان الجاهلي لا يستند إلى قاعدة إيمانية يحس معها بوجوده وشخصيته وأصالته، لذلك يستند إلى مفاخر الآباء وعاداتهم وتقاليدهم، فيصطنع لنفسه شخصية كاذبة وأصالة موهومة، وهذه عادة الجاهليين، قديماً وحديثاً، في تعصّبهم القومي والقبلي، وخاصة في ما يتعلّق بأسلافهم.

إلّا أنّ الدين الإسلامي أدان هذا المنطق الرجعي؛ لأنّه ينفي العقل الإنساني، ويرفض تطوّر التجارب البشرية، ويصادر الموضوعية في معالجة قضايا السلف. وهذا المنطق الجاهلي يسود اليوم - ومع الأسف - بقاع مختلفة من عالمنا، ويظهر هنا وهناك بشكل «صنم» يوحي بعبادات وتقاليد خرافية مطروحة باسم «آثار الآباء» ومؤامرة باسم «الحفاظ على المآثر القومية والوطنية»، مشكّلاً بذلك أهم عامل لانتقال الخرافات من جيل إلى جيل، ولا مانع طبعاً من تحليل عادات الآباء وتقاليدهم، فما انسجم منها مع العقل والمنطق حُفِظ، وما كان وهماً وخرافة لُفِظ، فإنّ المقدار المنسجم مع العقل والمنطق يستحقّ الحفظ والصيانة باعتباره تراثاً قومياً، وأمّا الاستسلام التام للأعمى لتلك العادات والتقاليد فليس إلّا الرجعية والحماقة.

ويتّضح من خلال الآيات الواردة أنّ الاقتداء الحسن لا يكون إلّا باثنين، بمنّ كان يملك الفكر والعقل والعلم، ومنّ كان قد اهتدى بالعلماء، إلّا أنّ أسلاف هؤلاء لم يكونوا يعلمون، كما لم يهتدوا بمنّ يعلم، وهذا اللون من التقليد الأعمى هو سبب تخلف البشرية؛ لأنّه تقليد الجاهل للجاهل، والآية التالية تبيّن سبب تعصّب هؤلاء وإعراضهم عن الانصياع للحق، يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) البقرة (٢): ١٧١.

تقول الآية: إِنَّ مِثْلَكَ فِي دَعْوَةِ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ إِلَى الْإِيمَانِ، وَنَبَذَ الْخُرَافَاتِ وَالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، كَمَنْ يَصِيحُ بِقَطِيعِ الْغَنَمِ (لِإِنْقَاذِهِمْ مِنَ الْخَطَرِ)، وَلَكِنَّ الْأَغْنَامَ لَا تَدْرِكُ مِنْهُ سِوَى أَصْوَاتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ، فَالْكَفَّارِ وَالْمَشْرُوكُونَ كَالْحَيَوَانَاتِ وَالْأَنْعَامِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ مِنْ رَاعِيهَا الَّذِي يَرِيدُ لَهَا الْخَيْرَ سِوَى أَصْوَاتٍ مَبْهَمَةٍ، فَهَؤُلَاءِ: ﴿صُمُّ بَكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ وَلِذَلِكَ يَتَمَسَّكُونَ بِالتَّقَالِيدِ الْخَاطِئَةِ لِأَبَائِهِمْ، وَيَعْرِضُونَ عَنْ كُلِّ دَعْوَةٍ بِنَاءً<sup>(١)</sup>.

### اختيار الحق:

وهكذا فإن «بول جورج» خاض رحلة فكرية شاقّة يبحث خلالها عن الحقيقة، واجتهد ليحرّر فكره من التقليد الأعمى، والتعصّب والأنانية، فدخل في ساحة الصراع القوي مع نفسه التي تجتذبه اتّجاه ما ينسجم مع مآربها ومبتغياتها، ومن جهة أخرى كان نداء الفطرة السليمة يناديه إلى الحق: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، لكنّه اجتهد ليؤمّر عقله، ومنح زمام القيادة إليه؛ لكي ينجّيه إلى برّ الأمان، ويوصله إلى درجة من الوعي يميّز فيها الحقّ عن الباطل، وطلب من الله أن يوقّقه إلى مَنْ يرشده إلى جادة الصواب، فسلمّ أمره لله الواحد القهار: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٣)</sup>..

فشملت العناية الربّانية، ووقفه الباري تعالى للتعرف على دينه الذي أرسله على خاتم رسله ﷺ، ثم شرح الله تبارك وتعالى صدره للإسلام: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ

(١) راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١: ٤٨٢.

(٢) الروم (٣٠): ٣٠.

(٣) الطلاق (٦٥): ٣.

فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾، وأزال الغشاوة عن قلبه، وهداه إلى سبيل الحق والرشاد<sup>(٢)</sup>؛ لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه، قال: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾<sup>(٤)</sup>، فلا يقدر أحد على إضلاله؛ إذ لا رادّ لفعله، بخلاف من يضلّه الله ويخذه عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه، فليس له هادٍ يهديه إليها، ولن تجد له أولياء، ولا أنصاراً: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الأنعام (٦): ١٢٥.

(٢) نقلاً عن: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٥٨.

(٣) الزمر (٣٩): ٣٧.

(٤) الإسراء (١٧): ٩٧.

(٥) الإسراء (١٧): ٩٧.

(٦) الزمر (٣٩): ٢٣.



(٢) ترانس ماسه (كُميل)

(مسيحي / فرنسا)

ولد في «فرنسا»، ونشأ في أسرة مسيحية الديانة.

كان أجداد «ترانس» من المتشددين في تطبيق الديانة المسيحية، إلا أن صبغتهم الدينية قلّت بمرور الزمن بعد الحرب العالميّة، ووصل الأمر إلى أن لا يسمع «ترانس» في أسرته عن الله شيئاً، ولم يُزُر دور العبادة مع انتمائه ظاهراً للديانة المسيحية.

يقول «ترانس» حول بداية التحوّل وأسبابه:

في صغري لم أسمع عن الله تعالى شيئاً، لكنني كنت أحسّ بوجوده في سريري، وأبحث عنه من دون دوافع ظاهريّة، فلم أكن طالبَ دين أو طالباً جامعياً.

ودفعني ذلك إلى الذهاب إلى أحد مساجد أهل السنّة، إلا أنّهم لم يستقبلوني؛ لأنّهم لم يعرفونني، فخرجت حزينا، فرأيت شاباً كانوا واقفين بجوار المسجد الثاني، فدخلت فيه، فكان فيه مجلساً عن الإمام الحسين عليه السلام في أيام شهر محرّم الحرام، وكان مسجداً شيعياً، فكانت مشاركتي في ذلك المجلس الروحاني أوّل خطوة للتعرف على المذهب الحقّ والإسلام الأصيل اذ دخلت مباشرة إلى

التشييع الاثني عشري، فوجدت كلّ ما أريده في القرآن الكريم وكلمات أهل البيت عليهم السلام، وكان حب أهل البيت عليهم السلام الدور الأكبر في انجذابي إلى التشييع.

### محبة أهل البيت في القرآن الكريم:

إنّ محبة أهل البيت عليهم السلام، والولاء لهم، عنصر أساسي من عناصر العقيدة ومقومات الإيمان، ومرتكزات الرسالة المحمدية الغراء، ولقد جاءت النصوص القرآنية واضحة وصريحة في تأصيل هذا المبدأ الولائي، وتعميق دلالاته ومعطياته.

ونذكر هنا بعض النصوص القرآنية النازلة في محبة أهل البيت عليهم السلام، أو المفسرة بذلك، مع بيان الروايات والأخبار الموضحة لذلك من المصادر المعتمدة. ١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ <sup>(١)</sup> هذه هي آية المودة التي أكدت أغلب كتب التفسير وكثير من مصادر الحديث والسيرة والتاريخ نزولها في قريبي النبي صلى الله عليه وآله: عليّ والزهراء والحسن والحسين وذريّتهم الطاهرين عليهم السلام.

روى السيوطي وغيره في تفسير هذه الآية بالإسناد إلى ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟

قال صلى الله عليه وآله: «عليّ وفاطمة وولداهما» <sup>(٢)</sup>.

وهذه الآية تدلّ على وجوب المودة لأهل البيت الذين نصّ الحديث على

(١) الشورى (٢١): ٢٣.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٦: ٧. وقد روى هذا الخبر العيني في عمدة القاري ١٦: ١٧ وقال: ذكر في ذلك عن رسول الله، وراجع: المعجم الكبير ٣: ٤٧، ١١: ٣٥١، فتح القدير ٤: ٥٣٧، تخريج الأحاديث للزيلعي ٣: ٢٣٤، الفتح السماوي للمناوي ٣: ٩٨، الكشاف للزمخشري ٣: ٤٦٧، تفسير الرازي ٢٧: ١٦٦، تفسير القرطبي ١٦: ٢١ وغيرها.

تحديدهم، وقد استدللّ الفخر الرازي على ذلك بثلاثة وجوه، فبعد أن روى الحديث عن الزمخشري قال: فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصصين بمزيدٍ من التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

الثاني: لا شكّ أنّ النبي ﷺ يحبّ فاطمة عليها السلام، قال ﷺ: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني»<sup>(١)</sup>، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأئمة مثله، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد»، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ محمد وآل محمد واجب.

وقال الشافعي:

يا ركباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض  
سحراً إذا فاض الحجيجُ إلى منى فيضاً كما نَظَمَ الفراتِ الفاض  
إن كان رفضاً حبّ آل محمدٍ فليشهد الثقلان أنّي رافضي<sup>(٤)</sup>  
وأشار الشافعي إلى نزول آية المودّة في أهل البيت عليهم السلام بقوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرضٌ من الله في القرآن أنزله<sup>(٥)</sup>

(١) راجع: صحيح البخاري ٤: ٢١٠ و٢١٩ وغيره.

(٢) الأعراف (٧): ١٥٨.

(٣) النور (٢٤): ٦٣.

(٤) تفسير الرازي ٢٧: ١٦٦.

(٥) الصواعق المحرقة ٢: ٥٠٧.

## الأئمة وآية المودة:

لقد احتج أئمة الهدى المعصومون عليهم السلام بهذه الآية على فرض مودتهم ووجوب محبتهم وحقهم على كل مسلم؛ فقد روى زاذان عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: «فينا في ال حم آية، لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن»، ثم قرأ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١).

وإلى هذا أشار الكميت الأسدي بقوله:

وجدنا لكم في ال حم آية      تأولها منا تقي ومعرب<sup>(٢)</sup>

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: خطب الحسن بن علي عليه السلام الناس حين قتل علي عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «... وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، فاقتراف الحسن مودتنا أهل البيت» (٣).

وأخرج ابن جرير عن أبي الديلم، أنه قال: لما جيء بعلي بن الحسين عليه السلام أسيراً، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأستأصلكم وقطع قرني الفتنة.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أقرأت ال حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ ال حم. قال: ما قرأت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم» (٤).

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٨٧.

(٢) راجع: تفسير الطبري ٢٤: ٥١.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٧٢، الصواعق المحرقة ٢: ٤٨٧، وشرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد ١٦: ٣٠.

(٤) راجع: تفسير الطبري ٢٥: ٣٣، تفسير ابن كثير ٤: ١٢١.

وروى إسماعيل بن عبد الخالق، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال: سمعته عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول: «ما يقول أهل البصرة في هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ فقال: جعلت فداك، إنهم يقولون: إنها لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: كذبوا، إنما نزلت فينا خاصة، في أهل البيت، في عليّ وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء»<sup>(١)</sup>.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد ورد عن جابر بن عبد الله قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا عليّ! قل: ربّ اذف لي المودّة في قلوب المؤمنين، ربّ اجعل لي عندك عهداً، ربّ اجعل لي عندك وداً». فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، فلا تلقى مؤمناً ولا مؤمنة إلا وفي قلبه وداً لأهل البيت عليهم السلام<sup>(٣)</sup>.

وروي الحديث عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. وعن أبي سعيد الخدري<sup>(٥)</sup> وغيرهم.

٣ - قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا...﴾<sup>(٦)</sup>:

روي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: «دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين، فقال عليه السلام له: يا أبا عبد الله! ألا أخبرك بقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ

(١) الكافي ٨: ٩٣.

(٢) مريم (١٩): ٩٦.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٤٦٤.

(٤) الدر المنثور ٤: ٢٨٧، ومجمع الزوائد ٩: ١٢٥.

(٥) شواهد التنزيل ١: ٤٧٤.

(٦) القصص (٢٨): ٨٤.



بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا...؟ قال: بلى جعلت فداك. قال عليه السلام: الحسنه: حبنا أهل البيت، والسيئة: بغضنا، ثم قرأ الآية»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد ما يقارب هذا الحديث عن أبي عبد الله الجدلي<sup>(٢)</sup>.

٤ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٣)</sup>.

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت هذه الآية قال: ذاك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيته صادقاً غير كاذب، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً، ألا بذكر الله يتحابون»<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد وردت آيات كثيرة مفسرة في تأكيد هذا المعنى بطرق صحيحة عن أهل البيت عليهم السلام أعرضنا عن ذكرها للاختصار.

### حب أهل البيت عليهم السلام في السنة المطهرة:

أثبتت النصوص القرآنية، كما تقدم، مبدأ المودة لأهل البيت عليهم السلام بشكل صريح لا يقبل التأويل، وفي هذا المبحث سنسلط الضوء على بعض ما ورد في السنة المباركة في تأكيد المودة والولاء لأهل البيت عليهم السلام، وبيان فضل حبهم وخصائصه وعلاماته.

فقد أكدت السنة الشريفة على أن حب أهل البيت عليهم السلام أساس الإسلام، وعلامة الإيمان، وأفضل العبادة، وأن حبهم حب الله ورسوله، والتأكيد على هذه المضامين يدل على أن حب أهل البيت عليهم السلام يجسد عمق الولاء والمحبة للرسالة

(١) راجع: شواهد التنزيل ١: ٥٤٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٩: ٣٠٢٤، تفسير الثعلبي ٧: ٢٣٠، ينابيع المودة ١: ٢٩١، المحاسن ١: ١٥٠، أمالي الطوسي: ٤٩٣.

(٣) الرعد (١٣): ٢٨.

(٤) الدر المنثور ٤: ٥٨، فتح القدير ٣: ٨٢، تفسير الألوسي ١٣: ١٤٩.

بجميع مفرداتها، بل هو مركز أساس لعمق الانتماء للإسلام، وأصالة الارتباط بالعميقة، وقوة التفاعل معها.

والقراءة المتأتملة للنصوص الحديثية التي سنورها في هذا المبحث تبرز لنا بوضوح أصالة العلاقة بين مبدأ المحبة لهم ﷺ، وبين الانتماء للرسالة؛ فبمقدار ما يترسخ هذا المبدأ في شعور الأمة ووجدانها يتعزز المستوى الولائي للرسالة والعميقة، وتحدد الهوية الإيمانية للأمة.

وفيما يلي نشير إلى أهم مضامين الحبّ والمودة لأهل البيت ﷺ الواردة في السنة المطهرة.

### الحثّ على محبتهم ﷺ:

١- قال رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن»<sup>(١)</sup>.

٢- قال ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(٢)</sup>.

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسن الحسنات حبنا، وأساء السيئات بغضنا»<sup>(٣)</sup>.  
حبهم حبّ الله ورسوله ﷺ:

١- قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني لحبّ الله، وأحبوا أهل بيتي لحبّي»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الجامع الصغير ١: ٥١، فيض القدير ١: ٢٩٢، كشف الخفاء ١: ٧٤ وغيرها.  
(٢) صحيح مسلم ٧: ١٢٣، مسند أحمد ٤: ٣٦٧، فضائل الصحابة للنسائي: ٢٢، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٣١.  
(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٢٦.  
(٤) سنن الترمذي ٥: ٣٢٩، الجامع الصغير ١: ٣٩، الدرّ المنثور ٦: ٧، الكامل لابن عدي ٧: ١١٢، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٣: ١٥٠ بعد ذكر الحديث: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢- عن زيد بن أرقم، قال: كنت عند رسول الله ﷺ فمرت فاطمة عليها السلام وهي خارجة من بيتها إلى حجرة النبي ﷺ ومعها ابناها الحسن والحسين، وعليّ عليه السلام في آثارهم، فنظر إليهم النبي ﷺ فقال:

«من أحب هؤلاء فقد أحببني، ومن أبغضهم فقد أبغضني»<sup>(١)</sup>.

٣- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: أنا سيّد ولد آدم، وأنت يا عليّ والأئمة من بعدك سادة أمتي، من أحببنا فقد أحب الله، ومن أبغضنا فقد أبغض الله، ومن آلانا فقد وآلى الله، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله»<sup>(٢)</sup>.

٤- قال الإمام الصادق عليه السلام: «من عرف حقنا وأحببنا، فقد أحب الله تبارك وتعالى»<sup>(٣)</sup>.  
حبهم أساس الإسلام:

١- قال رسول الله ﷺ: «أساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي»<sup>(٤)</sup>.

٢- قال ﷺ: «لكلّ شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»<sup>(٥)</sup>.

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قال لي رسول الله ﷺ: يا عليّ، إنّ الإسلام عريان، لباسه التقوى، ورياشه الهدى، وزينته الحياء، وعماده الورع، وملاكه العمل الصالح، وأساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي»<sup>(٦)</sup>.

حبهم عبادة:

١- قال رسول الله ﷺ: «حب آل محمّد يوماً خير من عبادة سنة، ومن مات

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٥٤ ونقله عنه المتقي الهندي في كنز العمال ١٢: ١٠٣.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٦٣، بشارة المصطفى: ٢٣٩.

(٣) الكافي ٨: ١٢٩، تحف العقول: ٣٥٧.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٢٤١، كشف الخفاء ١: ٢٣، كنز العمال ١٣: ٦٤٥.

(٥) المحاسن ١: ١٥٠، الكافي ٢: ٤٦، أمالي الصدوق: ٣٤١.

(٦) كنز العمال ١٣: ٦٤٥.

عليه دخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

٢ - قال ﷺ: «اعلم أنّ أوّل عبادته المعرفة به.. ثمّ الإيمان بي والإقرار بأنّ الله أرسلني إلى كافّة الناس، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ثمّ حبّ أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»<sup>(٢)</sup>.

٣ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ فوق كلّ عبادة عبادةً، وحبّنا أهل البيت أفضل عبادة»<sup>(٣)</sup>.

### حبّهم علامة الإيمان:

١ - قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وأهلي أحبّ إليه من أهله، وعترتي أحبّ إليه من عترته، وذاتي أحبّ إليه من ذاتي»<sup>(٤)</sup>.

٢ - قال ﷺ: «لا يحبّنا أهل البيت إلّا مؤمن تقيّ، ولا يبغضنا إلّا منافق شقيّ»<sup>(٥)</sup>.

٣ - قال الإمام الباقر عليه السلام: «حبّنا إيمان، وبغضنا كفر»<sup>(٦)</sup>.

٤ - وقال عليه السلام: «إنّما حبّنا أهل البيت شيء يكتبه الله في قلب العبد، فمن كتبه الله في قلبه لم يستطع أحد أن يمحوه؛ أما سمعت الله يقول: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروحٍ منه﴾؛ فحبّنا أهل البيت من أصل الإيمان»<sup>(٧)</sup>.

(١) الفصول المهمّة لابن الصباغ ١: ١٤٤، ينابيع المودّة ٢: ٢٥٢، كشف الغمّة ١: ٥٣.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٢٦، ومكارم الأخلاق: ٤٥٩.

(٣) المحاسن ١: ١٥٠.

(٤) راجع: نظم در السمطين: ٢٣٣، تنبيه الغافلين: ١٥٣، أمالي الصدوق: ٤١٤، علل الشرائع ١: ١٤٠.

(٥) كفاية الأثر: ١١٠، ذخائر العقبى: ١٨، ينابيع المودّة ٢: ١١٦.

(٦) الكافي ١: ١٨٨، والمحاسن ١: ١٥٠.

(٧) شواهد التنزيل ٢: ٣٣٠.

## حبّهم علامة طيب الولادة:

١ - قال رسول الله ﷺ مشيراً إلى أمير المؤمنين عليّ: «يا أيُّها الناس! امتحنوا أولادكم بحبِّه؛ فإنّ عليّاً لا يدعو إلى ضلالة، ولا يبعد عن هدى، فمن أحبّه فهو منكم، ومن أبغضه فليس منكم»<sup>(١)</sup>.

٢ - روي عن أبي بكر أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة، وهو متّكئ على قوس عربية، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ، طيب المولد، ولا يبغضهم إلاّ شقيّ الجدّ رديء الولادة»<sup>(٢)</sup>.

٣ - عن أمير المؤمنين عليّ في وصيّة النبيّ ﷺ لأبي ذرّ رضي الله عنه، قال: «قال النبيّ ﷺ: يا أبا ذرّ! من أحبّنا أهل البيت فليحمد الله على أوّل النعم. قال: يا رسول الله! وما أوّل النعم؟ قال: طيب الولادة؛ إنّّه لا يحبّنا إلاّ من طاب مولده»<sup>(٣)</sup>.

٤ - قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ! من أحبّني وأحبّك وأحبّ الأئمّة من ولدك، فليحمد الله على طيب مولده؛ فإنّه لا يحبّنا إلاّ من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلاّ من خبثت ولادته»<sup>(٤)</sup>.

٥ - قال الإمام الصادق عليّ: «والله لا يحبّنا من العرب والعجم إلاّ أهل البيوتات والشرف والمعدن، ولا يبغضنا من هؤلاء وهؤلاء إلاّ كلُّ دنس ملصق»<sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٨٨.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٢٩٧، جواهر المطالب ١: ١٧٤.

(٣) المحاسن ١: ١٣٨، أمالي الصدوق: ٥٦٢، علل الشرائع ١: ١٤١، أمالي الطوسي: ٤٥٦.

(٤) أمالي الصدوق: ٥٦٢، علل الشرائع ١: ١٤١، معاني الأخبار: ١٦١.

(٥) الكافي ٨: ٣١٦.

٦- قال جابر بن عبد الله: كُنَّا نُبور<sup>(١)</sup> أولادنا بحبِّ عليِّ بن أبي طالب، فإذا رأينا أحداً لا يحبُّ عليَّ بن أبي طالب، علمنا أنه ليس منا، وأنه لغير رشدة<sup>(٢)</sup>.  
٧- قال محبوب بن أبي الزناد: قالت الأنصار: إن كُنَّا لنعرف الرجل لغير أبيه ببيغضه عليُّ بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>.

حبُّهم ممَّا يُسأل عنه يوم القيامة:

١- قال رسول الله ﷺ: «أول ما يُسأل عنه العبد حبُّنا أهل البيت»<sup>(٤)</sup>.

٢- قال ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتَّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين كسبه، وعن حبِّنا أهل البيت»<sup>(٥)</sup>.

٣- وعنه ﷺ مثله، وزاد في آخره: فقيل: يا رسول الله! فما علامة حبِّكم؟ فضرب بيده على منكب عليِّ عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

محبة أهل البيت تعلق بحبل الله:

إنَّ حبَّ أهل البيت عليهم السلام مبدأ رسالي يتضمَّن أبعاداً مهمَّةً وخطيرة، لها آثارها في حياة الفرد المسلم وحياة المجتمع الإسلامي، فحبُّهم ليس مجرد علاقة قلبية، أو ارتباط عاطفي يشد المسلم إلى أفراد معينين؛ لأنَّهم قريبي النبي صلى الله عليه وآله وعترته، بل إنَّه تعلق بحبل الله الممدود من السماء إلى الأرض بعد النبي صلى الله عليه وآله، والذي يتحقَّق من خلاله ارتباط حياة الفرد والمجتمع بتعاليم السماء وإرادة الخالق العزيز، ذلك

(١) أي: نجرب ونختبر.

(٢) راجع: شواهد التنزيل ١: ٤٤٩.

(٣) إكمال الكمال ٤: ٢٠٠.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٧.

(٥) راجع: المعجم الكبير ١١: ٨٤، المعجم الأوسط ٩: ١٥٥، الفصول المهمَّة لابن الصباغ ١:

٥٨٤، أمالي الصدوق: ٩٣، والخصال: ٢٥٣.

(٦) راجع: المعجم الأوسط ٢: ٣٤٨، أمالي المفيد: ٣٥٣، أمالي الطوسي: ١٢٤.

لأنهم عليه السلام يمثلون الثقل الإلهي في الأرض، وهم آيات الله والدالون عليه، وفيهم تتجسد الصفات والكمالات التي يريد الله تعالى.  
فحبهم يمثل في الواقع حبَّ الله وللقيم الربانية والكمالات الإلهية، وهو يسمو بالمؤمن في مدارج الوصول إلى الكمال الذي يريده الله سبحانه.  
ومن هذا المنطلق وفي ظلّ هذه الحقائق استبصر «ترانس» وكان ذلك عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) وتسمى باسم الصحابي الجليل المحب للعترة الطاهرة كميل ابن زياد.

### (٣) جلز ميشيل بيكون (رضا) (مسيحي / فرنسا)

ولد في «فرنسا»، ونشأ في أسرة مسيحية، درس في المدارس الأكاديمية حتى دخل الجامعة ونال شهادة الهندسة في قسم الكهرباء، وقد أدت عدة أسباب في حياته إلى مواصلة البحث والنقاش مما سار به إلى اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام.

كان يرى «جلز» أن المسلمين وحينما يدعون النصارى إلى الإسلام يحتجون عليهم ببشارة المسيح عليه السلام بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، في التوراة والإنجيل وهذا ما جعله متسائلاً عن أحقية الإسلام، فقام بالبحث بجديّة تامّة لكي يصل إلى الحقيقة.

بشائر الأنبياء السابقين بنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

فقد بشرت الكتب السماوية وكذلك الأنبياء السابقون بنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن أتباع تلك الديانات حرّفوا كتبهم لكي لا يبقى أثر لتلك البشارة، ومع ذلك بقي منها شيء، يمكن لنا من خلاله كشف الحقيقة إذا تأملنا في ذلك:

أ - ظهوره في جبل فاران:

جاء في التوراة، سفر التثنية، الإصحاح ٣٣: «وهذه هي البركة التي بارك بها



موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته \* فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلاًلاً من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم»<sup>(١)</sup>.

فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة<sup>(٢)</sup>.

وذكر الحموي أنه جاء في التوراة: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من فاران»: مجيئه من سيناء: تكليمه لموسى ﷺ، وإشراقه من ساعير إشارة إلى ظهور عيسى بن مريم ﷺ، وإنزال الإنجيل عليه. واستعلائه من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ﷺ؛ قالوا: وفاران: جبال مكة<sup>(٣)</sup>.

وفي مناظرة للإمام الرضا ﷺ مع رأس الجالوت، كبير اليهود، قال له: «هل تنكر أن التوراة تقول لكم: جاء النور من جبل طور سيناء، وأضاء لنا من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران؟».

قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها! فقال ﷺ: «أنا أخبرك به، أمّا قوله: «جاء النور من جبل طور سيناء»، فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى ﷺ على جبل طور سيناء. وأمّا قوله: «وأضاء لنا من جبل ساعير» فهو الجبل الذي أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى بن مريم ﷺ وهو عليه.

وأمّا قوله: «واستعلن علينا من جبل فاران»، فذلك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكتاب المقدس (العهد القديم): سفر التثنية - الإصحاح ٣٣، جملة ١ - ٢.

(٢) معجم البلدان ٤: ٢٢٥، اللباب في تهذيب الأنساب ٢: ٤٠٢.

(٣) راجع معجم البلدان ٣: ١٧١، و٤: ٢٢٥.

(٤) التوحيد: ٤٢٧، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ١٢٨.

وجاء أيضاً في التوراة في سفر حيقوق النبيّ، الإصحاح الثالث: «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه \* وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع وهناك استتار قدرته \* قدامه ذهب الرباء وعند رجله خرجت الحمى \* وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له \* رأيت خيام كوشان تحت بلية. رجفت شقق أرض مديان<sup>(١)</sup>.

### ب - كونه من ولد إسماعيل:

وقد ذكر أيضاً في التوراة في سفر التثنية - أو تثنية الاشرع، وهو خامسها بتسمية السبعينية، وفي العبرانية بأوله «إله»، ويسمى أيضاً: دباريم<sup>(٢)</sup> - الإصحاح الثامن عشر: «يقيم لك الربّ إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون»<sup>(٣)</sup>.

ما المراد من إقامة النبيّ؟ هل يراد منه: عيسى، كما تدّعيه النصارى من كون هذا النبيّ هو عيسى عليه السلام؟

نحن نعتقد أنّ ذلك لا ينطبق إلا على نبينا الأكرم محمد ﷺ؛ وذلك لأمر: أولاً: إنّ الله خاطب بني إسرائيل بأنّه يخرج لهم نبياً من بينهم من إخوتهم، وليس لبني إسرائيل إخوة من الطوائف غير ولد إسماعيل، فلا بدّ أن يكون هذا النبيّ من أولاد إسماعيل؛ لكي يصدق عليه عنوان الأخوة، وإلا فإنّ عيسى عليه السلام حاله حال موسى عليه السلام؛ كلاهما من ولد إسحاق عليه السلام، فلا يتحقّق صدق كونه من إخوة الإسحاقيين، بل هو من نفس الإسحاقيين.

(١) الكتاب المقدّس (العهد القديم): سفر حيقوق النبيّ الإصحاح ٣، جملة ٣ - ٧.

(٢) الهدى إلى دين المصطفى ٢: ٣٥.

(٣) الكتاب المقدّس (العهد القديم): سفر التثنية، الإصحاح ١٨، جملة ١٥.

ولا ضير من إطلاق الإخوة على الأعمام، فقد أُطلق الإخوة في التوراة على الأعمام، وعلى الأجانب<sup>(١)</sup>، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن اليهود اتفقت على أنه لا يخرج نبي من بني إسرائيل صاحب كتاب وشريعة بعد موسى<sup>(٢)</sup>، ولم يدع أحد منهم النبوة سوى بني إسماعيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ<sup>(٣)</sup>؛ فينحصر المراد منه بنبيتنا الخاتم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثانياً: مقتضى المثلية في قوله: «نبياً من وسطك من إخوتك مثلي» يكون رسالة النبي الذي يلي موسى رسالة شاملة، فرسالة موسى عمّت بني إسرائيل وأهل مصر، بخلاف رسالة عيسى؛ فإنه لم يكن المعني بها إلا بني إسرائيل، فتصدق الرسالة الكاملة على الرسالة المحمدية التي كانت عامة وشاملة لكل البشرية؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

ثالثاً: إن رسالة موسى أتت بكتاب جديد، ولم تكن مكتملة للرسالات والشرائع السابقة، ولم تقتبس من الكتب السماوية الأخرى، وكذلك الرسالة المحمدية التي أتت بالقرآن الكريم والشريعة الإسلامية السمحة، فهي أيضاً لم تقم على شرائع سابقة.

(١) كشف الغطاء ٢: ٣٨٧.

(٢) كشف الغطاء ٢: ٣٨٧.

(٣) كشف الغطاء ٢: ٣٨٧.

(٤) الأعراف (٧): ١٥٨.

(٥) سبأ (٣٤): ٢٨.

(٦) الفرقان (٢٥): ١.

(٧) الأنبياء (٢١): ١٠٧.

نعم، قد تجد توافقاً بين هذه الشرائع، ولكن هذا لا يعني أنها أخذت من بعضها البعض، بل أن مصدرها واحد، وهو الله تعالى، أما رسالة عيسى فقد أتت لتكمل رسالة موسى، ولم تأت بتشريع جديد؛ إذ يقول: بأنه لم يأت ليغيّر القانون بل ليطبّقه، وهو يعني بذلك قانون موسى<sup>(١)</sup>.

رابعاً: إن موسى قد ولد لأب وأم، وكذلك محمد بن عبد الله ﷺ، بخلاف عيسى الذي ولد من أم دون أب، مثله في ذلك مثل آدم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ما ورد في الإنجيل من البشارات:

جاء في «إنجيل يوحنا»، الإصحاح الرابع عشر: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي \* وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد \* روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه»<sup>(٣)</sup>.

وفيه أيضاً «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»<sup>(٤)</sup>.

وفي الإصحاح الخامس عشر: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي»<sup>(٥)</sup>.

وفي الإصحاح السادس عشر: «لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم \* ومتى

(١) الكتاب المقدس تحت المجهز: ١٤٦.

(٢) آل عمران (٣): ٥٩.

(٣) الكتاب المقدس (العهد الجديد): إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، جملة ٢٦.

(٤) الكتاب المقدس (العهد الجديد): إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، جملة ٢٦.

(٥) الكتاب المقدس (العهد الجديد): إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥، جملة ١٥ - ١٧.

جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة»<sup>(١)</sup>.

فلاحظ أن عيسى عليه السلام يوصي بوصايا قبل رحيله منها: أنه يبشّر بنبيّ يأتي

بعده ويحمل الصفات التالية:

١ - «ليمكث معكم إلى الأبد» إشارة إلى خلود الشريعة التي تلي شريعة

عيسى عليه السلام.

٢ - «ويذكركم بكلّ ما قلته لكم» يذكّر كلّ ما جاء به عيسى عليه السلام، أي يأتي

بعده.

٣ - «فهو يشهد لي» أي يكون شاهداً على عيسى عليه السلام، وهو النبيّ

محمد صلى الله عليه وآله؛ إذ يقول الله تعالى عنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في النسخة الأصلية أن اسم النبيّ الذي وعدهم عيسى عليه السلام بأنّ ربّه

سوف يرسله: (بارقليطا) أو (بركليطوس)، وترجمتها: المحمود والأحمد، ولكنّ

المترجمين غيروها إلى: (المعزي)!

وهذه الحقيقة ظهرت في «إنجيل برنابا» في عدّة مواضع:

منها ما جاء في الفصل الثاني عشر بعد المائة:

«وإذا كان يحقّ لي البكاء فاعلم يا برنابا أنّه لأجل هذا يجب عليّ التحفّظ،

وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود، وعليه فإنّي على يقين من أنّ من

يبيعني يقتل باسمي، لأنّ الله سيصعدني من الأرض وسيغيّر منظر الخائن حتّى

يظنه كل أحد إياي، ومع ذلك فإنّه لمّا يموت شرّ ميتة أمكث في ذلك العار زمنا

طويلاً في العالم، ولكن متى جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المقدّس

(١) الكتاب المقدّس (العهد الجديد): إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٦، جملة ٧.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٤٥.

تُزال عني هذه الوصمة، وسيفعل الله هذا، لأنني اعترفت بحقيقة مسيا الذي سيعطيني هذا الجزاء، أي أن أعرف أنني حي، وأني بريء من وصمة تلك الميتة»<sup>(١)</sup>.  
ومنها ما جاء في الفصل التاسع والثلاثين: «فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس، نصّها: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، ففتح حينئذ آدم فاه، وقال: أشكرك أيها الربّ إلهي؛ لأنك تفضّلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تُنبأني ما معنى هذه الكلمات: محمد رسول الله، فأجاب الله: مرحباً بك يا عبدي آدم، وإني أقول لك: إنك أول إنسان خلقت، وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك، الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كلّ الأشياء، الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً. فضرع آدم إلى الله قائلاً: يا ربّ! هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي. فمنح الله الإنسان الأوّل تلك الكتابة على إبهاميه، على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصّه: لا إله إلا الله، وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصّه: محمد رسول الله»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما جاء في الفصل الواحد والأربعين: «فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فبكى عند ذلك وقال: أيها الابن عسى الله أن يريد أن تأتي سريعاً، وتخلصنا من هذا الشقاء»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما جاء في الفصل السادس والتسعين: «حينئذٍ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كلّ الأشياء لأجله، الذي سيأتي من الجنوب بقوة، وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام، وسيبتزع من الشيطان سلطته على البشر،

(١) إنجيل برنابا: الفصل الثاني عشر بعد المائة، ١٧٨.

(٢) إنجيل برنابا: الفصل التاسع والثلاثين، ٨٨.

(٣) إنجيل برنابا: الفصل الحادي والأربعون، ٩١.

وسياتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً»<sup>(١)</sup>.

ونجد هنا اعترافاً من أحد كبار قساوسة المسيحيين، والذي تتلمذ عند علمائهم حتى حاز مراتب كبيرة في الدراسات الكنسية، يتحدث في مقدمة كتابه (أنيس الأعلام) عن انتقاله من المسيحية إلى الإسلام، فيقول: (... بعد بحث طويل وعناء كبير وتجوال في المدن، عثرت على قسيس كبير متميز في زهده وتقواه، كان يرجع إليه الكاثوليك بما فيهم سلاطينهم، تعلمت عليه زمناً مذهب النصارى، وكان له طلاب كثيرون، ولكنّه كان ينظر إليّ من بينهم نظرة خاصّة، وكانت كلّ مفاتيح البيت بيدي، إلا مفتاحاً واحداً لغرفة صغيرة، احتفظ به عنده... وفي يوم اعتلّت صحّة القسيس، فقال لي: قل للطلاب إنّي لا أستطيع التدريس اليوم. حينما جئت إلى الطلاب وجدتهم منهمكين في نقاش حول معنى «فارقليطا» في السريانية، و«پريكلتوس» في اليونانية... واستمرّ بينهم النقاش، وكلّ كان يدلي برأيه... بعد أن عدت إلى الأستاذ سألتني عمّا كان يدور بين الطلاب، فأخبرته.

فقال لي: وما رأيك؟

قلت: اخترت الرأي الفلاني.

قال القسيس: ما قصرت في عملك، ولكن الحقّ غير ذلك؛ لأنّ حقيقة هذا

الأمر لا يعلمها إلاّ الراسخون في العلم، وقليل ما هم.

أكثر في الإلحاح عليه أن يوضّح لي معنى الكلمة، فبكى بكاءً مُرّاً وقال:

لم أخف عليك شيئاً... إنّ لفهم معنى هذه الكلمة أثراً كبيراً، ولكنّه إن انتشر فسنعرض للقتل! فإن عاهدتني أن لا تفشيّه فسأخبرك...

---

(١) إنجيل برنابا: الفصل السادس والتسعين، ٩١.

فأقسمت بكلّ المقدسات أن لا أذكر ذلك لأحد.

فقال: إنّه اسم من أسماء نبيّ المسلمين، ويعني «أحمد»، و«محمد».

ثمّ أعطاني مفتاح الغرفة وقال: افتح الصندوق الفلاني، وهات الكتابين اللذين فيه.

جئت إليه بالكتابين وكانا مكتوبين باليونانية والسريانية على جلد، ويعودان إلى عصر ما قبل الإسلام. الكتابان ترجما «فارقليطا» بمعنى أحمد ومحمد، ثمّ أضاف الأستاذ: علماء النصارى كانوا مجمعين قبل ظهوره أنّ «فارقليطا» بمعنى «أحمد ومحمد»، ولكن بعد ظهور محمد ﷺ غيروا هذا المعنى؛ حفظاً لمكانتهم ورئاستهم وأولوه، واخترعوا له معنى آخر لم يكن على الإطلاق هدف الإنجيل.

سألته عمّا يقوله بشأن دين النصارى؟

قال: لقد نُسَخَ بمجيء الإسلام. وكرّر ذلك ثلاثاً.

ثمّ قلت: ما هي طريقة النجاة والصراط المستقيم في زماننا هذا؟

قال: إنّما هي باتّباع محمد ﷺ.

قلت: وهل التابعون له ناجون؟

قال: إي والله. وكرّر ذلك ثلاثاً.

ثمّ بكى الأستاذ وبكى كثيراً.

ثمّ قال: إذا أردت الآخرة والنجاة فعليك بدين الحقّ... وأنا أدعوك دائماً

شرط أن تكون شاهداً لي يوم القيامة أنّي كنت في الباطن مسلماً، ومن أتباع

محمد ﷺ، وما من شك أنّ الإسلام هو دين الله اليوم على ظهر الأرض<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١: ١٨٨ - ١٩٠، نقلاً عن أنيس الاعلام في نصرة الاسلام.



وكما يلاحظ فإن هذه الوثيقة المهمة تصرّح بما فعله علماء أهل الكتاب بعد ظهور نبي الإسلام ﷺ من تحريف لتفسير اسم النبي ﷺ وعلاماته؛ تحقيقاً لمصالحهم الشخصية.

فتكون كلّ هذه الأمور تأييداً لما جاء في القرآن الكريم، وتتطابق تماماً مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١).

فعيسى عليه السلام يقول لأنصاره أنه رسول من الله إليهم، ويدعوهم إلى شريعة التوراة ومنهاجها، ويشتر بشرية إلهية سيكملها الله ببعث نبي يأتي من بعده، اسمه: أحمد.

فدعوته تتضمن الأمور التالية:

الأول: كونه رسول من قبل الله تعالى، وذلك قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، فهو يحمل رسالة من الله إليهم.

الثاني: أنه أرسل إليهم لأجل تكميل ما جاء به موسى عليه السلام، وذلك قوله: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

الثالث: أن دعوته لا تغاير دين التوراة، ولا تناقض شريعتها بل تصدّقها، ولم تنسخ من أحكامها إلا اليسير: ﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (٢).

الرابع: أنه لم يبيّن لهم إلا بعض ما يختلفون فيه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ (٣).

(١) الصف (٦١): ٦.

(٢) آل عمران (٣): ٥٠.

(٣) الزخرف (٤٣): ٦٣.

الخامس: أن من مهام رسالته التبشير بمجيء رسول من بعده اسمه أحمد:  
﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

فالقران الكريم يشير إلى ضرورة الإيمان بهذا النبي الذي أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، وبشّر به عيسى بن مريم بنى إسرائيل، فعلى المؤمنين أن يشدوا العزم على طاعته، وامتثال ما يأمرهم به من الجهاد ونصرة الله في دينه كي يسعدهم في آخرهم وينصرهم ويؤيدهم على أعدائهم في هذه الدنيا.

ومن الواضح أن الإسلام لا يعدّ نفسه ديناً جديداً مقابل سائر الأديان، كالمسيحية واليهودية أو غيرهما من الديانات السماوية، بل يرى نفسه مكتملاً للأديان الصحيحة التي دعى إليها الأنبياء السابقون من لدن آدم إلى ما قبل مجيئ الإسلام، فهم من دعوا إلى الوحدانية المطلقة، ونفي الشرك، وتصديق الرسالات السابقة.

ولذا نرى الإسلام يمضي أحكام التوراة إلا ما نسخه الله تعالى من الأحكام الشاقة المكتوبة على اليهود، وأما الإنجيل فلا يحتوي إلا على مجموعة من الحكم والأخلاق، ولا يتطرق إلى أحكام الشريعة.

وقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (أنزل على عيسى عليه السلام في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود، ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة، وهو قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلَا جُلٌّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وأمر عيسى عليه السلام من معه ممن تبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة وشرائع جميع النبيين والإنجيل...)<sup>(٢)</sup>.

(١) آل عمران (٣): ٥٠.

(٢) راجع: تفسير العياشي ١: ١٧٥، بحار الأنوار ١٤: ٢٥١-٢٥٢، الحديث ٤٣.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِلُوا شَاءَ اللَّهُ لَجْعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيُنْذِرَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (١).

فأنزل الله تعالى قرآناً مصدقاً للكتب السماوية السابقة عليه، مهيمناً على جميع الكتب والديانات السماوية، ولكنه في الوقت نفسه جاء رقيباً وحاكماً على ما فيها من ضلالات، ومشتماً على الحق الصريح، والتعليم العالي، والهداية التامة، وهدى ورحمة وبرهاناً ونوراً مبيناً، وجعله تبيّناً لكل شيء، وتحدي به الجن والإنس، وحفظه من تحريف المبطلين، وجعله معجزاً باقياً خالداً بقاء الدنيا.

الاستبصار:

عندما وجد «جلز» المسلمين وهم يحتجون على غيرهم بكتابي التوراة والإنجيل، ويستندون بالبيانات الواردة فيهما بشأن رسول من الله تعالى، بادر إلى اعتناق الإسلام، وذلك لكي ينال رضى الله تعالى، وجنته، فلم يبال بما فقدته من الأمور الدنيوية الفانية، وصمد إزاء التيارات المعاكسة له؛ حفاظاً على مبادئه السامية التي اكتسبها من الإسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوَارِثِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢)، وقد تسمى «جلز» بعد استبصاره بلقب الوصي الثامن لرسول الله ﷺ، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (٣).

(١) المائدة (٥): ٤٨.

(٢) التوبة (٩): ١١١.

(٣) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٥٧.

## (٤) دوج آلواية (محمد)

(مسيحي / فرنسا)

من مواليد فرنسا وأصول أفريقية، نشأ في أسرة تعتنق الديانة المسيحية، ودرس في المدارس الأكاديمية.

كان يحبّ الاطلاع على القضايا السياسية في الشرق الأوسط، كما كان يهوى مطالعة الدين الإسلامي، فتعرّف عليه ومنّ الله عليه بالهداية واعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام، فاعلن استبصاره سنة ١٤٢٢هـ (١٩٩٢م)<sup>(١)</sup>.

### دواعي البحث:

يقول «دوج»: كنت منذ صغري أحترم أصول ومبادئ الدين المسيحي، ولكنني وانطلاقاً من حبّ الاستطلاع ومتابعة الأحداث السياسية في الشرق الأوسط، توجّهت إلى مطالعة الدين الإسلامي.

### دعوة الإسلام:

إنّ القرآن الكريم يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء ومشاركة بين الأديان الإلهية؛ يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا

---

(١) للمستبصر ملف خاص في المركز.

بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾.

تعدُّ هذه الآية نداء «الوحدة والاتحاد» إلى أهل الكتاب؛ فهي تقول لهم: إنكم تزعمون - بل تعتقدون - أن التثليث (أي: الاعتقاد بالآلهة الثلاثة) لا ينافي التوحيد، لذلك تقولون بـ«الوحدة في التثليث». وهكذا اليهود يدعون التوحيد وهم يتكلمون بكلام فيه شرك، ويعدون «العزير» ابن الله.

يقول لهم القرآن: إنكم جميعاً ترون التوحيد مشتركاً، فتعالوا نضع أيدينا يداً بيد لنحيي هذا المبدأ المشترك بدون خداع ومراوغة، ونتجنب كل تفسير يوذي إلى الشرك والابتعاد عن التوحيد. والملفت للنظر أن الآية الشريفة تؤكد على موضوع التوحيد بثلاث تعابير مختلفة:

الأول: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾، وفي الجملة الثانية: ﴿وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾، وفي المرة الثالثة قالت: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ولعل في هذه الجملة الأخيرة إشارة إلى أحد موضوعين:

الأول: أنه لا يجوز تأليه المسيح، وهو بشر مثلنا، ومن أبناء نوعنا.

والثاني: أنه لا يجوز الاعتراف بالعلماء المنحرفين، الذين يستغلون مكانتهم ويغيرون حلال الله وحرامه كيفما يحلو لهم، فلا يجوز اتباع هؤلاء؛ لأن هناك بين علماء أهل الكتاب جماعات يحرفون أحكام الله بحسب مصالحهم أو تعصّبهم.

إن الإسلام يرى أن من يتبع أمثال هؤلاء دون قيد أو شرط إنما يعبدهم بالمعنى الواسع لكلمة العبادة، والسبب لهذا الحكم واضح؛ فإن حق وضع القوانين

(١) آل عمران (٣): ٦٤.

والتشريعات يعود إلى الله، فإذا قرّر أحد هذا الحقّ لغير الله فقد أشرك.  
وقد ذكر المفسّرون في ذيل هذه الآية أنّ عدي بن حاتم، الذي كان نصرانياً  
ثمّ أسلم، عندما سمع هذه الآية فهم من كلمة «أرباب» أنّ القرآن يقول: إنّ أهل  
الكتاب يعبدون بعض علمائهم.

فقال للنبيّ ﷺ: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله.

فقال ﷺ: «أما كانوا يحلّون لكم ويحرّمون، فتأخذون بقولهم؟».

فقال: نعم.

فقال النبيّ ﷺ: «هو ذاك»<sup>(١)</sup>.

يتضح من ذلك أن الإسلام يعتبر الرقّ والاستعمار الفكري نوعاً من العبودية  
والعبادة لغير الله، وهو كما يحارب الشرك وعبادة الأصنام، يحارب كذلك  
الاستعمار الفكري الذي هو أشبه بعبادة الأصنام<sup>(٢)</sup>.

والله تعالى يأمرنا باتّباع طريقة خاصّة، وهو الصراط المستقيم، ويحذّرنا  
عن اتّباع سائر السبل غير الإلهية؛ لأنّ الطرق الإلهية متكفّلة بجميع ما يحتاج إليه  
الناس من الأحكام والمعارف التي فيها صلاح الناس، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فمن سلك صراط الله المستقيم، واتّبع نوره المنير خرج من الشبهات  
والاختلاف، والحيرة والضلالة، وصار إلى مستقرّ الأمن.

(١) الكشاف ١: ٤٣٥.

(٢) راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢: ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٣) الأنعام (٦): ١٥٣.

## مشتركات القرآن والعهدين:

التوحيد في القرآن: نرى أنّ القرآن الكريم يُوَحِّدُ الله تعالى، وينفي عنه

الشرك:

قال أيضاً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٨)</sup>.

وقال: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾<sup>(٩)</sup>.

وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(١٠)</sup>.

(١) البقرة (٢): ٢٥٥، آل عمران (٣): ٢، النساء (٤): ٨٧، التوبة (٩): ١٢٩، طه (٢٠): ٨،

النمل (٢٧): ٢٦، التغابن (٦٤): ١٣.

(٢) الصافات (٣٧): ٣٥، محمّد (٤٧): ١٩.

(٣) آل عمران (٣): ٦٢.

(٤) آل عمران (٣): ١٨.

(٥) القصص (٢٨): ٧٠.

(٦) الزمر (٣٩): ٤.

(٧) الحشر (٥٩): ٢٢، ٢٣.

(٨) الإخلاق (١١٢): ١.

(٩) الأنعام (٦): ١٦٣.

(١٠) الأنبياء (٢١): ٢٢.

وقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما عن كلمات التوحيد في العهد القديم والجديد: فقد ورد في التوراة موارد كثيرة تنبئ عن توحيد الله، وفي ما يلي نلاحظ بعض هذه الموارد:  
ففي سفر التثنية يحصر الإله في الله تعالى دون غيره: «إِنَّكَ قَدْ أُرَيْتَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْإِلَهَ. لَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وفيه أيضاً: «فَاعْلَمْ الْيَوْمَ وَرَدَّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْإِلَهَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلَ. لَيْسَ سِوَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر منه يقول: «اسْمَعِ يَا إِسْرَائِيلَ! الرَّبُّ الْهَنَارَبُّ وَاحِدٌ»<sup>(٤)</sup>.  
ونلاحظ فيه أيضاً إثبات التوحيد له تعالى، ونفي الشريك عنه: «انظروا الآن أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أميت وأحيي. سحقت وإتي أشفي وليس من يدي مخلص»<sup>(٥)</sup>.

وفي صموئيل: «لَيْسَ قَدُّوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُكَ»<sup>(٦)</sup>.  
وفيه: «قَدْ عَظُمَتْ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَكَ، وَلَيْسَ إِلَهٌ غَيْرُكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِأَذَانِنَا»<sup>(٧)</sup>.

وفيه: «لِأَنَّهُ مِنْ هُوَ إِلَهٌ غَيْرُ الرَّبِّ»<sup>(٨)</sup>.

---

(١) ص (٣٨): ٦٥.

(٢) الكتاب المقدس (العهد القديم): التثنية - الإصحاح ٤، الآية ٣٥.

(٣) الكتاب المقدس (العهد القديم): التثنية - الإصحاح ٤، الآية ٣٩.

(٤) الكتاب المقدس (العهد القديم): التثنية - الإصحاح ٦، الآية ٤.

(٥) الكتاب المقدس (العهد القديم): التثنية - الإصحاح ٣٢، الآية ٣٩.

(٦) الكتاب المقدس (العهد القديم): صموئيل الأول - الإصحاح ٢، الآية ٢.

(٧) الكتاب المقدس (العهد القديم): صموئيل الثاني - الإصحاح ٧، الآية ٢٢.

(٨) الكتاب المقدس (العهد القديم): صموئيل الثاني - الإصحاح ٢٢، الآية ٣٢.



وفي الملوك ورد: «ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر»<sup>(١)</sup>.  
وقال حزقيا: «أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الإله  
وحدك لكل ممالك الأرض»<sup>(٢)</sup>.  
وفيه أيضاً: «أنت أنت الرب الإله وحدك»<sup>(٣)</sup>.  
وفي نحميا: «أنت هو الرب وحدك»، وفي موضع آخر أيضاً يحصر الإله:  
«أنت هو الرب الإله الذي اخترت»<sup>(٤)</sup>.  
وكما ورد في إشعيا: «أنا أنا الرب، وليس غيري مخلص»<sup>(٥)</sup>.  
وفي مورد آخر منه: «أليس أنا الرب ولا إله آخر غيري. إله بار ومخلص. ليس  
سواي \* التفتوا إليّ وأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأنني أنا الله وليس آخر»<sup>(٦)</sup>.  
وفي مورد ثالث ورد هكذا: «اذكروا الأوّليات منذ القديم؛ لأنني أنا الله وليس  
آخر الإله وليس مثلي»<sup>(٧)</sup>.  
كما ورد في المزامير عن توحيدته تعالى: «لأنك عظيم أنت وصانع عجائب.  
أنت الله وحدك»<sup>(٨)</sup>.

هذا، وقد جاء في العهد الجديد في توحيد الله تعالى، في ما يسمّى بـ«إنجيل  
يوحنا»، انه قال: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك،

- 
- (١) الكتاب المقدس (العهد القديم): الملوك الأوّل - الإصحاح ٨، الآية ٦٠.
  - (٢) الكتاب المقدس (العهد القديم): الملوك الثاني - الإصحاح ١٩، الآية ١٥.
  - (٣) الكتاب المقدس (العهد القديم): الملوك الثاني - الإصحاح ١٩، الآية ١٩.
  - (٤) الكتاب المقدس (العهد القديم): نحميا - الإصحاح ٩، الآية ٦ و٧.
  - (٥) الكتاب المقدس (العهد القديم): إشعيا - الإصحاح ٤٣، الآية ١١.
  - (٦) الكتاب المقدس (العهد القديم): إشعيا - الإصحاح ٤٥، الآية ٢١-٢٢.
  - (٧) الكتاب المقدس (العهد القديم): إشعيا - الإصحاح ٤٦، الآية ٩.
  - (٨) الكتاب المقدس (العهد القديم): المزمور ٨٦، الآية ١٠.

ويسوع المسيح الذي أرسلته \* أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته \* والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم»<sup>(١)</sup>.

وقد صرّح عيسى عليه السلام بوحدانية الله؛ إذ ورد في وصيته في «إنجيل مرقس»: «فأجابه يسوع إن أوّل كلّ الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل! الربّ إلهنا ربّ واحد»<sup>(٢)</sup>.  
وأيضاً ممّا يشترك به القرآن الكريم والعهدين هو التوحيد في العبودية، قال تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وهذه الحقيقة أيضاً نجدها في التوراة؛ إذ تدعو إلى عبادة الله تعالى وحده: «وناح كلّ بيت إسرائيل وراء الربّ. وكلم صموئيل كلّ بيت إسرائيل قائلاً إن كنتم بكلّ قلوبكم راجعين إلى الربّ، فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من وسطكم وأعدّوا قلوبكم للربّ واعبدوه وحده، فيتقدّم من يد الفلسطينيين \* فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروث، وعبدوا الربّ وحده»<sup>(٧)</sup>.

وفي العهد الجديد من «إنجيل متى» أيضاً حيث يقول: «حينئذٍ قال له يسوع:

(١) الكتاب المقدّس (العهد الجديد): يوحنا - الإصحاح ١٧، الآية ٣ - ٥.

(٢) الكتاب المقدّس (العهد الجديد): مرقس - الإصحاح ١٢، الآية ٢٩.

(٣) البقرة (٢): ٨٢.

(٤) آل عمران (٣): ٦٤.

(٥) هود (١١): ٢، فصلت (٤١): ١٤، الأحقاف (٤٦): ٢١.

(٦) الكهف (١٨): ١٦.

(٧) الكتاب المقدّس (العهد القديم): صموئيل الأوّل - الإصحاح ٧، الآية ٣ - ٤.

اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب: للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد»<sup>(١)</sup>، وقريب منه ما في «سفر لوقا»<sup>(٢)</sup>.

ويقول: «لأنّهم هم يخبرون عنّا أيّ دخول كان لنا إليكم وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحيّ الحقيقي»<sup>(٣)</sup>.

إلى غير ذلك من كلمات التوحيد التي وردت في العهدين، وقد ورد أيضاً في «أخبار الأيام» ما ينفي المثل عن الله تعالى، وينفي تأليه غير الله؛ قال: «ياربّ ليس مثلك، ولا إله غيرك»<sup>(٤)</sup>.

يتضح ممّا ذكر أنّ الإسلام والمسيحية كلاهما يدعو إلى التوحيد، وعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، الذي يصف نفسه في كتابه العزيز: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ»<sup>(٥)</sup>. وما ذكر يطابق ما جاء في التوراة من قوله: «هكذا يقول الربّ ملك إسرائيل وفاديه ربّ الجنود. أنا الأوّل وأنا الآخر ولا إله غيري»<sup>(٦)</sup>.

### تحذيرات القرآن الكريم لأهل الكتاب:

يحذّر القرآن الكريم أهل الكتاب من الكفر بآيات الله، وإنكار الحقائق والمعارف الإلهية بعد ورودها وبيانها، ووضوح الحقّ عندهم، في ما يخصّ نبوة نبيّنا محمد ﷺ. وأنّ عيسى عبداً لله ورسولاً منه، وأنّ إبراهيم ليس بيهودي ولا

(١) الكتاب المقدّس (العهد القديم): متى - الإصحاح ٤، الآية ١٠.

(٢) الكتاب المقدّس (العهد القديم): لوقا - الإصحاح ٤، الآية ٨.

(٣) الكتاب المقدّس (العهد القديم): الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي - الإصحاح ١، الآية ٩.

(٤) الكتاب المقدّس (العهد القديم): أخبار الأيام - الإصحاح ١٧، الآية ٢٠.

(٥) الحديد (٥٧): ٣.

(٦) الكتاب المقدّس (العهد القديم): إشعيا - الإصحاح ٤٤، الآية ٦.

نصراني، وأن يد الله مبسوطة، وأن الله غني، إلى غير ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ  
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وأنتم تشهدون بما يدل على  
صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة بها، أو بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرّون بها<sup>(٢)</sup>.  
كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا  
تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذا يحذّرهم من كتمان الحقائق، وتلبيسها بالباطل وتفسيرها بغير ما يراد  
منها وإلقاء الشبه والتمويه على الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ  
بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ف نجد الآيات القرآنية تحذّرهم وبشدة، ويذكرهم الله تعالى عواقب عملهم  
هذا بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي  
الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالله تبارك وتعالى يلعنهم، وعباد الله الصالحون، وملائكته المقربون أيضاً  
يلعنونهم بسبب كتمانهم للحقيقة؛ وهي آيات الله المودعة عندهم والمتضمنة  
للبيانات بنبوّة خاتم الرسل ﷺ، وما ذلك إلا لأجل مصالحتهم الشخصية،  
وتضليلهم الناس.

وقال تعالى في الذين يكتُمون ما أنزل الله في التوراة والإنجيل من بعث  
الرسول الأكرم ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا، وَمَا يَأْكُلُونَ فِي  
بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

(١) آل عمران (٣): ٧٠.

(٢) التبيان ٢: ٤٩٧.

(٣) آل عمران (٣): ٩٨.

(٤) آل عمران (٣): ٧١.

(٥) البقرة (٢): ١٥٩.

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾.

والله سبحانه وتعالى يخاطب اليهود والنصارى الذين عصوا الرسول ﷺ فيما أمرهم به، ودعاهم إليه؛ فيقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾.

فالرسول ﷺ يبين لأهل الكتاب كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب، كبيانه آيات النبوة وبشاراتها، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ (٥).

الاستسلام أمام الحق:

يقول «دوج آلوية»: وبمرور الزمن بدأت أشعر أن عقلي بدأ يستسلم للأدلة التي يطرحها الإسلام، وأن العقائد الإسلامية أقرب إلى فطرتي وضميري، وأقدر على إشباع حالة افتقاري إلى الهي وربي، فمن هنا وسّعت دائرة اهتمامي بالإسلام، وبدأت أنظر إليه كمنهج، بعيداً عن لحاظ من ينتمي إليه، فكانت نتيجة

(١) البقرة (٢): ١٧٤.

(٢) المائدة (٥): ١٥-١٦.

(٣) الأعراف (٧): ١٥٧.

(٤) البقرة (٢): ١٤٦.

(٥) الفتح (٤٨): ٢٩.

أبحاثي الموضوعية أنني وجدت الإرشادات الإلهية في الإسلام أكمل وأتمّ ممّا هي موجودة في المسيحية.

ثمّ بعد ذلك عمّقت صلتي بالقرآن، وبدأت أروي تربة وجودي القاحلة بماء عطائه المتدفّق؛ حتّى أخصبت وأينعت وأثمرت، وكان من ثمارها أن خشع قلبي، واستكّنت جوارحي، فوجّهت وجهي للذي فطرنى، نابذاً رداء الشرك، الذي كان أثقل كاهلي فيما سبق، فتحرّرت من أسر اتّباع الهوى، وأسلمت كياني لله سبحانه وتعالى، متّبعاً رسوله محمدًا ﷺ و متمسّكاً بأهل بيته عليهم السلام.

(٥) دومينيكو (مريم)

(مسيحية / فرنسا)

ولدت في «فرنسا»، واصلت دراستها الأكاديمية حتى حازت شهادة  
الديبلوم، نشأت في عائلة تدين بالدين المسيحي، حصل لها لقاء مع مسلمين أدى  
الى إعجابها بالإسلام.  
من خصائص الإسلام:

مما يوجب إعجاب الباحثين في الإسلام ويثير انتباههم وخاصة الطبقة  
المتفكّفة منهم هو: تقديم مصلحة عامّة الناس على المصالح الضيقة للطبقات  
المرفّهة، والذي تجسّد بكلّ أبعاده في حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.  
وهو ما أشار اليه عليه السلام في عهده لمالك الأشر «وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَيَّ  
الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ،  
وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ  
أَهْلِ الْخَاصَّةِ»<sup>(١)</sup>.

فالناس مع الحاكم صنفان: صنف يعيش في ظلّه ونعيمه، يتمتّع بأمجاد  
الدولة وشرفها، ويعلو بسموّ منزلة السلطان وهيئته، وهم الخاصّة من كتاب وولاية

(١) تحف العقول: ١٢٨، نهج البلاغة ٣: ٨٦، الكتاب: ٥٣.

ووزراء وقضاة، ومن على شاكلتهم ممن يعيش في هذه الساحة الملكية، وهذا الصنف من الناس يصفهم الإمام عليه السلام وكأنه يقرأ نفوسهم عن قرب ويدخل إلى ضمائرهم ليعبر عنها ضمن هذه الكلمات الموجزة، هذه الصفات يحملها هذا الصنف قديماً، كما يحملها نفس الصنف الآن، وفي هذا الزمن، ولكن على شكل أقبح وأبشع؛ إذ اليوم تحوّل رجال الحكم إلى تجّار سحت، وباعة ضمير، وواهبى كرامات، لم يعد للمبادئ والقيم والرسالات والمثل أي وزن أو قيمة. وهذا الصنف من الناس - وهم الحاشية الملكية والرئاسية - عند ما يكون الحاكم نافذ الكلمة مطاعاً بين الناس، مقبلة الدنيا عليه تراهم بأسرهم تحت أمره ونهيه، يخلصون له الودّ ويظهرون الحبّ والإخلاص، وتراهم تكثر شفاعاتهم لدى الوالي وتتعدّد طلباتهم عليه؛ لأنّ كلّ فرد في الحاشية له حاشية خاصة وزملاء وأصدقاء ومعارف وأحاب، وكلّ واحد يشقّعه في قضية ويسأله قضاء حاجة، ومن هنا يتوسّل إلى الحاكم الأعلى في قضائها وإنجازها، وهي ليست واحدة بل كثيرة وكثيرة.

وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الرواية بصفات مذمومة تستلزم قلّة الاهتمام بهم:

أولاً: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ» لتكلفه لهم ما لا يتكلفه لغيرهم. ومن أمثلة كثرة المؤونات: ما رواه الجاحظ، قال: كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفاً - وأخبرني إبراهيم بن أيّوب، عن ابن قتيبة: أنّه كان واقفاً بين يدي السّفاح - فقال له: سلني حاجتك.

قال أبو دلامة: كلب أتصيّد به.

قال: أعطوه إياه.

قال: ودابّة أتصيّد عليها.



قال: أعطوه.

قال: وغلام يصيد بالكلب ويقوده.

قال: أعطوه غلاماً.

قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه.

قال: أعطوه جارية.

قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بدّ لهم من دار يسكنونها.

قال: أعطوه داراً تجمعهم.

قال: فإن لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون؟!

قال: قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة.

قال: وما الغامرة؟

قال: ما لا نبات فيه.

فقال: قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب عامرة من

فيافي بني أسد.

فضحك وقال: اجعلوها كلّها عامرة.

قال: فأذن لي أن أقبل يدك.

قال: أمّا هذه فدعها.

قال: والله ما منعت عيالي شيئاً أقلّ ضرراً عليهم منها.

قال الجاحظ: فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها: ابتداءً بكلب فسَهّل القصة

به، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة، حتّى نال ما لو سأله بديهة لما وصل

إليه<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأغاني ١٠: ٤٠٨.

ثانياً: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وَأَقْلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ» لمحبتهم الدنيا وعزّة

جانبيهم، ومثله:

ما رواه أحمد بن سعيد الدمشقيّ، قال: حدّثني أبو دلامة، قال: أتني بي المنصور، أو المهديّ، وأنا سكران، فحلف ليخرجني في بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبّي لقتال الشّراة. فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أنّ تحتيّ فرسك ومعني سلاحك لأثّرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه!

فضحك وقال: والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك، ولأخذنّك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ، ودعا بغيرهما فاستبدل به. فلما حصل ذلك في يدي وزالت عنيّ حلاوة الطمع، قلت له: أيّها الأمير، هذا مقام العائذ بك، وقد قلت بيتين فاسمعهما. قال: هات.

فأنشدته:

إنّي استجرتك أن أقدم في الوغى      لتطاعن وتنازل وضراب  
فهب السيوف رأيتها مشهورة      فتركتها ومضيت في الهراب  
ماذا تقول لما يجيء وما يرى      من واردات الموت في النشاب  
فقال: دع عنك هذا وستعلم.

وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال: اخرج إليه يا أبا دلامة. فقلت: أنشدك الله أيّها الأمير في دمي. قال: والله لتخرجنّ. فقلت: أيّها الأمير فإنّه أوّل يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبعت منّي جارحة من الجوع، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج.

فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصفّ. فلما رأني الشاري أقبل نحوي عليه فرو وقد أصابه المطر فابتلّ، وأصابته الشمس فاقفعلّ، وعينه تقدان، فأسرع إليّ. فقلت له: على رسلك يا هذا كما أنت، فوقف. فقلت:

أَتَقْتَلُ مِنْ لَا يِقَاتِلُكَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: أَتَقْتُلُ رَجُلًا عَلَيَّ دِينُكَ؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ:  
أَفْتَسْتَحِلُّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُو مِنْ تَقَاتِلُهُ إِلَى دِينِكَ؟ قَالَ: لَا، فَازْهَبْ عَنِّي إِلَى لَعْنَةِ  
اللَّهِ. قُلْتُ: لَا أَفْعَلُ أَوْ تَسْمَعُ مِنِّي. قَالَ: قُلْ:

قُلْتُ: هَلْ كَانَتْ بَيْنَنَا قَطُّ عِدَاوَةٌ أَوْ تِرَّةٌ، أَوْ تَعْرِفُنِي بِحَالِ تَحْفِظِكَ عَلَيَّ، أَوْ  
تَعْلَمُ بَيْنَ أَهْلِي وَأَهْلِكَ وَتَرَاءُ؟

قَالَ: لَا وَاللَّهِ.

قُلْتُ: وَلَا أَنَا وَاللَّهِ لَكَ الْإِجْمِيلُ الرَّأْيُ، وَأَنْتِي لِأَهْوَاكَ وَأَنْتَحِلُ مَذْهَبَكَ وَأَدِينُ  
دِينَكَ وَأُرِيدُ السُّوءَ لِمَنْ أَرَادَهُ لَكَ.

قَالَ: يَا هَذَا جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَاَنْصِرْفِ.

قُلْتُ: إِنَّ مَعِيَ زَادًا أَحَبُّ أَنْ آكُلَهُ مَعَكَ، وَأَحَبُّ مَوَاكِلَتِكَ لِتَتَوَكَّدَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا،  
وَيَرَى أَهْلَ الْعَسْكَرِ هُوَانَهُمْ عَلَيْنَا.

قَالَ: فَاْفْعَلِ.

فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ حَتَّى اخْتَلَفْتُ أَعْنَاقَ دَوَابِنَا وَجَمَعْنَا أَرْجُلَنَا عَلَى مَعَارِفِهَا  
وَالنَّاسُ قَدْ غَلِبُوا ضَحْكَاً. فَلَمَّا اسْتَوْفِينَا وَدَّعَانِي. ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْجَاهِلُ إِنْ  
أَقَمْتُ عَلَى طَلْبِ الْمُبَارَزَةِ نَدْبِنِي إِلَيْكَ فَتَتَعَبَنِي وَتَتَعَبُ. فَإِنْ رَأَيْتَ الْآلَ تَبْرُزُ الْيَوْمَ  
فَاْفْعَلِ.

قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. ثُمَّ انْصِرْفِ وَانْصِرْفِ.

فَقُلْتُ لِرُوحٍ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ كَفَيْتُكَ قَرْنِي، فَقُلْ لِعَبْرِي أَنْ يَكْفِيكَ قَرْنُهُ كَمَا كَفَيْتُكَ،  
فَأَمْسِكْ.

وَخَرَجَ آخِرُ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ، فَقَالَ لِي: أَخْرِجْ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ:

إِنِّي أَعُوذُ بِرُوحِ أَنْ يَقْدَمَنِي إِلَى الْبِرَازِ فَتَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ  
إِنَّ الْبِرَازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ مِمَّا يَفْرَقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها      وأصبحت لجميع الخلق بالرصد  
إنَّ المهلب حبَّ الموت أورثكم      وما ورثت اختيار الموت عن أحد  
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها      لكنّها خلقت فرداً فلم أجد  
فضحك وأعفاني<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وَأَكْرَهَ لِلْإِنصَافِ»، لزيادة أطماعهم في الدنيا على العامة، ومن أمثلة ذلك:

ما روي من أن أبا دلامة شهد بشهادةٍ لجارة له عند ابن أبي ليلى على أتان  
نازعها فيها رجل، فلما فرغ من الشهادة قال: اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض  
ما شئت.

قال: هات.

فأنشده:

إنَّ الناس غطّوني تغطّيت عنهم      وإن بحثوا عني ففيهم مباحث  
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم      ليعلم يوماً كيف تلك النبائث  
فقال ابن أبي ليلى للمرأة: أتبيعيني الأتان؟ قالت: نعم. قال: بكم. قالت:  
بمائة درهم. قال: ادفعوها إليها، ففعلوا، وأقبل على الرجل فقال: قد وهبت الأتان  
لك، وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك، وابتعت ممن شهدت له  
ووهبت ملكي لمن رأيت، أرضيت؟  
قال: نعم. وانصرف<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ»؛ لأنهم عند الحاجة إلى  
السؤال أشدّ جرأة على الوالي، وأطمع في الإانة جانبه، ومن ذلك:

(١) الأغاني ١٠: ٤١٢ - ٤١٣.

(٢) الأغاني ١٠: ٤٠٩.

ما روي من أن مروان بن أبي حفصة أنشد الهادي:  
تشابه يوماً بأسه ونواله      فما أحد يدري لأيّهم الفضل  
فقال له: أيهما أحب إليك: أثلثون ألفاً معجلة أم مائة ألف تدون في  
الدواوين؟

فقال له: أنت تحسن ما هو خير من هذا ولكنك نسيت، أفتأذن لي أن  
أذكرك.

قال: نعم.

قال: تعجل لي الثلاثين ألفاً وتدون لي المائة ألف في الدواوين.  
فضحك وقال: بل يعجلان جميعاً. فحمل المال إليه أجمع<sup>(١)</sup>.  
خامساً: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وَأَقْلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْأَعْطَاءِ»؛ لا اعتقادهم زيادة  
فضلهم على العامة، وأنهم أحق بما يعطونه، واعتقادهم حاجة الوالي إليهم وتخوفه  
منهم. قال ابن قتيبة: ودخل الحطيئة على عتيبة بن النحاس العجلي، فسأله فقال: ما  
أنا في عمل فأعطيك من غده، وما في مالي فضل عن قومي.

فلما خرج قال له رجل من قومه: أتعرفه؟ قال: لا.

قال: هذا الحطيئة.

فأمر برده، فلما رجع قال: إنك لم تسلّم تسليم الإسلام، ولا استأنست  
استئناس الجار، ولا رحبت ترحيب ابن العم.

قال: هو ذلك.

قال: اجلس، فلك:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه      يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم

قال: ثم من.

---

(١) الأغاني ١٠: ٢٩٧.

قال: أنا.

فقال عتيبة لغلامه: اذهب به إلى السوق فلا يُشيرنَّ إلى شيءٍ إلا اشتريته له.  
فانطلق به الغلام، فجعل يعرض عليه الحبرة واليمنة وبياض مصر وهو يشير  
إلى الكرايس والأكسية الغلاظ، فاشترى له بمائتي درهم، وأوقر راحلته برّاً  
وتمرّاً، فقال له الغلام: هل من حاجة غير هذا؟

قال: لا، حسبي.

قال: إنه قد أمرني أن لا أجعل لك علة فيما تريد.

قال: لا حاجة بي أن يكون لهذا يد على قومي أكثر من هذه.. ثم ذهب فقال:  
سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً فسَيان لا ذمّ عليك ولا حمد  
وأنت امرؤ لا الجود منك سجيّة فتعطي وقد يعدو على النائل الوجد<sup>(١)</sup>  
سادساً: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ»، أي: أنّهم أقلّ  
مسامحة له إن اعتذر إليهم في أمر؛ لاعتقادهم فضيلة أنفسهم، وكونهم واجبي  
قضاء الحقوق.

سابعاً: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ»؛ لتعودهم  
الترقّة، وجزعهم على ما في أيديهم من الدنيا.

النص الثاني: قوله عليه السلام: «ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً<sup>(٢)</sup> وَبِطَانَةً<sup>(٣)</sup> فِيهِمْ اسْتِثْنَاءً<sup>(٤)</sup>  
وَتَطَاوُلًا<sup>(٥)</sup> وَقَلَّةً<sup>(٦)</sup> أَنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ<sup>(٦)</sup>.

(١) خزانة الأدب ٢: ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) الخاصّة: الذي اختصته لنفسك. كتاب العين ٤: ١٣٤.

(٣) بطانة الرجل: خاصّته. لسان العرب ١٣: ٥٥.

(٤) استأثر فلان بالشيء، أي: استبدّ به. الصحاح ٢: ٥٧٥.

(٥) وتطاول: إذا علاه وترقّع عليه. النهاية في غريب الحديث ٣: ١٤٥.

(٦) نهج البلاغة ٣: ١٠٤، الكتاب: ٥٣.

من أصعب نواحي العدالة للولاة والحكام والسلاطين والزعماء: العدالة في خصوص الأولياء، والأحباء والأقرباء والأرحام من حيث منعهم عن الظلم بالرعية؛ اعتماداً على تقربهم بالحاكم ومن بيده الأمر والنهي، وقد اهتّم النبي ﷺ بذلك فمَنع بني عبد المطلب من تصدّي العمل في جمع الصدقات لئلا يختلسوا منها شيئاً بتزلفهم إلى النبي ﷺ.

ففي صحيحة عيص بن القاسم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله ﷺ فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي، وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعاملين عليها؛ فنحن أولى به. فقال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب! إن الصدقة لا تحلّ لي ولا لكم، ولكنني قد وعدت الشفاعة.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: والله لقد وعدتها ﷺ، فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة، أتروني مؤثراً عليكم غيركم؟! (١)

وقد حفظت هذه السيرة النبوية المقدسة في صدر الإسلام شيئاً ما حتّى وصلت النوبة إلى عثمان، فحكّم ذوي قرابته من بني أمية على رقاب المسلمين، وسلّطهم على أموالهم، فكان يعطي العطايا الجزيلة لهم من بيت مال المسلمين، ويقطع الأقطاع لهم من أراضي المسلمين، وهتك حجاب العدل، فأقطع مروان بن الحكم من فدك التي أخذها أبو بكر من فاطمة عليها السلام بحجة مختلقة من أنها فيء لجميع المسلمين وصدقة مرجوعة إليهم.

ثم شاع أمر الأقطاع في حكّام الجور إلى أن أعطى المنصور العباسي جمعاً من بطانته قطائع من أراضي بغداد، أكثرهم حظاً من ذلك: الربيع الحاجب، المتهاك في خدمته، والفاك بأعدائه وأهل ريبته كائناً من كان، حتّى بالنسبة إلى

(١) الكافي ٤: ٥٨.

الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وقد أكثر حكام بني أمية أيام إمارتهم من أقطاع القطائع وغصب أراضي المسلمين إلى حيث ملؤوا صدور المسلمين غيظاً وكرهاً على حكومتهم.  
والسؤال: ما هي الطريقة المثلى التي جعلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للتعامل مع الخاصة؟

يتضح الجواب في قوله عليه السلام: «فأخسِم»<sup>(١)</sup> مادة<sup>(٢)</sup> أو لئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ<sup>(٣)</sup> تِلْكَ الْأَحْوَالِ، وَلَا تُقْطَعَنَّ<sup>(٤)</sup> لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ<sup>(٥)</sup> قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عَقْدَةٍ<sup>(٦)</sup> تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ<sup>(٧)</sup> أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَوْتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ فَيَكُونَنَّ مَهْتَأًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(٨)</sup>.

إن الإمام علي عليه السلام يتبّه الوالي في تعاليمه إلى أن يقطع سبب طمع الخاصة والبطانة، فلا يقطعن لأحد منهم أرضاً تضرّ بمصالح المسلمين ومنافعهم، فإنّ الحاشية والخواصّ يطمعون في أحسن الأراضي وأخصبها، وأشدّها منفعة ودرأً، وإن كان في ذلك مضرة على المسلمين، فإنّ الوالي إذا فعل ذلك يكون آثماً ومعيباً عليه في الدنيا والآخرة.

- 
- (١) حسمت الأمر: أي: قطعته حتّى لم يظفر منه بشيء، ومنه سمّي السيف: حساماً؛ لأنّه يحسم العدو عمّا يريد، أي: يمنع. كتاب العين ٣: ١٥٣.
- (٢) المادّة: كلّ شيء يكون مدداً لغيره، ويقال: دعوا في الضرع مادّة اللين، والمتروك في الضرع هو: الداعية، وما اجتمع إليه هو: المادّة. كتاب العين ٨: ١٦.
- (٣) السبب: الطريق؛ لأنك تصل به إلى ما تريد. كتاب العين ٧: ٢٠٤.
- (٤) أقطعه نهراً: أباحه له. لسان العرب ٨: ٢٨٠.
- (٥) الحامّة: خاصّة الرجل من أهله وولده وذوي قرابته. كتاب العين ٣: ٣٣.
- (٦) عقدة كلّ شيء: إبرامه. وعقدة النكاح: وجوبه، وعقدة البيع: وجوبه. والعقدة: الضيعة، ويجمع على: عقد. كتاب العين ١: ١٤٠.
- (٧) الشرب بالكسر: الماء بعينه، وهو الحظ والنصيب. ترتيب إصلاح المنطق: ٢١٠.
- (٨) نهج البلاغة ٣: ١٠٤، الكتاب: ٥٣.



وقد عرف ﷺ ما لحق من الأضرار بالاسلام من استئثار خاصة الوالي وبطانته وأن فيهم تطاول وقلّة إنصاف، فأمر الوالي بقطع مادّة الفساد، ونهاه مؤكّداً عن إقطاع الأراضي لحاشيته وقرابته، وأضاف إليه أن لا يسلّطهم على ما يمسّ بالرعيّة، بواسطة عقد إجارة، أو تقبّل زراعة الأراضي ونحوهما، لتلا يظلمهم، وأشار إلى أنّ ذلك صعب، فأمره بالصبر وانتظار العاقبة المحمودة، لإجراء هذه العدالة الشاقّة عليه.

### تقديم رضى الرعية على مصلحة الخواص:

وهو ما أشار إليه ﷺ بقوله: «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ»<sup>(١)</sup>.

هناك صنف آخر وهم العامة الذين يشكّلون الصفوف البشرية المواجهة، الذين لا ينعمون بهذه الأمور، ولا يلحقهم كلّ ذلك الخير والإحسان، وإتّما يطالهم القانون العام والرحمة العامة، من شقّ الطرقات، وفتح المدارس، وإنشاء المستشفيات، وغيرها من المشتركات، وهذا الصنف من الناس يكون أشدّ وفاءً للحاكم، وأخلص له من الخاصة - إذا كان الحاكم عادلاً مخلصاً - لأنّ إخلاصه ووفاءه إتّما ينبع من إخلاص الحاكم ووفائه..

فهذه الجماهير - أو العامة - يجب أن يكون همّ الحاكم إحراز رضاها، وتحقيق رفاهيتها وسعادتها، وإن غضبت الحاشية ولم ترضَ بذلك؛ فإنّ رضا العامة يجبر سخط الخاصة، بينما رضا الخاصة - باعتبارهم انتهازيين نفعيين - لا يفيد مع سخط العامة.

(١) تحف العقول: ١٢٨.

فالحاكم يجب أن يكون نظره متوجّهاً نحو هذا الصنف؛ فإنهم السدّ المنيع في وجه الأعداء؛ والقوّة الضاربة لكلّ شرّ وفساد، وما اكتسب سلطان ودّههم وعطفهم إلا ظفر وانتصر.

### المفاهيم السامية في الإسلام:

عندما اتضحت لـ«دومينيكو» مفاهيم الإسلام السامية، والتي تمثّلت في سيرة ومنهج أمير المؤمنين عليه السلام اعتنقت الإسلام ومذهب أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٦٠.



(٦) سيلفا جاك (إبراهيم)  
(مسيحي / فرنسا)

ولد في «فرنسا»، ودرس في المدارس الأكاديمية حتى حاز شهادة الليسانس، واجه في حياته كثيراً من الشبهات الاعتقادية، فتوجّه إلى البحث في هذه الأمور في مختلف الديانات، بما فيها الإسلام، ما أدّى إلى التعرّف على مبانيه، وانفتاح آفاقه، وانجذابه إليه، واعتناق هذا الدين الحنيف<sup>(١)</sup>.

#### أسباب البحث:

نشأ «سيلفا» في أسرة مسيحية، فاعتنق هذه الديانة، كبقية المسيحيين، تقليداً لآبائه، إلا أنه كانت تحدث بين الحين والآخر صراعات في داخله، بسبب شبهات وجدّها في مذهبه وديانته. فالشبهات التي تُلقَى بظلالها على الباحث المسيحي تارة تكون حول المسيح نفسه؛ ماذا يقول المسيحيون عنه؟ أهو بشر؟ أم ملك؟ أم هو ابن الله؟ أم هو الله نفسه، وأخرى في ما يقوم به المسيحيون من أعمال، من غسل التعميد، وكرسي الاعتراف، وصكوك الغفران، وثالثة في رفع بعض المسائل الأخلاقية، كحلّيّة الربا، وشرب النبيذ... إلى غير ذلك من الشبهات الكثيرة التي تتوارد في نفس الباحث حتى تتراكم عليه، فيتوجّه إلى البحث

(١) نقلاً عن: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٥٦.

والتحقيق في إطار عقيدته، وعندما لم يجد فيها سوى ما يزيد حيرة واضطراباً  
يوسّع دائرة بحثه ويتوجّه إلى دراسة الأديان الأخرى.

### التثليث عند المسيح:

عرّف المسيحيون قانون الإيمان بقاعدة التثليث بقولهم: «نؤمن بإله  
واحد الأب والابن والروح القدس، إله واحد، جوهر واحد، متساوين في القدرة  
والمجد».

في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص في صورة شخصيات  
(أقانيم) متساوية<sup>(١)</sup>.

فالحقيقة إنّ المسيحيين يعتقدون: أنّ الآلهة الثلاث (الله، المسيح، الروح  
القدس) هذه الثلاثة يشكّلون حقيقة واحدة، فالله هو المسيح ابن مريم، والمسيح  
ابن مريم هو الله، وإنّ هذين الاثنين يشكّلان مع روح القدس حقيقة واحدة في  
ذوات ثلاثة متعدّدة، فهم في الوقت الذي يعتقدون حقاً بتثليث الأرباب، يؤمنون  
أيضاً بالوحدة الحقيقيّة، قائلين أنّ ثلاثة حقيقيين يؤلّفون حقيقة واحدة، مع  
تعدّدهم الحقيقي هم واحد، ويعتبرون عن ذلك أحياناً بـ «الوحدة في التثليث».

والظاهر أنّ هذه النظرية المسيحية - وهي الاعتقاد بالتثليث - عامة بين  
المسيحيين كافة في زماننا هذا؛ وذلك أنّ تاريخ المسيحية يشهد بوضوح على  
مدى الاختلاف الذي حصل بعد المسيح ﷺ فيما يرتبط به، وبمسألة التوحيد، هذه  
الاختلافات التي ازدادت حدّتها خلال سنوات قليلة من بعد السيد المسيح ﷺ،  
وقد جمع الإمبراطور الروماني قسطنطين مجمعاً من الأساقفة، وهو أحد المجمع  
الثلاثة الشهيرة، بلغ عدد أعضائه ألفين ومائة وسبعين أسقفًا، وعندما طرحت  
مسألة المسيح للبحث أظهر العلماء الحاضرون وجهات نظر مختلفة تماماً، وكان

(١) قاموس الكتاب المقدّس، مجمع الكنائس الشرقية: ٢٣٢.

لكل مجموعة عقيدتها، فاختلّفوا في عيسى اختلافاً شديداً، وقالت كلّ فرقة فيه قولاً:

قال بعضهم: هو الله هبط إلى الأرض، فأحيا من أحياء، وأمات من أمات، ثمّ صعد إلى السماء!

وقال بعضهم: هو ابن الله!

وقال بعضهم: هو أحد الأقانيم الثلاثة: الأب والابن والروح القدس!

وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وهو إله، وأمّه إله.

وقال بعضهم: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته.

وقالت فرق أخرى أقوالاً أخرى، ولم يجتمعوا على مقالة واحدة، ولم تتفق الآراء على أيّ من هذه العقائد، وقد حازت إحدى الآراء على العدد الأكبر من الأصوات حيث بلغت أصواتهم أكثر من ثلاثمائة وثمانية أصوات اتفقوا على قول واحد، فمال إليه الإمبراطور، وقبله كراي حصل على أكثرية نسبية، ونصر أصحابه، ودافع عنه باعتباره الدين الرسمي، وطرح الباقي جانباً، وطرد الآخرين، وشرّد المعارضين، وخاصّة الموحّدين، الذين صاروا في الأقلّية؛ لقلّة ناصريهم<sup>(١)</sup>. وكلمة «التثليث» أو «الثالوث» لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظنّ أنّ أوّل من صاغها واختراعها واستعملها هو «ترتليان» في القرن الثاني للميلاد.

ثمّ ظهر «سبيليوس» ببدعته في منتصف القرن الثالث، وحاول أن يفسر هذه العقيدة بقوله: «إنّ التثليث ليس أمراً حقيقياً في الله، لكنّه مجرد إعلان خارجي، فهو حادث مؤقّت وليس أبدياً».

ثمّ ظهرت بدعة «أريوس» الذي نادى بأنّ الأب وحده هو الأزلي بينما

(١) راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٥٢.

الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليفة.  
وأخيراً ظهر «أثناسيوس» داحضاً هذه النظريات، وواضعاً أساس العقيدة التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية.  
ولقد تبلور قانون الإيمان «الأثناسيوسي» على يد «أغسطينوس» في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا. ولا يستطيع دارس هذه العقيدة أن ينسى «جون كلفن»، الذي عاش في القرن السادس عشر، ونبر على التساوي التام بين الأقانيم الثلاثة في هذه العقيدة، التي يلزمها مثل هذا التنبير من وقت إلى آخر على مرّ الزمن<sup>(١)</sup>.

### عقيدة التثليث من منظار عقلي:

عقيدة التثليث من المسائل الأساسية التي تبنى عليها عقيدة المسيحيين، ولا مناص لأيّ مسيحي من الاعتقاد بها؛ لأنّها - على حدّ زعمهم - من المسائل التبعديّة التي لا تدخل في نطاق التحليل العقلي، وأنّ التصورات البشرية عاجزة عن الوصول إلى فهمها، وبعبارة أخرى إن المقاييس التي تتبع من العالم هي مقاييس مادية تمنع من إدراك حقيقة التثليث؛ إذ حقيقته فوق المقاييس المادية، والإدراك البشري؛ كونها ليست وليدة التفكير البشري بل إعلان سماوي يقدمه الوحي المقدس، والتجارب البشرية مقصورة بالمحدود، فإذا قال الله بأنّ طبيعته غير المحدودة تتألف من ثلاثة أشخاص، لزم قبول ذلك؛ إذ لا مجال للمناقشة في ذلك، وإن لم يكن هناك أيّ مقياس لمعرفة معناه، بل يكفي في ذلك ورود الوحي على أنّ هؤلاء الثلاثة يؤلّفون بصورة جماعية «الطبيعة الإلهية اللامحدودة»!!

وأنتهم رغم تشخّص كلّ واحد منهم وتميّزه عن الآخرين غير منفصلين ولا يتميز أحدهم عن الآخر رغم أنّه ليست بينهم أيّة شركة في الإلهية، بل كلّ واحد

(١) راجع: قاموس الكتاب المقدّس: ٢٣٢ - ٢٣٣.

منهم إله مستقل بذاته، ومالك بانفراده لكامل الإلوهية!!!

فالآب مالك - بانفراده - لتمام الإلوهية، وكاملها متحقق فيه دون نقصان،  
والابن كذلك مالك - بانفراده - لتمام الإلوهية، وكامل الإلوهية متحقق فيه دون  
نقصان، وروح القدس هو أيضاً مالك - بانفراده - لكامل الإلوهية، وإن الإلوهية  
بتمامها متحققة فيه دون نقصان.

هذه العبارات وما يشابهها من التوجيهات للتثليث المسيحي توحى بأنهم  
يعدّون مسألة التثليث فوق الاستدلال والبرهنة العقلية، وأنها بالتالي «منطقة  
محرّمة» على العقل، فلا يمكن الاستدلال الصحيح عليها، بل مستند ذلك هو  
الوحي والنقل ليس إلا.

ولهذا ينبغي - قبل أي شيء - أن نبحث أولاً في الأدلة النقلية، فإنهم وإن  
كانوا يستندون في هذه الفكرة إلى النقل، ولكن ليس للتثليث أي مستند نقلي  
معتبر..

أمّا «الأناجيل» الأربعة الفعلية فليست بمعتبرة إطلاقاً؛ إذ لا تشبه الوحي بل  
تدلّ طريقة كتابتها على أنّها من بقايا أدب القرن الأوّل والثاني الميلاديين، وهذا  
يعني عدم كونها متعلّقة بفجر المسيحية حقيقةً.

ثم إنّ عالم ما وراء الطبيعة وإن كان لا يمكن أن يقاس بالأُمور المادّية  
المألوفة، ولكنّه ليس بمعنى أنّ ذلك العالم فوضى وخلوّ من المعايير، بل لكلّ  
مقياسه الخاص، والدليل على ذلك: أنّ هناك سلسلة من القضايا العقلية التي لا  
تقبل النقاش والجدل تحكم - على حد سواء - في عالم المادة، وعالم ما وراء  
المادة، كمسألة احتياج كلّ معلول إلى علّة، ومسألة امتناع اجتماع النقيضين، إلى  
غير ذلك من القواعد العامة الحاكمة في عالمي المادة والمعنى.

وعلى ذلك إذا أبطلت البراهين العقلية مسألة التثليث لم يعد مجال للاستناد

بالأدلة النقلية، بل يتعيّن أن نقرّ ببطلان النصوص هذه، ونذعن بأنّها ليست من كلام الله ووحيه؛ إذ كيف يجوز للوحي أن يخالف ما هو مسلم عقلاً؟!!

إذا عرفت هذا، حان الوقت لأن نعرف حقيقة الأمر من وجهة نظر العقل.

هل يمكن أن يكون الإله واحد وثلاثة في آن واحد؟

ونحن نتساءل ما هو مقصودكم من الآلهة الثلاثة؟ والواقع أنّ للتثليث

صورتين لا يناسب أيّ منهما المقام الربوبي:

١ - أن يكون لكل واحد من هذه الآلهة الثلاثة وجود مستقل عن الآخر

بحيث يظهر كل واحد منها في تشخّص ووجود خاص، فكما أنّ لكل فرد من أفراد

البشر وجوداً خاصاً، كذلك يكون لكل واحد من هذه الأقانيم أصل مستقلّ،

وشخصية خاصّة، متميزة عمّا سواها.

غير أنّ هذا هو «الشرك» الجاهلي الذي كان سائداً في عصر الجاهلية في

صورة تعدّد الآلهة، وقد تجلّى في النصرانية في صورة التثليث! ولكن دلائل

«التوحيد» قد أبطلت أي نوع من أنواع «الشرك» من الثنوية والتثليث في المقام

الإلهي والربوبي.

والعجيب - حقاً - أنّ مخترعي هذه البدعة من رجال الكنيسة يصرّون بشدّة

على أن يوقّفوا بين هذا «التثليث» و«التوحيد» بالقول بأنّ الإله حال كونه ثلاثة

واحد، وحال كونه واحداً ثلاثة، وهل هذا إلّا تناقض فاضح؟! إذ لا يساوي

الواحد مع الثلاثة في منطق أيّ من البشر!! وليس لهذا التأويل سبب غير أنّهم لمّا

واجهوا - من جانب - أدلة التوحيد اضطروا إلى الإذعان بوحدانية الله تعالى.

ولكنهم من جانب آخر لمّا خضعوا للعقيدة الموروثة (أي: عقيدة التثليث)

التي ترسّخت في قلوبهم أيّما رسوخ، أصبحوا غير قادرين على التخلّص منها،

والتملّص من حبالها، فالتجّؤوا إلى الجمع بين التوحيد والتثليث، وقالوا: إنّ الإله



واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد!! أقانيم ثلاثة أم شركة مساهمة؟!  
هناك تفسير آخر للتثليث، وهو أن يقال: إنَّ الأقانيم الثلاثة ليست بذواتٍ  
لكلِّ منها وجود مستقلّ، بل هي بمجموعها توّلف ذات إله الكون الواحد، فلا يكون  
أيّ واحد من هذه الأجزاء والأقانيم إله بمفرده، بل الإله هو المركّب من هذه  
الأجزاء الثلاثة.

ويرد على هذا التفسير أن معنى هذه المقالة هو كون الله «مركّباً» محتاجاً في  
تحققه وتشخصه إلى أجزاء ذاته (أي: هذه الأقانيم الثلاثة) بحيث ما لم تجتمع لم  
يتحقّق وجود الله.

وعندئذٍ يواجه أرباب الكنيسة والنصارى إشكالات أكثر وأكبر من ذي  
قبل:

ألف - أن يكون إله الكون محتاجاً في تحقق وجوده إلى الغير (وهو كلّ  
واحد من هذه الأقانيم باعتبار أنّ الجزء غير الكلّ)، في حين أنّ المحتاج إلى الغير  
لا يمكن أن يكون إلهاً واجب الوجود، بل يكون حينئذٍ ممكناً مخلوقاً محتاجاً إلى  
من يرفع حاجته كغيره من الممكنات، بل يلزم كون الأجزاء الممكنة مخلوقة لله  
سبحانه من جانب، والإله المتكوّن منها مخلوقاً لها من جانب آخر.

ب - إمّا أن تكون هذه الأجزاء ممكنة الوجود أو واجبة، فعلى الأوّل: يلزم  
احتياج الواجب (أعني: الكلّ) إلى الأجزاء الممكنة، وعلى الثاني: يلزم تعدّد  
واجب الوجود، وهو محض الشرك، وعندئذٍ فلا مناصّ من أن يكون ذلك الإله  
الخالق بسيطاً غير مركّب من أجزاء وأقانيم.

ج - إنّ القول: بأنّ في الطبيعة الإلهية أشخاصاً ثلاثة، وأنّ كلّ واحد منها  
يملك تمام الإلهية، معناه: أن يكون لكلّ واحد من هذه الثلاثة وجود مستقلّ، مع  
أنّهم يقولون: إنّ طبيعة الثالوث لا تقبل التجزئة.

وبتعبير آخر: يوجد تناقض واضح بين هذين الكلامين، أي استقلال كلِّ إقنوم بالطبيعة الإلهية، وعدم قبول طبيعة الثالوث للتجزئة.

د- إذا كانت شخصية الابن إلهاً (أي أحد الآلهة) فلماذا كان يعبد الابن أباه؟ وهل يعقل أن يعبد إله إلهاً آخر مساوياً له، وأن يمدَّ إليه يد الحاجة، أو يخضع أحدهما للآخر، ويخفض له جناح التذلل والعبودية وكلاهما إلهان كاملاً الإلهية؟!

هذا حقّ المقال بشأن التثليث، ومن العجب أن أحد القسيسين القدامى وهو «أوغسطين» قال: أو من بالتثليث؛ لأنّه محال<sup>(١)</sup>.

فعميدة التثليث باطلة للوجه التالية:

١- إنّ مراتب الأعداد متضادة، واجتماع الضدّين محال، كالواحد والثلاثة؛ فكيف يمكن أن يكون الثلاثة واحداً، والواحد ثلاثة؟!

٢- عميدة التثليث تستلزم الاعتقاد بخمسة آلهة، بل الاعتقاد بعدد غير متناه من الآلهة - كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في ردّه أحد الزنادقة في توحيد الصدوق: «... ثم يلزمك إن ادّعت اثنين، فلا بدّ من فرجة بينهما حتّى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما، قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن ادّعت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتّى يكون بينهم فرجتان فيكون خمساً، ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية في الكثرة»<sup>(٢)</sup> - فلا مناصّ لهم من الالتزام بالآلهة غير المتناهية.

٣- عميدة التثليث تستلزم التركيب، والتركيب يحتاج إلى أجزاء، وإلى من يركّبها.

٤- عميدة التثليث تستلزم اتّصاف خالق العدد بالمخلوق؛ لأنّ العدد

(١) مفاهيم القرآن، نقلاً عن موسوعة الأسئلة العقائدية ٢: ٥٠٤.

(٢) التوحيد: ٢٤٤.

والمعدود مخلوقان، والله تعالى منزّه عن أن يكون معدوداً حتّى بالوحدة العددية؛ لأنّ الواحد العددي له ثان، والله لا ثاني له<sup>(١)</sup>.

فمسألة تثليث الوحدة أمر غير معقول، لكنّهم اعتذروا عنه بأنّه من المسائل الدينية التي يجب أن تُقبل تعبّداً، فكم في الأديان من مسألة تعبّدية تستحيلها العقول؟! وهو من الظنون الفاسدة المتفرّعة على أصلهم الفاسد..

وكيف يتصوّر وقوع مسألة مستحيلة في دين حقّ؟ ونحن إنّما نقبل الدين ونميّز كونه دين حقّ بالعقل!

وكيف يمكن عند العقل أن تشتمل العقيدة الحقّة على أمر يبطله العقل، ويستحيله؟! وهل هذا إلا تناقض صريح.

نعم يمكن أن يشتمل الدين على ممكن يخرق العادة الجارية والسُنّة الطبيعية القائمة، وأمّا المحال الذاتي فلا البتة<sup>(٢)</sup>.

منشأ تسرّب التثليث إلى النصرانية:

إنّ التاريخ البشري يرينا أنّه طالما عمد بعض أتباع الأديان، بعد وفاة أنبيائهم أو عند غيابهم، إلى الشرك والوثنية، وبذلك كانوا ينحرفون عن جادة التوحيد، الهدف الأساس والغاية القصوى وراء بعثهم ﷺ.

إنّ عبادة بني إسرائيل للعجل في غياب موسى ﷺ، أفضل نموذج لِمَا ذكرناه، وهو ممّا أثبتته القرآن والتاريخ، وعلى هذا فلا داعي للعجب إذا رأينا تسرّب خرافة التثليث إلى العقيدة النصرانية بعد ذهاب السيّد المسيح ﷺ وغيابه عن أتباعه.

إنّ تقادم الزمن رسّخ موضوع التثليث وعمّقه في قلوب النصارى وعقولهم،

(١) منهاج الصالحين للشيخ الوحيد الخراساني ١: ٨٤.

(٢) الميزان ٣: ٣٢٣.

بحيث لم يستطع أكبر مصلح مسيحي، أعني: لوثر، الذي هذَّب العقائد المسيحية من كثير من الأساطير والخرافات، وأسس المذهب البروتستاني، أن يبعد مذهبه عن هذه الخرافة.

إنَّ القرآن الكريم يصرِّح بأنَّ التثليث دخل النصرانية، من المذاهب السابقة عليها بعد رفع المسيح ﷺ؛ يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقد أثبتت الأبحاث التاريخية أنَّ هذا التثليث كان في الديانة البرهمانية قبل ميلاد السيِّد المسيح ﷺ بمئات السنين؛ فقد تجلَّى الربُّ الأزلي الأبدي لديهم في ثلاثة مظاهر وآلهة:

١- براهما (الخالق).

٢- فيشنو (الواقى).

٣- سيفا (الهادم).

وقد تسرَّبت من هذه الديانة البراهمانية إلى الديانة الهندوكية، ويوضِّح الهندوس هذه الأمور الثلاثة في كتبهم الدينية على النحو التالي: «براهما» هو المبتدئ بإيجاد الخلق، وهو دائماً الخالق اللاهوتي، ويسمَّى: الأب، «فيشنو» هو الواقى، الذي يسمَّى عند الهندوكيين: الابن، الذي جاء من قبل أبيه، و«سيفا» هو المفنى الهادم، المعيد الكون إلى سيرته الأولى.

وبذلك يظهر قوَّة ما ذكره الفيلسوف الفرنسي «غستاف لوبون» إذ قال: «لقد واصلت المسيحية تطوُّرها في القرون الخمسة من حياتها، مع أخذ ما تيسَّر من المفاهيم الفلسفية والدينية اليونانية والشرقية، وهكذا أصبحت خليطاً من المعتقدات المصرية والإيرانية التي انتشرت في المناطق الأوربية في حدود القرن

(١) التوبة (٩): ٣٠.

الأول الميلادي، فاعتنق الناس تثليثاً جديداً مكوّناً من: الأب والابن وروح القدس، مكان التثليث القديم المكون من «نروبي تر» و«وزنون» و«نرو»<sup>(١)</sup>.

### احتجاج القرآن على مذهب التثليث:

يردّ القرآن الكريم قول المثليّة من طريقتين، أحدهما: الطريق العام؛ وهو بيان استحالة الابن عليه تعالى في نفسه، أي سواء كان عيسى هو الابن أو غيره. والآخر: الطريق الخاص؛ وهو بيان أنّ عيسى بن مريم ليس ابناً إلهياً، بل عبد مخلوق.

الطريق الأوّل: فتوضيحه أنّ حقيقة البنوة والتولّد هو أن يجزّء واحد من هذه الموجودات الحية المادّية، كالإنسان والحيوان بل النبات أيضاً، شيئاً من مادّة نفسه، ثمّ يجعله بالتربية التدريجية فرداً آخر من نوعه مماثلاً لنفسه، يترتّب عليه من الخواصّ والآثار ما كان يترتّب على المجزى منه، كالحيوان يفصل من نفسه النطفة، والنبات يفصل من نفسه اللقاح، ثمّ يأخذ في تربيته تدريجاً حتّى يصيرّه حيواناً أو نباتاً آخر مماثلاً لنفسه، ومن المعلوم أنّ الله سبحانه يمتنع عليه ذلك: أمّا أولاً: فلاستلزامه الجسميّة المادّية، والله سبحانه منزّه عن المادّة ولو ازمامها الافتقارية، كالحركة والزمان والمكان وغير ذلك.

وأما ثانياً: فلأنّ الله سبحانه لإطلاق إلهيّته وربوبيّته له القيومية المطلقة على ما سواه، فكلّ شيء سواه مفتقر الوجود إليه، قائم الوجود به، فكيف يمكن فرض شيء غيره يماثله في النوعية يستقلّ عنه بنفسه، ويكون له من الذات والأوصاف والأحكام ما له من غير افتقار إليه.

وأما ثالثاً: فلأنّ جواز الإيلاد والاستيلاد عليه تعالى يستلزم جواز الفعل التدريجي عليه، وهو يستلزم دخوله تحت ناموس المادّة والحركة، وهو خلف، بل

(١) راجع: الإلهيات للشيخ السبحاني: ٣٦٨ - ٣٦٩.

ما يقع بإرادته ومشيته تعالى، إنما يقع من غير مهلة وتدرّيج.

وهذا البيان هو الذي يفيدده قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَہٗ بَلْ لَّهٗ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهٗ قَائِمُونَ ﴿۱﴾ بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿۱﴾.

وعلى ما قرّيناه فقوله: ﴿سُبْحَانَہٗ﴾ برهان، وقوله: ﴿لَّهٗ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ برهان آخر، وقوله: ﴿بَدِيعُ...﴾ برهان ثالث.

ويمكن أن يجعل قوله: ﴿بَدِيعُ...﴾ من قبيل إضافة الصفة إلى فاعلها، ويستفاد منه أن خلقه تعالى على غير مثال سابق، فلا يمكن منه الإيلاد؛ لأنه خلق على مثال نفسه؛ لأن مفروضهم العينيّة، فتكون هذه الفقرة وحدها برهاناً آخر.

ولو فرض قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ كلاماً ملقى لا على وجه الحقيقة بل على وجه التوسّع في معنى الابن والولد بأن يراد به انفصال شيء عن شيء يماثله في الحقيقة من غير تجزّ مادّي أو تدرّيج زماني - وهذا هو الذي يرومه النصارى بقولهم المسيح ابن الله، ليتخلّصوا بذلك عن إشكال الجسميّة والمادّيّة والتدرّيج - لكن يبقى إشكال المماثلة.

توضيحه: إن إثبات الابن والأب إثبات للعدد بالضرورة، وهو إثبات للكثرة الحقيقية، وإن فرضت الوحدة النوعية بين الأب والابن، كالأب والابن من الإنسان فهما واحد في الحقيقة الإنسانية، وكثير من حيث أنّهما فردان من الإنسان، وعلى هذا فلو فرض وحدة الإله كان كلّ ما سواه، ومن جملتها الابن غيراً له، مملوكاً مفتقراً إليه، فلا يكون الابن المفروض إلهاً مثله، ولو فرض ابن مماثل له غير مفتقر إليه، بل مستقلّ مثله، بطل التوحيد في الإله عزّ اسمه.

وهذا البيان هو المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ

(١) البقرة (٢): ١١٦-١١٧.

إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾.

الطريق الثاني: وهو بيان أن شخص عيسى بن مريم عليه السلام ليس ابناً لله، مشاركاً له في الحقيقة الإلهية؛ لما كان فيه من البشرية ولوازمها.

وتوضيحه: إنَّ المسيح عليه السلام حملت به مريم وربته جنيناً في رحمها، ثمَّ وضعته وضم المرأة ولدها، ثمَّ ربته كما يتربى الولد في حضانة أمه، ثمَّ أخذ في النشوء، وقطع مراحل الحياة، والارتقاء في مدارج العمر من الصبا والشباب والكهولة، وفي جميع ذلك كان حاله حال إنسان طبيعي في حياته، يعرضه من العوارض والحالات ما يعرض الإنسان من جوع وشبع، وسرور ومساءة، ولذة وألم، وأكل وشرب، ونوم ويقظة، وتعب وراحة، وغير ذلك.

فهذا ما شوهد من حال المسيح عليه السلام حين مكثه بين الناس، ولا يرتاب ذو عقل أن من كان هذا شأنه، فهو إنسان كسائر الناس من نوعه، وإذا كان كذلك فهو مخلوق مصنوع كسائر أفراد نوعه.

وأما صدور الخوارق وتحقق المعجزات على يده، كإحياء الأموات، وخلق الطير، وإبراء الأكمه والأبرص، وكذا تحقق الخوارق من الآيات في وجوده كتكوّنه من غير أب، فإنَّما هي أمور خارقة للعادة المألوفة، والسنة الجارية في الطبيعة؛ فإنَّها نادرة الوجود لا مستحيلته، فهذا آدم عليه السلام تذكر الكتب السماوية أنَّه خلق من تراب، ولا أب له، وهؤلاء أنبياء الله صالح وإبراهيم وموسى عليهم السلام جرت على أيديهم آيات معجزة كثيرة، مذكورة في مسفورات الوحي من غير أن تقتضي فيهم إلهية، ولا خروجاً عن طور الإنسانية.

وهذه الطريقة هي المسلوكة في قوله تعالى:

(١) النساء (٣): ١٧١.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ... مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١).

وقد خصّ أكل الطعام من بين جميع الأفعال بالذكر لكونه من أحسنها دلالة على المادّية، واستلزماً للحاجة والفاقة المنافية للإلوهية، فمن المعلوم أن مَنْ يجوع ويظمأ بطبعه ثم يشبع بأكله، أو يرتوى بشربه، ليس عنده غير الحاجة والفاقة التي لا يرفعها إلا غيره، وما معنى الإلوهية من هذا شأنه؟! فإن الذي قد أحاطت به الحاجة واحتاج في رفعها إلى الخارج من نفسه، فهو ناقص في نفسه، مدبّر بغيره وليس بإله غنيّ بذاته، بل مخلوق مدبّر بربوبية مَنْ ينتهي إليه تدبيره.

وإلى هذا يمكن أن يرجع قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

وكذا قوله تعالى خطاباً للنصارى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣)؛ فإنّ في هذا النوع من الاحتجاجات هو أنّ الذي شوهد من أمر المسيح أنّه: كان يعيش على الناموس الجاري في حياة الإنسان، متّصفاً بجميع صفاته وأفعاله وأحواله النوعية، كالأكل والشرب، وسائر الاحتياجات الإنسانية والخواص البشرية، ولم يكن هذا التلبّس والاتّصاف بحسب ظاهر الحسّ أو تسويل الخيال فحسب بل كان على الحقيقة، وكان المسيح عليه السلام إنساناً ذا هذه الأوصاف والأحوال والأفعال.

والأنجيل مشحونة بتسميته نفسه إنساناً، وابن الإنسان، ومملوءة بالقصص

(١) المائدة (٥): ٧٣ - ٧٥.

(٢) المائدة (٥): ١٧.

(٣) المائدة (٥): ٧٦.



الناطقة بأكله وشربه، ونومه ومشيه، ومسافرتة وتعبه، وتكلمه ونحو ذلك، بحيث لا يقبل شيء منها صرفاً ولا تأويلاً، ومع تسليم هذه الأمور يجري على المسيح ما يجري على غيره، فهو لا يملك من غيره شيئاً نفسه، ويمكن أن يهلك كغيره.

وكذا حديث عبادته ودعائه، بحيث لا يرتاب في أن ما كان يأتيه من عبادة فائماً للتقرب من الله، والخضوع لقدس ساحته، لا لتعليم الناس أو لأغراض أخرى تشابه ذلك.

وإلى حديث العبادة والاحتجاج به يومئذ قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

فعبادة المسيح ﷺ أول دليل على أنه ليس بآله، وأن الإلهية لغيره، لا نصيب له فيها<sup>(٢)</sup>.

فهو يأمر في بعض فقرات الإنجيل المتداول حالياً - مع ما فيه من التحريف - إلى عبادة الله وحده دون غيره..

ففي العهد الجديد من إنجيل متى ورد عن عيسى ﷺ أنه قال: «اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد»<sup>(٣)</sup>، وقريب منه في سفر لوقا<sup>(٤)</sup>.

وأيضاً ما ورد في رسالة إلى أهالي تسالونيكى: «لأنهم هم يخبرون عنا أي دخول كان لنا إليكم وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي»<sup>(٥)</sup>.

(١) النساء (٤): ١٧٢.

(٢) راجع: الميزان ٣: ٢٨٧ - ٢٩١.

(٣) الكتاب المقدس (العهد الجديد): متى - الإصحاح ٤، الآية ١٠.

(٤) الكتاب المقدس (العهد الجديد): لوقا - الإصحاح ٤، الآية ٨.

(٥) الكتاب المقدس (العهد الجديد): الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى - الإصحاح ١، الآية ٩.

مضافاً إلى كلمات تدعو الله بالتوحيد في كلا العهدين مع ما وقع فيهما من التحريف والتغيير والتبدل، فقد ورد في سفر أخبار الأيام ما ينفي المماثلة لله تعالى، وينفي إله غيره عز وجل: «يارب ليس مثلك، ولا إله غيرك»<sup>(١)</sup>.

«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته»<sup>(٢)</sup>.

والله هو الوحيد الذي يغفر الذنوب: «من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده»<sup>(٣)</sup>.

وهذا أيضاً ما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالتوحيد في العبادة، ونفي الشريك، وانحصار غفران الذنوب بالله تعالى من الموارد التي اتفق عليها الإسلام في القرآن الكريم، وما ورد في العهدين.

### نهاية المطاف:

بعدما بحث وخاض «سيلفا» في الديانة المسيحية، والأديان الأخرى، وقارن بينها وبين بقية الديانات تفتحت آفاق رؤيته، وتعرّف على مبدأ رحب مملوء بالمعارف السامية، والرؤى الرفيعة، فانجذب إليه انجذاباً أدى به إلى اعتناقه ألا وهو الدين الإسلامي الذي يثبت التوحيد الخالص لله الواحد القهار: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الكتاب المقدس (العهد القديم): أخبار الأيام - الإصحاح ١٧، الآية ٢٠.

(٢) الكتاب المقدس (العهد الجديد): يوحنا - الإصحاح ١٧، الآية ٣.

(٣) الكتاب المقدس (العهد الجديد): يوحنا - الإصحاح ١٧، الآية ٣.

(٤) آل عمران (٣): ١٣٥.

(٥) الرعد (١٣): ١٤ - ١٥.

## (٧) عبد الحلیم هربرت (مسیحي / فرنسا)

ولد في أوساط عائلة مسيحية الديانة، وترعرع في أحضانها، بعد بلوغ «هربرت» مرحلة الرشد سادت به فطرته السليمة إلى البحث والتحقيق في معتقدات الأديان والمذاهب، واستمرّ في ذلك إلى أن وفقه الله عزّ وجلّ للتعرف على مذهب أهل البيت عليهم السلام فرآه مذهباً متكاملًا، يمتاز أئمّته بمقامات لم يسبقهم - ولم يلحقهم - بنيلها أحد من العالمين.

يقول الدكتور هربرت: بعد اعتناقي للدين الإسلامي الحنيف على مذهب الشيعة الإمامية قاطعني زوجتي وأولادي، وقد لقيت متاعب ومشاكل عديدة، ولكن وفقني الله للصبر والثبات.

إنّ زيارة مرقد أهل البيت عليهم السلام والشعور بالخشوع والانجذاب إلى تلك الأرواح المقدسة الطاهرة كانت من الأمور المؤثرة على هربرت، وكانت قراءته لزيارات الأئمّة عليهم السلام، مثل: زيارة آل ياسين، وزيارة الجامعة الكبيرة، والتفكير في معانيها، والتدبّر في مضامينها سبباً لتعرفه على تلك المقامات السامية، ومعرفة عظمة أهل بيت النبوة عليهم السلام ومذهبهم العظيم.

### نظرة إلى الزيارة الجامعة:

الزيارة الجامعة الكبيرة والشريفة صحيحة السند والدلالة، وقد اشتهرت بين الشيعة الإمامية حتى استغنت باشتهارها عن ذكر إثباتها وبيان سندها، فكانت

موضع قبول عند جميع الشيعة من غير معارضٍ لها، أو رادِّ لدلالاتها ومعانيها، بل وسندها أيضاً عند العلماء المحققين، مع ما اشتملت عليه من معانيها العالية الفريدة وأسرارها العجيبة، ولكنها صعبة عند بعض من لم يتدوَّق حلاوة معرفتهم، أو يشمَّ نسيم كلما تهم المقدّسة، فحاول التشكيك بسندها ودلالاتها، ولا عجب في ذلك فإنَّ كلَّ إناءٍ بما فيه ينضح، والأوعية تسع الماء بقدر حجمها.

قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>...

والحاصل: إنَّ الفاظها البليغة وأسرارها المنبئة وأحوالها الرفيعة ممَّا يشهد الكتاب الكريم، والأخبار القطعيّة والعقل السليم بصحّة ورودها عن ذلك الإمام العظيم، الهادي المهدي، عليّ بن الإمام محمد الجواد عليه السلام؛ فإنَّ على كلِّ حقِّ حقيقة، وعلى كلِّ صوابٍ نوراً، مع ما هي عليه عند عامّة الشيعة، فقهاهم وعوامهم، من القبول بحيث لا يختلف فيها اثنان.

وهذه الزيارة المقدّسة من أشرف الزيارات بشكلٍ مطلق، ولا تضاهيها زيارة أخرى من حيث الاعتبار وعمق الدلالة، الدالّة على عظمة هؤلاء الموالى الكرام المطهرين عليهم السلام، ولفقراتها الشريفة شواهد كثيرة من الكتاب الكريم والسنة الكريمة، فالتشكيك فيها يستلزم التشكيك بكلمات أئمة الهدى، ومصايح الدجى، والعروة الوثقى..

### من روى الزيارة الجامعة؟

لم يروها أحدٌ قبل الشيخ الصدوق عليه السلام من المتقدّمين عليه، فمثلاً لم يروها الشيخ الكليني -بحسب الظاهر- لاعتبارات عديدة، ولعلَّ منها شدة التقيّة التي كان

(١) الرعد (١٣): ١٧.

(٢) الرعد (١٣): ١٩.

الكليني يعيش في ظلها؛ لوجوده في بغداد عاصمة الدولة العباسية آنذاك، بخلاف الشيخ الصدوق، الذي عاش في قم، موطن التشيع والولاء لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وفي ظل حكومة آل بويه، التي لم يُعرف عنها النصب الشديد لأهل البيت عليهم السلام، فكان ثمّة فسحة في مجال التعبير عن الرأي والعقيدة.

نعم رواها من بعده الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى) في التهذيب، الجزء السادس، باب زيارة جامعة لسائر المشاهد، ولا يشترط في صحّة أيّ رواية أن تُروى بطرقٍ متعدّدة، بل يكفي فيها أن تُروى بخبرٍ معتبر سنداً أو دلالة، كما لا يُشترط في الأخبار الدالّة على الفضائل والمعاجز أن تكون بقوة الأخبار الدالّة على موارد الفقه والأحكام، ومع هذا فإنّ الزيارة الجامعة الشريفة وردت بسندٍ صحيح ومعتبر لا مغمز فيه عند أحدٍ، وعلى فرض ضعف السند - وفرض المحال ليس محالاً - فلا يجوز طرحها؛ إذ لا يجب طرح كلّ خبرٍ ضعيف سنداً، بل يحرم ردّه ما لم يتعارض مع الدلالة القطعية للكتاب والسنة المطهرة، فكيف الحال بزيارة الجامعة الموافقة للكتاب والسنة...

وحرمة ردّ الخبر الضعيف مورد تسالم عند الأصوليين والأخباريين، وحرمة الردّ تختلف عن حجّية الخبر؛ فحرمة الردّ تتناول حتّى الخبر الضعيف، وقد عقد صاحب «الوسائل» باباً خاصّاً في كفيّة القضاء يذكر فيه تلك الأخبار الدالّة على تلك القاعدة المتسالم عليها بينهم...

فالخبر الضعيف في علم الدراية والحديث يختلف عن الخبر الموضوع والمدسوس والمجعول؛ فالخبر المدسوس أو المجعول هو المتعارض مع الدلالة القطعية من الكتاب والسنة، وأمّا الخبر الذي لم تتوفر فيه شرائط الحجّية لا يقال: إنّه مدسوس أو موضوع، ما دام لم يتعارض مع ما ذكرنا، لذا لا يسقط الاستدلال به لبيان المطالب العلميّة والفقهية.

فالخبر الضعيف سنداً له أحكام إلزامية، منها: حرمة ردّه، وقد ورد في

الأخبار ما يبيّن هذه القاعدة المسلّمة.

منها: ما ورد عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: «... وإذا جاءكم عنّا حديثٌ فوجدتم عليه شاهداً أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به، وإلا فقفوا عنده ثمّ ردّوه إلينا حتّى يستبين لكم...»<sup>(١)</sup>.

### سند الزيارة الجامعة:

رواها الشيخ الصدوق - عليه الرحمة - في كتابه «من لا يحضره الفقيه» الجزء الثاني، باب زيارة جامعة لجميع الأئمّة عليهم السلام بسنده إلى محمد بن إسماعيل البرمكي، ورواها أيضاً في كتابه «عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام» الجزء الثاني، الباب ٦٨، بالسند نفسه، كما أنّه رواها بشكل مختصر في الجزء نفسه في الكتاب في الباب ٦٧، بسنده الصحيح إلى: محمد بن الحسن بن الوليد (شيخ الصدوق)، عن محمد بن الحسن الصفّار (ثقة جليل)، عن عليّ بن حسان (ثقة ثقة)، قال: سئل الإمام الرضا عليه السلام في إتيان قبر أبي الحسن موسى عليه السلام...

وقد رواها الشيخ الطوسي في «التهذيب» نقلاً عن الصدوق بالسند نفسه، ولم يعقّب على سندها بالضعف ممّا يعني صحّته بنظره الشريف... وها نحن نذكر السند موثقاً واحداً تلو الآخر:

قال الصدوق - رحمه الله تعالى -:

روى محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا موسى بن عبد الله النخعي، قال: قلت للإمام عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابن أبي طالب عليه السلام: علّمني يا بن رسول الله قولاً أقوله، بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم؟...<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٢٢٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٠٩.

وقد اختصر الصدوق الأسانيد في كتابه «الفقيه» إلا أنه وضع فهرساً لتلكم الأسانيد في آخر كتابه، فقال في ترجمة محمد بن إسماعيل البرمكي: «وما كان فيه - أي الكتاب - عن محمد بن إسماعيل البرمكي فقد روته عن: علي بن أحمد بن موسى، ومحمد بن أحمد السناني، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب رضي الله عنهم، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي»<sup>(١)</sup>.

فعلي بن أحمد بن موسى ومحمد بن أحمد السناني والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، كلهم من مشايخ الصدوق الثقات؛ بدليل ترضيه عنهم بقوله: (رضي الله عنهم).

وأما محمد بن أبي عبد الله الكوفي (وهو محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي) فتقّة أيضاً عند الصدوق وغيره؛ لأنّ مشايخه الثقات نقلوا عنه، ولأنّ الثقات لا ينقلون عن الكذّاب ومن كان مجهول الحال عندهم، ولو فعلوا ذلك لدلّ على أنّهم غير ثقات وغير مأمونين على الدين والدنيا، فتنتفي الحجيّة عمّا نقلوا، وهو أمرٌ نهت عنه الآيات والأخبار، كما لا يخفى على المحقّقين من الفقهاء.

مضافاً إلى إطراء علماء الرجال على محمد بن أبي عبد الله - إذ يرى ذلك بوضوح كلّ من راجع كلماتهم بشأنه - ، فقد وثّقه النجاشي في ترجمة الأسدي، وكذلك في ترجمة محمد بن إسماعيل البرمكي؛ كما أنّ الرجل من شيوخ أساتذة الكليني، وقد أكثر الرواية عنه في «الكافي»، وإتهامه بالجبر والتشبيه فرية عليه، ويكفي في بطلانها أنّه روى في «الكافي» أخباراً كثيرة دالّة على بطلان الجبر والتشبيه ونفيهما، فلو كان فيه شائبة من القول بذلك لم يكن ليروي ما يبطل مذهبه، وقد كان الرجل في زمان السفراء المنصوبين من قبل الإمام الحجّة المنتظر<sup>(ع)</sup>.

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٥١٢.

وممن ترد عليه التوقيعات من ناحيتهم.

فالحقُّ: أنَّ الرجل ثقة، صحيح الحديث، يُعتمد على ما رواه، وقد أطراه كثير من الرجاليين والمحققين، أمثال: العلامة في «الخلاصة»، والفاضل المجلسي في «الوجيزة»، والطريحي والكاظمي في «المشتركات»، والفاضل الجزائري، والأردبيلي في «جامع الرواة»، وغيرهم ممن يجدهم المتتبع لحال الرجل..

وأما محمد بن إسماعيل البرمكي فلا ريب في وثاقته عند الجميع، وقد أطراه النجاشي بقوله: «محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي، المعروف بصاحب الصومعة أبو عبد الله، سكن قم وليس أصله منها، ذكر ذلك عبّاس بن نوح، وكان ثقة مستقيماً، له كتب، منها: التوحيد...»<sup>(١)</sup>.

وأما موسى بن عبد الله النخعي فلا ريب أيضاً في وثاقته، وإن قيل: إنه ممن أهمله الرجاليون في تراجمهم، ممّا يعني عدم الاعتناء به، فلا يصحّ الاعتماد على ما يرويه!!

لأننا نقول: إنَّ ذلك غير صحيح؛ لوجوه:

(الوجه الأوّل): عدم وجود ذكر له في تراجم المتقدمين لا يعني بالضرورة عدم جواز الاعتماد عليه بما يرويه، وإلّا لاستلزم ذلك طرح كثير من الأخبار لمجرد أنّ بعض رواها ليس لهم ذكرٌ في تراجم الأوّلين، وفي ذلك من الآثار السلبية ما لا يخفى على الضليع بالفقه، مع التأكيد على أنّ الرجل قد روى أخباراً عنهم عليهم السلام، واعتمد عليه كبار المحدثين، أمثال: الكليني والصدوق والطوسي، أفلا يكون هذا مُحفّزاً للأخذ بما يرويه والاعتماد على ما يحكيه؟! لا سيّما وأنَّ الرجل قد اعتمد عليه ثقات الرواة والمؤرّخين، فإن ذلك قرينة واضحة وقطعية على وثاقته وعدالته، فالغمز به - حينئذٍ - يعتبر غمراً بالثقات الذين قام الدليل القطعيُّ

(١) رجال النجاشي: ٣٤١.



على وثاقتهم وعدالتهم، وفيه ما لا يخفى على البصير الفقيه من المحاذير الشرعية من حيث إساءة الظن بهؤلاء وردّ الأدلة الدالة على ترتيب الأثر العقلي والشرعي على وثاقتهم وعدالتهم!!

(الوجه الثاني): إهمال الرجالين له في كتب الرجال غير قادح فيه، لاسيما وأنّ الرجاليين اقتصروا في تراجمهم على الرواة المعروفين بعقائدهم ومسالكهم دون غيرهم من مجهولي الذكر والصيت، إمّا لتقيّة، أو لعدم حبّ البروز والظهور، ممّن آثروا الإنفراد عن الخلق حرصاً على دينهم أو دنياهم... فالقول بأنّ كلّ مجهول لا يكون مقبول الرواية غير منطقيّ وفيه من المحاذير ما ذكرناه آنفاً..

مضافاً إلى أنّ المجهول أعمّ من كونه فاسد العقيدة والمسلك؛ إذ ربّ مجهول الذكر بين الناس لكنّه تقيّ القلب وطاهر المسلك، فلا لوم عليه بمقدار ما يلام الذين لم يبحثوا أكثر للوصول إلى التعرّف عليه، فلا ملازمة - إذن - بين الجهالة والفسق؛ فتأمّل.

(الوجه الثالث): إنّ رواية الثقة محمّد بن إسماعيل عنه تدفع جهالته من الأساس؛ إذ كيف ينقل الثقة عن رجل مجهول الحال أو فاسد العقيدة؟! لاسيما وأنّ الناقل عنه عالمٌ ومحدّثٌ وعادلٌ، لا يكذب ولا يدّعي وثاقة من كان كاذباً أو مدّلساً!

مضافاً إلى اعتماد الصدوق عليه، وقد آلى في مطلع كتابه «الفقيه» أن لا يروي إلّا عن الأجلّاء الثقات، وهي قرينة قطعية على صلاح الرجل، لأنّ ما وصل للصدوق لم يصل إلينا حتّى لو كان ذلك عن اجتهاد عنده، فما دام ثمة قرائن أخرى تثبت صلاحه، فإنّ توثيق الصدوق وشيوخه له يُعدّ - حينئذٍ - قرينة مساعدة على التوثيق.

وبعبارة أخرى: إنّ الراوي الثقة إذا روى عن مهمل أو مجهول تُعدّ روايته

عنه توثيقاً له؛ إذ من البعيد جداً - بعد أن ثبتت الحجية للراوي الثقة - أن يروي عن غير الثقة، وإلا انتفت الوثاقة والحجية عن صاحبها، وهي خلف ثبوتها له بمقتضى الدليل الدال على ذلك.

(الوجه الرابع): إن رواية موسى النخعي للزيارة الجامعة قرينة قطعية على كونه إمامياً صحيح الاعتقاد، بل إن تلقين الإمام الهادي عليه السلام له هذه الزيارة المفصلة والمتضمنة لبيان مراتب الأئمة الطاهرين عليهم السلام شهادة أخرى واضحة على كون الرجل من الحسان ومقبول الرواية، وإهمالهم لذكره حينئذ غير قادح فيه ولا مقلل لشأنه، بل إن الزيارة نفسها تكون قرينة على توثيقه وجلالة أمره، ولا يبعد أن يكون إهمالهم له في التراجم لعدم وجود من يمدحه حسداً له، كما حُسد غيره من أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين أخفي ذكرهم من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام، لاسيما أن الرجل روى ما هو أعظم مما رواه غيره من الأصحاب، ألا وهو الزيارة الجامعة التي قصمت ظهور النواصب وأقلقت بالهم وعكّرت صفو عيشتهم..

(الوجه الخامس): ذهب بعض الرجاليين إلى أن موسى بن عبد الله النخعي متّحد مع موسى بن عبد الملك، فنسب إلى جدّه عبد الملك لأنّ الجدّ أب، وموسى ابن عبد الملك من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، وبهذا ترتفع الجهالة - من هذه الحيثية - عن الرجل، ولا يبعد ذلك ولكنّه بحاجة إلى دليل يدعمه.

(الوجه السادس): إن آية النبأ، وهي قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> تدل على اشتراط التبيّن من خبر الفاسق، ولا تدل على ردّ خبره من الأساس، فإذا جاز الأخذ بخبر الفاسق الذي لم يُعلم كذبه في نقل الروايات، يصح بطريق أولى الأخذ بخبر راوٍ مجهول الحال، لكن يشترط بصحة الأخذ بخبره

(١) الحجرات (٤٩): ٧.

أن يكون موافقاً للكتاب والسنة، ومن هذا القبيل خبر الزيارة الجامعة، العالية المضامين، والموافقة للدلائل القطعية.

(الوجه السابع): لقد ثبت بطريقٍ آخر صحيح لا مغمز فيه، إلا عند أصحاب النفوس المريضة، بأن الإمام المهدي - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - أمر بالمواظبة على قراءة الزيارة الجامعة، كما فصل ذلك الشيخ الطبرسي رحمه الله تعالى في كتابه «النجم الثاقب»، إذ يروي عمّن عرفه من الثقة الجليل السيد أحمد الرشتي عليه السلام الذي التقى الإمام الحجّة بن الحسن عليهما السلام عندما ضاع عن قافلته التي كانت تقلّه إلى الحجّ، فاستغاث بالإمام المنتظر عليه السلام فأغاثه وأمره بزيارة الجامعة، وزيارة عاشوراء، ممّا يعطي الزيارة بُعداً آخر من الوثاقفة والاعتبار من الناحيتين السندية والدلالية، وهو أمرٌ لم يتفطن إليه كثيرٌ من فقهاء الإمامية مع أنّه في غاية الصحة والمتانة، والقصة مشهورة شهرةً عظيمةً ذكرت في «النجم الثاقب»<sup>(١)</sup> و«مفاتيح الجنان»<sup>(٢)</sup> -

(الوجه الثامن): على افتراض أنّ موسى بن عبد الله مجهول، والمجهول لا يؤخذ به، لكن يمكن تصحيح هذه الجهالة من ناحيتين:

الناحية الأولى: للقاعدة الأصولية المطردة الدالة على انجبار ضعف الخبر بعمل المشهور، فيصبح معتبراً وقوياً، من حيث أنّ عمل المشهور بخبرٍ ضعيفٍ سنداً توثيقٌ عمليٌّ للمخبر به، فيثبت به كونه ثقةً، فيدخل في موضوع الحجية.

وكذلك فيما لو كان الخبر صحيحاً، أو موثقاً في نفسه، ثمّ أعرض المشهور عنه، فإنّ إعراضهم عنه يوهنه ويُسقطه عن الحجية والاعتبار، وبما أنّ المشهور أخذ بالزيارة الجامعة، وعمل بها، ودعوا المؤمنين إلى المواظبة عليها، فإنّ عملهم

(١) النجم الثاقب ٢: ٢٧٥.

(٢) مفاتيح الجنان: ٥٥١.

هذا يرفع من مستوى ضعف السند - على فرض جهالة موسى النخعي - إلى مقام الصحة والقوة والاعتبار، فيكون عملهم بمثابة تصحيح لضعف السند، لقرائن اعتمدها، والتي منها: ما ورد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر»<sup>(١)</sup>، والزيارة ليست مما اشتهرت بين الأصحاب فحسب بل هي من المجمع على صحتها واعتبارها..

الناحية الثانية: اصطلاح المتأخرين منذ زمن ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) - وهو أول من اخترع تقسيم الخبر إلى ضعيف وموثق - في تضعيف الأسانيد غير معتبر عند القدماء من فقهاء الإمامية (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)؛ إذ لا علم لهم بهذا الاصلاح أصلاً، لاستغنائهم عنه في الغالب بكثرة القرائن الدالة على صدق الخبر، وإن اشتمل طريقه على ضعف، فلم يكن للصحيح كثير مزية توجب له التمييز باصطلاح أو غيره، فالضعيف عندهم هو: ما لم تقم القرينة على إثباته، والصحيح عكسه، وعليه فتكون الزيارة الجامعة صحيحة سنداً عندنا طبقاً لمسلك المتقدمين، ومنهم الصدوق (رحمهم الله تعالى جميعاً)، وذلك إمّا لقرائن مرجحة، وإمّا لوجودها في الكتب المعتمدة، كالفقيه والتهديب والعيون.

والخلاصة: فإنّ الزيارة الجامعة الكبيرة هي من أرقى الزيارات متناً وسنداً على حدّ تعبير العلامة المحدّث المجلسي عليه السلام<sup>(٢)</sup>، وكما ثبت بمقتضى التحقيق.

شرح بعض مقاطع الزيارة:

(وبمواالاتكم تقبل الطاعة المفترضة):

المراد بالطاعة المفترضة: ما افترضه الله على عباده؛ إذ أنّ الموالاتة من الأصول، فلا تقبل الفروع بدون الأصل، وما افترضه الله وما أمر به يشمل الواجب

(١) عوالي اللئالي ٤: ١٣٣.

(٢) راجع: مفاتيح الجنان: ٧٩١.

والمستحب، فلا يُتوهم أنّ المراد بالطاعة المفروضة الواجبات فقط، وإنّما كلّ ما يدخل تحت التشريع الإلهي الذي فرضه الله على عباده.

وأما عدم اكتفائه بالطاعة المطلقة، فربّما يُتوهم منه قبول الطاعة على أيّ شكل من الأشكال التي يعتقد العبد بها أنّها طاعة حتّى لو لم تكن بتشريع وإذن من الله تعالى.

(وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم):

يمكن إرجاع هذه العبارة إلى ما روي عن النبي ﷺ في حديث الثقلين: (إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض)<sup>(١)</sup>؛ فميزان الحساب يوم القيامة يكون على هذا الأساس، فالتمسّك بالقرآن لوحده غير كافٍ، بل لا بدّ معه من التمسّك بالعترة، فهم ﷺ يكونون الأصل في كيفية حساب الخلق، فمن تمسّك بهم نجا، ومن لم يتمسّك بهم هلك.

(أسماءكم في الأسماء، وقبوركم في القبور.. فما أحلى أسماءكم):

هذه الفقرات تحتل عدّة معان:

الأوّل: أن يكون المعنى: أنّ ذكركم وإن كان في الظاهر مذكور بين الذاكرين، بأن يذكروكم ويذكروا غيركم، وتُذكر أسماءكم في أسمائهم، بأن يقولوا: محمّد وعلي، وهكذا، إلّا أنّه لا نسبة بين ذكركم وذكر غيركم، وبين أسماءكم وأسماء غيركم، بقرينة قوله بعد ذلك: (فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم).

وبالجملة فحاصل المعنى: أنّ ما يُذكر ويُسمّى ويُتكلّم به، فهو غير خارج عن خالق ومخلوق، وأسماءكم وأنفسكم، وأرواحكم وأجسادكم، وسائر

(١) راجع: مسند أحمد ٣: ١٤، سنن الترمذي ٥: ٣٢٩.

أفعالكم، وأحوالكم وأطواركم وأخلاقكم، وإن كانت من جملة المخلوقات وداخلة في جملتها إلا أنّ لها كمال الامتياز والسمو، والعلو والرفعة، والقدر والمنزلة، بحيث لا نسبة بينها وبين غيرها، وكونها من جملة غيرها لا تقتضي مساواتها لها، وهذا المعنى أحسن المعاني وأوضحها.

الثاني: أن يكون المعنى: إذا ذكر الذاكرون الله بمدح أو ثناء، فأنتم داخلون فيهم؛ لأنكم سادة الذاكرين، وكذا إذا ذكرت الأسماء الشريفة، والأوصاف المنيفة، والأرواح الطيبة، والأجساد الطاهرة، والأنفس السليمة، والعقول المستقيمة ونحو ذلك، فأسماءكم وأرواحكم وأجسادكم ونفوسكم داخلة في ذلك؛ لأنكم سادة السادات وقادة الهداة.

الثالث: أن يكون المعنى: أنه ينبغي أن يكون ذكركم مذكوراً في السنة الذاكرين، وكذا أسماءكم، بمعنى أنّ من أراد أن يذكر أحداً بمدح فينبغي أن لا يذكر غيركم، ومن أراد الثناء على الأسماء والأرواح والأجساد والنفوس، فليس له أن يتجاوزكم إلى غيركم، وهذا المعنى لا يخلو من لطف، إلا أنه بعيد من اللفظ.

الرابع: أن يكون المعنى: أنّ ذكركم وأسمائكم وأرواحكم وسائر ما ذكر بمنزلة المظروف، وجميع ذلك من غيركم بمنزلة الظرف؛ فشراقة هذه الأشياء منكم كشراقة المظروف على الظرف وامتيازها.

الخامس: أن يُقرأ: وأسمائكم وأرواحكم الخ.. مجروراً معطوفاً على ضمير الخطاب المجرور في: (ذكركم)، أي: يذكركم الله تعالى في جنب الذاكرين، فيكون من إضافة المصدر إلى المفعول، فإذا ذكر الناس الذاكرين ذكرهم الله تعالى في جنبهم، وذكر أسمائكم ومدحها، وكذا أرواحكم وأجسادكم في جنب ذكرهم لها، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: ذكر الله عبده أكبر من

(١) العنكبوت (٢٩): ٤٥.

ذكر العبد ربّه في الصلاة أو غيرها<sup>(١)</sup>.

أسماء بعض الكتب المؤلفة في شرح الزيارة الجامعة:

١- الأعلام اللامعة في شرح الجامعة / السيّد محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي.

٢- الإلهامات الرضوية في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة / السيّد محمد بن السيّد محمود الحسيني اللواساني الطهراني (الشهير بالسيّد محمد العصّار).

٣- البروق اللامعة / الشيخ علي بن المولى محمد جعفر شريعت مدار الاسترابادي الطهراني.

٤- بغية الطالب / درويش علي بن الحسين بن علي بن محمد البغدادي الحائري.

٥- شرح الزيارة الجامعة / السيّد حسين بن السيّد محمد تقي الهمداني النجفي الدرودآبادي.

٦- مشارق الشمس الطالعة / ميرزا إبراهيم بن الحاج عبد المجيد الشيرازي الحائري.

٧- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة / أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صفر ابن إبراهيم بن داغر الأحسائي.

٨- شرح الزيارة الجامعة / السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني الحلّي الكاظمي (الأنوار اللامعة).

٩- شرح الزيارة الجامعة / الميرزا علي نقي بن السيّد حسين.

١٠- شرح الزيارة الجامعة / الميرزا محمد علي بن المولى محمد نصير

---

(١) تفسير الطبري ٢٠: ١٩١.

الجاردهي الرشتي النجفي.

١١- شرح الزيارة الجامعة / السيد بهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني  
النائبي المختاري.

١٢- شمس طالعة / عبد الله بن أبي القاسم الموسوي البلادي.

١٣- شمس طالعة / ميرزا محمد بن أبي القاسم ناصر حكمت طيب زادة  
الأصفهاني.

١٤- الشموس الطالعة / الآغا ريحان الله بن السيد جعفر الدارابي  
البروجردي.

١٥- الأنوار الساطعة / الشيخ محمد رضا بن القاسم الغراوي.

نيل الحقيقة:

إن معرفة عظمة أئمة مذهب أهل البيت عليهم السلام ومقامهم عند الله عزّ وجلّ من  
خلال التفكّر والتمعّن في هذه الزيارة وأمثالها، لا تدع للباحث المنصف مجالاً  
للتشكيك في أحقيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإن «هربرت» هو ممّن وقّعه الباربي  
عزّ وجلّ للوصول إلى هذه الحقيقة، والتنوّر بنور عظمة أهل البيت عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

---

(١) نقلاً عن كتاب «وقفة مع كتاب حول الشيعة وما يعتقدون» للسيد عامر الحلو.



## (٨) عبد الرحمن

(مسيحي / فرنسا)

ولد في فرنسا في عائلة مسيحية، تربى «عبد الرحمن» في هذه الأسرة على أن يرتبط مع الإله من خلال بعض الطقوس والمراسيم التي تقام أسبوعياً في مكان معين مثل الكنيسة، إلا أنه لم يجد في خارج الكنيسة أي ارتباط معنوي مع الإله، وهذا ما دفع به إلى البحث عن مذهب يعيش معه الحياة والحيوية والمعنوية من دون التقيّد بمكان وزمان معين.

فبدأ «عبد الرحمن» بالتحقيق والبحث حول الأديان المختلفة، وتعرّف حينها على الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، فقام بمقايسته مع باقي الأديان والمذاهب، وتوصّل إلى أنه مذهب يهتمّ بالبعد الاجتماعي لحياة الإنسان، مضافاً إلى البعد الفردي؛ لعلاقة البشر مع ربّهم.

كما توصّل إلى أنّ اهتمام هذا المذهب بالبعد الاجتماعي للدين جعله مذهباً اشتهر بالمقاومة والثورة ضدّ سلاطين الجور ورفض الظلم والطغيان على مدى العصور.

ولعلّ أحد أدلّة تسمية أتباع مذهب الشيعة الإمامية باسم «الرافضة» من قبل الأعداء، هو رفضهم الاستسلام أمام واقعة غصب الخلافة الإسلامية من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

## بيان معنى «الرافضة» والمقصود منها:

قال الخليل في كتاب العين: «الرفض: ترك الشيء. والرفض: الشيء المتحرك المتفرّق، ويجمع على أرفاض..»

والروافض: جند تركوا قائدهم وانصرفوا، كلّ طائفة منهم رافضة، وهم قوم أيضاً لهم رأي وجدال يسمّون الروافض، والنسبة إليهم رافضي»<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري في الصحاح: «الرفض: الترك، وقد رفضه يرفضه ويرفضه رَفْضاً ورَفْضاً، والشيء رَفِيز ومرفوض والروافض: جند تركوا قائدهم وانصرفوا..»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن الرجوع إلى الكتب اللغوية الأخرى لملاحظة معنى الكلمة، إذ أنّ كلماتهم متقاربة في بيان معنى مادة (ر ف ض).

والبحث يقع في بيان معنى الرفض في كلمات العلماء، سواء الفقهاء أو المؤرّخين، وعلى ماذا تطلق هذه الكلمة ومن أين نشأت.

## فالببحث يقع في محورين:

١ - المحور الأول: منشأ إطلاق هذه الكلمة وفي أيّ زمن كان.

٢ - المحور الثاني: المراد من هذه الكلمة حينما تُطلق، والأمور المترتبة على بيان وتحديد اللفظة.

## بداية استخدام كلمة «الرافضة» ومتى استعملت:

ذهب البعض إلى أنّ هذه الكلمة قديمة النشأة، ويرجع زمن استخدامها إلى عصر النبي الأكرم ﷺ، وأوردوا لذلك عدّة أحاديث تناقلوها عن لسان النبي ﷺ

(١) كتاب العين ٧: ٢٩، مادة رفض.

(٢) الصحاح ٣: ١٠٧٨، مادة رفض.

استشهداً على قولهم، وقد أفرد ابن أبي عاصم في كتاب السنة باباً تحت عنوان (باب في ذكر الرافضة) أورد فيه أربع روايات، وهي:

١ - عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «يكون قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام».

٢ - عن أم سلمة قالت: كانت ليلتي، وكان رسول الله ﷺ عندي، فجاءت إلي فاطمة مسلمة، فتبعها علي، فرفع رسول الله ﷺ رأسه، فقال: «أبشر يا علي، أنت وأصحابك في الجنة، إلا أن ممن يزعم أنه يحبك قوم يرفضون الإسلام، يلفظونه يقال لهم: الرافضة، فإذا لقيتهم فجاهدهم فإنهم مشركون.

قلت: وما العلامة فيهم؟

قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف».

٣ - عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في آخر الزمان قوم ينبزون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون».

٤ - عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي بعدي قوم لهم نبي يقال لهم: الرافضة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون.

قلت: يا رسول الله وما العلامة فيهم؟

قال: يقرضونك بما ليس فيك، ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم»<sup>(١)</sup>.

وقد حقق الشيخ السلفي المعاصر محمد ناصر الدين الألباني كتاب السنة هذا، وحكم بضعف هذه الأحاديث<sup>(٢)</sup>.

كما ضعفها علماء الجرح والتعديل عند أهل السنة، ففي الحديث الأول ذكر ابن عدي في «الكامل» أبا إسماعيل الكوفي، ونسب إلى ابن حماد القول بأنه

(١) كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم: ٤٦٠.

(٢) قام الألباني بتحقيق هذا الكتاب، وطبع عام ١٤١٣ هـ ونشره المكتب الإسلامي في لبنان.

متروك، وإلى النسائي بأنه ضعيف<sup>(١)</sup>.

وقد حكموا بضعف الحديث الثاني لوجود سوار بن مصعب، وهو منكر الحديث كما نصّ عليه البخاري<sup>(٢)</sup> والنسائي<sup>(٣)</sup>.

كما حكم العقيلي في كتابه الضعفاء الكبير بضعف الحديث الثالث، وذلك لأنّ محمّد بن إسماعيل ضعيف<sup>(٤)</sup>.

وأما الحديث الرابع ففي سنده محمّد بن أسعد الثعلبي، وهو منكر الحديث كما نصّ على ذلك العقيلي<sup>(٥)</sup> والرازي<sup>(٦)</sup>.

فهذه هي الأحاديث التي استدل بها صاحب الرأي الأوّل لإثبات أنّ هذا المصطلح والإطلاق مستخدم منذ عهدہ ﷺ.

والملاحظ في هذه الروايات أنّها جميعاً ضعيفة الإسناد، بل في روايتها إمّا كذب أو متروك بحيث لا يمكنها أن تصل حتّى إلى رتبة الحسن لغيره، لذكر علّة الكذب أو الترك فيها.

وعلى هذا فلا دليل نقلي أو تاريخي يدلّ على هذا القول إلاّ هذه الروايات التي تبين أنّها في غاية الضعف.

ولابأس بأن نتعرّض إلى قراءة سريعة في متون هذه الأخبار الضعيفة سنداً لنلاحظ متنها ومدى تناسقه.

ففي الرواية الأولى إشارة إلى أنّهم يرفضون الإسلام، وظاهر هذه العبارة

(١) الكامل لابن عدي ٦: ٦٦.

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ٢: ١٥٢.

(٣) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي: ١٨٧.

(٤) ضعفاء العقيلي ١: ٢٨٥.

(٥) ضعفاء العقيلي ٤: ٣٠.

(٦) الجرح والتعديل للرازي ٧: ٢٠٨.

أنهم ينكرون الشهادتين، وهذا ارتداد ورجوع عن الدين، إلا أن علماء الفرق والمذاهب لم يذكروا فرقة باسم الرافضة أنكرت الإسلام وارتدت عن الدين، فممتنها لا وجود لمصداقه خارجاً.

وأما الرواية الثانية فإنها فرقت أولاً بين طائفتين، طائفة تتبع الإمام علي عليه السلام وهؤلاء مبشرون بالجنة، وهناك من يدعي أنه يحب الإمام علي عليه السلام ولكنهم كذابون لأنهم يرفضون الإسلام ولا يقبلون به، ودليل ذلك عدم حضورهم الجمعة والجماعة وطعنهم على السلف، والملاحظ على هذه الرواية أن الإسلام لا يتقوم بهذه الأمور الثلاثة، فهذا حاطب بن بلتعة، منع الزكاة وترك حضور الجمعة والجماعة مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، إلا أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يكفره ولم يخرج منه من الدين<sup>(١)</sup>.

وبذلك يتضح أن لا مبرر لجعل هؤلاء من الخارجين عن الدين.

الرأي الثاني: أن منشأ استعمال كلمة «الرافضة» كان في القرن الثاني الهجري وتحديدًا عندما ثار زيد الشهيد ضد هشام بن عبد الملك، واختلف معه بعض أهل الكوفة فسماهم الرافضة.

فقد جاء في مسند زيد بن علي: (وفي تاريخ الياقيني: لما خرج زيد أخته طائفة كبيرة، قالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك.

فقال: لا أتبرأ منهما.

فقالوا: إذن نرفضك. قال: اذهبوا فأنتم الرافضة، فمن ذلك الوقت سموا

رافضة)<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: المعجم الكبير ٨: ٢١٨، الأحاديث الطوال للطبراني: ٥٣ تخريج الأحاديث والآثار

للزيلعي ٢: ٨٥، وفيض القدير للمناوي ٤: ٦٨٨.

(٢) مسند زيد بن علي: ١١.

وذهب إلى هذا الرأي بعض المحدثين والمؤرخين ومنهم ابن قتيبة والطبري والشهرستاني والنووي وابن كثير وابن خلدون<sup>(١)</sup> وغيرهم. إلا أن هذا القول لم يستند إلى دليل قوي، فالرواية منقولة عن زيد الشهيد، ولم تثبت بسندٍ معتبر أو نقل يمكن الركون إليه.

يقول الشهيد نور الله التستري في الصوارم المهركة: (وأما ما ذكره من أن الشيعة الذين حضروا له قالوا له: ابرأ من الشيخين، إلى آخره فكذب محض، لأن الشيعة لو لم يعلموا علماً قطعياً بأن زيداً عليه السلام على ما عليه آباءه عليهم السلام من فساد حال الشيخين لما حضروا إليه من أول الأمر، ولما اغتروا بإظهار تبريه لهما أيضاً لتجويزهم أعماله للتورية حينئذٍ، وإنما توهم المخالف ذلك من حال زيد عليه السلام ومقاله من قول بعضهم لزيد عند اضطراره إلى الحرب مع قلة الأنصار: أين أبو بكر وعمر؟ يعني لو كانا خليفة في هذا الزمان لما اضطر زيد إلى ذلك، فقال عليه السلام: هما أقاماني هذا المقام، فتوهم بعض من سمع ذلك أن مراده عليه السلام عدم التبري منهما، وصار سبب فقد أنصاره من الشيعة.

وليس كذلك، بل كان مراده أن غضبهما الخلافة عن آباءه عليهم السلام وحملهما الناس على رقاب آل محمد عليهم السلام أو جب إذلال زيد وسائر أولادهم<sup>(٢)</sup>. ثم إن هذه الحادثة وردت في أخبار الشيعة لكن بصورة تختلف عما نقلوها، بل في بعض الأخبار أنه أجاب بما أجاب به جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: (قل فيهما ما قال علي: كف كما كف، لا تجاوز قوله)<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع: غريب الحديث لابن قتيبة ١: ٦٠، تاريخ الطبري ٥: ٤٩٨، الملل والنحل للشهرستاني ١: ٣٠، شرح مسلم للنووي ١: ١٠٣، البداية والنهاية لابن كثير ٩: ٣٦١، وتاريخ ابن خلدون ١: ١٩٨.  
(٢) راجع: الصوارم المهركة: ٢٤٢.  
(٣) تقريب المعارف للحلي: ٢٥٠.

كما روي عن العباس بن الوليد أنّ زيد بن علي سئل عن أبي بكر وعمر فلم يجب فيهما، فلما أصابته الرمية نزع الرمح من وجهه واستقبل الدم بيده حتى صار كأنه كبد، فقال: أين السائل عن أبي بكر وعمر؟ هما والله شركاء في هذا الدم، ثم رمى به وراء ظهره<sup>(١)</sup>.

ولا يبعد من المحرّفين والمُدسّسين إضافة ذلك النصّ؛ لأنّ عاداتهم الدائمة هي التشنيع على المخالفين، وقد فهم بشتّى التهم والافتراءات، وليس هذا أشنع من تحريفهم لما ورد في حق علي عليه السلام، فهم لحفظ كرامة أبي بكر وعمر ولتغطية إغضابهما للزهران عليه السلام وضعوا رواية في أنّ علياً عليه السلام أغضب الزهران عليه السلام بخطبته لبنت أبي جهل عدو الله في حياة أبيها.

وقد روى هذا الخبر عن المسوّر بن مخرمة، إمّا صناعة منه أو وضع على لسانه، إذ أنّه كان ممن يستغفر لمعاوية بن أبي سفيان ويترضى عليه، فقد جاء في تاريخ بغداد: (قال عروة: فلم نسمع المسور بعد ذلك يذكر معاوية إلاّ استغفر له)<sup>(٢)</sup>. والمسوّر هذا كان عمره يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله ثمان سنين<sup>(٣)</sup>، وبهذا يبعد أن يكون هو الراوي للخبر عن النبي صلى الله عليه وآله زمن حياته.

وقد ذكر الذهبي في ترجمته عدّة أمور، منها أنّه ولد بعد الهجرة بسنتين، وكان يلزم عمر بن الخطاب ويحفظ عنه، وأنّه ذهب إلى معاوية يطلب النجدة منه لعثمان بن عفان، وكان كلّما ذكر معاوية صلى عليه، كما أنّه كان مع ابن الزبير حينما ضربت مكة بالمنجنيق، ولم يقطع ابن الزبير أمراً دون مشورته، وأنّ الخوارج كانت تغشاه وتعظمه وينتحلون رأيه<sup>(٤)</sup>.

(١) تقريب المعارف للحلي: ٢٥٠.

(٢) تاريخ بغداد ١: ٢٢٣.

(٣) ذكر ذلك التستري في قاموس الرجال ١٠: ٧٧.

(٤) راجع: تاريخ الإسلام ٥: ٢٤٦.

وقد روى هذه الرواية البخاري وأخرجها في صحيحه أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى عند أهل السنة، مع ما في راويها من الطامات والهيات إلا أن أئمة الصحبة جعلته بمنزلة رفيدة تقبل منه أمثال هذه الأوهام والافتراءات. وقد جاءت هذه الرواية أيضاً في كتب الشيعة إلا أن بينهما بوناً شاسعاً، فقد جاء في علل الشرائع: أن شقيماً جاء إلى فاطمة عليها السلام وأخبرها كذباً أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب بنت أبي جهل، فكذبه الإمام علي عليه السلام وبين أنه مغتر لا يؤخذ بكلامه<sup>(١)</sup>.

الرأي الثالث: إن الرفض مصطلح سياسي استخدمه الساسة في أول الأمر ثم انتقل إلى كتب المحدثين، فأول ظهوره كان من القصور وأرباب المنافع، ثم انتقل إلى علم الحديث، وتوسّع بإطلاقه توسعاً شاسعاً، ويطلعنا نصر بن مزاحم المنقري في كتابه وقعة صفين برسالة يبعث بها معاوية إلى عمرو بن العاص يذكر فيها هذا الأمر، فيقول: (أما بعد؛ فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني)<sup>(٢)</sup>.

الحديث ناقص وكامله لا يدل على المدعى:

فهو مصطلح استخدمه الحكام لكل من يعارض حكوماتهم وسياساتهم فكانوا يقذفون من يرفضهم بشتى التهم المنفرة والألفاظ النابية، لإظهارهم بمظهر مخرب ومسيء داخل المجتمع، ولإبعاد الآخرين عنهم وحجب صورتهم وصوتهم من الوصول إلى أعين وأسماع الناس، فكانوا يصوّرونهم كرافضي الدين إذا كان المجتمع مجتمعاً دينياً، ومارقين عن القانون إذا كان المجتمع قانونياً.

(١) علل الشرائع ١: ١٨٥.

(٢) وقعة صفين: ٣٤.



وهكذا كان يستخدم الحاكم شتى الطرق ومختلف الأساليب للوصول إلى غايته وهدفه، وهو البقاء على ملكه وسلطته على الآخرين، ومحاربة أي شخص يحاول المساس بها أو الدنو منه، فضلاً عنّ يظعن فيه ويراه فاسداً وغير صالح لقيادة الأمة والمجتمع أساساً.

ومن ثمّ انتقل هذا المصطلح إلى السنة الفقهاء والمحدثين، لأنّ الحاكم والفقهاء كانا في بداية العهود الإسلامية على وفاق، إذ الحاكم يريد شرعية لحكمه من الفقهاء والعلماء الذين يوجبون طاعته مهما كان، والفقهاء يريد العيش والسمة والسمة عند الآخرين، فتوافق الاثنان وإن اختلفا في الهدف، ووجد أحدهم الآخر حافظاً وموصلاً إلى غايته المتوخاة، فدخل المصطلح شيئاً فشيئاً إلى بطون الأخبار واصطبغ بالصبغة الشرعية بعدما استخدمه الفقهاء المحدثون، وقد أدّى هذا الأمر إلى خلق مشكلة أخرى، وهي عدم انضباط معنى «الرفض» عند العلماء، حيث استخدم في أول الأمر ضمن دائرة معيّنة، ومن ثمّ أخذ يتوسع ويطلق من دون قيود وشروط.

### معنى الرفض عند المحدثين والفقهاء:

مع مراجعة كلمات المحدثين يتوصل الباحث إلى أنّهم استخدموا لفظ «الرافضة» في معنى وفرقة معيّنة، وهم الخطابية أصحاب محمد بن مقلاص أبي زينب، الذي كان يتظاهر - مع أتباعه - بالوهية الإمام الصادق عليه السلام، وكانت تعتقد هذه الفرقة أنّ أبا الخطاب نبيّ مرسل أمر الإمام الصادق عليه السلام بطاعته، كما أنّهم يقولون بحلية المحارم جميعها، وأنّ الشريعة قد رفعت، ويؤمنون بالتناسخ، ويعتقدون أنّ الأئمة هم الآلهة، إلى غير ذلك من الأمور والمعتقدات الفاسدة. وقد ورد ذمهم والبراءة منهم في كلمات الإمام الصادق عليه السلام حتّى قال فيهم:

(إنّ فيهم من يكذب حتّى إنّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه)<sup>(١)</sup>.

وغير ذلك من الروايات المتواترة في ذم أبي زينب وأصحابه وفساد معتقدهم.

ومن معتقداتهم الهدامة أنّهم يجوّزون الكذب لأصحابهم إذا كان لنصرة خطابي آخر والشهادة زوراً له، فلذلك حينما ذكر المحدثون الرافضة وعدم جواز الأخذ عنهم علّوا ذلك بشهادتهم الزور، فقد جاء في معرفة الثقات للعجلي: سئل مالك عن الرافضة؟ قال: لا تكلمهم ولا ترو عنهم، فإنّهم يكذبون<sup>(٢)</sup>.

وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: لم أر أشهد بالزور من الرافضة<sup>(٣)</sup>.

وقال يزيد بن هارون: يُكتب عن كلّ صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلاّ الرافضة، فإنّهم يكذبون<sup>(٤)</sup>.

وفي كتاب فتح الملك العلي للمحدث الصديق الغماري: (قال شريك: أحمل العلم عن كلّ من لقيت إلاّ الرافضة، فإنّهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً).

ثمّ قال: (ثمّ هم غير موجودين في أسانيد الأخبار المخرجة في دواوين أهل السنة إلاّ على سبيل القلة والندرة، وإثما الموجود فيها أهل التشيع بغلو أو بلا غلو، كما سبق عن الذهبي)<sup>(٥)</sup>.

ففرّق «الصديق الغماري» بين الرافضة وبين الشيعة، وأنكر وجود الرافضة في أخبار وأسانيد أهل السنة، والموجودون هم الشيعة فقط، وبالفعل فإن كتب

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٨٧.

(٢) معرفة الثقات للعجلي ١: ١٠٦.

(٣) ميزان الاعتدال ١: ٢٨ ولسان الميزان ١: ١٠.

(٤) نفس المصدران.

(٥) فتح الملك العلي: ٩١.

السنة فيها الكثير من الأسانيد الشيعية مما يدلّ على تفرقتهم بين الشيعة وبين الرافضة.

وفي حاشية إعانة الطالبين: (قال الكردي: الرافضة والشيعة والزيدية متقاربون. ثمّ قال: قال في المواقف: الشيعة اثنا وعشرون فرقة)<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن قتيبة في المعارف فرق الرافضة ولم يذكر فيها الشيعة، بل ذكر منهم الخطابية، فقال: (هم ينسبون إلى أبي الخطاب، ولا أدري ممن هو غير أنّه كان يأمر أصحابه أن يشهدوا على من خالفهم بالزور في الأموال والدماء والفروج، وقال: إنّ دماءهم ونساءهم لكم حلال)<sup>(٢)</sup>.

وقال الخصري في أصول الفقه: (أمّا المبتدعون ببدع غير مكفّرة فأكثرهم على هذا القول بقبول رواياتهم، وهو المعقول ماداموا لا يدينون بالكذب، ولا نظنّ أنّ هذا معتقد لأيّ طائفة من المسلمين، وإنّ نسب إلى الخطابية أنّهم يدينون بالشهادة لمن يوافقهم في الاعتقاد)<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا المنطلق حكم أئمة الفرق بعدم قبول شهادة الرافضة الخطابية، لأنّ معتقدهم جواز الكذب وشهادة الزور، قال في جواهر العقود: (قال أبو حنيفة والشافعي: تقبل شهادتهم - أي أهل الأهواء - إذا كانوا متجنّبين الكذب إلا الخطابية من الرافضة، فإنّهم يصدّقون من حلف عندهم أنّ له على فلان كذا، فيشهدون له بذلك)<sup>(٤)</sup>.

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة أبان بن تغلب بعد أن ذكر

(١) راجع: إعانة الطالبين ٢: ١١.

(٢) المعارف: ٦٢٣.

(٣) نقله عنه محمّد جواد مغنّية في «الشيعة في الميزان»: ٨٥.

(٤) جواهر العقود ٢: ٣٥٤.

توثيق الأئمة له: (كيف ساع توثيق مبتدع، وحد الثقة: العدالة والإتقان، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟

وجوابه: إن البدعة على ضربين؛ فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحريف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بيّنة<sup>(١)</sup>.

فحكم على أبان بأنه شيعي وليس برافضي، فلذلك يُقبل قوله وتُقبل روايته. كما ذكر أنّ هؤلاء كثيرون، ولا يمكن رد آثارهم لأنّه يلزم منه ردّ جملة كبيرة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة لا يمكن الالتزام بها، فهم ليسوا روافض، لأن الروافض يكذبون ويبيحون الكذب، فلا يقال في حقهم أنّ ردّ أحاديثهم يلزم منه ردّ جملة من الآثار النبوية، بل العكس صحيح ففي الأخذ بآثارهم مفسدة لأنّهم كذّابون.

ومما يشهد على عدم شمول مصطلح الرفض لشيعة علي عليه السلام، وأنّ الخطابية هم الروافض وهم المقصودون في كلام المحدثين ما ذكروه حول عباد بن يعقوب الرواجني، قال الذهبي في ترجمته: الشيخ العالم الصدوق محدّث الشيعة أبو سعيد عباد بن يعقوب الأسدي الرواجني المبتدع<sup>(٢)</sup>.

كما روى عنه البخاري حديثاً قرن فيه معه آخر<sup>(٣)</sup>، وأحمد<sup>(٤)</sup> والترمذي<sup>(٥)</sup>

(١) ميزان الاعتدال ١: ٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١: ٥٣٦.

(٣) صحيح البخاري ٨: ٢١٢.

(٤) مسند أحمد ١: ١٥٦.

(٥) سنن الترمذي ٢: ١٠، ٣: ٣٣٦.

وابن ماجة<sup>(١)</sup> وابن خزيمة<sup>(٢)</sup> والحاكم<sup>(٣)</sup> والبيهقي<sup>(٤)</sup> وابن عبد البر<sup>(٥)</sup> وآخرون.  
وقال الحاكم: كان ابن خزيمة يقول: حدثنا الثقة في روايته المتهم في دينه  
عباد بن يعقوب، وقال ابن عدي: فيه غلو في التشيع<sup>(٦)</sup>.  
وروى عبادان عن ثقة أن عباداً كان يشتم السلف<sup>(٧)</sup>.  
وروى علي بن محمد الحبيبي عن صالح جزرة، قال: كان عباد يشتم  
عثمان، وسمعه يقول: الله أعدل من أن يدخل طلحة والزبير الجنة قاتلاً علياً بعد  
أن بايعاه<sup>(٨)</sup>.  
وقال ابن جرير: سمعته يقول: من لم يبرأ في صلاته كُـلَّ يوم من أعداء آل  
محمد حشره الله معهم<sup>(٩)</sup>.  
وقال محمد بن المظفر الحافظ: حدثنا القاسم المطرز، قال: دخلت على  
عباد بالكوفة وكان يمتحن الطلبة، فقال: من حفر البحر؟ قلت: الله. قال: هو كذلك،  
ولكن من حفر؟  
قلت: يذكر الشيخ. قال: حفره علي.  
فمن أجراه؟ قلت: الله. قال: هو كذلك، ولكن من أجراه؟ قلت: يفيدني  
الشيخ.

(١) سنن ابن ماجة ١: ٤٧١.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢: ٣٧٦.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ١: ٩٢.

(٤) السنن الكبرى ٤: ٣٥١.

(٥) الاستذکار ٧: ١٠١، والاستيعاب ٣: ١١١٧.

(٦) تهذيب الكمال للمزي ١٤: ١٧٧، سير أعلام النبلاء ١١: ٥٣٧، تهذيب التهذيب ٥: ٩٥.

(٧) راجع: الكامل لابن عدي ٤: ٣٤٨، سير أعلام النبلاء ١١: ٥٣٧.

(٨) سير أعلام النبلاء ١١: ٥٣٧.

(٩) تاريخ الإسلام ١٨: ٣٠٣.

قال: أجراه الحسين، وكان ضريراً، فرأيت سيفاً وجحفة، فقلت: لمن هذا؟  
قال: أعدده لأقاتل به مع المهدي.. إسنادها صحيح... وما اعتقده يتعمد الكذب  
أبدأ<sup>(١)</sup>.

ففي عبّاد كلّ صفات التشيع القائم ومع ذلك لم يتهم بالرفض، بل وثّقه  
واخرج له أمثال البخاري الذي لم يخرج لجعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، ممّا يدل  
على أنّ المقصود من الرفض هو الكذب، وهو ما اتّصف به أتباع أبي الخطاب؛ لأنّ  
أمثال عباد في كتب وأخبار السنة كثيرين، ومع ذلك أخرجوا لهم وأخذوا  
برواياتهم وأخبارهم في أصح الكتب عندهم.

فمن المرجّح - إذن - أن مصطلح الرفض وليد السياسة وربيبها، ودخل كتب  
المحدّثين والرواة، وأطلقوه على فرقة ضالة منحرفة تسمى الخطائية أصحاب  
محمد بن مقلّص أبي زينب المعاصر للإمام الصادق عليه السلام.

### المذهب الشيعي مذهب الفطرة النقية:

إنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام مذهب يرفض جميع أنواع الظلم والطغيان في  
المجتمعات البشرية، ويعتقد أن لا يمكن لمذهب يدّعي الحقانية أن يستسلم أمام  
الطغاة والظالمين، وأن «عبد الرحمن» هو من الذين رفضوا الظلم والطغيان  
والجهل والعناد وأدركوا حقيقة مذهب أهل البيت عليهم السلام بفطرتهم النقية وتقبّلوا أدلّتها  
بعقلهم السليم<sup>(٢)</sup> فهنيئاً لهم الانتماء لمذهب أهل البيت عليهم السلام الذين من عرفهم عرف  
الله، ومن جهلهم جهل الله، ومن أحبهم أحب الله<sup>(٣)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ١١: ٥٣٨.

(٢) نقلاً عن برنامج «تولدي دوباره»، أي: الولادة ثانية.

(٣) مقتبس من زيارات الأئمة عليهم السلام، راجع: الكافي ٤: ٥٧٩.

(٩) عبد الكريم باسيل  
(مسيحي / فرنسا)

ولد في أسرة فرنسية ملتزمة بتعاليم الديانة المسيحية، وترعرع في أحضانها إلى أن وصل سن الرشد والبلوغ الفكري، فأرشده حبّ الاطلاع على الحقيقة أن يترك الاتّباع الأعمى لموروث الآباء والأجداد، ويبدأ بدراسة الأسس الفكرية التي بنى عليها رؤيته الكونية، لكي يتحرّر من قيود التقليد والتبعية، ويشعر بلذّة إدراك الحقيقة، ويطمئن قلبه بالإيمان الذي ينتهي بالإنسان إلى السعادة الأبدية.

تأثير واقعة الطف على حركة الاستبصار:

لم يسلم التاريخ الإسلامي بصورة عامة من أيدي التحريف والتزييف، ولكنّه احتوى على صفحات مشرقة، نقلت لنا وقائع وحوادث تكشف عن الحقائق التي غيّبت من قبل الأقلام والأفواه المأجورة؛ لأنّها حقائق وصلت إلى درجة من الشهرة والتواتر، بحيث لا يتمكن أيّ أحدٍ من إنكارها والتقليل من آثارها الفردية والاجتماعية.

إنّ واقعة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام والحوادث التي وقعت على أرض الطفّ، من أبرز تلك الأحداث في التاريخ الإسلامي، فمازلنا نرى تأثيرها الواسع والعميق في مجال تبين أحقيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

يقول المستبصر إدريس الحسيني في كتابه (لقد شيعني الحسين):  
«ما إن خلصت من قراءة (مذبحة) كربلاء، بتفاصيلها المأساوية، حتى قامت  
كربلاء في نفسي وفكري، من هنا بدأت نقطة الثورة، الثورة على كل مفاهيمي  
ومسلّماتي الموروثة، ثورة الحسين داخل روحي وعقلي»<sup>(١)</sup>.

ويقول المستبصر صائب عبد الحميد في كتابه (منهج في الانتماء المذهبي):  
«مع الحسين - مصباح الهدى - كانت البداية، ومع الحسين - سفينة النجاة -  
كان الشروع، بداية لم أقصدها أنا، وإنما هي التي قصدتني، فوفقني الله لحسن  
استقبالها، وأخذ بيدي إلى عتباتها...»<sup>(٢)</sup>.

وإنّ «عبد الكريم باسيل» هو الآخر الذي وفقه الله عزّ وجلّ للالتحاق  
بالركب الحسيني في سفينة النجاة، والاستضاءة بنور سيّد الشهداء عليه السلام.

إنّه عهد مع ربّه أن لا يترك هذه العُلقة المعنوية مع سيّده ومولاه، فأصبح من  
الذين يعيشون كربلاء وعاشوراء في كلّ لحظاتهم، ولذا أخذوا على عاتقهم مهمّة  
الخدمة الحسينية وتشرفوا بإقامة الشعائر وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، فلم يزل  
«عبد الكريم» مع عدّة من الشباب المستبصرين ملتزمين بإقامة المجالس  
الحسينية، ومنها مجالس قراءة زيارة عاشوراء ونقل قصّة استشهاد سيّد  
الشهداء عليه السلام باللغة الفرنسية.

إن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - المعروفة باسم زيارة  
عاشوراء - يمكن عدّها من أهم زيارات الأئمة الطاهرين عليهم السلام؛ لاشتمالها على  
مضامين تكشف عن الظلم الواقع على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل الذين  
ورثوا الخلافة المغتصبة من أسلافهم، الذين قتلوا إمامهم وهو ابن نبيّهم، وأحرقوا

(١) لقد شيعني الحسين: ٣١٣.

(٢) منهج في الانتماء المذهبي: ٣١.



خيام آل الرسول ﷺ، وأسروا النساء والأطفال من ذرية الزهراء البتول ؑ، إنها مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام، فلعن الله من ظلم، ولعن الله من سمع بذلك فرضي به، ولعن الله أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد ؑ.

### دراسة في سند زيارة عاشوراء:

إن زيارة سيد الشهداء في العاشر من محرم وردت بخمس طرق رواها شيخ الطائفة بطرق ثلاثة، غير أن السند الأول يختص ببيان ثواب الزيارة دون النص المعروف، والأخيرين طريقتان لنفس النص، ويعلم ذلك بالإمعان في ما نقله الشيخ في هذا المضمار.

ورواها ابن قولويه بطريقتين، فتكون الطرق إليها خمسة، ونذكر هنا هذه الأسانيد بنصها وتحليلها:

#### قال الشيخ الطوسي:

روى محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن أبي جعفر ؑ، قال: «من زار الحسين بن علي ؑ في يوم عاشوراء من محرم الحرام حتى يظلّ عنده باكياً، لقي الله عزّ وجلّ يوم يلقاه بثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة، ثواب كلّ غزوة وحجة وعمرة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول الله ﷺ ومع الأئمة الراشدين».

قال: قلت: جعلت فداك، فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه ولم يمكنه

المصير إليه في ذلك اليوم؟

قال: «إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأوماً إليه بالسلام، واجتهد في الدعاء على قاتله، وصلى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثم ليندب الحسين ؑ ويبيكيه، ويأمر من في

داره ممّن لا يتقيّة بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعزّ بعضهم بعضاً بمصائبهم بالحسين عليه السلام، وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك».

قلت: جعلت فداك، أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟!!

قال: «أنا الضامن وأنا الزعيم لمن فعل ذلك».

قلت: فكيف يُعزّي بعضنا بعضاً؟

قال: «تقولون: أعظم الله أجورنا بمصائبنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام، وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس لا تُقضى فيه حاجة مؤمن، فإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير فيها رشداً، ولا يدّخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً، فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادّخره، ولم يبارك له في أهله، فإذا فعلوا ذلك كتب الله تعالى لهم ثواب ألف حجّة وألف عمرة وألف غزوة كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان له أجر وثواب مصيبة كلّ نبيّ ورسول ووصيّ وصدّيق وشهيد مات أو قتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة»<sup>(١)</sup>.

إلى هنا تمّ سند الشيخ في بيان ثواب زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، دون أن يذكر فيه نصّ خاص للزيارة، بل اقتصر الرواية في نيل الثواب على ما جاء في الرواية من البروز إلى الصحراء أو الصعود إلى السطح المرتفع والإيماء إليه بالسلام والاجتهاد في الدعاء على قاتله... إلى آخر ما جاء في الرواية، وليس فيها أيّ أثر من الزيارة الخاصة التي نحن بصدد تقويم سندها.

وإليك دراسة سندها:

إنّ الشيخ أخذ الرواية من كتاب محمّد بن إسماعيل بن بزيع، ونقل سنده إلى كتابه في الفهرست بالنحو التالي: ابن أبي جيد، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن

(١) مصباح المتهدّد: ٧٧٣.

علي بن إبراهيم، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع<sup>(١)</sup>.  
وعلى هذا فالشيخ يروي ثواب زيارة الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء عن  
المشايع التالية:

ابن أبي جيد، محمد بن الحسن بن الوليد، علي بن إبراهيم، محمد بن الحسن  
بن الوليد. علي بن إبراهيم. محمد بن إسماعيل بن بزيع. صالح بن عقبة. عقبة بن  
قيس. عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وإليك دراسة أحوالهم:

محمد بن الحسن بن الوليد:

المتوفى عام ٣٤٣هـ، من مشايخ الطائفة وأجلاتها، غني عن الوصف  
والبيان، ويصدر عنه الشيخ الصدوق في التعديل والتجريح، توفي سنة ٣٤٣هـ.

علي بن إبراهيم القمي:

شيخ الكليني، الذي كان حياً عام ٣٠٧هـ، وهو من مشايخ الطائفة الذين لا  
يُشَقُّ غبارهم.

محمد بن إسماعيل بن بزيع:

من أصحاب أبي الحسن الأول والرضا والجواد عليهم السلام.

يقول الشيخ في رجاله: ثقة صحيح كوفي<sup>(٢)</sup>.

ويقول النجاشي: من صالحى هذه الطائفة وثقاتهم، كثير العمل<sup>(٣)</sup>.

صالح بن عقبة:

ذكره النجاشي بقوله: صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي رييحة.

(١) الفهرست: ٢١٥ باب محمد: برقم ٦٠٥.

(٢) رجال الطوسي ٣٦٤، أصحاب الرضا عليه السلام حرف الميم، الرقم (٦).

(٣) رجال النجاشي: ٣٣٠، برقم ٨٩٣.

روى عن أبيه عن جدّه، وروى عن زيد الشحام.  
روى عنه: محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، وابنه إسماعيل بن صالح بن  
عقبة<sup>(١)</sup>.

وليس المراد منه صالح بن عقبة بن خالد الأسدي؛ وذلك لأنّ محمد بن  
إسماعيل بن بزيع يروي عنه بواسطة محمد بن أيوب كما يظهر من طريق النجاشي  
إلى كتاب خالد الأسدي؛ إذ قال - بعد ذكر عدّة من المشايخ: عن محمد بن  
إسماعيل بن بزيع، عن محمد بن أيوب، عن صالح بن عقبة بن خالد الأسدي<sup>(٢)</sup>.  
كما أنّ الشيخ اقتصر على ذكر شخص واحد، وقال: صالح بن عقبة له كتاب،  
أخبرنا به ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفار محمد بن الحسين، عن محمد  
ابن إسماعيل بن بزيع، عنه<sup>(٣)</sup>.

ومراده هو: صالح بن عقبة بن قيس، لا خالد الأسدي.

فما احتمله المحقق التستري رحمته الله<sup>(٤)</sup> ليس في محله.

إذا ظهر ذلك فاعلم: أنّ الضابطة في كلّ ما يذكره النجاشي هو أنّه إمامي، فلو  
كان غير إمامي لتعرض إلى مذهب، كما أنّه لو كان قدح فيه لذكره.

وعلى ذلك بنى جمع من علمائنا الرجاليين كالسيد بحر العلوم  
الطباطبائي رحمته الله في الفائدة العاشرة من فوائده الرجاليه<sup>(٥)</sup>، فذهب إلى أنّ جميع من  
ذكره الطوسي والنجاشي في كتابيهما من الشيعة الإمامية صحيح المذهب، ممدوح  
بمدح عام يقتضيه الوضع؛ لذكر المصنّفين العلماء والاعتناء بشأنهم وشأن كتبهم،

(١) رجال النجاشي: ٢٠٠، برقم ٥٣٢.

(٢) رجال النجاشي: ١٩٣، برقم ٥٣٤.

(٣) الفهرست: ١٤٦، برقم ٣٦٢.

(٤) قاموس الرجال ٥: ٤٦٥، برقم ٣٦٣٣.

(٥) الفوائد الرجالية ٤: ١١٤.

وذكر الطريق إليهم، وذكر من روى عنهم ومن روى عنه، إلا من نص فيه على خلاف ذلك من الرجال، كالزيدية والفضحية والواقفية وغيرهم، وعلى ضوء ذلك فهو إمامي ممدوح بمدح عام، والذي جاء سبباً لذكره في الكتب. هذا من جانب، ومن جانب آخر يروي عنه شيخان عظيمان من مشايخ الشيعة الكبار هما: محمد ابن الحسين بن أبي الخطاب (المتوفى عام ٢٦٢هـ)، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع من كبار مشايخ الشيعة.

نعم، ضعفه ابن الغضائري، كما نقله العلامة في «خلاصته» وقال: غالٍ، كذاب لا يلتفت إليه<sup>(١)</sup>، ولكن ذم الغضائري لا يعتد به؛ لأنه قدح كثيراً من ثقافتنا وعلمائنا الذين لا يشقّ غبارهم، وقد كان له عقائد خاصة في حق الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فمن تجاوز عنها وصفه بالغلو، ومن روى رواية في ذلك الموضوع لا توافق عقيدته وصفه بالكذب، ولذلك رتب في كلامه على كونه غالباً، قوله: كذاباً لا يلتفت إليه، وهذا دليل على أن وصفه بالكذب، لتوهم الغلو فيه.

وكيف يمكن أن يوصف بالغلو والكذب من هو من مشايخ محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، أو محمد بن إسماعيل بن بزيع، الذي ذكر عند الرضا عليه السلام فقال: «وددت أن فيكم مثله»، ومن اعتنى بذكره وذكر كتابه الشيخان النجاشي والطوسي، فوثاقته قويّة وروايته معتبرة.

عقبة بن قيس بن سمعان:

عنونه الشيخ في رجاله وعدّه من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام<sup>(٢)</sup>، وكونه من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام يدلّ على أنه إمامي ولم يظفر الشيخ بشيء من الذم فيه. إلى هنا تمت دراسة السند الأوّل للشيخ إلى بيان ثواب زيارة الحسين عليه السلام

(١) خلاصة الاقوال للعلامة الحلبي، القسم الثاني: ٣٦٠.

(٢) رجال الشيخ الطوسي: ١٤٢، أصحاب الإمام الباقر (ع).

في يوم عاشوراء.

والسند لا بأس به، وهو من الحسن، بمعنى الممدوح بالمدح العام لا الممدوح بالمدح الخاص.

المهم في المقام هو دراسة سند الشيخ إلى نصّ الزيارة، قال عليه السلام:

صالح بن عقبة، وسيف بن عميرة، قال علقمة بن محمّد الحضرمي: قلت لأبي جعفر عليه السلام: علمني دعاء أدعوه به ذلك اليوم إذا أنا زرتك من قرب، ودعاء أدعوه به إذا لم أزره من قرب وأومات من بعد البلاد، من داري بالسلام إليه.

قال: فقال لي: «يا علقمة! إذا أنت صليت الركعتين بعد أن توميء إليه بالسلام فقل عند الإيماء إليه من بعد التكبير هذا القول، فإنك إذا قلت ذلك فقد دعوت بما يدعوه زواره من الملائكة، وكتب الله لك مائة ألف درجة، وكنت كمن استشهد مع الحسين عليه السلام حتى تشاركهم في درجاتهم، ثم لا تُعرف إلا مع الشهداء الذين استشهدوا معه، وكتب لك ثواب زيارة كل نبي وكل رسول، وزيارة كل من زار الحسين عليه السلام منذ يوم قتل عليه السلام وعلى أهل بيته» والزيارة هي: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين وابن سيّد الوصيين، السلام عليك يا بن فاطمة سيّدة نساء العالمين...»

ثم قال - بعد السلام مرّة واللعن مرة - : ثمّ تسجد وتقول:

«اللهمّ لك الحمد، حمد الشاكرين لك على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيتي، اللهمّ ارزقني شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود، وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام».

قال علقمة: قال أبو جعفر عليه السلام: «وإن استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه

الزيارة من دارك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك»<sup>(١)</sup>.

إلى هنا تمت زيارة عاشوراء سنداً وامتناً. وإليك دراسة السند، فنقول: سياق العبارة ظاهر في أنّ الشيخ أخذ الرواية من كتاب محمد بن إسماعيل بن بزيع الذي لا كلام في وثاقته، إنّما الكلام في من يروي هو عنه، فقد روى محمد بن إسماعيل نصّ الزيارة بالسند التالي:

أ - صالح بن عقبة وسيف بن عميرة:

أمّا صالح بن عقبة، فقد تقدمت ترجمته وقد عرفت أنّه في الكتب الرجالية إمامي ممدوح بالمدح العام لا الخاص، ولكن دلت القرائن على كونه مقبول الرواية، وأنّ ذمّ الغضائري لا يُعتدّ به، ومع افتراض عدم ثبوت وثاقته، لا يضرّ ذلك بصحّة السند؛ لأنّ محمد بن إسماعيل بن بزيع يروي نصّ الزيارة عن شخصين: أحدهما صالح بن عقبة والآخر سيف بن عميرة، والثاني ثقة بلا كلام.

قال النجاشي: سيف بن عميرة النخعي، عربي، كوفي ثقة، يروي عن أبي عبد الله وأبي الحسن، له كتاب يرويه عنه جماعات من أصحابنا<sup>(٢)</sup>.

وصرّح بوثاقته الشيخ في الفهرست<sup>(٣)</sup>.

فالرواية إلى هنا كلّهم ثقات.

ب - علقمة بن محمد الحضرمي:

عدّه الشيخ في رجاله في أصحاب الباقر<sup>(٤)</sup>، والصادق<sup>(٤)</sup> وليس في

(١) مصباح المنتهجد: ٧٧٣ - ٧٧٦.

(٢) رجال النجاشي: ١٨٩، برقم ٥٠٤.

(٣) الفهرست: ١٤٠، برقم ٣٣٣.

(٤) رجال الشيخ الطوسي: ١٤٠ و ٢٦٢، قسم أصحاب الإمام الباقر<sup>(٤)</sup>، برقم ٣٨، وقسم

أصحاب الإمام الصادق<sup>(٤)</sup>، برقم ٦٤١.

الكتب الرجالية تصريحاً بوثاقته، ولكن القرائن تدلّ على وثاقته:

١ - روى الكشي عن بكار بن أبي بكر الحضرمي، قال: دخل أبو بكر وعلقمة على زيد بن علي، وكان علقمة أكبر من أبي بكر، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وكان بلغهما أنه قال: «ليس الإمام منّا من أرخى عليه ستره، إنما الإمام من شهر سيفه».

فقال له أبو بكر - وكان أجراًهما - يا أبا الحسين! أخبرني عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أكان إماماً وهو مرخ عليه ستره أو لم يكن إماماً حتى خرج وشهر سيفه؟ وكان زيد يبصر الكلام، فسكت فلم يجبه، فردّ عليه الكلام ثلاث مرّات، كلّ ذلك لا يجيبه بشيء.

قال له أبو بكر: إن كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام إماماً فقد يجوز أن يكون بعده إمام مرخ ستره، وإن لم يكن إماماً وهو مرخ عليه ستره فأنت ما جاء بك هاهنا؟! فطلب علقمة من أبي بكر أن يكف عنه، فكف<sup>(١)</sup>.

والحديث يكشف عن أنّ الأخوين كانا على بصيرة من أمر الإمامة.

٢ - ما سيوافيك عند دراسة السند الثالث للشيخ، من أنّ سيف بن عميرة الثقة اعترض على صفوان بن مهران الثقة، بأنّ ما دعا به لم يرد في رواية العلقمي عن الباقر عليه السلام، واعتذر صفوان - بما سيوافيك في محله - بأنّه سمعه من الإمام الصادق عليه السلام عند زيارته لجده الحسين.

فلاحتجاج بعدم نقله، والجواب عنه بأنّه سمعه من الإمام الصادق عليه السلام، حاك عن تسليم الرجلين الثقتين بوثاقه علقمة بن محمد الحضرمي، وإلّا لما احتجّ به «سيف بن عميرة»، ولما أجاب عنه صفوان بالسماع عن الصادق عليه السلام.

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧١٤.



وبذلك يعلم: أنّ الدعاء الوارد بعد الزيارة ليس لعلقمة وإن اشتهر بأنه له، بل هو لصفوان بن مهران.

فخرجنا بالنتيجة التالية:

١ - سند الشيخ إلى كتاب محمد بن إسماعيل بن بزيع صحيح في «الفهرست».

٢ - أنّ محمد بن إسماعيل بن بزيع ثقة بالاتفاق.

٣ - أنّ سيف بن عميرة ثقة، صرح بذلك الشيخ النجاشي.

٤ - علقمة بن محمد الحضرمي ثقة حسب القرائن التي تمّ ذكرها.

إلى هنا تمّ السند الثاني، فلو قلنا بوثاقة - علقمة - كما هو الحقّ - فالسند صحيح - وإلا فهو حسن بالمدح العام.

السند الثالث إلى نص الزيارة:

إنّ للشيخ سنداً ثالثاً في «مصباح المتهدّد» إلى نصّ الزيارة تأتي بنصّه، قال الشيخ الطوسي: وروى محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمّال وعندنا جماعة من أصحابنا...

فلما فرغنا من الزيارة، صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله [الحسين] عليه السلام، فقال لنا:

تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان، من عند رأس أمير المؤمنين صلوات الله عليه، من هنا وأوماً إليه أبو عبد الله [الصادق] عليه السلام وأنا معه.

قال: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء، ثمّ صلّى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام، وودّع، في دبرهما أمير المؤمنين عليه السلام وأوماً إلى الحسين بالسلام منصرفاً بوجهه نحوه

وودّع وكان فيما دعاه في دبرها:

يا الله، يا الله، يا الله، يا مجيب دعوة المضطرين... [الدعاء المعروف بدعاء  
علقمة].

والرواية صريحة في أنّ صفوان زار الإمام الحسين عليه السلام بالزيارة التي رواها  
علقمة بن محمّد الحضرمي، وفي آخر الرواية قال: سيف بن عميرة فسألت  
صفوان: إنّ علقمة بن محمّد الحضرمي لم يأت بهذا (الدعاء) أعني: يا الله يا الله  
يا الله، يا مجيب دعوة المضطرين... وإنما أتانا بدعاء الزيارة (أي نصّ الزيارة).

فقال صفوان: وردت مع سيدي أبي عبد الله عليه السلام إلى هذا المكان ففعل مثل  
الذي فعلناه في زيارتنا ودعا بهذا الدعاء عند الوداع<sup>(١)</sup>.

فالاختلاف إنّما كان في الدعاء الذي يُقرأ بعد الزيارة بعد تسليم نصّها  
المعروف.

إنّ الشيخ أخذ الرواية من كتاب محمّد بن خالد الطيالسي، وذكر سنده إلى  
كتابه في «الفهرست»، وقال: له كتاب رويناها عن الحسين بن عبيد الله (الغضائري)،  
عن أحمد بن محمّد بن يحيى (شيخ الصدوق)، عن أبيه (محمّد بن يحيى العطار  
القمي)، عن محمّد بن علي بن محبوب، عنه<sup>(٢)</sup>.

وسنده إلى الكتاب صحيح، وأحمد بن محمّد بن يحيى من مشايخ الصدوق،  
وينقل عنه مع الترضي عليه، والمشايخ في غنى عن التوثيق.

إذا علمت ذلك فاعلم أنّ الحكم بصحة السند يتوقف على دراسة أحوال  
الرواة الواردين فيه وهم: محمّد بن خالد الطيالسي. سيف بن عميرة وصفوان بن

(١) مصباح المتهجد: ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٨١.

(٢) الفهرست: ١٢٨، رقم ٦٤٨.

مهران الجمال.

أمّا الثاني - أعني سيف بن عميرة - فقد عرفت أنّ النجاشي والشيخ وتّقاه  
وبقي الكلام في الأوّل والثالث.  
أمّا محمّد بن خالد الطيالسي، فقد عدّه الشيخ في رجاله في أصحاب  
الكاظم عليه السلام <sup>(١)</sup>.

وتؤيّد وثاقته رواية المشايخ الأعظم عنه نظراء:

علي بن الحسن بن فضال، سعد بن عبد الله القمي، حميد بن زياد <sup>(٢)</sup> علي بن  
إبراهيم القمي، محمّد بن علي بن محبوب، محمّد بن يحيى المعاذي، ومعاوية بن  
حكيم <sup>(٣)</sup>.

وقال النجاشي: محمّد بن خالد بن عمر الطيالسي التميمي، أبو عبد الله، مات  
لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة ٢٥٩ هـ، وهو ابن ٩٧ سنة <sup>(٤)</sup>.  
ولعلّ هذا المقدار يثبت وجاهته في الحديث، وأنّ له منزلة عند المحدّثين،  
فيكون إمامياً ممدوحاً، بل مقبول الرواية.

وأمّا الثالث - أعني صفوان بن مهران - فهو كوفي ثقة، يكنّى أبا محمّد <sup>(٥)</sup>.  
إلى هنا تمّت دراسة أسانيد الشيخ الثلاثة، فخرجنا بالنتيجة التالية:  
إنّ السند الأوّل من الأسانيد الثلاثة، طريق الشيخ إلى ما يترتّب على زيارة

---

(١) رجال الشيخ الطوسي: ٣٤٣ من اصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، برقم ٢٦ ولاحظ أيضاً باب  
من لم يرو عن الأئمة برقم ١١.  
(٢) قال الشيخ في رجاله: ٤٤١ ما نصّه محمّد بن خالد الطيالسي، يكنّى أبا عبد الله، روى  
عنه حميد أصولاً كثيرة.  
(٣) معجم رجال الحديث: ١٧، ٧٦.  
(٤) رجال النجاشي: ٣٤٠، برقم ٩١٠.  
(٥) رجال النجاشي: ١٩٨، برقم ٥٢٥.

الحسين عليه السلام على وجه الإطلاق من الثواب، وهو ليس بمطروح عندنا هنا، وإنما ذكرناه استطراداً؛ لأنّ الشيخ روى الجميع في مقام واحد.

وأما السند الثاني فرواه الشيخ عن سيف بن عميرة - وهو ثقة بالاتفاق - عن علقمة بن محمد الحضرمي، ولم يصرح بوثاقته وإنما دلت القرائن على وثاقته. وأما السند الثالث فرواه الشيخ عن محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، عن صفوان بن مهران. والأخيران ثقتان، والأوّل لم يصرح بوثاقته، وإنما دلت القرائن على مقبولية روايته في الحديث، فحان البحث عن سند ابن قولويه إلى نصّ الزيارة.

سند ابن قولويه إلى زيارة عاشوراء:

روى ابن قولويه في كتاب «كامل الزيارات» زيارة عاشوراء بالسند الآتي: حدّثني حكيم بن داود بن حكيم وغيره، عن محمد بن موسى الهمداني، عن محمد ابن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة وصالح بن عقبة جميعاً، عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام. قال: «مَنْ زار الحسين يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده باكياً لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة بثواب ألفي حجّة...». ومحمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام. قال: «من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده...»<sup>(١)</sup>. وقد تمّ السند الأوّل بقوله: «عن علقمة بن محمد الحضرمي»، ثمّ ابتدأ بسند آخر، وقال: ومحمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة.

وعلى ذلك ففي قوله: ومحمد بن إسماعيل احتمالان:

الأوّل: أنّ ابن قولويه شرع بأوّل السند، وأخذ الرواية عن كتاب محمد بن

(١) كامل الزيارات: ٣٢٦.

إسماعيل بن بزيع، لما عرفت من أنّ الشيخ روى نفس الزيارة عن ذلك الكتاب، وطريقه إليه صحيح، فينتج قيام الحجة على وجود نصّ الزيارة في ذلك الكتاب، وقد تناول كلّ من العلمين الطوسي وابن قولويه نقلها من ذلك الكتاب، غير أنّنا نعلم بسند الشيخ إلى الكتاب ولا نعلم سند ابن قولويه إليه، ولكنّه لا يضر بصحّة الرواية للعلم بوجود الرواية في ذلك الكتاب عن طريق الشيخ.

وهذا الاحتمال هو الأوجه، وعليه يكون لابن قولويه سندان إلى زيارة

عاشوراء.

الثاني: أنّ قوله «ومحمّد بن إسماعيل» عطف على قوله: «محمّد بن خالد الطيالسي»، وأنّ سند ابن قولويه إلى كتاب محمّد بن إسماعيل نفس سنده إلى كتاب محمّد بن خالد الطيالسي، فيروي كتاب ابن بزيع عن الطريق الذي يروي به كتاب الطيالسي.

وعلى ذلك يكون سنده إليه كالتالي: حكيم بن داود، عن محمّد بن موسى

الهمداني، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع؛ وهذا الاحتمال بعيد.

وثمة احتمال ثالث لا يتفوّه به من له إمام بالرجال، وهو أنّ قوله «ومحمّد

ابن إسماعيل» عطف على قوله: «علقمة بن محمّد الحضرمي» وجزء من السند

السابق؛ لأنّه بعيد عن الصواب غاية البعد، لأنّ علقمة من أصحاب الباقر

والصادق عليهما السلام، وابن بزيع من أصحاب الرضا والجواد عليهما السلام، ومع الاختلاف في

الطبقة كيف يعطف المتأخّر طبقة على المتقدّم كذلك؟!

إذا عرفت ذلك فلنتناول رواية السند الأوّل بالبحث:

١- حكيم بن داود بن حكيم:

أحد مشايخ جعفر بن قولويه، وقد وثّق مشايخه إجمالاً في أوّل كتابه،

وذكر بأنه لم يخرج في كتابه إلا ما وقع له من جهة الثقات<sup>(١)</sup>، وروى عنه في كامل الزيارات في الباب الثاني، الحديث ١١ والباب ٥٤ الحديث الثالث، مضافاً إلى الباب ٧١، الحديث ٢٩<sup>(٢)</sup>.

٢- محمد بن موسى بن عيسى الهمداني:

ذكره النجاشي بقوله: محمد بن موسى بن عيسى، أبو جعفر الهمداني السمان، يروي عنه محمد بن يحيى العطار القمي على ما في طريق النجاشي إلى كتابه؛ إذ قال: أخبرنا ابن شاذان، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن أبيه، عنه بكتبه<sup>(٣)</sup>.

كما يروي عنه محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، الذي هو شيخ مشايخ الكليني، وقد ورد في أسناد نوار الحكمة للأشعري، غير أن الغضائري، ضعفه؛ فقال: «ضعيف، ويروي عن الضعفاء» لكنه مع ذلك صرح بأنه: «يجوز أن يخرج شاهداً»<sup>(٤)</sup>.

وضعفه ابن الوليد أستاذ الصدوق أيضاً<sup>(٥)</sup>.

غير أن تضعيف هؤلاء يرجع إلى الاختلاف في مقامات الأئمة عليهم السلام، فإنَّ للقميين - وعلى رأسهم محمد بن الوليد - عقائد خاصة في حق أهل البيت عليهم السلام ربما لا يرتضيه بها محققو الإمامية.

يقول الشيخ المفيد في «تصحيح الاعتقاد»: وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد، لم نجد لها دافعاً في التفسير، وهي ما حكى

(١) كامل الزيارات: ٣٧.

(٢) كامل الزيارات: ٤٥ و ٣٢٥.

(٣) رجال النجاشي: ٣٣٨.

(٤) رجال ابن الغضائري: ٩٤.

(٥) خلاصة الأقوال: ٣٤٤.

عنه أنه قال: أوّل درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ والإمام عليّ، فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّر، مع أنه من علماء القميين ومشيختهم، وقد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصرون تقصيراً ظاهراً في الدين، وينزلون الأئمة عليهم عن مراتبهم، ويزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية حتّى ينكت في قلوبهم، ورأينا في أولئك من يقول: إنهم ملتجؤون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون ويدعون مع ذلك أنهم من العلماء، وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه<sup>(١)</sup>. وعلى هذا فلا يبعد أن يكون تضعيفه من جانب ابن الوليد لأجل اختلافهما في مقامات الأئمة عليهم، ولأجل ذلك لما نقل النجاشي قول ابن الوليد بأنّه يقول كان يضع الحديث، عقبه بقوله (والله أعلم)<sup>(٢)</sup>.

٣- محمّد بن خالد الطيالسي، قد مرّت ترجمته عند دراسة السند الثالث للشيخ الطوسي، وقد دلّت القرائن على كونه مقبول الرواية.

٤- سيف بن عميرة، قد مرّ أنّه ثقة بلا إشكال.

٥- صالح بن عقبة، مرّت ترجمته عند دراسة السند الأوّل للشيخ، وأنّه إمامي ممدوح بالمدح العام.

٦- علقمة بن محمّد الحضرمي، تقدّمت ترجمته عند دراسة سند الشيخ إليه، وقلنا بأنّ القرائن تدلّ على وثاقته.

الى هنا تمّ السند الأوّل للشيخ بن قولويه، وإليك دراسة السند الثاني...

روى محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه: «من زار الحسين عليه يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده باكباً...»<sup>(٣)</sup>.

(١) تصحيح الاعتقاد: ١٣٥.

(٢) رجال النجاشي: ٣٣٨.

(٣) كامل الزيارات: ٣٢٦.

وهذا السند غني عن الدراسة إلا ترجمة مالك الجهني؛ فإنَّ محمد بن إسماعيل وصالح بن عقبه قد تقدّمت ترجمتهما.

وأما مالك الجهني فقد عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام قائلاً: الكوفي، مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام <sup>(١)</sup>. ويمكن استظهار وثاقته من الأمور التالية:

الأوّل: ما رواه علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن يحيى الحلبي، عن مالك الجهني، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا مالك! أنتم شيعتنا، ألا ترى أنّك تفرط في أمرنا، إنّهُ لا يقدر على صفة الله، فكما لا يقدر على صفة الله كذلك لا يقدر على صفتنا، وكما لا يقدر على صفتنا كذلك لا يقدر على صفة المؤمن، إنّ المؤمن ليلقى المؤمن فيصافحه، فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحاتُّ عن وجوههما كما يتحاتُّ الورق من الشجر حتّى يفترقا، فكيف يقدر على صفة من هو كذلك؟! <sup>(٢)</sup>».

والرواية وإن كانت تنتهي إلى نفس مالك الجهني، إلا أنّ اهتمام علي بن إبراهيم القميّ ومحمد بن عيسى بن عبيد ويونس بن عبد الرحمن بنقلها حاك عن اعتمادهم على روايته.

الثاني: روى الكليني، عن عيسى الحلبي، عن ابن مسكان، عن مالك الجهني، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا مالك! أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا وتدخلوا الجنّة؟

يا مالك إنّهُ ليس من قوم ائتمّوا بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه، إلا أنتم ومن كان على مثل حالكم، يا مالك إنّ الميّت والله منكم على

(١) رجال الشيخ الطوسي: ٣٠٢.

(٢) الكافي ٢: ١٨٠.



هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

الثالث: إن مدحه للإمام الباقر عليه السلام يُعرب عن معرفته بمقام الإمام، وإنه كان يجاهر بالولاء يوم كان الجهر به محظوراً؛ قال:

إذا طلب الناس علم القرآن      كانت قريش عليه عيالاً  
وإن قيل: أين ابن بنت النبي      نلت بذاك فروعاً طوالاً  
نجوم تهلل للمدلجين      جبال تورّت علماً جبالياً<sup>(٢)</sup>

### الخاتمة:

هذه إشارة سريعة إلى أسانيد زيارة عاشوراء، وقد عرفت صحّة بعضها ومقبولية بعضها الآخر، والمجموع يشدّ بعضه بعضاً، ويورث العلم أو الاطمئنان المتأخّر للعلم بصدور الرواية عن المعصوم عليه السلام مضافاً إلى أمرين:

١- اتفاق الطائفة ومواظبتهم على قراءتها عبر القرون، وهي إحدى القرائن على صدور الرواية.

٢- إن الإمعان في مضمون الزيارة يُعرب عن أنه صدر من قلب ملؤه الشجون والأحزان، لا تسكن دمعته ولوعته إلا بأخذ الثأر، وهو يتفق بذلك مع مضامين سائر الروايات الواردة في الأدعية والزيارات.

### عبارات اللعن الواردة في زيارة عاشوراء:

يتحدّث بعض الناس عن وقوع التحريف في متن زيارة عاشوراء، وبالأخصّ عن إضافة عبارات اللعن للزيارة، ويدّعون أنهم بحثوا في المخطوطات فلم يجدوا فيها عبارات اللعن، ولكن يُفندّ زعمهم بمراجعة النسخ المخطوطة بصورة دقيقة وعميقة؛ فإنّ العبارات المعترض عليها موجودة وثابتة

(١) الكافي ٨: ١٤٦.

(٢) الإرشاد ٢: ١٥٧.

في نسخ موثقة موجودة في مكتبات النجف الأشرف وقم المقدسة تتصل مقابلاتها بنسخة الشيخ الطوسي عليه السلام، المأخوذ عنها هذه الزيارة، وقد ذكرت فيها هذه المقاطع من اللعن تماماً كما هو متداول ومعروف في زماننا، ولا يوجد فيها نقيصة في هذا الجانب.

إلا أنه فات الشخص الاطلاع على هذه النسخ واطلع على نسخة أو بعض النسخ، ولم يطلع على كل النسخ الموجودة لهذا الكتاب، ثم حكم حكماً مجتزأً مستنداً إلى ما وجده...

وهي - أي هذه النسخ التي عشر عليها - يُحتمل احتمالاً قوياً أن تكون كتبت في أجواء التقية، إذ أن كتاب «مصباح المتهجد» هو الكتاب المهم المتداول فيما يخص الزيارات والأدعية في ذلك الزمان، وكان ككتاب «مفاتيح الجنان» في زماننا هذا، فكان الناس يستنسخون لهم نسخاً خاصة منه؛ إذ لم تكن الطباعة متداولة يومها.. وهذا النسخ كان يخضع للظروف المحيطة به في بعض الأحيان من أجواء التقية والخوف والخشية من مساءلة السلطات، فبدلاً الناسخون إلى حذف بعض العبارات التي تثير حفيظة هذه السلطات..

#### الخدمة الحسينية بعد الاستبصار:

إن زيارة عاشوراء من الزيارات التي لا يمكن التشكيك فيها، لأنها ثابتة من حيث السند والدلالة، ولهذا نرى اهتمام المؤمنين بقراءتها وإن «عبد الكريم باسيل» هو أحد الذين تنوّروا بنور هذه الزيارة الشريفة، فوققه الله عز وجلّ للاتصال بالإمام الحسين عليه السلام والخدمة الحسينية ليكسب شرف الدنيا والآخرة ويصل إلى السعادة الأبدية<sup>(١)</sup>.

---

(١) نقلاً عن كتاب: وقفة مع كتاب حول الشيعة وما يعتقدون، للسيد عامر الحلو.

(١٠) عبد الله<sup>(١)</sup>

(مسيحي / فرنسا)

ولد في فرنسا من أبٍ إيطالي وأمٍّ فرنسية، ونشأ في أجواء عائلة مسيحية على الظاهر، ولكن في حقيقة الأمر كانت أسرته غير منتمية إلى أيّ عقيدة حتّى أنّها لم تكن ملتزمة بالمعتقدات المسيحية.

ويظهر من مجموع كلامه: أنّ أسرته كانت بعيدة كلّ البعد عن الدين والمعتقد؛ فإنّه لم يتذكّر أيّ طقس ديني في حياته، ولم يعهد أنّه قد ذهب إلى الكنيسة، ولم يطرق باله يوماً ما أن يفكّر في المبدأ والمعاد مثلاً، بل يقول: «كان معظم اهتمامي في الأمور المادية الموجودة حولي».

كان ابتداء تعرّفه على مذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريق عائلة جزائرية نحو عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥ م).

الخطوة الأولى نحو الاستبصار:

يقول «عبد الله»: تعرّفت على عائلة جزائرية، ومن خلالها تعرّفت على القرآن، فوجدته الدليل إلى خير سبيل، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، وفيه شفاء ورحمة للنفوس؛ فأنجذبت إليه، ومنه تلقّيت الشحنة التي دفعتني للاستبصار

---

(١) هذه المعلومات مأخوذة وملخّصة من برنامج «تولدى دوباره»، أي: الولادة الجديدة.

والهداية.

فكان ذلك سبباً لتوثيق صلتي بتلك العائلة؛ لأنني شعرت بعد ذلك باندفاع من فطرتي ومحبة قلبية خاصة اتجاهاهم، وكنت أراهم سبباً في إنقاذي من الحياة التي كنت أعيشها مسبقاً من دون نور ولا بصيرة، أتخبط في الظلام تائهاً، لا أجد ركناً ألتجئ إليه؛ لنيل الثبات والاستقرار.

ثم صادف بعد ذلك أن ذهبت معهم إلى الجلسة التي أقامها بعض الشيعة؛ لقراءة دعاء كميل والتضرع الجماعي إلى الله عز وجل، فذقت في ذلك المحفل حلاوة ذكر الله، وبهجة مناجاته، وانهمرت دموعي، وشعرت بارتياح بليغ، لم أعهده في نفسي من قبل.

ومن ذلك يظهر أن سبب تنوير قلب «عبد الله» كان القرآن الكريم أولاً، والمحافل المنورة بكلام أهل بيت النبي صلوات الله عليهم بشكل الأدعية والمناجاة بينهم وبين خالق الكون سبحانه وتعالى، ثانياً.

### القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم منبع العلوم ومصدرها، وهو الهادي إلى الصراط الأقوم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾<sup>(١)</sup>. فهداية القرآن ينقذ الغريق نفسه من الحيرة والضلالة، والظلم والجهالة، ومن أخذ بغير القرآن، ورام العلم عن غير طريقه فلا يجد إلا الضلال والبعد عن الحق لعدم قوام غيره لما فيه من المتاهات ولجج الأهواء والأحقاد؛ فقد قال النبي الأمين ﷺ: «من ابتغى العلم في غيره - أي القرآن - أضله الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

وهو النص المتداول بين المسلمين المحتوي على (١١٤) سورة: أولها

(١) الإسراء (١٧): ٩.

(٢) سنن الترمذي ٥: ١٧٢، الدر المنثور ٦: ٣٧٦، كنز العمال ١٦: ١٩٣ ح ٤٤٢١٦، تفسير العياشي ١: ١٦، بحار الأنوار ٨٩: ٢٧.

«سورة الفاتحة»، و آخرها «سورة الناس»، وهذه هي المعجزة الإلهية الخالدة التي عجز ويعجز عن الإتيان بمثلها الإنس والجنّ، والله سبحانه وتعالى أنزلها على خاتم رسله محمد بن عبد الله ﷺ.

### سلامة القرآن من الزيادة والنقصان:

قد أجمع المسلمون على أنّ القرآن الموجود بأدينا - ما بين الدفتين - لم يزد فيه، ولم يعتريه نقصان<sup>(١)</sup>؛ لأنّ الرسول الأكرم ﷺ كان يهتم بحفظه نصّاً، ويلتزم بنفسه بإبلاغه وتلاوته على المسلمين بعدما كان يتلى عليه من ملك الوحي جبرئيل الأمين، مضافاً إلى ذلك كان عدد المسلمين الذين يستمعون القرآن منه ﷺ فوق التواتر، وسجّله كتابه الذين بلغ عددهم في بعض المصادر ما يناهز الأربعين كاتباً.

كان النبي ﷺ يشرف بنفسه على تحديد موقع الآية من السورة، وموقع السورة من القرآن، ومواقع السور بعضها من بعض.

وتدلّ الشواهد التاريخية على أنّ القرآن الكريم متواتر بجميع أجزائه تواتراً قطعياً؛ فالمسلمون - واقتداءً بنبيهم الأكرم ﷺ - اعتنوا عناية خاصة فائقة على مدى التاريخ بحفظ القرآن الكريم وضبطه وقراءته ورسمه؛ لأنّهم العظيم به، ولقد استه في نفوسهم، ولحساسيتهم الشديدة اتّجاه حصول أيّ تغيير فيه.

بالإضافة إلى ما ذكر موجزاً عن هذا الاهتمام في عصر النبي ﷺ، فقد استدلّ علماء الإمامية بالأدلة القرآنية والحديثية على نفي التحريف في كلّ عصر<sup>(٢)</sup>.

(١) للمزيد من التفصيل راجع، كتاب «سلامة القرآن من التحريف وتفنيد الافتراءات على الشيعة» للدكتور فتح الله محمّدي من الفصل الأوّل إلى الفصل السابع.

(٢) راجع كتاب «التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف» للسيد علي الحسيني

وقبل كل هذا فإنّ الله عزّ وجلّ قد تكفّل بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup> بحفظ وصيانة القرآن في طول حياة البشر عن التحريف والتغيير.  
مكانة القرآن عند المسلمين:

لا ريب أنّ الموروث الإسلامي عند المسلمين بأجمعهم يتكوّن من شيئين:

أ - القرآن العظيم؛ وهو كلام الله عزّ وجلّ، الذي أوحاه إلى نبيّه ﷺ.

ب - سنّة رسول الله ﷺ، وهي إرشاداته القولية طوال عصر النبوة والرسالة، وتشمل أفعاله وتقريراته أيضاً.

فهذان الأساسان يكوّنان العمود الفقري للإسلام، ولا يغني أحدهما عن الآخر، وبمعرفةهما والتمسك بهما، يتمّ الدين الإسلامي.

والقرآن له مكانة عظيمة عند المسلمين، فهو المصدر الرئيسي الأوّل عندهم بالإجماع، وهو دستور الإسلام الخالد، والمخبر عن الماضي والحاضر والمستقبل، وهو الذي دعم النبوة والرسالة وجعل كلّ ما صدر من الرسول حجّةً يجب الامتثال له، وأيد أفعاله وأقواله وتقريراته بأسرها؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال عزّ وجلّ أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

حقيقة القرآن ونزوله:

إنّ القرآن بحقيقته ومراحله العليا كان فوق إدراكات البشر وعقولهم، ولكن الله سبحانه نزّله، وجعله عربياً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ

---

➤ الميلاني، الباب الأوّل من الفصل الأوّل إلى الفصل الثالث، فقد ذكر المصنف آراء فقهاء الشيعة بالتفصيل واستدل بالآيات والروايات على هذه المسألة.

(١) الحجر (١٥): ٩.

(٢) النجم (٥٣): ٣ - ٤.

(٣) الحشر (٥٩): ٧.

تَعْقُلُونَ ﴿١﴾.

وبالرغم من هذا التنزيل لمراتب القرآن من تلك الدرجات العليا إلى هذه الألفاظ المكتوبة بأيدينا، لم يتضاءل غرضه الحقيقي، فهو باق على نفس القوّة والقدرة، فهو حبل ممدود، وله طرفان:  
أحدهما: عند الله سبحانه وتعالى.

والآخر: بين يدي الناس.

وهذا الأمر يقتضي أن يعتصم الناس بهذا الحبل بقوة؛ لينجيهم من الهلكة، ويقودهم إلى الدرجات العليا عند الله سبحانه.

**القرآن يهدي إلى الصراط المستقيم:**

إنّ القرآن هو النور الهادي الذي يخرج المجتمع الإنساني من التفرّق والتشتت، وبه يستطيع الإنسان أن يختار لنفسه الطريق السليم والسبيل القويم؛ فبالاقتداء به وامتثال أوامره ونواهيه يصل البشر إلى أعلى مراتب الإنسانيّة.

ويُخرج الفرد أيضاً - ومعه مجتمعه - من ظلمات الوهم والجهل إلى الحياة الحقيقية والسعادة الأبديّة، ويضمحلّ بتّباعه اليأس والكسل والجمود الفكري، وتحلّ محله الحركة المنطلقة من مبادئ واقعيّة وحقيقيّة.

وهو الذي يقوم الحركة الاجتماعية والانفراديّة، ويقودها إلى النموّ والتكامل، ويثمر العدالة في المجتمعات، العدالة التي هي مطلب كلّ إنسان ذي عقل سليم، والقرآن بنفسه يؤيّد ذلك ويقول: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢).

(١) الزخرف (٤٣): ٣.

(٢) المائدة (٥): ١٥ - ١٦.

كما أشار إليه قول رسول الله ﷺ: «القرآن هدىً من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد من القرآن إلا إلى النار»<sup>(١)</sup>.

### كيف نهتدي بهداية القرآن:

إننا نرى بالوجدان أنّ علماء المسلمين قد اختلفوا غالباً في تفسير الآيات الكريمة وتحديد مصاديقها وبيان أحكامها، بل وقعوا في الحيرة في بعض الموارد، مثل تفسير الحروف المقطعة.

هذا مع أنّ من مواصفات القرآن أنّه تبيان لكلّ شيء، وفيه حكم كلّ رطب ويابس، ويدلّ كلّ ذلك على أنّ عموم البشر لا يدرك حقيقة القرآن، وإلاّ فمع إدراك حقيقته لا ينبغي أن يختلف اثنان في أحكامه وتفسيره.

وبعبارة أخرى: إنّ سبب هذا الاختلاف هو وجود المحكم والمتشابه، والعام والخاصّ، والمطلق والمقيّد، والناسخ والمنسوخ في القرآن مضافاً إلى مقدار الفهم والإدراك والتلقّي من كلّ إنسان، وما يمكن أن يأخذه من معاني آيات وكلمات القرآن الكريم.

وبناءً على ذلك لا يقدر الإنسان عادة أن يهتدي بهداية القرآن بصورة مستقلة؛ لاحتمال وقوعه في طريق غير صحيح، بل طريق يخالف القرآن. ومن جهة أخرى إنّ علم الإنسان محدود، بل علمه أمام القرآن أقلّ من قطرة أمام البحر.

فهنا يقضي العقل أن يلجأ الإنسان إلى فرد كامل عالم بجميع زوايا القرآن، وأنّه يكون ذلك الفرد مخصوصاً حتّى لا يخطأ في التفسير وبيان الأحكام من

(١) الكافي ٢: ٦٠٠، تفسير العياشي ١: ٥، بحار الأنوار ١٩: ٧-٨، و٨٩: ٢٦.



القرآن؛ ليسلك المسلم المكلف طريقاً سليماً بالاعتماد على أقواله.

ونرى في الكتاب المجيد أنّ الله سبحانه وتعالى قد عيّن هذه الشخصية العظيمة بقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد رجع الناس إليه ﷺ في حياته الشريفة في سائر مسائلهم، وكانوا يعتمدون على إجابته؛ لأنّ الطريق الصحيح بنصّ القرآن هو ذلك.

ولكن يبقى الاستفسار عن احتياج الأمة بعد رسول الله ﷺ إلى من يفسر القرآن ويعلمه الناس، فإنّ هذه الحاجة أشدّ وأعظم من عصر النبي ﷺ. وهنا يسأل الإنسان نفسه: من هو المفسر والمعلم للقرآن بعد النبي ﷺ، والذي يكون بمثابة الرسول ﷺ في تبليغ القرآن وتفسيره؟

قال الشيعة الاثنا عشرية في مقام الإجابة عن هذا السؤال: إنّ النبي ﷺ عيّن اثني عشر نفرًا من أهل بيته لهذه المسؤولية الخطيرة بعده، أولهم الإمام عليّ ابن أبي طالب وآخرهم المهدي من ولد فاطمة سلام الله عليها<sup>(٢)</sup>، وهم أعلم العباد بعد رسول الله ﷺ بالقرآن، وهم معصومون عن الخطأ، وكلّموا رجعت الأمة إليهم في دينهم ودنياهم وجدت طريقها للسعادة، وكلّموا رغبت عنهم وقعت في الحيرة والضلالة.

وهؤلاء هم خلفاء رسول الله ﷺ كما دلّت على ذلك أقوال النبي ﷺ في حياته، إجمالاً وتفصيلاً، ونقل هذه الروايات كلّ من العامّة والخاصّة، والتي منها: حديث الثقلين، وحديث الدار، وحديث المنزلة، وحديث الغدير.

ولكن بقي غير الشيعة متحيرين أمام هذا التساؤل؛ فإنّهم اعتمدوا في تفسير

(١) آل عمران (٣): ١٦٤.

(٢) إكمال الدين: ٢٥٣، عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢: ٦٢، الانتصار: ٢٦، الغدير: ٢: ٢٠٣.

القرآن وتعليمه على أشخاص عاديين، وقد اختلف هؤلاء في أقوالهم عند تفسيرهم للقرآن، ولم يعتمدوا في تفسيرهم على السنة الشريفة وأعرضوا عنها ولم يتمسكوا بها حتى في حياة النبي ﷺ كما يدل ذلك قول بعضهم: «حسبنا كتاب الله»<sup>(١)</sup>.

وبأدنى مراجعة إلى كتب التاريخ تتضح نتائج هذا القول؛ فقد اختلفت الأمة إثر ذلك وتشّتت الآراء مع وجود القرآن الكريم بينهم.

ومن جهة أخرى فإن مدّعي هذا القول بأنفسهم عجزوا عن الإجابة على أسئلة بسيطة، كبيان بعض معاني كلمات القرآن<sup>(٢)</sup>؛ فلهذا بقي أتباعهم أيضاً متحيرين أمام هذه الحاجة الشديدة في تفسير القرآن وتبيينه.

كل هذا والناس محتاجون إلى معلّم ومبيّن؛ لأن هداية القرآن ممكنة بعد فهمه، والعمل فرع للفهم والهداية. فالصواب في هذا المجال هو قول الرسول ﷺ في ضرورة التمسك بالثقلين لكي ينال الفرد المتحير سعادة الدارين باتباعهما.

ثم اهتديت:

يقول «عبد الله»: الأُنس بالقرآن الكريم والأدعية الشريفة منحني حالة من الشعور بالطمأنينة والاستقرار؛ فلهذا قرّرت البحث والمطالعة والاستقصاء، فلم تمض فترة من البحث حتى هداني الله للإسلام، ووفّقني لمعرفة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، فتوكلت على الله، واتخذت مذهب أهل البيت ﷺ سبيلاً لتلقي علوم ومعارف الإسلام الحنيف.

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤، البداية والنهاية ٥: ٢٤٧، السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٤٥١،

صحيح البخاري ٧: ٩، صحيح مسلم ٥: ٧٦، مسند أحمد ١: ٣٣٥ و٣٣٦.

(٢) فعلى سبيل المثال ذكرت المصادر التاريخية أنّ سائلاً سأل عمر بن الخطاب عن

معنى الأب في الآية الكريمة: ﴿وَفَاكِهَةٌ وَأَبَاءٌ﴾ لكنّه عجز عن الإجابة. راجع: الكشاف

٥٣:٣، الدر المنثور ٦: ٣١٧، المستدرک علی الصحیحین ٢: ٥١٤.

## (١١) علي دروا (مسيحي / فرنسا)

ولد سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) في فرنسا، ونشأ في أسرة مسيحية تنتمي إلى المذهب الكاثوليكي، إلا أنه وجدها لا تُشيع فطرته، فالتقى بالجاليات الأجنبية وتعرّف منهم على الدين الإسلامي، ودخل إلى دين الإسلام عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، وبعد فترة تعرّف على مجموعة من الشيعة الإمامية ممّا حدا به أن يتشرّف بالانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

### التعرّف على الإسلام:

يقول «علي دروا»: «حينما بلغت الثامنة عشر من عمري لاحظت أنّ المسيحية لا تحقّق إشباع فطرتي، ولا تمنحني حالة معنوية، فاتّخذت قراري بترك الذهاب إلى الكنيسة؛ إذ لم يبق لديّ داعٍ في نفسي للتمسك بها، ثمّ عندما بلغت الثانية والعشرين من العمر سافرت إلى باريس، فانفتحت أمامي آفاق واسعة، واتّضحت لديّ رؤى جديدة نتيجة التقائي بالجاليات الأجنبية المتعدّدة، فمنذ ذلك الحين أحببت السفر بغية الحصول على المزيد من الوعي والثقافة، فسافرت إلى جملة من الدول الأفريقية، منها: الجزائر؛ إذ طالت إقامتي فيها، وكنت مقيماً عند أسرة مسلمة، ومن خلال صلاتي بهم تعرّف على الإسلام، فانبهرت به، ووجدته ديناً متكاملًا من جميع الجهات.

## كمال الدين الإسلامي:

جاء النبي الأكرم ﷺ من قبل الله يدعو الناس إلى دين متكامل، وهو نظام كامل وشامل للحياة من جميع الجهات، الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ كل ذلك لرفي الإنسانية إلى السعادة الأبدية، وهي الفوز بالجنان من خلال كسب رضا الله تعالى.

فمن الناحية الاقتصادية مثلاً: نجد أن هذا الدين قد جاء بنظام متكامل ومتوازن، وحارب جميع الأسباب التي تعيق التوازن في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، كالربا؛ فقد حاربه أشدّ محاربة، ومنع الناس من احتكار السلع والمتاع، أو التكبّس عن طريق القمار، وحرّم جميع أنواع وأشكال الاستغلال، كأن يستغل إنسان إنساناً آخر، وهكذا.

ومن جهة أخرى دافع عن حقّ المحرومين؛ إذ جعل في أموال الناس حقاً معلوماً للسائل والمحروم.

فلنأخذ مسألة الربا نموذجاً، وهو: أن تفرض غيرك مالاً إلى موعد معين بفائدة يدفعها المدين عند تسليم المال في الموعد المتفق عليه، فالشريعة الإسلامية حرّمت هذه المعاملة، وحكمت بعدم جوازها، ويعدّ هذا الحكم من ضروريات الشريعة الإسلامية؛ فلا يجوز القرض إلاّ مجرداً عن الفائدة، وليس للدائن إلاّ استرجاع ماله الأصيل دون زيادة، مهما كانت ضئيلة.

ويدلّ على حرمة ذلك الكتاب والسنة، فقد وردت في حرمة عدّة آيات:

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيُرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ (٢).

(١) الروم (٣٠): ٣٩.

(٢) النساء (٤): ١٦١.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ \* وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

مضافاً إلى الأخبار المتواترة الدالة على حرمة الربا عند الفريقين.

### مراحل حرمة الربا:

كلّنا نعرف أنّ أسلوب القرآن في مكافحة الانحرافات الاجتماعية المتجدّرة في حياة الناس يعتمد على معالجة الأمور خطوة فخطوة، فهو أولاً يهيئ الأرضية المناسبة ويطلع الرأي العام على مفسد ما يريد محاربته ومكافحته، وبعد أن تنهّب النفوس لتقبّل التحريم يعلن عن التحريم عنه في صيغته القانونية النهائية. كما نعلم أيضاً أنّ المجتمع العربي في العهد الجاهلي كان مصاباً - بشدّة - بداء الربا؛ فقد كانت الساحة العربية (وخاصّة مكّة) مسرحاً للمرابين، وقد كان هذا الأمر سبباً للكثير من المآسي الاجتماعية، ولهذا استخدم القرآن في تحريم هذه الفعلة النكراء أسلوب المراحل؛ فحرّم الربا في مراحل أربع:

المرحلة الأولى: يكتفي الله سبحانه وتعالى في سورة الروم بتوجيه نصح أخلاقي بشأن الربا؛ فيقول: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبِّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٢)، وبهذا يكشف عن خطأ الذين يتصوّرون أنّ الربا يزيد من ثروتهم، في حين أنّ إعطاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله هو الذي يضاعف الثروة.

المرحلة الثانية: يشير - ضمن انتقاد عادات اليهود وتقاليدهم الخاطئة الفاسدة - إلى الربا كعادة سيئة من تلك العادات؛ فيقول في سورة النساء: ﴿وَأَخْذِهِمُ

(١) آل عمران (٣): ١٣٠ - ١٣١.

(٢) الروم (٣٠): ٣٩.

الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴿١﴾ ..

المرحلة الثالثة: يذكر في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ (٢) حكم التحريم بصراحة، ولكنه يشير إلى نوع واحد من أنواع الربا، وهو النوع الشديد والفاحش منه فقط.

وقد يكون المراد من «الربا الفاحش» هو ما تكون الزيادة الربوية فيه تصاعدية، بمعنى أن تضم الزيادة المفروضة أولاً على رأس المال، ثم يصبح المجموع مورداً للربا، بمعنى أن الزيادة ثانياً تقاس بمجموع المبلغ (الذي هو عبارة عن رأس المال، والزيادة المفروضة في المرة الأولى)، ثم تضم الزيادة المفروضة ثانياً إلى ذلك المبلغ، وتفرض زيادة ثالثة بالنسبة إلى المجموع، وهكذا يصبح مجموع رأس المال والزيادة في كل مرة رأس مال جديد تضاف عليه زيادة جديدة بالنسبة، وبهذا يبلغ الدين أضعاف المبلغ الأصلي المدفوع إلى المديون حتى يستغرق كل ماله.

المرحلة الرابعة: أعلن في آيات من سورة البقرة عن المنع الشامل والشديد عن جميع أنواع الربا، واعتباره بمنزلة إعلان الحرب على الله سبحانه (٣).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

(١) النساء (٤): ١٦١.

(٢) آل عمران (٣): ١٣٠ - ١٣١.

(٣) راجع: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢: ٦٨٨ - ٦٨٩.

وَلَا هُمْ يَخْرَتُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \*  
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ  
وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١﴾.

ثم نلاحظ في هذه الآيات أن القرآن الكريم يعبر عن آكل الربا بـ«المتخبط»، وهو الماشي على غير استواء، وحيث أن الإنسان لا بد أن يسلك طريقاً مستقيماً لا ينحرف عنه في حياته؛ فإنه لا محالة ذو أفعال وحركات بحسب المحيط الذي يعيش فيه، وهذه الأفعال تنظم حسب أحكام اعتقادية عقلانية وضعها ونظمها الإنسان لنفسه، ثم يطبق عليها أفعاله الانفرادية والاجتماعية، فهو يقصد الأكل إذا جاع، ويقصد الشرب إذا عطش، والفراش إذا اشتهى النكاح، والاستراحة إذا تعب، والاستئلال إذا أراد السكن، كما أنه ينسبط لأمر وينقبض عن أخرى في معاشرته، ويريد كل مقدمة عند إرادة ذبيها، وإذا طلب مسبباً مال إلى جهة سببه.

وهذه الأفعال المترتبة على معتقده مرتبطة، متحدة نحو اتحاد، متلائمة غير متناقضة، ومجموعها يكون طريق حياته.

وإنما اهتدى الإنسان إلى هذا الطريق بقوة فيه، وهي القوة المميّزة بين الخير والشرّ، النافع والضارّ، والحسن والقبيح.

وأما الإنسان الممسوس، وهو الذي اختلت قوته المميّزة، فهو لا يفرّق بين الحسن والقبيح، والنافع والضارّ، والخير والشرّ، وقد يجري حكم كل مورد فيما يقابله من الموارد، لا لأنه ناسٍ لمعنى الحسن والقبح وغيرهما؛ فإنه - مهما كان - إنسان ذو إرادة، ومن المحال أن يصدر عن الإنسان غير الأفعال الإنسانية، بل لأنه يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، والخير والنافع شرّاً وضارّاً، وبالعكس؛ فهو

(١) البقرة (٢): ٢٧٥ - ٢٧٩.

متخبّط في تطبيق الأحكام وتعيين الموارد.

وهذا حال المرابي في أخذه الربا فإنّ الذي تدعو إليه الفطرة، ويقوم عليه أساس حياة الإنسان الاجتماعية أن يعامل بمعاوضة ما عنده من المال الذي يستغني عنه ممّا عند غيره من المال الذي يحتاج إليه، وأمّا إعطاء المال وأخذ ما يماثله بعينه مع زيادة فهذا ممّا يهدم به قضاء الفطرة، وأساس المعيشة؛ فإنّ ذلك ينجّر من جانب المرابي إلى اختلاس المال من يد المدين، وتجمّعه وتراكمه عنده، فإنّ هذا المال لا يزال ينمو ويزيد، ولا ينمو إلا من مال الغير.

وينجّر من جانب المدين المؤدّي للربا إلى تزايد المصرف بمرور الزمان تزايداً لا يتداركه شيء مع تزايد الحاجة، وكلّما زاد المصرف - أيّ نما الربا بالتصاعد - زادت الحاجة، من غير أمر يجبر النقص ويتداركه، وفي ذلك انهدام حياة المدين.

فالربا يضاة التوازن والتعادل الاجتماعي، ويفسد النظم الحاكم على هذا الصراط المستقيم الإنساني الذي هدته إليه الفطرة الإلهية.

وهذا هو الخبط الذي يُبتلى به المرابي، كـ«خبط الممسوس»؛ فإنّ المراباة تضطرّه إلى أن تختلّ عنده المعاملة والمعاوضة، فلا يفرق بين البيع والربا، فإذا دعي إلى أن يترك الربا ويأخذ بالبيع أجاب: أنّ البيع مثل الربا لا يزيد على الربا بمزية، فلا موجب لترك الربا وأخذ البيع، ولذلك استدلّ تعالى على خبط المرابين بما حكاه من قولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾<sup>(١)</sup>.

ثمّ في نهاية الآيات يقول تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾، فكما أنّ من مزايا الصدقات أنّها تنمّي المال حيث أنّها: تنشر الرحمة، وتورث المحبّة، وحسن التفاهم وتآلف القلوب، وتبسط الأمن والحفظ، وتصرف القلوب عن أن

(١) راجع: الميزان ٢: ٤١٠ - ٤١١.



تهمّ بالغضب والاختلاس والإفساد والسرقة، وتدعو إلى الاتحاد والمساعدة  
والمعاونة، وتسدّد بذلك أغلب طرق الفساد والفناء الطارئة على المال، فيعين جميع  
ذلك على نماء المال ودرّه أضعافاً مضاعفة..

كذلك الربا فإنّ من خاصّته أنّه يمحق المال، ويفنيه تدريجاً، من حيث أنّه:  
ينشر القسوة والخسارة، ويورث البغض والعداوة، وسوء الظن، ويفسد الأمن  
والحفظ، ويهيّج النفوس على الانتقام، ويدعو إلى التفرّق والاختلاف، فتفتح بذلك  
أغلب طرق الفساد وأبواب الزوال على المال، وقلّما يسلم المال عن آفة تصيبه،  
أو بليّة تعمّه<sup>(١)</sup>.

ثم إنّ الله سبحانه وتعالى يجعل من يخالف أمره محارباً لله ورسوله، فيقول:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا  
فَأَذْنُوبُ بَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد شدّد الله سبحانه في هذه الآيات على الربا بما لم يشدّد بمثله في شيء  
من فروع الدين إلّا في تولّي أعداء الدين؛ فإنّ التشديد فيه يضاهي تشديد الربا،  
وأما سائر الكبائر فإنّ القرآن وإن أعلن مخالفتها لها، وشدّد القول فيها، فإنّ لحن  
القول في تحريمها دون ما في هذين الأمرين، حتّى الزنا وشرب الخمر والقمار  
والظلم، وما هو أعظم منها، ك: قتل النفس التي حرّم الله والفساد، فجميع ذلك دون  
الربا وتولّي أعداء الدين..

وليس ذلك إلّا لأنّ تلك المعاصي لا تتعدّى الفرد أو الأفراد في بسط  
آثارها المشوّمة، ولا تسري إلّا إلى بعض جهات النفوس، ولا تحكّم إلّا في  
الأعمال والأفعال بخلاف هاتين المعصيتين؛ فإنّ لهما من سوء التأثير ما ينهدم به  
بنيان الدين ويعفى أثره، ويفسد به نظام حياة النوع، ويضرب الستر على الفطرة

(١) راجع: الميزان ٢: ٤١٨ - ٤٢٠.

(٢) البقرة (٢): ٢٧٨ - ٢٧٩.

الإنسانية، ويسقط حكمها، فيصير نسياً منسياً<sup>(١)</sup>.

فيؤدّي أكل الربا إلى ادّخار الكنوز، وتراكم الثروة والسؤدد، ويجرّ ذلك إلى الحروب العالمية العامّة، وانقسام الناس إلى قسمي: الثريّ السعيد، والمُعْدَم الشقي، وهذه البلوى من شأنها أن تدكدك الجبال، وتزلزل الأرض، وتهدّد الإنسانية بالانهدام، والدنيا بالخراب.

### ارتباط آيات الربا بآيات الإنفاق:

آيات الربا لا تخلو عن ارتباط بآيات الإنفاق في سبيل الله، كما يشير قوله تعالى إليها في ضمنها، فيقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزْبِئُ الصَّدَقَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وكذا ما وقع من ذكره في سورة الروم وفي سورة آل عمران مقارناً لذكر الإنفاق والصدقة والحث عليهما والترغيب فيهما. ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ \* وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

هذا؛ إضافة إلى الارتباط الموجود بينهما من حيث التضادّ والمقابلة؛ فإنّ الربا أخذ بلا عوض، كما أنّ الصدقة إعطاء بلا عوض، والآثار السيئة المترتبة على الربا تقابل الآثار الحسنة المترتبة على الصدقة، وتحاذيها على الكليّة من غير

(١) راجع: الميزان ٢: ٤٠٩.

(٢) البقرة (٢): ٢٧٦.

(٣) البقرة (٢): ٢٨٠.

(٤) آل عمران (٣): ١٣٤.

(٥) الروم (٣٠): ٣٨ - ٣٩.

تخلّف ولا استثناء، فكلّ مفسدة منه يحاذيها خلافها من المصلحة منها؛ ففي الصدقة نشر الرحمة والمحبة، وإقامة أصلاب المساكين والمحتاجين، ونماء المال، وانتظام الأمر واستقرار النظام والأمن، وخلاف ذلك في الربا<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أنّ الشريعة الإسلامية قد نصّت على المنع عن مجموعة من النشاطات الاقتصادية والاجتماعية التي تعيق تحقيق المثل والقيم التي يتبنّاها الإسلام.

### اختيار الإسلام:

إنّ الدين الإسلامي يريد للبشرية نظاماً وحياة خالية من جميع المفسدات الاقتصادية والاجتماعية التي تعيق رقيّ المجتمع؛ في مجال تحقّق العدالة الاجتماعية، والإيمان به لا يعني إنكار جميع الرسالات السابقة عليه، بل يُعدّ الإسلام حلقة من السلسلة التكامليّة للأديان الإلهية، فيها تصل البشرية إلى كمالها وسعادتها، ويبتعد الناس عن الأسباب التي تؤدّي إلى تخلّف البشرية عن مسيرها التكاملي، وهذا هو الهدف وراء بعث جميع أنبياء الله المرسلين ورسوله المكرّمين من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول «علي دروا» عن الرحلة التي خاضها حتّى اعتناق الدين الإسلامي بعد تعرّفه عليه: لم تمض فترة من استثناسي بالمبادئ الإسلامية التي تعرّف عليها حتّى قرّرت أن أظهر وجودي من أدران الأفكار التافهة التي كانت مهيمنة فيه، فأعلنت عن استبصاري واعتناقي للدين الإسلامي الحنيف.

### التعرّف على مذهب أهل البيت عليهم السلام:

وعن الفترة التي تلت اعتناقه الدين الإسلامي يقول «علي دروا» لم أكن في البداية مطلعاً على تعدّد المذاهب الإسلامية؛ إذ كانت الأسرة: الجزائرية التي

(١) الميزان ٢: ٤٠٩.

أقمت عندها منتمية إلى أهل السنة والجماعة، فلم يكن لي بُدّ سوى التمسك بهذا المذهب، كما كانت المساجد التي رأيتها بعد رجوعي إلى فرنسا متعلقة بهم، فبقيت على هذه الحالة مدة ثلاثة أشهر، حتى من الله عليّ أن تعرّفت على مجموعة من الإيرانيين في مركز ثقافي تابع لهم في باريس، كانت تقام فيه دورة لتعليم القرآن الكريم باللغة الفرنسية، فواظبت على الحضور في هذه الدورة التي كانت تقام أسبوعياً من قبل مدرّس لبناني في المركز، اثر ذلك تعرّفت تدريجياً على الفرق بين الشيعة والسنة، والاختلاف بين المذهبيين، وإن كان معظم أصدقائي الذين أسلموا من أهل السنة لكنني مع ذلك لم أترسّع في رفض الشيعة، بل أحسبت التريث حتى تنكشف الحقيقة، فتوجّهت إلى البحث والتحقيق - حسب وسعي - عن حجّية أقوال وآراء كلا المدرستين، مدرسة الآل والأصحاب، وهما اللتان تنتهي إليهما جميع الفرق الإسلامية، فأيّهما تابعة للإسلام الأصيل الذي جاء به النبي الأكرم ﷺ، وأمرنا باتّباعه، هل هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم عدلاً للقرآن، وفرض طاعتهم، وجعل موادّتهم أجراً للرسالة، أم أصحابه الذين اختلفوا من بعده، ووجد فيهم: المؤمن العادل، والفاسق الفاجر، وقسم لا يعلم حاله؟

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً... وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي. فيقال: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «بيننا أنا قائم فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ.

(١) راجع: صحيح البخاري ٤: ١١٠، صحيح مسلم ٧: ٦٨.

فقلت: أين؟

قال: إلى النار والله.

قلت: وما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري... فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»<sup>(١)</sup>.

فأبيّ الطريقين يجب الأخذ به، وأبيهما يوجب النجاة من عذاب يوم عظيم، ويؤدّي إلى سعادة الإنسان وفلاحه في الدين؟!!

أليست السعادة في اتباع أهل البيت الذين أنزل الله تعالى في حقهم عشرات، بل مئات الآيات، ك: آية التطهير، والمودّة، والإكمال، والولاية، والمباهلة، والإيثار، مضافاً إلى الأخبار المتواترة، ك: حديث الثقلين، والسفينة، وحديث أمان الأمة من الاختلاف، وغيرها من الأخبار، التي بمجموعها توجب العلم القطعي بصدورها عن النبي الأكرم ﷺ؟!!

أضف إلى ذلك ما ورد في خصوص الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من حديث الغدير المتواتر، وحديث الطير، ومدينة العلم، وما جاء في كونه عليه السلام مع القرآن أو الحق، وكونهما معه..

كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن من بعدي»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «لا يحبّ عليّاً منافق، ولا يبغضه مؤمن»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٧: ٢٠٨.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٢٩٦-٢٩٧، ح ٣٧٩٦.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٢٩٩، ح ٣٨٠١.

وقال عليه السلام: «عليّ منّي وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو عليّ»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام: «أنّه لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»<sup>(٥)</sup>.

وقال عليه السلام: «اللهم لا تمنني حتّى تريني عليّاً»<sup>(٦)</sup>.

وقال عليه السلام: «أول من صلى عليّ»<sup>(٧)</sup>، أو: «أول من أسلم عليّ»<sup>(٨)</sup>، وغير ذلك

كثير كثير.

ومع وجود هذه الروايات المتواترة في شأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام، فيمّ يحكم العقل؟ هل يحكم بلزوم الأخذ بما يروي أهل البيت عليهم السلام أم يقدّم غيرهم من الصحابة أو التابعين، كأبي هريرة وكعب الأحمبار وابن عمر وأمثال هؤلاء، أو من يحدو حدوهم من علماء مدرستهم، كما يرويّه أبو يوسف والشيباني عن أبي حنيفة، وما يرويّه المزني والربيع عن الشافعي، وما يرويّه غيرهم عن غيرهما، وهكذا.

من الواضح أنّ العقل يحكم بلزوم تقديم روايات أهل البيت عليهم السلام على

(١) سنن الترمذي ٥: ٢٩٩ - ٣٠٠، ح ٣٨٠٣.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣٠٠، ح ٣٨٠٤.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٣٠١، ح ٣٨٠٤.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٣٠٤، ح ٣٨١٣، ٣٨١٤.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٣٠٦، ح ٣٨١٩.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٣٠٦ - ٣٠٧، ح ٣٨٢٠.

(٧) سنن الترمذي ٥: ٣٠٥، ح ٣٨١٧.

(٨) سنن الترمذي ٥: ٣٠٦، ح ٣٨١٨.

روايات غيرهم؛ لأنهم اختصوا بالنبى الأكرم ﷺ، فهم أدرى بما في البيت، وهم أهل بيت الوحي والنبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، وأن الأمة الإسلامية أجمعت على عدالتهم ووثافتهم، وفضلهم وتقواهم، وجلالة قدرهم، ووجوب حبهم، وموالاتهم.

وقد جاء في مصادر أهل السنة ما يفيد اختصاص الإمام عليّ ﷺ برسول الله ﷺ في معرفة الأحكام الشرعية، والعقائد الإسلامية، وتفسير القرآن والسنة وغيرها.

وقد قال ﷺ في حقه - في ما رواه ابن عباس -: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»<sup>(٣)</sup>.

أو ما روي عنه أيضاً عن النبي ﷺ: «يا عليّ! من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك يا عليّ فقد فارقني»<sup>(٤)</sup>.

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢١، ١٢٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢٤.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢٨.

(٤) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢٤.

وعن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يريد أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فليتولّ عليّ بن أبي طالب؛ فإنّه لن يُخرجكم من هدى، ولن يُدخلكم في ضلالة».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه»<sup>(١)</sup>.

### اختيار الحقّ:

بعد مضي فترة من التنقيب وبذل الجهد توصل «علي دروا» إلى أحقيّة المذهب الشيعي، فاعتنق هذا المذهب المنتمي إلى آل بيت الرسول ﷺ ومن تلقّى المعارف من منبعها الصافي مباشرةً، من دون شوب بالباطل، وترك آراء غيرهم ممّن لم يمثل أو امر رسول الله ﷺ في عترته وأهل بيته ﷺ.

---

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢٨.



## (١٢) فاضلة

(مسيحية / فرنسا)

ولدت في جنوب «فرنسا»، ونشأت في أسرة فقيرة من أب ملحد وأم مسيحية غير ملتزمة دينياً.

واصلت «فاضلة» دراستها في مدرسة متشددة مسيحية أولاً، ثم تابعتها في مدرسة متأثرة بالفكر العلماني، وبعد السادسة عشر من عمرها قامت بإدارة أمورها بنفسها بسبب وضعها الاجتماعي الذي فرض عليها ذلك، فقامت بالعمل في عدّة مجالات.

تعرفت «فاضلة» على الشريعة الإسلامية بعدما أسلم أخوها الذي كان يعمل في معمل يوجد فيه كثير من المسلمين، إذ تأثر بالفكر الإسلامي، وقام بتبليغه في الأسرة والمجتمع.

وقد بيّنت «فاضلة» قصة استبصارها وردة فعل الأسرة والمجتمع في حوار أجرته معها مجلة «نور الإسلام».

تقديم:

الأخت «فاضلة» شابة فرنسية عاشت في خضم مجتمع مادي ثقيل الوطأة... يحوّل الإنسان إلى رقم لا قيمة له بين الأرقام، ويسلبه روحه ويمسح

آدميته... وكان أن منَّ الله عليها بنعمة الإيمان وشرح صدرها للإسلام.

وها هي تحدّث المجلّة عن رحلة اعتناقها لدين الفطرة:

حياتها قبل الاستبصار:

● هل لك أن تعطينا فكرة عن حياتك السابقة؟ والمجتمع الذي كنت

تعيشين فيه؟ وكذلك الجو العائلي؟

○ ولدت في جنوب فرنسا، لكنني نشأت وترعرعت في شمال فرنسا، في

منطقة تعجّ بالمهاجرين العرب، ضمن أسرة عمالية فقيرة. عائلتنا تتألف من ٦ أشخاص: ولدين وبنيتين وأمي وأبي طبعاً.

والذي كان ملحداً، أما والدتي فكانت لا تهتم بأمر الدين المسيحي الذي

كنّا ننتمي إليه، إلا ببعض الطقوس التي كانت تفرض علينا من قبل المحيط العائلي

الكاثوليكي المحافظ.

إخوتي كانوا كغيرهم من الفرنسيين، يهتمون بأمر دنياهم فقط. تعلّمت في

مدرسة للراهبات حتّى سن الرابعة عشر، ومن ثمّ تابعت في مدرسة رسمية

(علمانية) حتّى السادسة عشر من عمري، ثمّ انتقلت للعمل في عدّة مجالات؛ لأنّ

وضعي الاجتماعي كان يفرض عليّ أن أعيّل نفسي بنفسي.

● درست في مدرسة مسيحية، فهل كان لها تأثير ما على معتقداتك؟ أو

بالأحرى ماذا كان تأثيرها على توجّهك الديني؟

○ عندما كنت في المدرسة الكاثوليكية هذه كان ما جذبني هو قصّة السيّد

المسيح الذي عُدّب واضطُهد لأنّه بشر بما يعتقد، كانت حياته تثير مشاعري، لذلك

كنت أحبّ مادّة الدين كروايات وقصص لاكتطبيق؛ لأنّ ما كان يقوم به الجميع في

هذه المدرسة من تمييز و تفرقة بين الطلبة، تبعاً لانتمائهم الطبقي (فالغني كان

يُحترم أمّا الفقير فكان يُحتقر) ترك أثراً كبيراً لديّ اتّجاه هؤلاء واتّجاه ما يبشرون

به، كما ولدتُ لديّ نُفوراً من الدين، أو بالأحرى نفوراً من أن أكون كهؤلاء الراهبات خاصّة. لذلك انتقلت إلى المدرسة العلمانية إذ لا وجود للدين، وهنا يشعر المرء بالراحة؛ لأن الكَلَّ تقريباً من نفس الطبقة الاجتماعية. إذ لم يكن لديّ توجّه ديني؛ لأنّ الدين لم يكن يعنيني في شيء.

● هل كنتِ تسمعين بالديانة الإسلامية؟

○ لقد تعرّفت على بعض «المسلمين» منذ كنت صغيرة؛ لأنّ المنطقة التي عشت فيها كانت تضم الكثير من المهاجرين العرب. كنت أسمع منهم أنّهم مسلمون... ولكن بما أنّهم كانوا يقومون بكلّ ما يقوم به بقية سكان المنطقة من الفرنسيين (شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، والسفور، والعلاقات غير الشرعية - الزنا...) فلم أكن أميّزهم عن غيرهم.

بل كنت أميّزهم بمعاملتهم السيئة لزوجاتهم، وأولادهم، وتصرفاتهم غير المناسبة اجتماعياً، وهذه ليست نظرتي أنا فقط بل نظرة كلّ الفرنسيين هناك تقريباً، إذ أنّي لم أسمع بالدين الإسلامي من قبل كعقيدة وتعامل وحقوق وواجبات وأخلاق.

التعرّف على الإسلام:

● إذن كيف تعرّفتِ على الإسلام؟

○ كلّ شيء بدأ عندما أسلم أخي، الذي كان يعمل في معملٍ فيه كثير من العمال العرب المسلمين، هناك تعرّفت على رجل تونسي في الأربعين من العمر، كان يؤدّي صلاته في المعمل، فلفت انتباهه وسأله عما يفعل كلّ يوم، وما هذا الذي يقوم به، ولماذا؟

فما كان من هذا الرجل إلّا أن شرح له ذلك، ودعاه إلى منزله، وأخذ يُسمعه آيات من القرآن الكريم بصوت أحد المقرئين، فأعجب جداً بهذا الصوت المعبّر،

وظلّ يتردّد على هذا الرجل حتّى أسلم (وقد أطلق على نفسه اسم مصطفى).  
طبعاً أخي لم يقف مكتوف اليدين أمامنا - أنا وأخي الأكبر - بل أخذ  
يحدّثنا عن الإسلام وعن الرسول ﷺ وعن الله عزّ وجلّ. كنت أحبّ الاستماع  
إليه كثيراً، لكن في الرابعة عشر هناك أمور دنيوية تشغلنا وتجذب عقولنا، لذلك لم  
أهتم بشكل جدّي بالموضوع. بعكس أخي الأكبر الذي أسلم وأطلق على نفسه  
اسم حمزة، سافر شقيقاي مصطفى وحمزة إلى سوريا لدراسة العلوم الدينية لمُدّة  
سنة كاملة.

طبعاً هذا البُعد أنساني كلّ ما كانا حدّثاني عنه. لكن لن أقول أنّ مناقشاتهما  
معي لم تجدِ نفعاً، بل بالعكس فقد أقتعاني بفكرة وجود الخالق الذي هو الله تعالى.  
وبعد عودتهما من سوريا كرّرا عليّ الكلام والمحادثات، وهنا أخذنا يحدّثاني عن  
الإسلام وشريعته السمحاء التي تهدف إلى إقامة العدل والمساواة بين الناس. ثم  
ذهبت معهما إلى باريس حيث التقينا بعدد من الإخوة المؤمنين، وتعرّفت منهم  
على الكثير من مبادئ الإسلام، وحصلت على أجوبة لكلّ الأسئلة التي كانت  
تدور في خاطري، وشعرت أنّه من الضروري الدخول في هذا الدين القيم الذي  
يحفظ حق الإنسان، ولا يقبل بأيّ شكل من أشكال الظلم والاستكبار، ويدعو  
للمساواة والعدالة. وأسلمت لله عزّ وجلّ، وبدأت بتطبيق تعاليم الدين تدريجياً:  
تعلّمت الصلاة - باللغة العربية طبعاً - وبدأت بالصيام وأخذت أتعلّم بعض أحكام  
الطهارة والنجاسة والتقليد وكلّ ما يتعلّق بالحياة اليومية، كما أخذت أتردّد إلى  
بعض المراكز الإسلامية في باريس للاحتكاك أكثر بالأخوات المؤمنات.

● هل تعلمت اللغة العربية؟

○ كلا، لم أتعلّم اللغة العربية، إلّا في الصلاة فقط، ولكن سأحاول ذلك بإذن

الله.

● ذكرت أنك تؤدّين فريضة الصيام، فهل كان صعباً عليك أداء هذه الفريضة بادئ الأمر؟

○ عندما علمت أنه من الواجب أن نصوم شهر رمضان، حاولت الالتزام بهذا قدر المستطاع، طبعاً لا يخلو ذلك من الصعوبة، ولكن بعون الله وبالإرادة القويّة، تمكّنت من أن أقوم بهذا الواجب العظيم.  
موقف الأسرة والمجتمع من الاستبصار:

● بعد اعتناقك الإسلام ماذا كانت ردّة فعل أهلك ومجتمعك؟

○ «خلّقت مسيحية ويجب أن تبقى مسيحية» هذا ما كانت تردّده والدتي، وكانت تسألني: لماذا تغيّرين دينك؟ وما هذا الذي تقومين به؟

لكن ما أزعج الجميع هو التزامي بالحجاب؛ لم يقبلوا هذا أبداً، حتّى أنه في بداية دخولي الإسلام لم أضع الحجاب مباشرة بل وضعته بعد فترة قصيرة. وعندما كنت أذهب إلى قريتي حيث كلّ الأصدقاء السابقين والأقارب، كان صعباً عليّ أن أضعه في البداية لكن في النهاية كان لا بدّ أن أواجه الجميع وأفرض عليهم لباسي هذا، حتّى ولو لم يعجبهم لأنني كنت مقتنعة به.

وكان لزوجي من شاب مؤمن أثر كبير في مساعدتي على مواجهة ردّة فعل أهلي ومجمعي، إذ كان يذهب دائماً معي لزيارتهم.

مميّزات الإسلام:

● ماذا وجدت في الإسلام من مميّزات يختلف بها عن غيره من الأديان؟

○ ما جذبني في الإسلام هو العدالة والمساواة، فكلّ الناس سواسية، الفقير منهم والغني، السادة والعامّة، كلّهم متساوون.

هذا التواضع لم أعرفه إلا في الإسلام، كما تعرّفت في الإسلام على الاطمئنان الروحي، لأنّه ذلك الدين الذي يعالج كلّ شؤون الحياة؛ كلّما طرحت

سؤالاً أجده له جواباً... ولا يوجد فيه تناقضات أبداً.

وكوني امرأة، أعتبر أنّ الوضع المثالي والقيمة المثالية للمرأة هو ما أعطاه إياها الإسلام، فكرّمها أحسن تكريم، وأنا أعتبر الإسلام الدين الكامل الذي يجب على كلّ إنسان أن يتّبعه؛ لأنّه الحقّ بعينه.

الإسلام... نظريّة وتطبيق:

● كيف وجدت حياة المسلمين في لبنان.. من ناحية تطبيقهم لهذا الدين

الحنيف (الإسلام)؟

○ للأسف هنا أرى قسماً كبيراً من المسلمين يفتشون عن الدين لحلّ

مشاكلهم، ولكن لا يطبقونه في البداية حتّى لا يقعوا في المشاكل!

فهم هنا يخلطون بين التقاليد والدين، قد يفضلون بعض العادات والتقاليد على الأحكام الدينية، طبعاً أنا لا أنفي وجود إخوة مؤمنين وأخوات مؤمنات، لكن هذا قليل جداً بالنسبة لظموحنا وآمالنا كمسلمين.. فما نريده هو الإيمان والأخلاق والعمل الصالح والإنسان المسلم النموذجي. كما أتمنّى من المرأة المسلمة هنا أن تعي دورها وأهمّيته، وأن تطالب بحقوقها التي منحها إياها الإسلام، وأن لا تنسى واجباتها طبعاً.

فالمراة الواعية تستطيع أن تقوم بدور التربية لأولادها أفضل بكثير من المراة العادية غير المثقفة. كما أطلب من نفسي ومن كلّ الأخوات الاقتداء بفاطمة الزهراء عليها السلام، كما أطلب من الرجل الاقتداء بالرسول صلّى الله عليه وآله... والحمد لله ربّ العالمين.

## (١٣) فرانسوا توال (مسيحي / فرنسا)

ولد في «فرنسا»، ونشأ في أسرة مسيحية، وتدرّج في الدراسة إلى أن أصبح أستاذاً في جامعة السوربون، وكان سكرتيراً لكتلة نواب الوسط في مجلس الشيوخ الفرنسي.

تعرف على الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام من قبل زميله في الجامعة هنري كوربان؛ إذ أطلعه الأستاذ كوربان على أدلة أحقية الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، وأوقفه على ما يميّز به هذا المذهب من المعارف العالية والقيم السامية مثل: اهتمام التشيع الجعفري بالحفاظ على الوسطية في التعامل مع أصحاب الرأي الآخر، ومراعاة القيم الأخلاقية، والأسلوب العلمي في الحوار، وتحكيم العقل والمنطق، ونبذ العصبية والتجبر في مجال البحث العلمي.

فقرّر «فرانسوا توال» اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأعلن عن مذهبه الذي وصل إليه من خلال التفكير العميق والتدبّر الدقيق، فالتحق بقافلة النور التي يقودها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومون عليهم السلام.

### العلاقة مع الآخر:

مسألة العلاقة مع الآخر، من المسائل المصيرية التي تمتلك سياقات متعدّدة

تاريخياً واجتماعياً واقتصادياً، تشكّلت في صور متعدّدة، دخلت الفكر، واحتلّت مساحات في الذاكرة، وفي ثنايا الثقافة والحضارة.

وذلك، لأنّ الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً، مضطّرّ لإقامة علاقة مع غيره من الناس، سواء كان هذا الغير إيجابياً أم سلبياً، وبحثنا هذا يتكفّل بالغير السلبي، الذي يتحتّم على الإنسان أن يبحث عن توازن عادل في العلاقة معه.

إنّ الحوار الهادئ بين طرفين مختلفين في الرأي يعدّ من أهمّ العوامل المؤدّية إلى توسيع آفاق الرؤية، وإثراء الرصيد المعرفي بالمعلومات الجديدة، وتخطّي الحواجز الموجودة بين الطرفين؛ لأنّ من خلاله يكتسب كلّ من طرفي الحوار - عن طريق تبادل الآراء وتلاقح الأفكار - الرؤية الواضحة عن فكر الآخر، فيؤدّي ذلك إلى التفاهم والتقارب الفكري بين الطرفين، وشعور كلّ منهما بأن الآخر يساعده للوصول إلى الصورة الكاملة عن الحقيقة.

#### سبل صيانة الحوار من الفشل:

إنّ الاختلاف من شأنه أن يوفّر الأجواء لتكوين العداوات وتأجيج نيران الحقد والضغينة في القلوب، فلهذا ينبغي في الحوار - لكونه سبباً لاجتماع المختلفين في الآراء - أن يراعي كلّ من الطرفين الضوابط التالية، لتلا يتحوّل الحوار إلى ساحة سجال وعراك ومشاجرات كلامية:

١ - تحديد مساحة مشتركة في الحوار؛ من أجل الوصول إلى لغة مشتركة يمكن من خلالها التفاهم حين تبادل وجهات النظر، والمبادرة إلى إقناع الطرف المقابل في ضوء مبناه وبما ألزم به نفسه.

٢ - ضبط الغضب والسيطرة على كلّ انفعال من شأنه أن يسلب قدرة الإنسان على التفكير بوضوح، ويدفعه إلى الخروج عن حالة التوازن والاعتدال في الكلام والتصرّفات.



٣ - إدراك طرفي الحوار بأن الحوار ليس ساحة حرب أو معركة من أجل تأكيد الذات والتغلب على الآخرين، بل هو ساحة تعاون مشترك من أجل اكتشاف الحقيقة والوصول إلى نتيجة تهم الطرفين وترضيهم، فهذا لا يشترط في الحوار أن يكون فيه غالب ومغلوب في نهاية المطاف، بل المطلوب أن يبين كل من الطرفين وجهة نظره للآخر، ليوسع بذلك آفاق رؤيته إلى الحقائق.

٤ - خلق أجواء مملوءة بالثقة المتبادلة بين الطرفين، وإقامة علاقة طيبة ومتينة مع المقابل بحيث يكون الطرفان قادرين على فتح المُغلق في نفسيهما، وأن يتكلما بحرية كاملة دون تحفظ.

٥ - التفريق بين الفكر الضال والمنحرف، وبين من يحمل هذا الفكر في ذهنه، والانطلاق من منطلق محبة الطرف المقابل في الحوار كإنسان كرمه الله تعالى على سائر خلقه، والسعي من أجل إنقاذه من الفكر المنحرف العالق بذهنه؛ لأنّ الذي يرى المحاور أو الإنسان المتخبط في أحوال الضلال عدوّاً وخصماً له، لا يستطيع نفسياً أن يقدم له الخير، ولا يستطيع أن يكون مهتماً بهدايته وإرشاده إلى سواء السبيل، بل يكون همّه القضاء عليه، والتعريض الدائم به وتجريحه، والإطاحة بكيانه، وعدم إرادة الخير له.

٦ - الابتعاد عن استخدام المغالطة والمراوغة وجميع الأساليب غير الموضوعية، من قبيل: عدم مراعاة وحدة الموضوع، التلاعب بالألفاظ، الخلط بين المفاهيم، والالتجاء إلى التأويلات الفاسدة، والاستشهاد بالاقتراسات المبتورة والمشوهة للواقع...

**العلاقة مع الآخر.. والتقية:**

إنّ التقيّة قبل أن تكون مفهوماً تشريعياً يعتمد على القرآن والسنة، فهي مسألة وجدانية يقرّها العقل والفترة.

التقية بمفهومها الخاصّ عند مختلف مذاهب المسلمين، وبمفهومها العامّ عند مذهب أهل البيت عليهم السلام، هي نوع من أنواع العلاقة مع الآخر، وبيان لما تعرضه الوسطية في الإسلام بشأن العلاقة مع الآخر.

فالآخر الذي يخالفنا في الرأي، إمّا أن يكون موضوعياً في البحث والخطاب الديني، متفهماً لشروط الحوار، ويتمتع بثقافة رفيعة المستوى في استيعاب من خالفه الرأي، فهذا النوع من البشر يكون معه التقية بمفهومها المداراتي والمقابلة بالمثل والتأكيد على احترامه، وإنّ الاختلاف معه في الرأي لا يوجب القطيعة، ولا بدّ من ترك المنفرات في ذلك.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «رحم الله عبداً اجترّ مودّة الناس إلى نفسه، فحدّثهم بما يعرفون، وترك ما ينكرون»<sup>(١)</sup>.

أو أن يكون مخالفنا في الرأي بيده القدرة والسطوة، ولا يتسم بالموضوعية في قبول من يخالفه في المعتقد، ويستغلّ ما عنده من قدرة وسلطة لفرض معتقده ورأيه على من خالفه، فهذا النوع من البشر تكون التقية معه بمفهومها الحقيقي الذي لأجله شرّعت التقية.

إذاً، التقية هي: نوع من المداراة في المعاملة مع الآخر السلبي، والآخر صاحب القدرة على إيصال الأذى باستعمال العنف، وليست هي تنزل عن المعتقد أو تركه وتغييره.

وبناءً على هذا فالتقية: مسألة عقلية وجدانية عامّة لا تختصّ بدين دون آخر، أو معتقد دون غيره، فهي مسألة وجدانية يستعملها الإنسان في حالات معيّنة ومواقف اضطرارية مؤقتة إلى أن يرتفع المانع.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحبّ

(١) الخصال: ٢٥ ح ٨٩.

أن يؤخذ بعزائمه»<sup>(١)</sup>

وبما أن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم مرّوا بظروف عسيرة جدّاً، وواجهوا أشدّ أنواع العنف والإرهاب الذي لم تواجهه أي فئّة أو مجموعة أُخرى؛ لذا تجد اهتمامهم الكبير بموضوع التقية، وتقنين هذه المسألة، والتأكيد عليها، وتبيين ضوابطها، ويتبين ذلك جليّاً من خلال مئات الأحاديث المروية بالطرق الصحيحة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، والتي سننتقي بعضها في ما يلي:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رُفِعَتْ عَنْ أُمَّتِي أَرْبَعُ خِصَالٍ: مَا أَخْطَأُوا وَمَا نَسُوا، وَمَا أَكْرَهُوا عَلَيْهِ، وَمَا لَمْ يَطِيقُوا، وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقول الله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

٢ - قال الإمام الباقر عليه السلام: «التقية في كلّ ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به»<sup>(٥)</sup>.

٣ - قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّما جعلت التقية ليُحَقَّنَ بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية»<sup>(٦)</sup>.

٤ - قال أبو بصير: قال الإمام الصادق عليه السلام: «التقية من دين الله».

قلت: من دين الله؟

قال: «إي والله من دين الله، ولقد قال يوسف: ﴿أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ

(١) رسالة المحكم والمتشابه: ٥٨.

(٢) البقرة (٢): ٢٨٦.

(٣) النحل (١٦): ١٠٦.

(٤) تفسير العياشي ١: ١٦٠.

(٥) الكافي ٢: ٢١٩.

(٦) الكافي ٢: ٢٢٠.

لَسَارِقُونَ ﴿١﴾، واللّه ما كانوا سرقوا شيئاً، ولقد قال إبراهيم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٢)، واللّه ما كان سقيماً» (٣).

٥ - روى بكر بن محمد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ التقيّة ترس المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقيّة له».

فقلت له: جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُرْكِرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (٤)؟ قال: «هل التقيّة إلاّ هذا» (٥).

٦ - قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث: «إنّ جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد: إنّ ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك، فآتاه الله أجره مرّتين، وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله بالجنّة» (٦).

### العلاقة مع الآخر... وفتاوى التكفير

لم يباعد المسلمين فيما بينهم، ولم يمزق الأُمّة الإسلاميّة، ولم يسبّب النفرة والتنافر بين المسلمين، إلاّ تلك الفتاوى التي تصدر بين الحين والآخر، تكفّر المسلمين، وتمزّقهم أشتاتاً متباعدين متباغضين، والعلاقة فيما بينهم لا يُقدّر لها النجاح ما لم يقفوا في وجه هذه الفتاوى.

كانت هذه الفتاوى التكفيرية على مرّ العصور أكثر ما تكون أداة بيد الساسة

(١) يوسف (١٢): ٧٠.

(٢) الصافات (٣٧): ٨٩.

(٣) المحاسن ١: ٢٥٨.

(٤) النحل (١٦): ١٠٦.

(٥) قرب الاسناد: ٣٥.

(٦) الحجّة على الذاهب إلى كفر أبي طالب: ١٠٦.

الذين يتسلطون على زمام الأمور، يستعملونها لتحقيق أغراضهم السياسية، ولم تكن مقتصرة على تكفير الشيعة، بل كانت تُستعمل فيما بين سائر فرق المسلمين، وكانت تُزهق أرواح الأبرياء بسبب هذه الفتاوى التي كان للسياسة الدور الفاعل في تحريكها.

وما نشهده في أيامنا هذه من حوادث إرهابية تحدث في العراق وباكستان و... ضد الشيعة، ليس هو إلا المصداق البارز لتأثير هذه الفتاوى على الواقع العملي الذي نعيشه.

إن فتاوى التكفير لا تستعملها إلا الفرق المتطرفة من بين فرق المسلمين، وهؤلاء هم الذين جرّوا الولايات على الإسلام والمسلمين على مرّ العصور، وكانوا السبب في تأجيج الفتن الطائفية بين الفينة والأخرى، مرّة هنا ومرّة هناك، ووراء العنف الذي يحدث بين المسلمين في بلادهم المختلفة، والذي لانشكّ فيه: أن أيدي أعداء الإسلام والمسلمين وراء كلّ هذه الفتاوى، لتجعل من المسلمين أمة متناحرة متنافرة ضعيفة، يمكن الاستيلاء على خيراتها وبركاتهما بسهولة.

ولابدّ لأصحاب الكلمة، ومن بيدهم زمام الأمور من المخلصين ممّن يدعون إلى الوسطية في الإسلام ويريدون كلّ الخير لهذه الأمة، لا بدّ لهم من عقد مؤتمرات مختصة لمعالجة ظاهرة فتاوى التكفير والوقوف أمامها.

### العلاقة مع الآخر.. والسلفية:

هناك مفصل هام في هيكلية الذهنية السلفية، وهو:

١- انشداؤه إلى الماضي.

٢- كرهه للحاضر.

٣- خوفه من المستقبل.

فالزم من في الذهنية السلفية عبارة عن منحى يبدأ من عهد النبوة، ثم ينحدر مع الأيام، ليصبح الأمس هو الأفضل على الإطلاق، والغد هو الأسوأ مقارنة بالماضي، واليوم هو مرحلة زمنية هي أسوأ من الماضي وأفضل من المستقبل.

وهذه الهيكلية، بالأخص (كرههم للحاضر) جعلت منهم أناساً منغلقيين على أنفسهم، لا يتعاملون مع الواقع العملي بمرونة، وجعلت علاقتهم مع الآخر من أسوأ العلاقات من بين فرق المسلمين.

فلا نشاهد في معاملتهم مع الآخر المسلم ممن يخالفهم الرأي إلا الشدة والعنف، الذي يصل في كثير من الأحيان إلى التكفير والإخراج من الشريعة، وبالأخص في الأماكن التي لهم فيها وجود وقدرة وقوة، تجد الآخر ممن خالفهم الرأي يواجه أنواع العنف والإرهاب الفكري، يُظلم كل يوم، ممّا يجعل الكثيرين منهم يكتمون معتقدتهم ويعملون بالتقية.

وتجد أشد غضب السلفيين وحقدهم ينصبّ على الشيعة وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، الذين سمّوهم بـ «الرافضة» و«مجوس هذه الأمة»، ويرى فريق من السلفيين أنّ الشيعة أكفر من اليهود والنصارى، وهناك فتاوى تكفيرية واضحة.

وكذلك اشتدّ حقدهم على سائر فرق المسلمين التي لها مشتركات مع الشيعة، وكلّما كانت مشتركات هذه الفرق مع الشيعة أكثر كلّما كان حقد السلفيين عليهم أشد، وبالأخصّ الصوفية، الذين يشكّلون نسبة معتنى بها من بين المسلمين، والفرق التي تعتقد بالزيارة والتوسّل، الذين عبّر عنهم السلفيون بـ «القبوريين»، وأخرجوهم من الدين.

وأخيراً، فإنّ الفكر المتجدّد لم يسلم من حقد السلفيين، حتّى أنّهم أخرجوا من يحمله من المسلمين أو يحاول نشره بينهم من الدين وعدّوهم كفّاراً ملحدين.

## الاستبصار وتأليف «جيو بولتيك الشيعة»:

إنّ القيم السامية والمعارف العالية لن تجد مذهباً يهتم بها ويحترمها كمذهب أهل البيت عليهم السلام، وقد وصل «فرانسوا توال» إلى ضالته المنشودة وعثر على الطريق الصحيح للحياة باطلاعه على مذهب أهل البيت عليهم السلام، فأعلن عن استبصاره والتحاقه بهذا الركب العظيم؛ لكي يعيش مذهباً يعترف بالقيم الإنسانية التي لا يختلف اثنان في لزوم التمسك بها والعمل بمقتضاها.

وقد ألف «فرانسوا توال» كتاباً حول الشيعة في العالم سمّاه «جيو بولتيك الشيعة» وركّز فيه على تبين نقطتين أساسيتين:

١ - الشيعة عقيدة نبوية - انتظارية تسعى إلى تغيير العالم عبر الدفاع عن المظلومين والمهمّشين، في انتظار الإمام الذي سيخلص العالم من الشرور، والتحاق الناس بها جاء استجابة ضرورية لمعطيات واقعية داخلية وخارجية.

٢ - إعادة النظر في عملية التعااطي مع الشيعة في الشرق الأوسط، لأنّ سياسة الحصار والاحتواء، أو قمع الأقليات واضطهادهم دينياً وسياسياً لم تعد مجدية، ونتائجها المستقبلية ستكون مليئة بالمفاجآت والمخاطر على استقرار الأنظمة السياسية الحاكمة.

(١٤) فرانسيس بلانس (فرشته)

(مسيحية / فرنسا)

ولدت في فرنسا، ونشأت في عائلة مسيحية، وبعد إكمال الدراسة العامة استمرت في الدراسات الإلكترونية حتى نالت شهادة الدكتوراه فيها. اعتنقت الإسلام، وتمسكت بولاء أهل البيت عليهم السلام بعد اطلاعها على الدين الإسلامي عن طريق المبلّغين الإسلاميين الوافدين إلى فرنسا. موقفها في البحث:

تعتقد «بلانس» أنّ الأبحاث العقائدية يجب أن تبني على مكوّنين أساسيين:

أولاً: الدراسة الحرّة المبتنية على الأسس العلمية وعدم التعصّب الأعمى، وإلا لم تسفر الدراسة عن أيّ تقدّم في البحث؛ لأنّ ثمرّة التعصّب لا تكون إلاّ الجهل والعناد، وعدم قبول الحقّ بل يبعد الإنسان بذلك عن كلّ الكمالات ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿... كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ...﴾<sup>(١)</sup>.

ثانياً: التعمّق في دراسة المذاهب، فإنّ «بلانس» كانت صابرة في بحثها، ولم تقتنع بأمر بسيط، فلم تنبهر بكثرة أفراد أبناء العمّة وأتباع مدرسة الخلفاء عند

(١) الأعراف (٧): ١٧٩، الفرقان (٢٥): ٤٤.



بحثها في المذاهب الإسلامية.

إلا أن الشخص البسيط قد يتأثر بالعدد عندما يرى أن أتباع مذهب من المذاهب أكثر عدداً من غيرهم؛ فيعتقد أنه هو الحق وما يقابله الباطل.  
هل الكميّة معيار الحقّ أم لا؟:

قد يقال أن كثرة العدد في مذهب من المذاهب يدلّ على أن أتباعه يسلكون الصراط المستقيم؛ فمذهبهم هو الصحيح عند الله سبحانه وتعالى، أو أن قلة العدد تدلّ على بطلان معتقد الأتباع.

في مقام الإجابة عن هذا الإشكال ينبغي الإشارة إلى أن هذه الدعوى ليس لها دليل تبتني عليه فهي مجرد دعوى لا تثبت شيئاً ولا تنفيه. بل إن هناك أدلة محكمة تثبت بطلان هذه الدعوى، التي طالما بقيت شبهة عند بعض العلماء فضلاً عن عامة الناس، فذاك شيخ جامعة الأزهر الشيخ سليم البشري في مكاتباته للعلامة السيّد عبد الحسين شرف الدين، يقول: «انظر في حججك، فأراها ملزمة، وفي بيّناتك، فأجدها مسلمة... ثم انظر إلى جمهور أهل القبلة والسواد الأعظم من ممثلي هذه الملة، فإذا هم مع أهل البيت على خلاف ما توجهه ظواهر تلك الأدلة، فأنا أوامر مني نفسيين: نفساً تنزع إلى متابعة الأدلة، وأخرى تفرع إلى الأكثرية من أهل القبلة...»<sup>(١)</sup>.

### القرآن الكريم والأكثرية:

إذا تأملنا الآيات القرآنية الكريمة نرى أن معيار الحقّ عند الله عزّ وجلّ لا يقتصر على كميّة العدد فحسب، بل قد ورد الذمّ في حقّ الأكثرية في عدّة موارد يتّضح منها أن الملاك الأساسي هو الكيفيّة حقيقة سواء كان العدد كثيراً أو قليلاً؛ فإنّ الباحث إذا تتبّع الآيات الشريفة يجد أسباباً مختلفة لتقبيح فعل الأكثرية، فهو:

(١) المراجعات: ٨٦ (المراجعة ١١).

إمّا لإنكار أهل الكتاب، الآيات الإلهية وعدم الإيمان بالله، قال الله تعالى:  
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وإمّا لعدم قبول القرآن ورسالة خاتم الأنبياء ﷺ، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ  
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وإمّا لإنكار القيامة والمعاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالذين يتصوّرون أنّ الأكثرية العددية تدلّ على طريق الحقّ ليسوا على  
صواب؛ وذلك لدلالة الآيات القرآنية الكريمة على تحقير وذمّ الأكثرية في عدّة  
موارد، وبتعابير مختلفة، كوصفهم بأنهم: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ  
كَاذِبُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا  
يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٩)</sup>.

فراي الأكثرية، وإن كان مقبولاً في مجتمعاتنا اليوم لدفع الاختلافات وحلّ  
المشاكل إلاّ أنّه غير مقبول، بل مرفوض في تعيين الطريق الصحيح كما يتّضح ذلك  
من إرسال الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وتعيين الإمام المعصوم بعد

(١) يوسف (١٢): ١٠٦.

(٢) هود (١١): ١٧.

(٣) سبأ (٣٤): ٢٨.

(٤) غافر (٤٠): ٥٩.

(٥) يونس (١٠): ٦٠.

(٦) الشعراء (٢٦): ٢٢٣.

(٧) النحل (١٦): ٧٥.

(٨) التوبة (٩): ٨.

(٩) البقرة (٢): ١٠٠.

النبي ﷺ؛ فإن الله تعالى سبحانه هو الذي أرسل رسله وعينهم لأمر الرسالة، كما نصّب الأئمة عليهم السلام بعد النبي ﷺ في أجواء ورأي عام مناوئ لهم.

### كيفية تحقق الحق:

إن القاعدة الأساسية في تحقق الحق ليست العدد والكمية؛ فقد يكون العدد الكثير مع الحق إذا كانوا تحت راية النبي أو الإمام المعصوم صلوات الله عليهم كما يمكن أن يكون العدد القليل مع الحق بوجودهم جنب الرسول أو الإمام المعصوم عليهم السلام، كما ذكر ذلك في الآيات القرآنية.

وما يريده المولى سبحانه من عباده حقيقتاً هو متابعة الحق وإنكار الباطل وإن كان أهل الحق قليلين وأهل الباطل كثيرين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ...﴾<sup>(١)</sup> و: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وينبغي الإشارة إلى أننا لسنا بصدد إثبات أن الحق مع الأقلية وأن رأي الأكثرية باطل دائماً، بل نحن بصدد الإجابة عن اعتراض من يزعم أن الأكثرية في طرف تكون علامة على أن الحق معهم، والأقلية علامة للباطل..

وقد وقع كلام في هذا المجال بين أبي عبيدة المعتزلي وبين هشام بن الحكم، فقال أبو عبيدة لهشام: الدليل على صحة معتقدنا وبطلان معتقدكم: كثرتنا وقتلتكم مع كثرة أولاد علي عليه السلام وادّعائهم.

فقال هشام: لست إيانا أردت بهذا القول، إنما أردت الطعن على نوح عليه السلام حيث لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى النجاة ليلاً ونهاراً، وما

(١) التوبة (٩): ٣٣.

(٢) الزخرف (٤٣): ٧٨.

آمن معه إلا قليل<sup>(١)</sup>.

معرفة الحق بعد الرسول ﷺ... نظرة إلى الروايات:

إذا لاحظنا الروايات الواردة في كتب العامة والخاصة في هذا المجال نجدها أيضاً تدلّ على أنّ العدد الكثير ليس معياراً لمعرفة الحق؛ بل إنّ بعضها يشير إلى أنّ الأقلية في ظروف معينة كانت على الحق، كالأقلية بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ فإنه أخبر ﷺ بأنّ الأغلبية ستتحرف عن مسير الحق ويدخلون بذلك النار، وعندما يسأل النبي ﷺ عن سبب دخول أصحابه النار يجاب بـ: «إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري»، ثم يقول الرسول ﷺ: «فلا أراه يخلص منهم إلا همل النعم»<sup>(٢)</sup>، إشارة إلى العدد القليل جداً.

وقد قال النبي ﷺ أيضاً: «... ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها»<sup>(٣)</sup>.

إذا ضمنا تلك الروايتين إلى الحقائق التاريخية التي وقعت بعد رسول الله ﷺ؛ إذ اختلفت الأمة من بعده في مسائل كثيرة، نصل إلى أنّ الأكثرية قد خالفت بأفعالها الشريعة المقدسة، وارتدت بذلك على أدبارها، وهم يسبغون في مسيرة الباطل، وأنّ الأقلية المتمثلة بالإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبعض أصحاب النبي ﷺ، كـ: سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وأمّثالهم، كانت على الحق، ومما يؤيد هذا القول:

قول الرسول الأكرم ﷺ لعمرّار بن ياسر في تعيين مسير الحق من الباطل بعده؛ إذ قال ﷺ له: «يا عمّار! تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق»

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٣٦.

(٢) صحيح البخاري ٧: ٢٠٨، كنز العمال ١١: ١٣٣.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٨٧، سير أعلام النبلاء ٤: ٣١١، تاريخ الإسلام ٧: ١٣١، المعجم الأوسط ٧: ٣٧٠، الجامع الصغير ٢: ٤٨١.

معك...

يا عمّار! إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع عليّ ودع الناس؛ إنّه لن يدلّك على ردى، ولن يخرجك من الهدى»<sup>(١)</sup>.  
وقد كان عمّار بن ياسر - كما قال رسول الله ﷺ - مع عليّ بن أبي طالب ؑ،  
وشهد الجمل وصفين وقُتل فيها على يد أتباع معاوية بن أبي سفيان.  
فبناءً على كلام رسول الله ﷺ كان عمّار مع الحقّ، والذين قتلوه مع الباطل،  
فيمكن لنا من خلال ذلك معرفة أهل الحقّ وأهل الباطل سواءً كان عددهم قليلاً أم  
كثيراً.

### نموذج آخر:

إذا لاحظنا وقعة الجمل نرى أنّ أصحاب الجمل كانوا من أصحاب  
الرسول ﷺ وكان فيهم أشرف وأكابر، مثل طلحة والزبير، وفيهم من يؤيد عثمان،  
مثل: عائشة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، وكعب بن سور وغيرهم، وكان  
حضورهم في المعركة سبباً في وقوع غير ذوي البصيرة - الذين ينظرون إلى الحقّ  
من خلال الشخصيات البارزة أو عدد الأفراد - في الشك والحيرة.  
قال الحرث بن حوط اللبثي لعليّ بن أبي طالب ؑ: أترى أنّ طلحة والزبير  
وعائشة اجتمعوا على باطل؟

فقال عليّ ؑ: «يا حار! أنت ملبوس عليك، إنّ الحقّ والباطل لا يُعرفان  
بأقدار الرجال، وبإعمال الظنّ، اعرف الحقّ تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف  
أهله»<sup>(٢)</sup>.

فالملاك الحقيقي هو معرفة الحقّ نفسه، والباطل نفسه، ومن خلالهما يُعرف  
أتباعهما.

(١) تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧٢، البداية والنهاية ٧: ٣٤٠.

(٢) أنساب الأشراف: ٢٣٩، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٠.

وقد يقال هنا:

كيف يمكن الجمع بين الروايات التي تدمم الأكثرية وبين الروايات التي تمدح الجماعة، مثل: القول المروي عن النبي ﷺ: «يد الله مع الجماعة»<sup>(١)</sup>، وأمثالها من الأخبار؟

والجواب: يمكن الجمع بين الأخبار المذكورة ببيان معنى «الجماعة» في الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ؛ فقد سئل ﷺ عن جماعة أمته، فقال ﷺ: «جماعة أمتي أهل الحق، وإن قلوا»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث آخر سأل سائل: ما جماعة أمتك؟

فأجاب ﷺ: «من كان على الحق وإن كانوا عشرة»<sup>(٣)</sup>.

وقد سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أعلم صحابة رسول الله ﷺ، عن السنة والبدعة والجماعة والفرقة، فقال عليه السلام:

«السنة: - والله - سنة محمد ﷺ.

والبدعة: ما فارقتها.

والجماعة: - والله - جماعة أهل الحق، وإن قلوا.

والفرقة: جماعة أهل الباطل، وإن كثروا»<sup>(٤)</sup>.

فالآيات القرآنية والروايات الشريفة كلها تدل على ملاك واحد لمعرفة الحق والباطل، وهو معرفة الحق نفسه والباطل نفسه؛ ليعرف بهما أتباعهما، ولا يتمسك أحد لتشخيص الحق والباطل بوجوه معروفة وبارزة أو بعدد أتباع مذهب

(١) سنن الترمذي ٣: ٣١٦، سنن النسائي ٧: ٩٢، المستدرک علی الصحیحین ١: ١١٥، المعجم الأوسط ٦: ٢٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣١٥، الخصال: ١٥٠.

(٣) معاني الأخبار: ١٥٤، محاسن البرقي ١: ٣٤٦.

(٤) كنز العمال ١: ٣٧٨، الكافي ٢: ٣٠٧.

من المذاهب.

عرفت الحقّ فاتّبعته:

جعلت «فرانسييس بلانس» ملاك بحثها الدراسة الحرّة المبتنية على الأُسس العلميّة، فأسفر بحثها عن أحقيّة التشييع، أي: مذهب أهل بيت النبيّ صلوات الله عليهم؛ ولذلك أقدمت على اعتناقه والتمسّك بمبادئه الأصيلة كي تنال سعادة الدارين<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٦١.

## (١٥) فليب برسانج (أمير)

(مسيحي / فرنسا)

من مواليد فرنسا، نشأ في عائلة تعتنق الديانة المسيحية، حتى لاحت لبصيرته المعارف الإسلامية فتأثر بقيم الإسلام السامية ورؤاه الواضحة.

الإمام علي عليه السلام وعائشة:

إن من أهم العوامل التي يلاحظها المستبصرون ويدرسها المعنيون بالشأن الإسلامي هي الإنسانية التي يحتويها هذا الدين الحنيف ومذهب أهل البيت عليهم السلام بالخصوص، فإن من المعتاد أن يقوم المنتصر - في الحروب والمعارك التي تنشب بين فئتين - بالتمثيل بأعدائه، والتنكيل بهم، وإذلالهم بكل طريقة، ولكن هذا المعنى لم نجده عند أمير المؤمنين عليه السلام عندما ظفر بأعدائه، بل رأيناه يحرص على حفظ كرامتهم، وعدم الاعتداء عليهم، وقد اتضح هذا المعنى جلياً في موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من عائشة، وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: (وَأَمَّا فَلَانَةٌ فَأَدْرَكَهَا رَأْيِي النَّسَاءِ، وَضِعْنُ<sup>(١)</sup> غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ<sup>(٢)</sup> الْقَيْنِ<sup>(٣)</sup>، وَلَوْ دُعِيَتْ لَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ

(١) الضغن والضغينة: الحقد، ضغن عليه أي: حقد. كتاب العين ٤: ٣٦٦.

(٢) الميرجل: قُدْر من نحاس. مجمع البحرين ١: ٧٢.

(٣) القين: الحداد، وجمعه قيون. كتاب العين ٥: ٢١٩.



إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَأَمَّا فَلَانَةٌ)، فهي: عائشة. (فَأَذْرَكَهَا رَأْيُ النَّسَاءِ)، وهذا الضعف كان واضحاً في شخصيتها، ولهذا نجد أن التاريخ يحدثنا أن علياً عليه السلام أنكر على طلحة إخراجها عائشة، فقال طلحة: إنها إنما جاءت للإصلاح.

فقال علي عليه السلام: (هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج)<sup>(٢)</sup>. وهذا الشعور لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يحمله لوحده، بل ينقل لنا التاريخ مواقف لآخرين أدركوا هذه الحقيقة؛ فقد روى الحسن البصري، قال: أقبل أبو بكر يريد أن يدخل مع طلحة والزبير في أمرهما، فلما رأى أن عائشة تدبرهما رجع عنهما، ف قيل له: ما لك لم تدخل؟ قال: رأيت امرأة تلي أمرهما، وقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله - وقد ذكر ملكة سباً - يقول: (لا أفلح قومٌ تدبر أمرهم امرأة) فكرهت الدخول معهما<sup>(٣)</sup>.

وأما خروجها على أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أخبرنا عنه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وهو ما رواه أمين سرّه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عند ذكر خروج عائشة، فقال: «يقاتل معها مضر، مضرها الله في النار وأزد عمان، سلت<sup>(٤)</sup> الله أقدامها، وإن قيساً لن تنفك تبغي دين الله شراً حتى يركبها الله بالملائكة، فلا يمتنعوا ذنب تلعة<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.  
قال ابن أبي الحديد معلقاً بعد نقله هذا الخبر: «قلت: هذا الحديث من أعلام

(١) نهج البلاغة ٢: ٤٨، الخطبة: ١٥٦.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٧٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٢٧.

(٤) سلت الله أقدامها: قطعها. النهاية في غريب الحديث ٢: ١٧٤.

(٥) التلاع: مسایل الماء من علو إلى أسفل، واحدها: تلعة، وذنب التلعة: أسفلها؛ قال الزمخشري: (أي: يذلها الله حتى لا تقدر على أن تمنع ذنب تلعة). الفائق في غريب الحديث ٣: ٢٤٦.

(٦) الفائق في غريب الحديث ٣: ٢٤٦.

نبوة سيدنا محمد ﷺ؛ لأنه إخبار عن غيب، تلقاه حذيفة عن النبي ﷺ، وحذيفة أجمع أهل السيرة على أنه مات في الأيام التي قُتل عثمان فيها، أتاه نعيه وهو مريض، فمات وعليه عليه السلام لم تتكامل بيعة الناس [له] ولم يدرك الجمل. وهذا الحديث يؤكد مذهب أصحابنا في فسق أصحاب الجمل إلا من ثبتت توبته منهم، وهم: الثلاثة»<sup>(١)</sup>.

وفي معرض الجواب على ما ذكره ابن أبي الحديد نقول:

أولاً: إن فسقهم دراية، وأمّا توبتهم فهي رواية، هذا إن وجدت رواية! ثانياً: إن الوقائع التاريخية الكثيرة تشير إلى أن عائشة كانت مصرة على موقفها من أهل بيت النبوة بشكل عام، ومن أمير المؤمنين عليه السلام بشكل خاص، حتى وفاتها؛ ففي كتاب مقاتل الطالبيين: قال يحيى بن الحسن: سمعت علي بن طاهر ابن زيد يقول: لما أرادوا دفن الحسن بن علي عليه السلام: ركبت عائشة بغلاً، واستعونت بني أمية ومروان، ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل:

فيوماً على بغل ويوماً على جمل<sup>(٢)</sup>

وفي تاريخ اليعقوبي - في دفن الحسن عليه السلام - قيل: إن عائشة ركبت بغلة شهباء وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد، فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقال لها: يا عمّة! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدن أن يقال: يوم البغلة الشهباء؟!<sup>(٣)</sup>.

عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لما حضر الحسن بن علي عليه السلام الوفاة قال للحسين عليه السلام: يا أخي! إنني أوصيك بوصية، فاحفظها، إذا أنا متّ

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١١: ١٢٢.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥.

فهيئني، ثم وجهني إلى رسول الله ﷺ لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي ﷺ، ثم ردني فادفني بالبقيع، واعلم أنه سيصيني من عائشة ما يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ولرسوله وعداوتها لنا أهل البيت.

فلما قبض الحسن ﷺ ووضع على السرير، ثم انطلقوا به إلى مصلى رسول الله ﷺ الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلى عليه الحسين ﷺ وحمل وأدخل إلى المسجد، فلما أوقف على قبر رسول الله ﷺ ذهب ذو العوينين إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوه مع النبي ﷺ.

فخرجت مبادرة على بغل بسرج - فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً - فقالت: نحو البنكم عن بيتي؛ فإنه لا يُدفن في بيتي ويهتك على رسول الله حجاب. فقال لها الحسين ﷺ: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله ﷺ وأدخلت عليه بيته من لا يحب قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس في وصية الحسن ﷺ ودفنه - إلى أن قال: - قال ابن عباس: فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرحل، تقدمهم وتأمرهم بالقتال، فلما رأته قالت: إليّ إليّ يا بن عباس، لقد اجترأتم عليّ في الدنيا، تؤذونني مرة بعد أخرى، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب.

فقلت: واسوأته! يوم على بغل، ويوم على جمل، تريدان أن تطفتي نور الله، وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله ﷺ وبين حبيبه أن يدفن معه، ارجعي فقد كفى الله المؤونة، ودفن الحسن إلى جنب أمه، فلم يزد من الله إلا قرباً، وما ازددت منه والله إلا بعداً.

يا سوأته! انصرفي، فقد رأيت ما سرّك.

فقطبت في وجهي، ونادت بأعلى صوتها: ما نسيتم الجمل يا بن عباس،

(١) الكافي ١: ٣٠٠.

إنكم لذووا أحقاد.

فقلت: أم والله ما نسيه أهل السماء، فكيف ينسأه أهل الأرض.

فانصرفت وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قررت عينا بالإياب المسافر<sup>(١)</sup>  
ثالثاً: إن التوبة ليست مطلقة في كل حين ولكل شخص، فلا يستطيع كل  
شخص أن يتوب في وقت معين وتقبل توبته، وأفضل مثال قرآني على ذلك ما  
جاء في قصة فرعون، الذي صرحت الآية بتوبته، ولكنها صرحت أيضاً بعدم قبول  
هذه التوبة منه؛ قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا  
وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ \* آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ  
لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾، أي: آمنت بأنه..

وقد وصف الله بالذي آمنت به بنو إسرائيل ليظفر بما ظفروا به بإيمانهم، وهو  
مجاوزه البحر والأمان من الغرق، ولذلك أيضاً جمع بين الإيمان والإسلام؛ ليزيل  
بذلك أثر ما كان يصر عليه من المعصية، وهو: الشرك بالله والاستكبار على الله.

قوله تعالى: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، الآن: بالمد، أصله:

آلان، أي: أتؤمن بالله الآن، وهو: حين أدركك العذاب، ولا إيمان ولا توبة حين  
غشيان العذاب ومجيء الموت من كل مكان، وقد عصيت قبل هذا وكنت من  
المفسدين، وأفنيت أيامك في معصيته، ولم تقدم التوبة لوقتها، فماذا ينفكك الإيمان  
بعد فوت وقته؟! وهذا هو الذي كان موسى وهارون سألاه ربهما: أن يأخذه بعذاب

(١) راجع: أمالي الطوسي: ١٦١.

(٢) يونس (١٠): ٩٠-٩٢.

أليم، ويسدّ سبيله إلى الإيمان إلا حين يغشاه العذاب، فلا ينفعه الإيمان ولا تغني عنه التوبة شيئاً.

قوله تعالى: ﴿قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾.

فإنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يُر منهم أحد، إذ هبوا في البحر، وأمّا فرعون فنبذه الله وحده، فألقاه بالساحل، لينظروا إليه، فيعرفوه، وليكون لمن خلفه آية، ولئلا يشكّ أحد في هلاكه؛ فإنهم كانوا اتخذوه ربّاً، فأراهم الله إياه جيفة ملقاة بالساحل؛ ليكون لمن خلفه عبرة وعظة؛ يقول الله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

رابعاً: أنّ المعاصرين لهم لم يلاحظوا أنّ التوبة قد شملت هؤلاء، بل إنهم كانوا يعتقدون بإثمهم، وهو ما رواه المؤرّخون من أنّ أمّ أوفى العبدية دخلت بعد الجمل على عائشة، فقالت: يا أمّ المؤمنين! ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟

قالت: وجبت لها النار.

قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟

قالت: خذوا بيد عدوّة الله.

وماتت عائشة في أيام معاوية، وقد قاربت السبعين، وقيل لها: تدفينين مع النبي؟ فقالت: إنني أحدثت بعده حدثاً، فادفنوني مع إخوتي بالبقيع<sup>(٢)</sup>.

خامساً: نسأل ابن أبي الحديد وغيره: لماذا لم ترد عائشة على أمّ أوفى بالرد المنطقي العلمي، بأنّ قتالها كان لأمر مشروع وفي سبيل الله؟

(١) تفسير القمّي: ١: ٣١٦.

(٢) العقد الفريد: ٥: ٧٩.

أو أنها ثابت فلا مورد لإشكال أم أوفى وتعريضها؟

بل كان جوابها أن: أمرت بإخراج «عدوة الله»، بحسب تعبيرها!

سادساً: إذا كانت توبتها مقبولة، وعملها وصاحبها غير مؤاخذين عليه، فلماذا حذرها النبي ﷺ بقوله: (يا حميراء! كأنني بك تنبحك كلاب الحوآب، تقاتلين علياً وأنت له ظالمة)<sup>(١)</sup>.

قال الهيثمي: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح.

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب؟ تخرج فينبحها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعد ما كادت.

رواه البزار، ورجاله ثقات»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: «وأخرج هذا أحمد، وأبو يعلى، والبزار، وصححه ابن حبان، والحاكم؛ وسنده على شرط الصحيح، وعند أحمد: فقال لها الزبير: تقدمين فذكره. ومن طريق عصام بن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب؟ - بهمزة مفتوحة، ودال ساكنة، ثم موحدتين: الأولى مفتوحة - تخرج حتى تنبحها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثير، وتنجو من بعد ما كادت. وهذا رواه البزار ورجاله ثقات»<sup>(٣)</sup>.

والحوآب: موضع في طريق البصرة محاذي البقرة مائه أيضاً من مياههم،

(١) مسند أحمد ٦: ٥٢.

(٢) مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤.

(٣) فتح الباري ١٣: ٤٥-٤٦.

قال أبو زياد: ومن مياه أبي بكر بن كلاب الحوآب، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهلي، وقال نصر: الحوآب من مياه العرب على طريق البصرة<sup>(١)</sup>.

### اعتناقة للإسلام ومذهب أهل البيت عليه السلام:

بعد أن اتّضحت لـ«فليب» عظمة الإسلام وحقيقته التي تحترم الإنسان وتراعي أدقّ شؤون كرامته، وبعد مقارنته مع المدارس الأخرى اقتنع بأنّ هذه المدرسة هي المدرسة الإلهية التي أرسلها الله تعالى رحمة للعالمين، وأنّها تمثّل الحقّ والعدل، فاعتنق الإسلام ومذهب أهل البيت عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

---

(١) معجم البلدان، الحموي ٢: ٣١٤.

(٢) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٥٦.

## (١٦) كارولين روسيه (مسيحية / فرنسا)

ولدت في مدينة «بون» الفرنسية، ونشأت في أسرة مسيحية، واصلت دراستها الأكاديمية حتى حصلت على البكالوريا في العلوم الطبيّة والاجتماعية. تعرّفت «كارولين» في الدورة التدريبيّة على طبيب لبناني مسلم، فأعجبت بمواقفه التي كانت تحترم المرأة، وكان هذا اللقاء بداية تعرّفها على مذهب أهل البيت عليه السلام.

وقد بيّنت «كارولين» قصّة استبصارها، والآثار التي تركها الإسلام على شخصيّتها في حوار أجرته معها مجلة «نور الإسلام». الاستبصار وموقف الأسرة والأصدقاء:

● هل لك أن تُحدّثينا بإيجاز عن مولدك ونشأتك؟

○ اسمي «كارولين روسيه»، ولدت في مدينة «بون» الفرنسية (الشاطي الذهبية)، وأمضيت طفولتي في جنوب فرنسا على بعد ٥٠ كم من مدينة «أفينيون» الشهيرة بجسرها، الذي يتغنّى به الأطفال في أناشيدهم الراقصة... على مقربة من هذا الجسر أمضيت طفولتي ولكن دون أن تجتذبني هواية الرقص، ونشأت في عائلة مسيحية.



تابعت دراستي الثانوية إلى أن حصلت على البكالوريا في العلوم الطبيّة والاجتماعية، وكنت أطمح لدراسة العلوم الطبيّة وبصورة خاصّة إعداد نفسي كمرّضة. كانت لديّ رغبة في أن أخدم في قسم الصحّة في مصالح الجيش، لذلك قرّرت التطوُّع في وحدة الخدمة النسائيّة؛ لاكتساب الخبرة في المجال العسكري خلال سنة ونصف، ولم يكن بمقدوري تحمّل النظام الصارم فقرّرت متابعة دراستي في مجال التمريض في الخدمة المدنية.

أثناء الدورة التدريبية الأخيرة التي كنت أتلقّاها في المستشفى تعرّفت على طبيب لبناني مسلم، فدهشت لموقفه الذي ينطوي على احترام المرأة، وتعرّفت عن طريقه على إخوة لبنانيين، قدّرت فيهم حسن المعاملة والاحترام، وتوطّدت العلاقات بيني وبين المسلم اللبناني وقرّرتنا الزواج.

● ما هي الأوضاع التي رافقت اعتناقك الإسلام، خاصّة موقف الأهل

والأصدقاء؟

○ في بداية اعتناقي الإسلام كنت منفتحة على المسلمين كافة، علماً بأنّي اخترت أتباع منهج أهل البيت عليهم السلام، وقد لقي اختياري الإسلام كدين، نظرة احترام من قبل أهلي، الذين تعاملوا معي من موقع حبّهم الشديد لي، وإن كانوا قد رفضوا ذلك في البداية بسبب ما طرأ من تغيير على مظهري الخارجي، خاصّة الحجاب، والعادات الجديدة، والثياب الفضفاضة؛ إذ أصبحت ملابسي طويلة بدل أن تكون قصيرة، وواسعة بدل أن تكون ضيّقة، ولكنّهم مع ذلك لم يخفوا قلقهم على مستقبلتي، لقد كانوا على اتصال تدريجي بالسلوك الإسلامي عن طريق زوجي خلال تسع سنوات، ثمّ استمرّ دون انقطاع.

وكان أهلي متفهّمين لهذه المواقف، وكنت لا أدخر وسعاً في محاولة استمالتهم والتأثير عليهم في إبراز حقيقة هذه الحياة، التي نحياها بشكل عابر،

والتي ستُفضي بنا إلى حياة أُخرى؛ كُنّا نتبادل الحديث بشأن حقائق هذا الوجود،  
مثل: السعادة والشقاء، والموت والحياة.

نظرة إلى مستقبل الإسلام وتأثيره على الحياة الشخصية:

● ما هي نظرتك إلى مستقبل الإسلام؟

○ إن عوز الغرب للقيم التي أفقدته إياها الحضارة المادية ستجعله يبحث  
عن الخلاص في الإسلام؛ إن الإفراط في الحرّية المتّبع في الغرب هو المسؤول  
عن مآسي الغرب، كما أنه يزيد من حالات الإحباط والكآبة، لأن معظم الناس  
هناك لا يمتلكون معايير ولا ضوابط أخلاقية أو حدوداً معروفة.

● هل ترك الإسلام من أثر جديد على حياتك الشخصية؟

○ إنّي الثقة تملأ قلبي، بأنني إن شاء الله أسير على الصراط المستقيم،  
صراط الذين أنعم الله عليهم، وهداهم إلى الحقّ.

لقد أكسبني الإسلام صفة الصبر، وأضفى على روعي السكينة، ومنحني  
راحة الضمير، وزوّدي بقدره على التمييز بين الخير والشر.

نصائح... للمسلمات الغريبات وللقراء:

● ما هي نصيحتك للمسلمات الغريبات؟

○ إنّ المعاناة ليست سهلة، إلاّ أنه يجب أن لا نستسلم للصعاب، كما أنّي  
أنصح بأن لا نأخذ الإسلام عن المسلمين فحسب، بل ينبغي العودة إلى القرآن  
الكريم، والسنة النبوية المطهّرة وتعاليم أهل البيت عليهم السلام، فنحن لا نريد إسلاماً  
متكيفاً مع بعض مناهج الغرب وأنظمتها التربوية والاجتماعية.

إنّ بعض الغريبين ينظرون إلى الحجاب كظاهرة تدلّ على التخلف، مع العلم  
أنّ الحجاب هو مظهر من مظاهر الإسلام، وأحد معالم تجلّيه في الزي والسلوك،

فالحجاب ليس رمزاً سياسياً أو شعاراً حزبياً كما يعتقد بعض الغربيين، بل هو رمز أخلاقي يشير إلى التزام الفتاة بما يصون نفسها عن الإغراءات والابتذال والسير في ركاب الموضة التي يروجها الإعلام الغربي.

كما أن بعض الغربيين يريدون أن نتبع إسلاماً مفرغاً من محتواه، أي لا يمت بصلة إلى الإسلام الأصيل.

● ما هو موقفك من سلوك بعض المسلمين والمسلمات؟

○ إنَّ أدين بإيماني بمنهج الحقِّ إلى بعض المسلمين الذين تسنَّ لي بواسطتهم التعرّف على منهج أهل البيت عليهم السلام، إلا أنني لم أكن أتوقع أن أرى معظم المسلمين لا يطبقون الإسلام؛ لأنَّ الدين رادع أخلاقي يقيّد سلوك الإنسان، ويميل الإنسان عادة إلى الاندفاع وراء غرائزه ورغباته ونزعاته الشخصية، فلقد (حاج) مثلاً يجعل من حامله إنساناً محترماً، ولكن العبرة ليست في الشكل والمظهر، بل في المضمون والجوهر.

إنه لجهاد مستمر وشاق ذلك الذي عناه النبي صلى الله عليه وآله ودعاؤه: الجهاد الأكبر.

● نصيحة إلى القراء؟

○ أنصح القراء بأن لا نخشى من شيء ونحن نسير وفق المنهج الإلهي؛ لأنَّ الله دائماً سيكون معنا، فعندما نخطو خطوة في سبيل الله، فإنه سوف يسدّد خطانا ويزيل من أمامنا العقبات، وينير بصائرنا ويلهمنا سبل الخير والنجاح.

## (١٧) لاورن فيريج (مسيحي / فرنسا)

ولد عام ١٣٨١هـ (١٩٦٢م) في فرنسا، ونشأ في أسرة مسيحية تتبّع المذهب الكاثوليكي، واصل «لاورن» دراسته الأكاديمية حتّى مرحلة الإعدادية. أحسّ «لاورن» -كبقية المتعطّشين إلى نيل الحقيقة - بنقائص في مبادئه الكاثوليكية، فانبرى يبحث عمّا يشفي غليله في المجال الديني، وظلّ يبحث إلى أن توصل إلى العقائد الإسلامية، التي أحسّ أنّه وصل من خلالها إلى السكون والاستقرار، فقرّر أن يتبّع هذا المنهج الحنيف، فاستبصر، وكان استبصاره عام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) في فرنسا<sup>(١)</sup>.

نظراً للغة الأمّ والمجتمع الذي كان يعيش فيه لم يكن «لاورن» يجيد اللغة العربية وكانت هذه إحدى عوائقه في البحث، ولذا قرّر مواصلة البحث عبر شبكة الإنترنت؛ لتذليل هذه العقبة، فتعرّف بواسطة أحد الإخوة على «مركز الأبحاث العقائدية»، وأهديت إليه كتب بشأن التشيع ومبادئ العقيدة باللغة الفرنسية من قبيل هذا المركز.

من الكتب التي أهداها «مركز الأبحاث العقائدية» إلى «لاورن» كتاب

---

(١) المستبصر على تواصل مع المركز، ولديه ملف خاص هناك.

«صلح الحسن عليه السلام» للشيخ راضي آل ياسين، الكتاب الذي أرجع المؤلف سبب تأليفه له إلى عدم عرض هذه الواقعة التاريخية بشكلٍ وافٍ من قِبَل المؤرّخين القدامى، وعدم تحليلها كما ينبغي من قِبَل الكُتّاب حديثاً.

### صلح الإمام الحسن عليه السلام:

عُقد هذا الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية، بعد أن اضطرّ الإمام إليه، إذ تفرّق العديد من أصحابه عنه، ونكلوا عن القتال معه، كما زاد الوضع تعقيداً رواج الشائعات التي أمطرت معسكر الحسن عليه السلام بوابل من الشبور والمخاوف، وفرار قائد المعسكر الحسيني ليلاً إلى معاوية، الذي كان قد ضمن له ألف ألف درهم<sup>(١)</sup>.

كلّ هذه الأحداث وضعت الإمام الحسن عليه السلام أمام خيار واحد، وهو الصلح...

### صورة معاهدة الصلح التي وقّعها الفريقان:

وقّع الطرفان هذا الصلح واتفقا فيه على عدّة مواد وشروط، إلا أنّ الكتب التاريخية لم تستوفها في مكان واحد، وبقيت منشورة في الكتب المختلفة، فمن أراد أن يقف على جميعها ينبغي له مراجعة مجموعة المصادر التي ذكرت هذا الصلح والتي بيّنت بعض هذه الفقرات المنشورة.

وأما عن أصل وجود الشروط في تلك المعاهدة فقد روى فريق من المؤرّخين أنّ معاوية أرسل إلى الحسن عليه السلام صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها بختمه وكتب إليه أن: «اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها، وما شئت فهو لك»<sup>(٢)</sup>، إلا أنّهم لم يذكروا الشروط بعد ذلك.

(١) الإرشاد للمفيد ٢: ١٣.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥، تاريخ الطبري ٤: ١٢٤، تاريخ ابن خلدون ١: ٢٦٥.

ومن خلال الاستقصاء يمكن تبين مفاد الصلح ضمن خمس مواد:  
 المادّة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة  
 رسوله وبسيرة الخلفاء الصالحين<sup>(١)</sup>.  
 المادّة الثانية: أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده<sup>(٢)</sup>، فإن حدث به حدث  
 فلاخيه الحسين<sup>(٣)</sup>، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد<sup>(٤)</sup>.  
 المادّة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين<sup>(٥)</sup> والقنوت عليه بالصلاة<sup>(٦)</sup>، وأن  
 لا يذكر علياً إلا بخير<sup>(٧)</sup>.

المادّة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف فلا  
 يشمله تسليم الأمر. وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي ألف  
 درهم<sup>(٨)</sup>، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس<sup>(٩)</sup>، وأن  
 يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصقّين

---

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٧٢٩، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول  
 لمحمد بن طلحة الشافعي: ٣٥٧، كتاب الفتوح لابن أعثم ٤: ٢٩١، وينبغي الإشارة إلى أنّه  
 لا يمكن قبول ما رواه بعض المؤرّخين من أنّ الإمام الحسن عليه السلام اشترط على معاوية  
 العمل بسيرة الخلفاء الصالحين أو الراشدين، ويقصدون بذلك أبا بكر وعمر وعثمان؛  
 فإنّ أباه وأسوته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رفض الخلافة التي قيّدت باتّباع سنة  
 الشيخين بأسرها، فكيف بابنه، ومتّبع سيرته؟!

هل يُعقل أن يسلم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بسيرتهم ويجعلها جزء من الدين؟!

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩١، كتاب الفتوح لابن أعثم ٤: ١٩٠.

(٣) عمدة الطالب لابن عنبه: ٦٧.

(٤) مطالب السؤل: ٣٥٧، أعيان الشيعة ١: ٥٧٠.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٩٦.

(٦) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٧٢٩، الإرشاد للمفيد ٢: ١٤.

(٧) عمدة الطالب: ٦٧، مقاتل الطالبين: ٤٣.

(٨) جاء في عمدة الطالب: ٦٧، أنّ للحسن عليه السلام في كلّ سنة خمسين ألف ألف.

(٩) الأخبار الطوال للدينوري: ٢١٨.

ألف ألف درهم<sup>(١)</sup>، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد<sup>(٢)</sup>.

المادة الخامسة: على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم<sup>(٣)</sup>، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة<sup>(٤)</sup>. وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة عليّ بمكروه، وأن أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم<sup>(٥)</sup>، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حقّ حقه، وعلى ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا...<sup>(٦)</sup>.

وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله، غائلةً، سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق<sup>(٧)(٨)</sup>.

### الوفاء بالعهد:

من الأمور التي تلفت نظر القريب والبعيد عن الشريعة الإسلامية في صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، رئيسي طائفتين تنطق بالشهادتين هو مدى وفاءهما

- (١) علل الشرايع للصدوق ١: ٢١٢.
- (٢) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٦٤، عمدة الطالب: ٦٧. ودار ابجرد: بلدة من بلاد فارس، اللباب ١: ٤٨٢.
- (٣) الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ٧٢٩، مطالب السؤل: ٣٥٧، كتاب الفتوح ٤: ٢٩١.
- (٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٢١٨.
- (٥) الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ٧٢٩، كتاب الفتوح ٤: ٢٩١.
- (٦) الإرشاد للمفيد ٢: ١٤.
- (٧) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ٧٢٩، مطالب السؤل: ٣٥٧، بحار الأنوار ٤٤: ٦٥.
- (٨) ذُكرت الشروط بهذا الترتيب في كتاب «صلح الحسن عليه السلام» للشيخ آل ياسين: ٢٥٩، وهامش كلّ من تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٦٤، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٨، الإمامة والسياسة بتحقيق علي شيري: ١٨٥.

بالعهود؛ فإنَّ مسألة الوفاء بالعهد من المسائل التي لا يختلف فيها اثنان فضلاً عن أن يكونا مسلمين!!

وخاصّة إذا دُيِّلت تلك المعاهدة بالأيمان المغلّظة والعهود المؤكّدة، كما في صلح الإمام الحسن عليه السلام ومعاقبة<sup>(١)</sup>.

وإذ عرفنا شروط المعاهدة آنفاً، نذكر هنا مآل كلّ من هذه الشروط، وفاءً وتقضاً، بعد إبرام تلك المعاهدة.

فالشرط الوحيد الذي حَظِيَ بالوفاء في هذه المعاهدة هو الشرط الأوّل، أي تسليم الأمر لمعاوية، فلم يعهد التاريخ أنّ الإمام الحسن عليه السلام خالف ذلك الشرط بعد توقيعه لمعاهدة الصلح.

وقد طلب كثير من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام إعلان الجهاد، وعرضوا عليه أنفسهم وأموالهم؛ فقد طلب سليمان بن صرد الخزاعي أن يأذن له الإمام بالخروج على عامل معاوية في الكوفة وأن يخلعه، كما جاءه عليه السلام كلّ من حجر بن عدي الكندي، والمسيب بن نجية وآخرون وطلبوا منه القيام، ووعدوه بالعدّة والسلاح، لكنّهم لم يحفظوا من الإمام عليه السلام إلا بالردّ الجميل بالصبر والاستمهال إلى موت معاوية؛ إذ كان عليه السلام يقول: «ليكن كلّ رجل منكم حلّساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيّاً، فإن يهلك معاوية ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمه على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا؛ فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون»<sup>(٢)</sup>.

وأما بقيّة الشروط التي كانت للإمام الحسن عليه السلام على معاوية، فلم يلتزم

---

(١) قال الدينوري عند سرده لواقعة الصلح: «.. فكتب معاوية جميع ذلك - أي الشروط التي اشترطها السبط الحسن عليه السلام - بخطّه وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المركّبة والأيمان المغلّظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء الشام...»، راجع: الأخبار الطوال: ٢١٨.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٨٦.



بأيّ منها، وقد قال: «إني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عدات ومنتيتهم أمانيّ... فإنّ كلّ ما هنالك تحت قدمي هاتين»<sup>(١)</sup>.

فأمّا ميثاقه بأن لا يعهد لأحد من بعده فقد نقضه علناً وعلى رؤوس الأشهاد عندما عهد بخلافته الى يزيد ابنه المعروف بالفسق والفجور.

وأما وعده بترك سبّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والوقوف فيه، فقد نقضه أمام الملاء أيضاً، وبعد بيعته للإمام الحسن عليه السلام؛ فقد روى الواقدي أنّ معاوية لما عاد من العراق الى الشام بعد صلح الحسن واجتمع الناس إليه، خطب فقال: أيّها الناس! إنّ رسول الله قال لي: إنّك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدّسة (أي الشام) فإنّ فيها الأبدال، وقد اخترتكم، فالعنوا أبا تراب. فلعنوه!!<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الأثير: إنّ معاوية كان إذا قنت سبّ علياً والعبّاس والحسن والحسين والأشتر<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو عثمان الجاحظ في الرد على الإمامية أنّ معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهم إنّ أبا تراب ألحد في دينك وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك الى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر<sup>(٤)</sup>.

وروي عنه أيضاً أنّ قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين! إنّك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن هذا الرجل، فقال: لا والله حتّى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاك فضلاً<sup>(٥)</sup>.

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٨٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٢.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٣٣٣.

(٤) النصائح الكافية: ٩٦، نقلاً عن «الرد على الإمامية».

(٥) النصائح الكافية: ٩٦.

وقال المدائني في كتاب الأحداث: كتب معاوية نسخة واحدة بعد عام الجماعة أن: برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته<sup>(١)</sup>.

وقد نقل ابن الأثير عن معاوية أنه قال للمغيرة بن شعبة عندما استعمله على الكوفة: لست تاركاً إيضاءك بخصلة واحدة: لا تترك شتم عليٍّ وذمّه!!<sup>(٢)</sup>.

فكان المغيرة يلعن عليّاً لعناً صريحاً على منبر الكوفة<sup>(٣)</sup>.

وقد خلف المغيرة على الكوفة زياد بن أبيه، فكان يجمع الناس بباب قصره يحرضهم على لعن عليٍّ لعناً صريحاً، فمن أبى عرضه على السيف<sup>(٤)</sup>.

كما استعمل معاوية بسر بن أرطاة على البصرة فكان يلعن عليّاً على منبرها<sup>(٥)</sup>.

وأما في المدينة فكان واليها مروان بن الحكم لا يدع سبّ عليٍّ عند المنبر كل جمعة، وكان الحسن يعلم ذلك فيسكت ولا يدخل المسجد إلا عند الإقامة، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن في بيته بالسب البليغ لأبيه وله<sup>(٦)</sup>!!

وأما الشرط الرابع والذي جاء فيه استحقاق أخذ الإمام خراج دار أبجرد وأن يفترق منه في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل ويوم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤.

(٢) راجع: تاريخ الطبري ٤: ١٨٨، والكامل في التاريخ ٣: ٤٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٩.

(٤) راجع: مروج الذهب ٣: ٣٦.

(٥) راجع: تاريخ الطبري ٤: ١٢٨.

(٦) راجع: تطهير الجنان لابن حجر: ٦٣.

صَفِينُ أَلْفِ دَرْهَمٍ فَقَدْ مَنَعَ مَعَاوِيَةَ ذَلِكَ أَيْضاً.

قال الطبري: وحال أهل البصرة بينه - أي: بين الإمام الحسن عليه السلام - وبين خراج دار آبجر وقلوا: فيؤنا<sup>(١)</sup> وأضاف ابن الأثير على ذلك: وكان منعهم ذلك بأمر من معاوية أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وأما الشرط الأخير وهو العهد بالأمان العام للجميع، ولاسيما الشيعة علي عليه السلام وتعهد به بأن لا يبغى للحسنين عليهما السلام وأهل بيتهما غائلة سرّاً ولا جهراً، فإنّ للمؤرّخين في نقضه من قبل معاوية وجلالوته نصوص كثيرة نذكر قسماً منها: أمّا عن السبط الحسن عليه السلام فقد اغتيل بالسم بأمر معاوية؛ وفق ما نقلته العديد من مصادر أهل السّنة:

منها: ما ذكره الزمخشري في كتابه «ربيع الأبرار»؛ إذ قال: جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتى سمّته، ومكث شهرين وإنه ليُرفع من تحته كذا طستاً من دم<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما نقله ابن أبي الحديد عن أبي الحسن المدائني أنّه قال: كانت وفاته سنة ٤٩ هـ، وكان مريضاً أربعين يوماً، وكان سنّه سبعمائة وأربعين سنة، دسّ إليه معاوية سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن وقال: إن قتلتيه بالسمّ فلك مائة ألف وأزّوجك ابني يزيد. فلما مات وفي لها بالمال ولم يزوّجها يزيد وقال: أخشى أن تصنعني بابني ما صنعت بابن رسول الله!!<sup>(٤)</sup>

ومنها: ما نقل عن الشعبي أيضاً؛ إذ قال: إنّما دسّ إليها معاوية، فقال: سمّي الحسن وأزّوجك يزيد وأعطيك مائة ألف درهم، فلما مات الحسن بعثت إلى

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٥: ١٥٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١١.

معاوية تطلب إنجاز وعده، فبعث إليها بالمال وقال: إني أحب يزيد وأرجو حياته ولولا ذلك لزوجتك إياه<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما ذكره المسعودي صاحب مروج الذهب؛ فقد قال في كتابه<sup>(٢)</sup>:  
وذكر أنّ امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم، وقد كان معاوية دس إليها: أنك إذا احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك من يزيد. فكان ذلك الذي بعثها على سمّه.

ومنها: ما قاله ابن عبد البر في الاستيعاب؛ إذ أسند هذا القول إلى جماعة تجنّب ذكر أسمائهم وقال: وقالت طائفة كان ذلك منها - أي تسميم الحسن عليه السلام من قبل جعدة - بتدسيس معاوية وما بذل لها من ذلك<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما ذكره ابن أعثم الكوفي من قصة اغتياله عليه السلام؛ إذ ذكر ذلك بشكل أكثر تفصيلاً، فقال: أرسل - أي معاوية - مروان بن الحكم إلى المدينة وأعطاه منديلاً مسموماً وأمره بأن يوصله إلى زوجة الحسن جعدة بنت الأشعث بن قيس بما استطاع من الحيل لكي تجعل الحسن يستعمل ذلك المنديل المسموم بعد قضاء حاجته... فذهب مروان تنفيذاً لأمر معاوية واستفرغ جهده حتى خدع زوجة الحسن ونفذت المؤامرة، وعلى إثر ذلك انتقل الحسن إلى دار السلام<sup>(٤)(٥)</sup>.

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي ٢: ٦٠.

(٢) مروج الذهب ٣: ٦.

(٣) الاستيعاب ١: ٣٨٩.

(٤) كتاب الفتوح ٤: ٣١٩.

(٥) هذه النصوص التي ذكرتها مصادر أهل السنة من جملة النصوص التي لم تصل إليها يد العبث والتحرير، والآ فقد قاموا بحذف ما يمت بصلة إلى هذه الواقعة في العديد من المصادر، كتاريخ الطبري مثلاً، فقد جاء في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» للمؤرخ المعروف ابن أبي أصيبعة: ١٧٤ ما نصّه: «وفي تاريخ الطبري أنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما مات مسموماً في أيام معاوية، وكان عند معاوية - كما قيل - دهاء فدى إلى



وأما شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فقد تعرّضوا بشكل عام للإقصاء والترويع بعد أن تولّى معاوية الحكم؛ إذ قام جلاوزته بشدّ الخناق عليهم، فلم يرقبوا فيهم إلاّ ولا ذمّة!

فقد قال المدائني في اشتداد البلاء في سائر الأمصار على شيعة علي عليه السلام: وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سُمَيّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام؛ فقتلهم تحت كلّ حَجَرٍ وَمَدَرٍ، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسَمَلَ العيون، وصَلَبهم على جُذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق؛ فلم يبقَ بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة...

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه

---

➤ جعدة بنت الأشعث بن قيس - وكانت زوجة الحسن - شَرِبَهُ، وقال لها: إن قتلت الحسن زوّجتك بيزيد. فلمّا توفّي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله، فقال لها في الجواب: أنا أضنّ بيزيد!! إلا أن الباحث المتتبع عند مراجعته لتاريخ الطبري بطبعاته الموجودة لا يجد أي ذكر لتسميم الإمام الحسن عليه السلام من قبل معاوية.

وهناك نموذج آخر في هذا المجال وهو ما ذكره ابن الدمشقي في جواهر المطالب ٢: ٢٠٩؛ فقد قال: «قال الإمام ابن الجوزي في تاريخه (المنتظم): والصحيح أنّ الذي سمّه هي جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت تحت الحسن، فدس إليها معاوية أن سمّي الحسن وأزوّجك بيزيد».

وهذا أيضاً كسابقه حذف من قبل أنصار الشجرة الملعونة؛ إذ أسقطوه من «المنتظم» لابن الجوزي تستراً على مخازي معاوية وأتباعه!!

والمثال الثالث في هذا المجال ما ذكره ابن الجوزي في تذكرته ٢: ٦١؛ إذ قال: «وقال ابن سعد في (الطبقات): سمّه معاوية مراراً؛ لأنّه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين». ولا يجد من يراجع «الطبقات الكبرى» لابن سعد بمجلداته الثمانية أي أثر لهذه الواقعة.

البيّنة أنه يحبّ علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفّع ذلك بنسخة أخرى: من اتّهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدّموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق؛ ولا سيّما بالكوفة، حتّى إنّ الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتننّ عليه،...

فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض<sup>(١)</sup>.

وذكر الطبري في تاريخه أنّ سمرة بن جندب الذي استخلفه زياد على البصرة قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له - زياد -: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو السوار العدوي: قتل سمرة من قومي غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن<sup>(٣)</sup>.

وأما رؤوس الشيعة والمشهورون بالولاء للإمام عليه السلام بالخصوص فقد قام عمّال معاوية بقتلهم وتعذيبهم وتشريدهم، وكانت هذه سياسة معاوية المعلنة إ تجاههم، سياسة المنتقم الحاقد الذي لا تأخذه بهم رافة ولا ذمّة ولا عهد...

فمن هؤلاء: الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي وأصحابه<sup>(٤)</sup> الذين قُتلوا في مرج عذراء<sup>(٥)</sup>، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه أنبأ عن استشهادهم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤.

(٢) راجع: تاريخ الطبري ٤: ١٧٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٧٦.

(٤) وهم - على حدّ تعبير الإمام الحسين عليه السلام - المصلّون العابدون الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم. راجع: اختيار معرفة الرجال للطوسي ١: ٢٥٣.

(٥) وهي قرية تبعد اثنا عشر ميلاً من دمشق.

قائلاً: سيقتل بعدد أناس يغضب الله لهم وأهل السماء<sup>(١)</sup>.

ومنهم: الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي<sup>(٢)</sup> وهو من أمر معاوية عامله على الموصل أن يطعنه تسع طعنات، فطعن ومات بالأولى أو الثانية<sup>(٣)</sup>.  
ومنهم: عبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابه، الذين قتلهم معاوية صبراً لما أُخبر بما كان عليهم من الحزن على أمير المؤمنين عليه السلام وشدة حُبهم إياه، وإفاضتهم في ذكره وفضله<sup>(٤)</sup>.

ومنهم: رشيد الهجري، وقد أنبأه أمير المؤمنين عليه السلام باستشهاده قبل ذلك، وشاع الخبر بين الناس.

يقول زياد بن نصر الحارثي: كنتُ عند زياد، وقد أتى برشيد الهجري - وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام - فقال له زياد: ما قال خليلك لك إنا فاعلون بك؟

قال: تَقْطَعُونَ يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ، وَتَصْلُبُونَنِي. فقال زياد: أمّا والله لأُكَدِّبَنَّ حديثه؛ خلّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج قال: ردّوه، لا نجد شيئاً أصلح مما قال لك

---

(١) فقد أنكرت عائشة على معاوية صنيعته هذه واستشهدت بهذا الحديث؛ راجع: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٢: ٢٢٦، البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٢٥٣ و ٨: ٦٠، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٦١.

(٢) الذي سقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم متّع به بشبابه، فمّرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء، راجع: أسد الغابة ٤: ١٠٠، البداية والنهاية ٨: ٥٢، الإصابة ٧: ١٣٣.

(٣) راجع: الكامل في التاريخ ٣: ٤٧٧ وتاريخ الطبري ٤: ١٩٧، هذا وقد خالف ابن كثير هذه الرواية فقال في كيفية استشهاده: «... تطلّبه زياد فهرب إلى الموصل، فبعث معاوية إلى نائبها فوجدوه قد اختفى في غار، فنهشته حيّة، فمات ففقط رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها، فكان أوّل رأس طيف به، ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته أمّنة بنت الشريد - وكانت في حبسه - فألقى في حجرها». البداية والنهاية ٨: ٥٢.

(٤) علل الشرايع ١: ٢١٦، وبحار الأنوار ٤٤: ٩.

صاحبك؛ إنك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت؛ اقطعوا يديه ورجليه؛ فقطعوا يديه ورجليه، وهو يتكلم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه، فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه. فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال: نَفِّسُوا عَنِّي أَتَكَلِّمُ كَلِمَةً وَاحِدَةً. فنفسوا عنه، فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه<sup>(١)</sup>.

ومنهم: جويرية بن مسهر العبدي، وهو الآخر أعلمه أمير المؤمنين عليه السلام بكيفية مقتله؛ إذ قال له: أما والذي نفسي بيده لتعتلنَّ إلى العتل الزنيم فليقتعنَّ يدك ورجلك وليصلبناك تحت جذع كافر!

قال<sup>(٢)</sup>: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكهر، وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه<sup>(٣)</sup>.

ومنهم: أوفى بن حصين الذي قتله زياد<sup>(٤)</sup>، وغيرهم.

كما قد سجن وروَّع وأقصى عدد من رؤوس الشيعة، منهم: عبد الله بن هاشم المرقال<sup>(٥)</sup>، عدي بن حاتم الطائي<sup>(٦)</sup>، عبد الله بن خليفة الطائي<sup>(٧)</sup> وصعصعة بن صوحان<sup>(٨)</sup><sup>(٩)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٩٤.

(٢) الظاهر أنَّ القائل هو حبة العرني.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٩١.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ١٧٥.

(٥) راجع: تاريخ مدينة دمشق ٣٣: ٣٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٣٠.

(٦) راجع: تاريخ الطبري ٤: ٢١٠، الكامل في التاريخ ٣: ٤٧٨.

(٧) تاريخ الطبري ٤: ٢١٠.

(٨) الإصابة ٣: ٣٧٣، النصائح الكافية: ١٩٧.

(٩) للمزيد راجع: صلح الحسن عليه السلام: ٣٢٧ - ٣٦٠.



## (١٨) لوران (علي عبد الله)

(مسيحي / فرنسا)

ولد في المنطقة الشمالية الشرقية في «فرنسا» من أبوين مسيحيين، وكان ملتزماً بالتقاليد المسيحية، فكان يذهب إلى الكنيسة ويمارس الطقوس الدينية تبعاً لوالديه.

استمر «علي» على هذا الحال حتى سن المراهقة، وعندما بدأت تزدهم عليه تساؤلات في أمور دينية عديدة؛ إذ شاهد مخالفة أقوال أصحاب الكنيسة لأفعالهم، كما حصلت له شكوك في بعض الأمور العقائدية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى دفعته أجواء المراهقة إلى الدخول في متاهات لولا الإسلام لقادت به إلى الانتحار أو القتل.

وقد وضح «علي» في حوار مع مجلة نور الإسلام المسير الذي خطاه في شبابه حتى انتهى إلى استبصاره، والعوائق التي واجهته بعد مرحلة الاستبصار.

### المقدمة:

«علي عبد الله» كما أحبّ تسمية نفسه بعد اعتناقه الإسلام. هو شاب فرنسي «غربي» آخر ينضم عن اقتناع وحماس إلى القافلة المتعاطمة من المهتمين لدين الحق، لبي «علي» نداء الفطرة الإلهية الداعية إلى التوحيد الخالص

والتصديق بكتب الله تعالى ورسله بعد طول تأمل وتفكير، وبعد تجارب وممارسات سلوكية وسياسية واجتماعية عاش خلالها المعاناة بسبب مناخات الحضارة الغربية المتفلّته، والتي تقود إلى الضغوط النفسية المريرة في الوقت نفسه. ينعم «علي» حالياً مع عائلته المسلمة التي كوّنوها في لبنان، في واحة الإسلام وسماحته، منسجماً مع قناعاته، ومكافحاً في مجال تربية النشء المسلم لتحصينه بالعلم والأخلاق.. في احدى الجمعيات الخيرية؛ إذ يعمل مشرفاً على مادّة اللغة الفرنسية، التقته «نور الإسلام» فكان هذا الحديث الشيق والمعبر.

### حياته قبل الاستبصار:

● نرجو في البداية إعطاء نالحة عن نشأتك وعن المحيط الذي ترعرعت

فيه؟

○ اسمي الآن هو علي عبد الله، وقد ولدت في فرنسا في المنطقة الشمالية الشرقية على الحدود مع بلجيكا، تعلّمت في مدارس المنطقة حتّى الجامعة، حيث أنهيت السنة الثانية في العلوم الطبيعية.

أمي وأبي مسيحيان ملتزمان، ويعودان في أصولهما إلى إيطاليا، فقد كانا يركعان حين يشاهدان البابا على التلفزيون، لي منهما أخوان وأختان، ويرى والدي وجوب أن أنظر إليه بوصفه مثلي الأعلى.

كنا نذهب سوياً إلى الكنيسة، فقد كنت مسيحياً ملتزماً وأقوم حسب الطقس الكنسي مع زميل لي آخر بمساعدة خوري الكنيسة في المهمّات الدينية، وبقيت على هذه الحال حتّى الرابعة عشر من عمري، بداية سنّ المراهقة.

كانت الدنيا عندي جميلة لأنني كنت أصدق كلّ ما يقال لي، ولكن بدأت تزدهم عندي التساؤلات في أمور كثيرة، منها على سبيل المثال: كيف تكون مريم هي أمّ الله؟! وكيف يكون لله أم؟!!

وكنت أراقب كلام خوري الكنيسة، فكان فعله مخالفاً لأقواله، وصارت عندي ردة فعل أتجاه الدين والكنيسة والإله والمجتمع، فنبذت كل ذلك وتمردت عليه، وصرت أبحث عن العدالة الحقيقية؛ لأنني كنت أرى أن المجتمع غير عادل، فدخلت في تنظيم خاص بالشباب الشيوعي، وهو غير الحزب الشيوعي الفرنسي.

● إلى ماذا قادك هذا التفكير وهذا المنحى الجديدان؟

○ بين عمر ١٤ وسن ١٩ جرّبت تقريباً كل شيء، ففي الوقت الذي كنت أنتقل من تنظيم سياسي إلى آخر، وأمارس نشاطاتي التنظيمية ومهماتي، كنت أمارس سلوكي كأبي مراهق أوروبي بتعاطي المخدرات وأنواع الخمور وممارسة الجنس المحرّم، وكنت أتدرّج في هذه الأمور من الأَخَفِّ إلى الأَشَدِّ، ولولا إسلامي لأصبحت مدمناً، ولانتهى بي الأمر إلى الانتحار أو الموت أو القتل.

وأما تجاربي السياسية: فقد جرّبت معظم النشاطات السياسية اليسارية، جرّبت العمل مع الشيوعيين، الذين تركتهم فيما بعد إلى التروتسكيين، وقد بدأت من الوسط فانتهيت إلى أقصى اليسار المتطرّف، حيث كنّا في كلّ فرنسا نحو ألف شخص، وكان دورنا أن نقوم بأعمال عبثية واكتشفت أنّ كلّ مَنْ أعمل معهم كانوا يستغلّونني، وأيقنت أنّ كلّ شعاراتهم هي استغلالية وليست صادقة.

واقننت أخيراً بفكرة الحرية، أي أن أكون حرّاً، وأعمل ما أريد كإنسان، من دون الارتباط بجهة سياسية أو تنظيمية، وركّزت جهدي على فكرة مفادها: «أنّ المجتمع الفرنسي نائم وغافل، وعليّ أن أوقظه من سباته الذي تسبّب به السياسة غير العادلة والمخدرات»، فكانت أسعى للتخريب ولم يكن عندي هدف عمّا سيكون بعد ذلك.

وكان شعاري في هذه المرحلة: العمل الفردي Anarchie، أي: ليس هناك سلطة ولا دين ولا إله ولا أي شيء آخر، لا شيء غير التخريب من أجل التخريب،

ويوجد من هذه الفئة (اليوم وسابقاً) في أوروبا كثيرون في أوساط الشباب، وهذا الطريق يؤدي في الغالب إلى الانتحار؛ ولكن بعد فترة من الزمن تتجاوز سنّي المراهقة والشباب الأوّل، يتمّ التراجع عند هؤلاء عبر التنازل والانخراط في المجتمع كالآخرين.

كلّ هذه الأمور (السياسية والسلوكية) كانت تتمّ عندي مترافقة متناسقة، وقد كان التنوّع والترقي في كلّ أمر، والانتقال فيه من مرحلة أدنى إلى مرحلة قصوى، كلّ ذلك بحثاً عن شيء ينقصني، وسعيّاً وراء سعادة وهمية لا أجدها، لا في نفسي ولا في سلوكي، ولا في المجتمع، ولا في كلّ ما حولي.

### الخطوة الأولى نحو الاستبصار:

● ما هي الخطوة الأولى التي قادتك نحو الإسلام؟

○ بعد أن جرّبت كلّ شيء وصلت إلى نقطة الهاوية وأدركت أن كلّ خطوة إلى الأمام هي هلاك، وكنت رغم صغر سنّي (١٩ سنة) وخبرتي المكثّفة في السلوك والمجتمع، أعيش ذهنية إنسان عمره سبعون سنة، وكانت تراودني فكرة الانتحار كلّ يوم.

في هذه المرحلة كنت أطلع كتباً عن الإسلام، فقلت: لأجرب الإسلام كبقية التجارب، ولو كنت غير مقتنع في البداية، بل كنت أظن أن هذا هو القطار الأخير فلألحق به ولتكن تجربة إلى فترة.

حينما أسلمت، عشت فترة اضطراب لمُدّة أسبوع، أسأل فيها نفسي: هل صحيح أنا مسلم؟! هل أنا منافق؟! أو ما زلت ملحدًا؟!!

وهنا أحسست بالتدخّل الإلهي ولطفه حين تساءلت: هل يمكنني وأنا المسلم ترك جميع المحرّمات التي أتعاطاها على أنواعها، في الوقت الذي لا

يستطيع مدمن التدخين أن يترك السيجارة لمدة ثلاثة أيام؟! ولكنني وجدت عزيمة وإرادة قوية، وأحسست بالرعاية الإلهية المباشرة، فتركت جميع المحرّمات دفعة واحدة، وحصلت عندي علاقة خاصّة مع الله سبحانه وتعالى، وصرت كلما انحرفت أو قصرت أو عدلت عن القصد في حياتي، تحصل معي بعض القضايا، أشعر من خلالها، أنها تأديب من الله لأبقي في جادّة الصواب، وتكرّرت معي حوادث بالمئات كانت عامل تنبيه لي وإيقاظ، وأحسست إحساساً شديداً بالمسؤولية، بعد أن كنت لا مبالياً أعيش ليومي ولا أهتم لغدي.

### ردّة فعل الأسرة والمجتمع:

● كيف كانت ردّة فعل أهلك وأصدقائك ومحيطك بعد إسلامك؟

○ حينما أسلمت ذهبت إلى أحد المساجد لأشهر إسلامي وأتعلّم بعض الأحكام، فلمّا دخلت وعرضت على الموجودين (وكانوا عرباً) رغبتني في الدخول في الإسلام رفضوني وطردوني، ولم يقبلوا منّي، وقالوا: لا نتصوّر مسلماً غير عربي وأنت غير عربي.

تركتهم وذهبت إلى مسجد للأتراك استقبلوني باحترام ورحّبوا بي وعلموني بدايات الإسلام، من الشهادتين إلى الصلاة والصوم وباقي العقائد والفرائض، ثمّ عرضوا عليّ مجموعة أسماء لأختار لي اسماً منها، فوقع في نفسي اسم عليّ واخترته على غيره من الأسماء.

وأما ردّة فعل الأهل: فإنّهم حينما علموا بإسلامي ورأوا امتناعي عن شرب الخمر وتعاطي المخدّرات ومحرّمات اللحوم والنساء، ظنّوا أنّ المخدّرات قد ضربت دماغي، وأنّي أحتاج إلى طبيب نفسي، واعتقدوا أنّني من المستحيل أن

أستمرّ على ديني الجديد، وأنّ الإسلام ليس إلّا موضة جديدة أماشيها لفترة ثم أتركه إلى غيره.

وبحمد الله فقد استمرت على عقيدتي وتغيّرت أخلاقي معهم، وصرت أتعامل معهم بحسب الأخلاق الإسلامية، من البر وحمل الهدايا، وكانوا يظنّون ذلك طمعاً في شيء أريده منهم حسب العادات الغربية، ولمّا تأكّد أهلي من التزامي بالإسلام قاطعوني وامتنعوا عن مساعدتي بالمال، ولكن ذلك لم يؤثّر عليّ، إذ كنت أعيش وحدي وأحصل نفقات معيشتي وأتابع دراستي.

وأما عن ردة فعل الأصدقاء: فإنّهم بعدما علموا بإسلامي انفضّوا من حولي كما تهرب العصافير من أوّل صوت مخيف.

وكانت البنات يتندرن عليّ بعد أن أسلمت، ويهربن منّي، ويتنادين عليّ بالضحك والسخرية، ولم أجد أيّ صديق من حولي، فكلمهم تركوني؛ لأنّ الصداقة في المجتمعات الغربية هي أن تنخرط في أجوائهم اللاهية العابثة من تعاطي الجنس والخمور والمخدّرات... الخ.

### طريقة التّصوّف ومشاكلها:

#### ● كيف جرت الأمور معك بعد اعتناقك الإسلام؟

○ بعد إسلامي، بقيت سنتين في فرنسا، وكانت علاقتي قائمة مع طلاب الجامعات المغاربة والجزائريين والمصريين. وكانوا في غالبيتهم ممن يتميّزون بمستوى الوعي السياسي والروح الثورية التي تنسجم مع نفسيّتي، ولكنّي لم أكن أشعر بحالة روحانية معهم، فتركهم ودخلت في التّصوّف: الطريقة الأولى كانت النقشبندية، والثانية المولوية، فقد كنت أشعر بروحانية عالية، وتدرّبت على الصبر والتواضع والزهد، فطريقة التّصوّف كانت انقطاعاً عن المجتمع والدنيا، والمشكلة

في هذا الأسلوب هي البعد عن المسؤولية في المجتمع، مع العلم أن إصلاح المجتمع هو هدف الإسلام، ولا يكون ذلك بالبعد عنه.

سؤال... منطلق للهداية:

لماذا تحوّل المسلمون بعد عصر الرسول ﷺ والصحابة والخلفاء الراشدين إلى نظام ملكي؟

أسئلتني عن هذا الموضوع لم تحصل على إجابة من أساتذتي أو من التقيت بهم ممن يستمّن بالعلماء.. كما لم أقتنع بالأجوبة التي أعطيت لي.

وبقي الأمر كذلك إلى أن التقيت بأحد الإخوة اللبنانيين من جنوب لبنان، وطرحت عليه أسئلتني، فأجابني بأسلوب هادئ ومنطقي، ثم أعطاني فيما بعد كتاباً مترجمة للشهيد محمد باقر الصدر ومرضى مطهري، فوجدت أسلوباً مختلفاً في الفكر والمنهج، وطرح القضايا ومعالجتها، وكنت كلما وردت على ذهني أسئلة جديدة رجعت فيها إلى ذلك الأخ، فكان يعجبني حديثه ومنطقه وأسلوبه العلمي في إقناعي والردّ على أسئلتني، وأخيراً عزّفتني بمكتبة أهل البيت في باريس، وكنت أزورها وأتردد إليها بين فترة وأخرى.

وفي يوم ما التقيت أحد الإخوة المسؤولين في المكتبة، وعرضت عليه إمكانية الذهاب إلى قم والدراسة الحوزوية فيها، فعرض عليّ المجيء إلى لبنان والاهتمام بتعليم الأيتام الذين شرّدتهم الحرب، ثم الاستفادة من الجو العام لتعلّم اللغة العربية، كما يمكن الانتساب إلى إحدى الحوزات العلمية الدينية. وراودتني فكرة المشاركة في المقاومة، كما حبّبت فكرة الزواج من فتاة لبنانية مسلمة، وقد تمّ لي ذلك، وأنا الآن متزوج من امرأة من بلدة عيناتا الجنوبية، ولي منها ثلاثة أولاد، كما أنني ما زلت أعمل في خدمة الأيتام في إحدى الجمعيات الخيرية، والذي يجعلني أفكر بعدم الرجوع إلى فرنسا في الوقت الحاضر هو رغبتني في

المحافظة على دين أولادي في بيئة مسلمة تتكلم اللغة العربية.

## نظرة إلى الإسلام والمسلمين:

● ما هو شعورك الآن بعد الإسلام والاستقرار؟

○ على الصعيد الشخصي، أنا أحسّ بالاطمئنان، وقد اخترت طريقي إلى آخر حياتي بمحض إرادتي ووعيي، وسعيي دائماً هو كيف أربح نفسي وأربح آخرتي من خلال قيامي بمسؤوليتي إتجاه نفسي وعائلي، وعملي ومجتمعي. وطبيعي أن تحمّل المسؤولية حينما تصير مسلماً يضع أمامك صعوبات لم تكن في المجتمع الغربي، الذي لا مسؤولية فيه للإنسان، فهو يعيش ليومه، وليس لديه همّ يحمله عن الآخرين، ولا تعنيه إلا نفسه ومصالحته.

● ما هي انطباعاتك عن المسلمين بعد أن صرت مسلماً؟

○ حينما أسلمت كان عندي انطباع أن جميع المسلمين أمة واحدة، وإخوة يفكرون ويشعرون بعقل وقلب واحد، ولكن حينما عشت بين المسلمين، وجدت أن الأمة الإسلامية هي أمر نظري، وقد مزقتها القوميات والكيانات السياسية المتعدّدة، كما عشت الواقعية، وبدأت ألمس الفرق بين أن يكون الإنسان مسلماً بالهوية أو أن يكون مؤمناً ملتزماً بدينه، وهذا موجود بكلّ أسف لدى أفراد معدودين، بل إن بعض المنتسبين إلى الإسلام إذا أردت أن تتعامل معهم بالإسلام والالتزام قد ينسبونك إلى البلاهة.

● هل هناك إمكانية للتبليغ في مجتمعك الأوّل؟

○ يمكن الانطلاق للتبليغ في أي مجتمع كان، من كلام منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»<sup>(١)</sup>، وفي اعتقادي أنّ الكلام والاجتماعات والكتب، وإن كان كلّ ذلك ضرورياً لأجل المعرفة، إلا أن

(١) الكافي ٢: ٧٨.



الأهمّ من ذلك كلّهُ هو التصديق بالتعاليم الإلهية، والالتزام بالأخلاق الإسلامية،  
والتعامل مع الآخرين بأدب واحترام.

وأضرب مثلاً على ذلك: ما جرى معي شخصياً، فقد كنت أعمل في فترة  
الصيد في فرنسا في مختبر طبيّ، ولم يكن أحد يعرفني بأنني مسلم، وآخر يوم  
تركت فيه العمل جاءتني فتاة فرنسية كانت تعمل في المختبر نفسه، ويبدو أنّها  
كانت تراقبني، وسألتنني؛ لماذا أرى تصرفاتك مختلفة عن بقية الموظفين؟  
وجاوبتها فقط: إنني مسلم.

بعد فترة أشهر، وحين وجودي في لبنان، علمت أنّ هذه الفتاة قد صارت  
مسلمة بالفعل..

**كلمة أخيرة:**

● هل من كلمة أخيرة؟

○ .. أتوجّه إلى إخواني من المسلمين والمسلمات وأقول لنفسي ولهم: لا  
تصرفوا الكثير من الوقت والكثير من الكلام في نقد الآخرين، فكروا دائماً في  
إصلاح أنفسكم، وتصوروا دائماً أنّكم أمام الله يوم القيامة، وسيسألكم، فماذا  
تعدّون من جواب عمّا سيسألكم عنه؟!!

اهتمّوا بعائلاتكم وأولادكم وحسن تربيّتهم. والحمد لله ربّ العالمين<sup>(١)</sup>.

---

(١) نور الإسلام، العدد ٦٩ - ٧٠، السنة السادسة.

## (١٩) ماري كلاود نيكولاس (مسيحية / فرنسا)

من مواليد فرنسا، نشأت في أسرة تعتنق الديانة المسيحية، تعلق قلبها بمحبة الله فأحبت أن تصل إلى العقيدة الصحيحة التي توصلها إلى قربه تعالى، فبدأت رحلتها الشاقة في البحث، وكان محفزها في هذه الرحلة المضنية هو أن تصل إلى معتقد يهديها إلى الصراط المستقيم، ويوصلها إلى سبيل الرشد والصواب.

### الرحمة والإنسانية:

ومن الطرق التي توجب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، والذي يتضح من خلاله مدى عناية الله سبحانه وتعالى وتوجهه إلى العباد هي: «الرحمة والإنسانية» التي أمر الله بها، والتي تمثلت بأجلى صورها في حياة من اجتباهم الله واختارهم ليكونوا قدوة للعباد، هذا وقد تجلّت هذه السجية فيما نقل إلينا من سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مجموعة من المواقف:

### الموقف الأوّل: موقفه مع أهل البصرة بعد واقعة الجمل:

وهو ما أشار إليه عليه السلام في الرسالة التي أرسلها إلى أهل البصرة يذكرهم فيها بما كان منهم في واقعة الجمل، وكيف نكثوا العهد وخالفوا الأمر، ويذكرهم بما كان

منه، ويهددهم إن عادوا لمثلها، وهو ما أشار إليه ﷺ بقوله: (وَقَدْ كَانَ مِنْ اِنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ<sup>(١)</sup> وَشِقَاقِكُمْ<sup>(٢)</sup> مَا لَوْ تَغَبَّوْا<sup>(٣)</sup> عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ<sup>(٤)</sup> وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ<sup>(٥)</sup> وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ<sup>(٦)</sup>).

قوله: (وَقَدْ كَانَ مِنْ اِنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ) استعار لفظ الحبل لبيعتهم إيساه، ووجه الاستعارة كون البيعة سبباً جامعاً لها، وناظماً لأُمورهم، و متمسكاً يوصل إلى رضا الله، كالحبل الناظم لما يربط به. وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾<sup>(٧)</sup>.

والخطاب لأهل البصرة، وكانوا قد أعطوا الإمام طاعتهم وولاءهم، فولّى عليهم عثمان بن حنيف، وما إن دخلت عائشة البصرة بجملها مع طلحة والزبير حتى نكت أكثر أهلها ببيعة الإمام، وأعلنوا عليه الحرب.

وتبّه بقوله: (مَا لَمْ تَغَبَّوْا عَنْهُ) على علمهم بما فعلوه وتعهدهم لفعله؛ ليوكّد عليهم الحجّة. إذ لم يكن ذلك منهم عن غباء أو عن غفلة بل كان عن نيّة وإدراك وعلم، قاموا بتنفيذه عن سابق معرفة وإصرار.

ثمّ لَمَّا قَرَّرَ ذُنُوبَهُمْ أَرَدَ فِيهَا بِذِكْرِ أُمُورٍ قَابِلِهَا بِهَا كَرَمًا، وَهِيَ مَا عَبَّرَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: (فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ)، وَعَمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ مِنْكُمْ.

وقوله: (وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ) قد تضافرت الأخبار أنّه

(١) النشر: القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس. لسان العرب ٥: ٢٠٨.

(٢) الشقاق: الخلاف. والخارجي يشقّ عصا المسلمين ويشاقهم خلافاً. كتاب العين ٥: ٧.

(٣) تغاب عن كلّ ما لا يصحّ لك: أي: تغافل وتباله. لسان العرب ١٥: ١١٥.

(٤) المجرم: المذنب، والجارم: الجاني. كتاب العين ٦: ١١٩.

(٥) دبر كلّ شيء: خلاف قبله. كتاب العين ٨: ٣١.

(٦) نهج البلاغة ٣: ٣٦، الكتاب: ٢٩.

(٧) سورة النحل (١٦): ٩٢.

لَمَّا انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين منادياً ينادي: (ألا لا يُذاف على جريح، ولا يُقتل مولٌّ، ومن ألقى السلاح فهو آمن)<sup>(١)</sup>.

وقال عمّار لعليّ يوم الجمل: ما ترى في سبي الذرية؟ قال: فقال: (إنما قاتلنا من قاتلنا)<sup>(٢)</sup>.

وقال له بعض القراء من أصحابه: أقسم من ذراريتهم لنا وأموالهم، وإلا فما الذي أحلّ دماءهم ولم يحلّ أموالهم؟ فقال عليّ: (هذه الذرية لا سبيل عليها، وهم في دار هجرة، وإنما قتلنا من حاربنا وبغى علينا، وأمّا أموالهم فهي ميراث لمستحقّيها من أرحامهم). فقال عمّار رحمه الله: لا نتبع مدبرهم ولا نجهز على جريحهم؟ فقال عليّ: (لا؛ لأنّي آمنّهم)<sup>(٣)</sup>.

وقسّم عليّ ما وجده في العسكر من طيب بين نساء رجال عسكره، وقال عليّ: (مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدنّ منهم، ولنقسم أموالهم في أهليهم؛ فهي ميراث لهم على فريضة من الله).

وكان إذا أتى بأسيرٍ منهم فإن كان قاتل قتلته، وإن لم تقم عليه بيّنة بالقتل أطلقه.

ولما قسّم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تُباع، فقام إليه رجل قال: يا أمير المؤمنين! هذه الفرس كانت لي، وإنما أعرتها لفلان ولم أعلم أنّه يخرج عليها. فسأله البيّنة على ذلك فأقام البيّنة أنّها عارية، فردّها وقسّم ما سوى ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) السنن الكبرى، للبيهقي ٨: ١٨١.

(٢) المصنّف - لابن أبي شيبة الكوفي ٨: ٧١٣.

(٣) الجمل للشيخ المفيد: ٢١٦ - ٢١٧.

(٤) راجع: الجمل للشيخ المفيد: ٢١٧.

الموقف الثاني: موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع جيش معاوية عند سيطرته على المشرعة بعد منع معاوية للماء عن جيش الإمام عليه السلام:

وهو ما أشار إليه عليه السلام في خطبة له لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفيين ومنعواهم الماء: (قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمْ الْقِتَالَ، فَأَقْرُوا<sup>(١)</sup> عَلَى مَذَلَّةٍ<sup>(٢)</sup>، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ<sup>(٣)</sup>، أَوْ رَوْوا<sup>(٤)</sup> السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوْوا مِنَ الْمَاءِ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ<sup>(٥)</sup>، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ<sup>(٦)</sup>، أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادٌ لَمَّةٌ<sup>(٧)</sup> مِنَ الْغَوَاةِ<sup>(٨)</sup> وَعَمَسَ<sup>(٩)</sup> عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ<sup>(١٠)</sup> الْمَنِيَِّّةِ<sup>(١١)</sup>)<sup>(١٢)</sup>.

وهو ما روي من أن معاوية أقبل بالخييل نحو صفيين، وعلى مقدمته: سفيان ابن عمرو، وعلى ساقته: بسر بن أبي أرطأة العامري، فأقبل سفيان بن عمرو، ومعه أبو الأعور، حتى وافيا صفيين، وهي قرية خراب من بناء الروم، منها إلى الفرات غلوة، وعلى شطّ الفرات ممّا يليها غيضة ملتفة، فيها نزور طولها نحو من فرسخين، وليس في ذينك الفرسخين طريق إلى الفرات إلا طريق واحد مفروش بالحجارة، وسائر ذلك خلاف وغرب ملتف لا يسلك، وجميع الغيضة نزور ووحل إلا ذلك

(١) الإقرار: الاعتراف بالشيء. كتاب العين ٥: ٢٢.

(٢) تدلّل له، أي: خضع. الصحاح ٤: ١٧٠٢.

(٣) المحلّة: منزل القوم. كتاب العين ٣: ٢٦.

(٤) رويت على أهلي ولأهلي: إذا أتيتهم بالماء. الصحاح ٦: ٢٣٦٤.

(٥) المقهور: الذليل المرذود. تاج العروس ٥: ٤٨٤.

(٦) القاهر: القادر على المستعصب من الأمور. الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ٣٨٩.

(٧) اللمة، مخففة: الجماعة من الرجال، والنساء أيضاً. كتاب العين ٨: ٣٢٣.

(٨) الغي: الضلال، والخيبة أيضاً. الصحاح ٦: ٢٤٥٠.

(٩) اعمس الأمر، أي: أخفّه ولا نبينه حتى يشتبه. كتاب العين ١: ٣٤٧.

(١٠) الغرض: الهدف. كتاب العين ٤: ٣٦٤.

(١١) المنية: الموت؛ لأنها مقدرة، والجمع: المنايا. الصحاح ٦: ٢٤٩٧.

(١٢) نهج البلاغة ١: ١٠٠، الخطبة: ٥١.

الطريق الذي يأخذ من القرية إلى الفرات. فأقبل سفيان بن عمرو وأبو الأعور حتى سبقا إلى موضع القرية، فنزلا هناك مع ذلك الطريق.

ووافاهما معاوية بجميع الفيلق، حتى نزل معهما، وعسكر مع القرية، وأمر معاوية أبا الأعور أن يقف في عشرة آلاف من أهل الشام على طريق الشريعة، فيمنع من أراد السلوك إلى الماء من أهل العراق.

وأقبل عليّ بن أبي طالب حتى وافى المكان، فصادف أهل الشام قد احتوا على القرية والطريق، فأمر الناس، فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية، وانطلق السقاؤون والغلمان إلى طريق الماء، فحال أبو الأعور بينهم وبينه. وأخبر عليّ بذلك، فقال لصعصعة بن صوحان: (إيت معاوية، فقل له: إنا سرنا إليكم لنعذر قبل القتال، فإن قبلتم كانت العافية أحب إلينا، وأراك قد حلت بيننا وبين الماء، فإن كان أعجب إليك أن ندع ما جئنا له، ونذر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا).

فقال الوليد: امنعهم الماء كما منعه أمير المؤمنين عثمان، اقتلهم عطشاً، قتلهم الله.

فقال معاوية لعمرو بن العاص: ما ترى؟

قال: أرى أن تخلي عن الماء، فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريّان.

فقال عبد الله بن أبي سرح، وكان أخا عثمان لأمه: امنعهم الماء إلى الليل، لعلهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة، فيكون انصرافهم هزيمة.

فقال صعصعة لمعاوية: ما الذي ترى؟

قال معاوية: ارجع، فسيأتكم رأيي.

فانصرف صعصعة إلى علي، فأخبره بذلك. وظلّ أهل العراق يومهم ذلك وليلتهم بلا ماء إلا من كان ينصرف من الغلمان إلى طرف الغيضة، فيمشي مقدار

فرسخين، فيستقي، فغمّ عليّاً عليه السلام أمر الناس غمّاً شديداً، وضاق بما أصابهم من العطش ذرعاً، فأتاه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين! أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا؟ ولني الزحف إليه، فوالله لا أرجع أو أموت، ومر الأشر فلينضم إليّ في خيله.

فقال له علي: (إيت في ذلك ما رأيت).

فلمّا أصبح زحف أبا الأعور، فاقتتلوا، وصدّقهم الأشر والأشعث حتّى نفيا أبا الأعور وأصحابه عن الشريعة، وصارت في أيديهما، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما ظنّك بالقوم اليوم إن منعوك الماء كما منعتمهم أمس؟ فقال معاوية: دع ما مضى، ما ظنّك بعلي؟

قال: ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحلت منه؛ لأنّه أتاك في غير أمر الماء. ثم توادع الناس، وكفّ بعضهم عن بعض، وأمر عليّ ألا يمنع أهل الشام من الماء، فكانوا يسقون جميعاً، ويختلط بعضهم ببعض، ويدخل بعضهم في معسكر بعض، فلا يعرض أحد من الفريقين لصاحبه إلا بخير، ورجوا أن يقع الصلح<sup>(١)</sup>. ثمّ إنّ معاوية كما تصرّف الماء في أوّل وروده، ومنع أصحابه عليهم السلام الماء، كذلك تصرّفها بحيلة بعد ذلك، وهو ما روي من أنّ معاوية كتب في سهم: «من عبد الله الناصح، فإنّي أخبركم أنّ معاوية يريد أن يفجّر عليكم الفرات فيغرقكم. فخذوا حذرکم».

ثم رمى معاوية بالسهم في عسكر علي عليه السلام، فوقع السهم في يدي رجل من أهل الكوفة، فقراه ثم أقرأه صاحبه، فلمّا قرأه وأقرأه الناس - أقرأه من أقبل وأدبر - قالوا: هذا آخر ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية.

فلم يزل السهم يُقرأ ويرتفع حتّى رفع إلى أمير المؤمنين، وقد بعث معاوية

(١) الأخبار الطوال: ١٦٧ - ١٦٩.

مأثني رجل من الفعلة إلى عاقول من النهر، بأيديهم المرور والزبل يحفرون فيها  
بحيال عسكر عليّ بن أبي طالب، فقال عليّ عليه السلام: ويحكم! إنّ الذي يعالج معاوية  
لا يستقيم له ولا يقوم عليه، وإنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فألهوا عن ذلك  
ودعوه.

فقالوا له: لاندعهم والله يحفرون الساعة.

فقال عليّ: يا أهل العراق! لا تكونوا ضعفي، ويحكم لا تغلبوني على رأيي.  
فقالوا: والله لنرتحلن، فإن شئت فارتحل، وإن شئت فأقم.  
فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم مليّاً، وارتحل عليّ في أخريات الناس، وهو  
يقول:

ولو أنّي أطعت عصبت قومي إلى ركن اليمامة أو شمام  
ولكنني إذا أبرمت أمراً مُنيت بخلف آراء الطغام

وارتحل معاوية حتّى نزل على معسكر عليّ الذي كان فيه، فدعا عليّ  
الأشتر، فقال: ألم تغلبنني على رأيي أنت والأشعث؟ فدونكما.  
فقال الأشعث: أنا أكفيك يا أمير المؤمنين، سأداوي ما أفسدت اليوم من  
ذلك. فجمع بني كندة، وقال: يا معشر كندة! لا تفضحوني اليوم ولا تخزوني، إنّما  
أقارع بكم أهل الشام.

فخرجوا معه رجالة يمشون ويبد الأشعث رمح له يلقيه على الأرض،  
ويقول: امشوا قيس رمحي هذا. فيمشون، فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه ذلك  
ويمشون معه رجالة قد كسروا جفون سيوفهم حتّى لقوا معاوية وسط بني سليم  
واقفاً على الماء، وقد جاءه أداني عسكره، فاقتتلوا قتالاً شديداً على الماء ساعة،  
وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، وأقبل الأشتر في خيل من أهل العراق، فحمل  
على معاوية حملةً، والأشعث يحارب في ناحية أخرى، فانحاز معاوية في بني



سليم فردّوا وجوه إبله قدر ثلاثة فراسخ. ثم نزل ووضع أهل الشام أثقالهم،  
والأشعث يهدر ويقول: أرضيتك يا أمير المؤمنين! ثم تمثّل بقول طرفة بن العبد:

ففداء لبني سعد على ما أصاب الناس من خير وشرّ  
ما أقلت قدماي، إنهم نعم الساعون في الحي الشطر  
ولقد كنت عليكم عاتباً فعقبتم بذنوب غير مر  
كنت فيكم كالمغطى رأسه فانجلي اليوم قناعي وخمر  
سادرأ أحسب غيي رُشداً فتناهيت وقد صابت بقر

وقال الأشعث: يا أمير المؤمنين! قد غلب الله لك على الماء. قال علي: أنت

كما قال الشاعر:

تلاقين قيساً وأتباعه فيشعل للحرب ناراً فنارا  
أخو الحرب إن لقحت بازلاً سما للعلى وأجل الخطارا

فلما غلب عليّ على الماء فطرد عنه أهل الشام بعث إلى معاوية: «أنا لا نكافيك  
بصنعك، هم إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء». فأخذ كل واحد منهما بالشرعية ممّا  
يليه<sup>(١)</sup>.

**الموقف الثالث: تعامل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع أفراد الجيش  
المهزوم:**

وهو ما أشار إليه عليه السلام في وصيّة له لعسكره قبل لقاء العدو بصقّين: (فَإِذَا كَانَتْ  
الْهَزِيمَةُ<sup>(٢)</sup> بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعُورًا<sup>(٣)</sup>، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا

(١) وقعة صقّين: ١٩٠ - ١٩٣.

(٢) الهزيمة في القتال: الكسر والفلّ، هزمه يهزّمه هزماً فانهزم، وهزم القوم في الحرب.

لسان العرب ١٢: ٦١٠.

(٣) العوار: الرجل الجبان السريع الفرار، وجمعه: عواوير. كتاب العين ٢: ٢٣٦.

تَهَيِّجُوا<sup>(١)</sup> النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْنَ<sup>(٢)</sup> أَعْرَاضَكُمْ<sup>(٣)</sup>، وَسَبَّيْنَ أَمْرَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ  
الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لِنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لِمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ  
لَيَسْأَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ<sup>(٤)</sup> أَوْ الْهَرَاوَةِ<sup>(٥)</sup> فَيَعْبِرُ<sup>(٦)</sup> بِهَا وَعَقِبُهُ<sup>(٧)</sup> مِنْ بَعْدِهِ<sup>(٨)</sup>.

قوله: (فَإِذَا كَانَتْ الْهَزِيمَةُ) منكم للعدو يا ذن الله (فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا): من ولَّى عن  
الحرب، (وَلَا تُصَيِّبُوا مُعُورًا)، وهو الذي أمكنتهم الفرصة في قتله بعد انكسار العدو،  
كالمعور من الصيد. وقيل: أراد بالمعور: المريب، وهو الذي وقع فيه الشك أنه  
محارب أم لا، أي: لا تقتلوا إلا من علمتم أنه محارب لكم.

قوله: (وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ)، أي: لا تشتدوا عليه فتتموا قتله.

وينافيه ما روي عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: لما هزم الناس يوم  
الجمل قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتبعوا مولياً، ولا تجيزوا [لا تجهزوا]<sup>(٩)</sup> على  
جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن. فلما كان يوم صقين قتل المقبل والمدبر وأجاز  
على جريح، فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان. فقال:

(١) هاج الفحل هياجاً، واهتاج اهتياجاً: إذا ثار وهدر. وهاج الدم، وهاج الشر بين القوم، وكل  
شيء يثور للمشقة والضرر. كتاب العين ٤: ٦٧.

(٢) الشتم: السب، والاسم: الشتيمة. الصحاح ٥: ١٩٥٨.

(٣) عرض الرجل: حسبه. ويقال: لا تعرض عرض فلان، أي: لا تذكره بسوء. كتاب العين  
١: ٢٧٤.

(٤) الفهر: الحجر قدر ما يكسر به جون، أو يدق به شيء، وعامة العرب تؤنثته، وتصغيره:  
فهيرة. كتاب العين ٤: ٤٥.

(٥) الهراوة: العصا الضخمة، والجمع: الهراوى، بفتح الواو، مثال: المطايا، كما قلناه في  
الإداوة. الصحاح ٦: ٢٥٣٥.

(٦) التعاير: التساب، والتعايب: دون التعاير؛ إذا عاب بعضهم بعضاً. لسان العرب ٤: ٦٢٣.

(٧) عقب الرجل: ولده وولد ولده الباقيون من بعده. وقولهم: لا عقب له، أي: لم يبق له ولد  
ذكر. كتاب العين ١: ١٧٨.

(٨) نهج البلاغة ٣: ١٤، الوصية: ١٤.

(٩) كما في منتهى المطلب ٢: ٩٨٧.

إِنَّ أَهْلَ الْجَمَلِ قَتَلَ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ، وَإِنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ قَائِمًا بَعِينَهُ وَكَانَ قَائِدَهُمْ<sup>(١)</sup>.  
 ويمكن الجمع بأنه عليه السلام علق النهي في الخبر في صِفِّين أيضاً بحصول الهزيمة  
 ولم تحصل وإن كانوا أشرفوا على الانهزام، فإن كان حصل بقتل معاوية أو فراره  
 كان الحكم في صِفِّين كالجملة بعدم قتل المدبر وترك الإجهاز على الجريح.  
 وقد روي عن الشعبي أنه قال: أسر عليّ أسرى يوم صِفِّين، فخلّى سبيلهم،  
 فأتوا معاوية، وقد كان عمرو بن العاص يقول لأسرى أسرتهم معاوية: اقتلهم. فما  
 شعروا إلا بأسراهم قد خلّى سبيلهم عليّ، فقال معاوية: يا عمرو! لو أطعناك في  
 هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر. ألا تراه قد خلّى سبيل أسرانا.  
 فأمر بتخليّة من في يديه من أسرى عليّ. وكان عليّ إذا أخذ أسيراً من أهل  
 الشام خلّى سبيله، إلا أن يكون قد قتل أحداً من أصحابه، فيقتله به، فإذا خلّى  
 سبيله فإن عاد الثانية قتله ولم يخلّ سبيله. وكان عليّ لا يجهز على الجرحى ولا  
 على من أدبر بصِفِّين؛ لمكان معاوية<sup>(٢)</sup>.  
 والظاهر كونه تصحيفاً والأصل: يجيز عليّ الجرحى وعليّ من أدبر لما مر..  
 ولما رواه حفص بن غياث، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الطائفتين من  
 المؤمنين، إحداهما باغية والأخرى عادلة، فهزمت العادلة الباغية؟  
 فقال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مُدبراً، ولا يقتلوا أسيراً، ولا يجهزوا على  
 جريح، وهذا إذا لم يبقَ من أهل البغي أحد، ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها؛ فإذا  
 كان لهم فئة يرجعون إليها فإن أسيرهم يُقتل، ومُدبرهم يُتبع، وجريحهم يُجهز<sup>(٣)</sup>.  
 قوله عليه السلام: (وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى)، أي: لا تثيروا شعورهنّ بأذى يحصل

(١) الكافي: ٥: ٣٣.

(٢) وقعة صفين: ٥١٨ - ٥١٩.

(٣) الكافي: ٥: ٣٢ - ٣٣.

منكم، حتّى وإن نلن من أعراضكم بأن عابوكم بها، وسببن أمراءكم؛ لأنهنّ ضعيفات القوى، أي: قدرة المرأة ضعيفة لا تستطيع مواجهة الرجل، فلذا تنتقم منه بسلاحها الذي بين يديها، وهو لسانها.

قوله عليه السلام: (وَإِنْ شَتَمْنَا أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَا أُمْرَاءَكُمْ): روي أنّه عليه السلام لما ورد دار عبد الله بن خلف التي نزلتها عائشة قالت صفيّة امرأة عبد الله بن خلف - وكان زوجها قتل مع عائشة - له عليه السلام: يا قاتل الأحبّة! يا مفرّق الجمع! أيتّم الله بنيك منك، كما أيتّم ولد عبد الله.

فقال عليه السلام: (أمّا لهممت أن أفتح هذا الباب - وأشار إلى باب من الدار - وأقتل من فيه، ثم أفتح هذا - وأشار إلى باب آخر - فأقتل من فيه)، وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة، فأخبر عليّ عليه السلام بمكانهم عندها. فسكنت صفيّة.

فخرج عليّ عليه السلام فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة. فغضب وقال: (صه! لا تهتكن سترأ، ولا تدخلن داراً، ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم؛ فأنهنّ ضعاف، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهنّ لمشركات، وإنّ الرجل ليكافي المرأة ويتناولها بالضرب فيعيّر بها عقبه من بعده) <sup>(١)</sup>.

وروي عن رباح بن ربيع أخي بني حنظلة الكاتب أنه قال: رجع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة غزاها وعلى مقدّمته خالد بن الوليد، فمرّ رباح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على امرأة مقتولة ممّا أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها، حتّى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وآله على راحلته، فانفجروا عنها، فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «ما كانت هذه لتقاتل!»، فقال لأحدهم: «الحق خالداً فقل له: لا يقتلن ذرّية ولا عسيفاً» <sup>(٢)</sup>. وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجّة من

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٣ - ٥٤٤.

(٢) العسيف: الأجير. كتاب العين ١: ٣٣٩.

حديث المرقع بن صيفي به نحوه<sup>(١)</sup>.

وعن حفص بن غياث، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النساء كيف سقطت

الجزية عنهنّ ورفعت عنهنّ؟

فقال: (لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتال النساء والولدان في دار الحرب إلاّ أن يقاتلوا، فإن قاتلت أيضاً فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خلافاً، فلما نهى عن قتلهنّ في دار الحرب كان في دار الإسلام أولى، ولو امتنعت أن تؤدّي الجزية لم يمكن قتلها، فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها، ولو امتنع الرجال أن يؤدّوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلّت دماؤهم وقتلهم؛ لأنّ قتل الرجال مباح في دار الشرك، وكذلك المقعد من أهل الذمّة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب، فمن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية)<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى الشارع كيف أدّب الرجال في رعاية حقوق النساء وعدم التعرّض لهنّ ولو كنّ مشركات، ولعمري ما فرّطت الشريعة المحمّديّة في بيان حقّ اجتماعي أو نوعي، غاية الأمر أنّ الناس لتوغّلهم في الشهوات النفسانيّة ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، حتّى عموا وسمّوا وأعرضوا عن الصراط السويّ واتّبعوا الشيطان المردي المغوي، واقتفوا آثار الذين سلّكوا طريقة عمياء، وتعوّدوا قبول كلّ ما سمعوا من أفواه أشباه الرجال وعبيد الدّنيا من غير بصيرة وفكرة ودليل.. ونعم ما قاله الشيخ الرئيس ابن سينا: من تعوّد أن يصدّق من غير دليل فقد انسلخ عن الفطرة الإنسانيّة<sup>(٣)</sup>.

ثم إنّ الإمام عليه السلام أراد أن يثير حفاظ جنده ليقوموا بهذا الأمر، ويمتثلوا ما

(١) السيرة النبوية، لابن كثير ٣: ٦٣٩.

(٢) الكافي: ٥: ٢٨ - ٢٩.

(٣) نقله عنه صدر الدين الشيرازي في الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة

٣٦٤:٢.

قاله لهم من عدم إثارة النساء، وذلك من خلال ذكره لحالتين بقوله **الْبَيْتِ**: (وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ فَيَعْبُرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ):

الأولى: تذكيرهم بأن المرأة في الجاهلية كان لا يتعرّض لها أحد وإن سبّت وشتمت ونالت من المقاتلين، فإذا كانت في الجاهلية تعامل بهذا الأسلوب فلا يجوز أن تعامل وظاهرها الإسلام بالإثارة والإزعاج.

الثانية: تذكيرهم بأمر فيه العار الذي يلاحق الرجل المتعرّض للمرأة بحيث لو تناول أحدهم امرأة بحجر أو عصا يعبر هو بذلك في حياته ويعبر به خلفه وذريته من بعده.

وقد ذكر ذلك لكي ينفر عن أذهنّ في معرض النهي عنه، وتناولها بالفهر والهراوة كناية عن ضربها بهما، و(إِنْ) في قوله: (وَإِنْ كَانَ) هي المخففة من الثقيلة وتلزم اللام خبرها فرقاً بينها وبين (إِنْ) النافية.

وهذه نظرة علوية عميقة وإحساس بشعور الآخرين حتّى مع إساءتهم واعتدائهم شعوراً معهم بالمصاب الذي أحاط بهم، وانسجاماً مع شخصيتهم الضعيفة.

**استمرار البحث يسير بـ «ماري» الى الاستيقاظ:**

استمرت «ماري» في البحث والتحقيق حتّى تعرّفت على الدين الإسلامي، فانكبّت على دراسته حتّى استيقظ عقلها ووجدانها وأشرق قلبها بنور الإيمان وانشرح صدرها، واعتنقت الإسلام والمذهب الشيعي الاثنى عشري<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٦٠.

## (٢٠) مونريكو دي لورتيا (مسيحي / فرنسا)

ولد في فرنسا ونشأ في عائلة تعتنق الدين المسيحي فاتبع هذه الديانة تبعاً للأسرته.

واصل «مونريكو» دراسته الأكاديمية حتى حصل على شهادة مساعد مهندس في الأمور الميكانيكية والإلكترونية.

يرى «مونريكو» أن سبب استبصاره كان وفود عدة مبلغين من الشيعة إلى فرنسا، فتأثر بأسلوبهم في الإجابة على كل أسئلته برحابة صدر، سواء كانت هذه الأسئلة عقائدية أو فكرية، فقدموا له الأجوبة المقنعة في هذا المجال، وكان هذا ما دفعه للتمييز بين هؤلاء وبين رجال الكنيسة الذين كانوا يدعونهم للتعبّد المطلق لتعاليمهم، فكانوا يقفون بوجهه بقوة ويردعوه عن الاستفسار في الأمور الدينية.

ويتضح ذلك من تاريخ الكنائس؛ إذ أن أصحاب الكنيسة في العصور السابقة كانوا سبباً في اضطهاد رجال العلم والفكر، فقتلوا بعضهم، وأحرقوا آخرين، وقد نشأ عنهم - لذلك - انطباع سيئ في أذهان المثقفين، فتصوّروا أن الدين لا ينسجم مع العلم والعقل والتطور العلمي.

وهذا الجمود الفكري سبب فشلهم وانزواءهم، وغلبة التيار المادي عليهم،

فلم يتمكنوا من احتواء واستيعاب الأفكار المثقفة والجديدة نحوهم.

### دور العلم والعقل في الكنيسة:

الرسالات السماوية بما هي هي منورة بنور التعاليم التوحيدية، إلا أن بعضها قد حُرِّفت بأيدي أتباعها، إذ اختلطت بتعاليم واعتقادات غير توحيدية.

فالإنجيل بما هو رسالة سماوية يدعو إلى المعبود الواحد، وهو فوق ما يتصوره العقل البشري، إلا أن أصحاب الكنيسة أدخلوا فيه أشياء لا تنسجم مع صفات الله سبحانه وتعالى، كالاتقاد بالتثليث، وتجسد الخالق في الإنسان، وأمثالهما.

وقد سطر كثير من الباحثين والمحققين - من المسلمين وغيرهم - الكتب والبحوث والدراسات لبيان هذه الحقيقة التي تثبت أن المسيحية الرائجة ألبست لباس الرسالة السماوية، وألصق بها اسم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام زوراً وبهتاناً، والاعتقادات الموجودة في العهد الجديد الرائجة مقتبسة من أساطير الوثنيين وعقائدهم.

ولأجل ذلك أورد الباحثون اعتراضات عديدة على الإنجيل الرائجة وتعاليمه وخصوصاً حول شخصية المسيح عليه السلام وأوصافه وتعاليمه، ومن جهة أخرى لم يتمكن أصحاب الكنيسة من الإجابة على هذه الإشكالات فاضطروا إلى دعوة أتباعهم إلى التعبد المطلق وعدم التفكير والتعقل في المسائل الدينية على أساس العلم<sup>(١)</sup>.

### ميزة الإسلام:

لم يكن لعرب الجاهلية في الحجاز إلا شيء من التاريخ والأنساب والقيافة

---

(١) للمزيد من التفصيل راجع كتاب «لاهوت المسيح» و«هبة السماء» للمستبصر «علي الشيخ».



وقصّ الأثر والشعر والأدب، وكانوا يفتخرون على غيرهم بما عندهم من هذه الأمور. وكانت المجتمعات الأخرى أيضاً خالية من المعارف الإلهية، إمّا لعدم وجود الأنبياء بينهم أو لوجود الرسالات المنحرفة المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام.

ومع ظهور الإسلام انتشر العلم في المجتمعات الإسلامية، ويظهر ذلك من القرآن الكريم نفسه؛ فإنّ كل كلمة منه تدلّ على العلم والمعرفة؛ فابتداء نزوله كان الأمر بالقراءة ممّا يرشد سامعه إلى تحصيل العلم والمعرفة، فقال عزّ وجلّ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١).

كما أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، أخذ على عاتقه أن يعلم الناس التعاليم الإلهية المنجية من الضياع والضلّال والهلاك؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

إضافة إلى ذلك فقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالمواظبة على قراءة القرآن الكريم والتفكّر في آياته وتعقلها؛ لأنّ التفكّر والتدبّر في الآيات الكريمة يفتح آفاقاً للإنسانيّة يخرجهم بها من ظلمات الوهم والضلّال ويوصلهم إلى قمة السعادة في الدارين.

### أهميّة العلم والمعرفة في القرآن الكريم:

إنّ القرآن الكريم مشحون بمدح العلم والمعرفة؛ فهو يدعو إلى طلب العلم والتفكّر والتدبّر في آيات الله سبحانه وتعالى، كما يحض على تكريم العالم، يقول عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

(١) العلق (٩٦): ١ - ٥.

(٢) الجمعة (٦٢): ٢.

## الألباب ﴿١﴾ ..

فهذه الآية، وباستفهامها الإنكاري، تدعو السامع وتحركه نحو طلب العلم، وتوبخ من يرضى بما لديه من الجهل، وقد قال تعالى أيضاً في فضل العالم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٢).

ونسب القرآن الكريم مقام الخشية منه عزّ وجلّ - أرفع درجات العبودية - إلى صاحب العلم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٣).

وقد يفهم من بعض الآيات الكريمة أنّ سبب خلق السماوات والأرض وما فيهما هو معرفة الله سبحانه وتعالى، وما يليق به حق المعرفة، وبذلك يكون العلم أساس ومدار هذه المعرفة؛ يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٤).

## فضل العلم والمعرفة في السنة الشريفة:

يعتقد عامة المسلمين أنّ قول الرسول الأكرم ﷺ وفعله وتقريره هو المبيّن والمفسّر للقرآن الكريم، كما يرى الإمامية أنّ هذه المنزلة العظيمة ثابتة للأئمة المعصومين من أهل بيت النبي ﷺ؛ إذ هم عدل القرآن كما روي عن رسول الله ﷺ (٥) وبذلك يمكن الاستناد إلى أقوالهم ﷺ في كلّ ما استند فيه إلى قول الرسول الأكرم ﷺ.

وأما عن طلب العلم، فقد روي أنّ رسول الله ﷺ خرج ذات يوم من بعض

(١) الزمر (٣٩): ٩.

(٢) المجادلة (٥٨): ١١.

(٣) فاطر (٣٥): ٢٨.

(٤) الطلاق (٦٥): ١٢.

(٥) مسند أحمد ٣: ١٤، فضائل الصحابة: ١٥، المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٠٩.

حجره فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين: إحداهما لجماعة يقرؤون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون، ويُعلمون فقال النبي ﷺ: «كلُّ على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يُعلمون ويتعلمون، وإنما بُعثت معلماً. فجلس معهم»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم»<sup>(٢)</sup>، «العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشرِّ كله»<sup>(٣)</sup>، «العلم حياة الإسلام وعماد الدين»<sup>(٤)</sup>، «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقلُّ الناس قيمة أقلَّهم علماً»<sup>(٥)</sup>، «يوزن مداد العلماء يوم القيامة بدم الشهداء فيرجح مدادهم على دماءهم أضعافاً مضاعفة»<sup>(٦)</sup>، «طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله»<sup>(٧)</sup>.

كما روي عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «العلم زين الأغنياء وغنى الفقراء»<sup>(٨)</sup>، «لا كنز أنفع من العلم»<sup>(٩)</sup>، «الشريف كلُّ الشريف من شرفه علمه»<sup>(١٠)</sup>.

وقال الباقر عليه السلام: «تذاكر العلم ساعة خير من قيام ليلة»<sup>(١١)</sup>، «عالم ينتفع

(١) سنن ابن ماجه ١: ٨٣.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ٤: ٣٥٧، أصول الكافي ١: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ١٧٥.

(٤) الدر المنثور ١: ٣٧٣، كنز العمال ١٠: ١٣٢.

(٥) أمالي الصدوق: ٧٣، كنز الفوائد: ١٣٨.

(٦) أدب الإملاء والاستملاء: ١٨١.

(٧) الجامع الصغير ٢: ١٣٢، كنز العمال ١٠: ١٣١.

(٨) موسوعة العقائد الإسلامية ٢: ٣٤.

(٩) الكافي ٨: ١٩.

(١٠) كشف الغمّة ٣: ١٤٣.

(١١) الاختصاص: ٢٤٥، بحار الأنوار ١: ٦٤.

بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»<sup>(١)</sup>، «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً»<sup>(٢)</sup>، «إن قلباً ليس فيه شيء من العلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له»<sup>(٣)</sup>.

وقال الصادق عليه السلام: «عالم أفضل من ألف عابد وألف زاهد»<sup>(٤)</sup>، «لو علم الناس ما في العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج»<sup>(٥)</sup>.

### الهدف من وراء التعليم والتعلم:

لكل شيء هدف وغاية؛ لأنّ العقل يحكم بأن لا يكون فعل الحكيم عبثاً، فاهتمام الله سبحانه وتعالى بالعلم والمعرفة، ودعوة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلى تحصيل ذلك يدلّ على أنّ هناك أهدافاً مهمّة وراء ذلك. ولعلّ من أهمّها: خروج صاحبه من الجهالة، والعمل به ونشره؛ وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

كما يشير إلى ذلك الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال - لمتأسئل عن العلم -: «الإنصات، قال: ثمّ مه؟ قال صلى الله عليه وآله: الاستماع له، قال: ثمّ مه؟ قال صلى الله عليه وآله: الحفظ له، قال: ثمّ مه؟ قال صلى الله عليه وآله: العمل به، قال: ثمّ مه؟ قال صلى الله عليه وآله: ثمّ نشره»<sup>(٧)</sup>.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: قرأت في كتاب علي عليه السلام: «إنّ الله لم يأخذ على

(١) أصول الكافي ١: ٣٣.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٥.

(٣) أمالي الطوسي: ٥٤٣.

(٤) ثواب الأعمال: ١٣١.

(٥) بحار الأنوار ١: ١٧٧.

(٦) التوبة (٩): ١٢٢.

(٧) الخصال ١: ٢٨٧.

الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال؛ لأنّ العلم كان قبل الجهل»<sup>(١)</sup>.

### آثار العلم وفوائده:

ذكرت الروايات الكريمة آثاراً وفوائد كثيرة للتعلّم وكسب المعرفة:

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لما أخذ بيد كميل بن زياد وأخرجه إلى الجبانة (المقبرة)، تنفّس الصعداء وقال: يا كميل! العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: يا مؤمن! إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك، فاجتهد في تعلّمها، فما يزيد من علمك وأدبك يزيد في ثمنك وقدرك؛ فإنّ بالعلم تهتدي إلى ربّك، وبالآدب تُحسن خدمة ربّك، وبأدب الخدمة يستوجب العبد ولايته وقربه، فاقبل النصيحة كي تنجو من العذاب<sup>(٣)</sup>.

كما روي عنه عليه السلام أنّه قال: العلم أفضل من المال بسبعة:

الأوّل: أنّه ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة.

الثاني: العلم لا ينقص بالنفقة، والمال ينقص بها.

الثالث: يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه.

الرابع: العلم يدخل في الكفن، ويبقى المال.

الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر، والعلم لا يحصل إلاّ للمؤمن.

(١) أصول الكافي ١: ٤١.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧، تفسير الرازي ٢: ١٩٢، كنز العمال ١٠: ٢٦٣.

(٣) روضة الواعظين: ١١.

السادس: جميع الناس يحتاجون إلى العالم في أمر دينهم، ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

السابع: العلم يقوّي الرجل على المرور على الصراط، والمال يمنعه<sup>(١)</sup>.

### الإقرار بالحقّ والحقيقة:

وجد «مونريكو» في الدين الإسلامي ما يحثّ على طلب العلم والتفكير والتدبّر في آيات الله سبحانه وتعالى، ويطلب من الإنسان أن يعتبر من حياة الأمم السابقة، ويتفحص المذاهب الإسلاميّة أيضاً لاختيار طريقه إلى الصراط المستقيم. فكانت المسيحيّة خالية عن هذه الأوصاف الحميدة، وهذا ما دفع «مونريكو» نحو الإسلام؛ فبدأ التحقيق في المذاهب المختلفة، ووصل في نهاية المطاف إلى حقانيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام فأعلن اعتناقه لهذا الدين الحنيف وسمّى نفسه «عليّاً»<sup>(٢)</sup> تيمناً بهذا الاسم الشريف الذي سمّى الله سبحانه وتعالى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام به.

---

(١) تفسير الرازي ٢: ١٨٢، منية المرید: ٧٢.

(٢) نقلاً عن معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٥٧.



(٢١) ميشيل (الشيخ علي)  
(مسيحي / فرنسا)

نشأ في أسرة فرنسية بعيداً عن أجواء الديانة الإسلامية، إلا أنَّ الأقدار الإلهية شاءت أن يلتقي «ميشيل» بأحد الجزائريين الشيعة ويرتبط به بصداقة وطيدة، الأمر الذي جعله يطلع على الإسلام عن قرب، لا كما يروِّج له الآخرون. لقد تأثر «ميشيل» بالمبادئ الأخلاقية التي يتجلَّى بها أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، يقول «ميشيل» عن صديقه الجزائري الشيعي: ... بالرغم من أن والده قُتل على يد الفرنسيين في الحرب، إلا أنَّ حُسن تعامله معي دعاني إلى أن أنجذب إلى حياتهم لأتعرّف عليها.

إنني أعدّ العامل الأساسي الذي جعلني أهوى مذهب أهل البيت عليهم السلام: الأخلاق التي يتحلَّى بها أتباعه، وهي المقتبسة من أخلاق أهل البيت عليهم السلام.  
حُسن الخلق عند أهل البيت عليهم السلام:

حسن الخلق هو: حالة نفسية تبعث على حسن معاشرته الناس، ومجاملتهم بالبشاشة، وطيب القول، ولطف المداراة، كما عرفه الصادق عليه السلام حينما سُئل عن حدّه؟ فقال: «تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشرٍ حسن»<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي ٢: ١٠٣.

من الأماني والآمال التي يطمح إليها كل عاقل حصيف، ويسعى جاهداً في كسبها وتحقيقها، أن يكون ذا شخصية جذابة، ومكانة مرموقة، محبوباً لدى الناس، عزيزاً عليهم.

وإنها لأمنية غالية، وهدف سام، لا يناله إلا ذوو الفضائل والخصائص التي تؤهلهم كفاءاتهم لبلوغها، ونيل أهدافها، كالعلم والأريحية والشجاعة ونحوها من خلال الكريمة.

بيد أن جميع تلك القيم والفضائل لا تكون مدعاة للإعجاب والإكبار، وسمو المنزلة، ورفعة الشأن، إلا إذا اقترنت بحسن الخلق، وازدانت بجماله الزاهر، ونوره الوضاء، فإذا ما تجردت منه فقدت قيمها الأصلية، وغدت صوراً شوهاء تشير السأم والتدمر.

لذلك كان حسن الخلق ملاك الفضائل ونظام عقدها، ومحور فلکها، وأكثرها إعداداً وتأهيلاً لكسب المحامد والأمجاد، ونيل المحبة والإعزاز.

انظر: كيف يمجّد أهل البيت عليهم السلام هذا الخلق الكريم، ويطرون المتحلّين به إطرأً راءعاً، ويحتّون على التمسك به بمختلف الأساليب التوجيهية المشوّقة، كما تصوّره النصوص التالية:

قال النبي صلى الله عليه وآله: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الباقر عليه السلام: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»<sup>(٢)</sup>.

وقال الصادق عليه السلام: «ما يقدم المؤمن على الله تعالى بعمل بعد الفرائض،

(١) الكافي ٢: ١٠٢.

(٢) الكافي ٢: ٩٩.



أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخُلُقهِ»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «إنّ الله تعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخُلُق، كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يغدو عليه ويروح»<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ صاحب الخُلُق الحسن له مثل أجر الصائم القائم»<sup>(٣)</sup>.

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ الخُلُق الحسن يميث الخطيئة، كما تميث الشمس الجليد»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام: «البر وحُسن الخُلُق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»<sup>(٥)</sup>.

وقال عليه السلام: «إن شئت أن تكرم فلن، وإن شئت أن تُهانَ فاخشن»<sup>(٦)</sup>.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»<sup>(٧)</sup>.

وكفى بحُسن الخُلُق شرفاً وفضلاً، أنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث رسله وأنبياءه إلى الناس إلّا بعد أن حلّاهم بهذه السجّية الكريمة، وزانهم بها، فهي رمز فضائلهم، وعنوان شخصياتهم.

ولقد كان سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله المثل الأعلى في حُسن الخُلُق، وغيره من كرائم الفضائل والخلال. واستطاع بأخلاقه المثالية أن يملك القلوب والعقول، واستحقّ بذلك ثناء الله تعالى عليه بقوله عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) الكافي ٢: ١٠٠.

(٢) الكافي ٢: ١٠١.

(٣) الكافي ٢: ١٠٠.

(٤) الكافي ٢: ١٠٠.

(٥) الكافي ٢: ١٠٠.

(٦) تحف العقول: ٣٥٦.

(٧) أمالي الصدوق: ٦٢.

(٨) القلم (٦٨): ٤.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يصوّر أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله: «كان أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه فعرفه أحبه، لم أر مثله قبله ولا بعده»<sup>(١)</sup>.

وحسبنا أن نذكر ما أصابه من قريش، فقد تألّبت عليه، وجرّعته ألوان الغُصص، حتّى اضطرّته إلى مغادرة أهله وبلاده، فلمّا نصره الله عليهم، وأظفّره بهم، لم يشكّوا أنّه سيثأر منهم، وينكّل بهم، فما زاد أن قال لهم: ما تقولون أنّي فاعل بكم؟!

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال: أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء<sup>(٢)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إنّ يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دنانير، فتقاضاه، فقال له: يا يهودي! ما عندي ما أعطيك.

فقال: فإنّي لا أفارقك يا محمد حتّى تقضيني.

فقال: إذاً أجلس معك.

فجلس معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله يتهدّدونه ويتواعدونّه، فنظر رسول الله إليهم وقال: ما الذي تصنعون به؟!

فقالوا: يا رسول الله! يهودي يحبسك! فقال: لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي: ١٨.

(٢) راجع: الكافي ٤: ٢٢٥ والسنن الكبرى للنسائي ٦: ٣٨٣.

أظلم معاهداً ولا غيره.

فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت، إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإنني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وليس بفظاً ولا غليظاً، ولا سخّاب، ولا متزيّن بالفحش، ولا قول الخنا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله. وكان اليهودي كثير المال<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان الأئمة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام في مكارم أخلاقهم وسمو آدابهم. قد حمل الرواة إلينا صوراً رائعة، ودروساً خالدة من سيرتهم المثالية، وأخلاقهم الفذة.

من ذلك: ما ورد عن أبي محمد العسكري عليه السلام، قال: ورد علي أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان، أب وابن، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين يديهما، ثم أمر بطعام، فأحضر، فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الإبريق فغسل يد الرجل بعد أن كان الرجل يمتنع من ذلك، وتمرغ في التراب، وأقسم له أمير المؤمنين عليه السلام أن يغسل مطمئناً، كما كان يغسل لو كان الصاب عليه قنبر، ففعل، ثم ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني! لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوى بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، ولكن قد صب الأب على الأب، فليصب الابن على الابن. فصب محمد بن الحنفية على الابن.

(١) أمالي الصدوق: ٥٥٢.

ثم قال العسكري عليه السلام: فمن اتبع علياً على ذلك فهو الشيعي حقاً<sup>(١)</sup>.

وورد أن الحسن والحسين مرّا على شيخ يتوضّأ ولا يُحسن، فأخذا في التنازع، يقول كلّ واحد منهما: أنت لا تحسن الوضوء، فقالا: أيّها الشيخ كن حكماً بيننا، يتوضّأ كل واحد منّا، فتوضّأ ثم قالوا: أيّنا يحسن؟

قال: كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلّم الآن منكما، وتاب على يديكما وبركتكما وشفقتكما على أُمَّة جدّكما<sup>(٢)</sup>.

وجنى غلام للحسين عليه السلام جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي! والكاظمين الغيظ. قال: خلّوا عنه. فقال: يا مولاي والعافين عن الناس. قال: قد عفوت عنك. قال: يا مولاي! والله يحبّ المحسنين. قال: أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك<sup>(٣)</sup>.

وحدّث الصولي: أنّه جرى بين الحسين وبين محمد بن الحنفية كلام، فكتب ابن الحنفية إلى الحسين: «أمّا بعد يا أخي، فإنّ أبي وأباك عليّ لا تفضلني فيه ولا أفضلك، وأمّك فاطمة بنت رسول الله، لو كان ملء الأرض ذهباً ملك أمّي ما وفت بأُمّك، فإذا قرأت كتابي هذا فصّر إليّ حتّى تترضّاني؛ فإنّك أحقّ بالفضل منّي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته». ففعل الحسين، فلم يجر بعد ذلك بينهما شيء<sup>(٤)</sup>.

وعن محمد بن جعفر وغيره، قالوا: وقف على عليّ بن الحسين عليه السلام رجل من

(١) تفسير الإمام العسكري: ٣٢٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٦٨.

(٣) كشف الغمّة ٢: ٢٤١.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٢٢.

أهل بيته، فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردّي عليه.

فقالوا له: نفع، ولقد كنّا نحب أن يقول له ويقول. فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً.

قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل، فصرخ به، فقال: قولوا له: هذا علي بن الحسين. قال: فخرج متوتّباً للشر، وهو لا يشكّ أنّه إنما جاء مكافئاً له على بعض ما كان منه.

فقال له علي بن الحسين: يا أخي! إنّك وقفت عليّ أنفاً وقلت وقلت، فإن كنت قلت ما فيّ فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك. قال: فقبّله الرجل بين عينيه، وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقّ به<sup>(٢)(٣)</sup>.

### الأخلاق الحسنة سبب في الهداية إلى الحق:

بعد تأثر «ميشيل» بحُسن خُلق أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بدأت رحلته للبحث عن مدى صحّة مبادئهم، واستمرّت تحقيقاته حتى الوصول إلى الحقيقة الإسلامية ومذهب أهل البيت عليهم السلام فأعلن استبصاره عام ١٤٠١هـ (١٩٨١ م).

ولتنمية رصيده الديني بدأ «ميشيل» بتلقّي التعاليم الدينية وفق المذهب الإمامي، وتيمناً باسم أمير المؤمنين عليه السلام سمّى نفسه: «عليّاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) آل عمران (٣): ١٣٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٦.

(٣) مقتطفات من «أخلاق أهل البيت عليهم السلام» للسيد محمّد مهدي الصدر.

(٤) مقتبس من لقاء مجلة «دليل مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي الرابع» الصادرة في شهر شعبان ١٤٢٩هـ مع المستبصر.

## (٢٢) هلن ليزت كامبي (مريم) (يهودية / فرنسا)

ولدت في فرنسا وترعرت في أوساط عائلة يهودية.  
حصلت «هلن» على شهادة الليسانس وتعرّفت على الدين الإسلامي من  
خلال مجموعة من الشيعة المقيمين في فرنسا، فكان ذلك سبب إعجابها بمبادئ  
هذا الدين الحنيف الذي ينسجم مع العقل والفطرة السليمة.

### العقل والدين:

إنّ العقل السليم يحكم بأن يتعمّق البشر ويتفكّر في خلقه ونشأته ليتسنى له  
اختيار المذهب والمسیر الذي إن سلكه هُدي إلى الصراط المستقيم.  
والله سبحانه وتعالى سهّل هذا الأمر لعباده، إذ أرسل الإنسان الكامل وأنزل  
معه الدين؛ ليتأسى كلُّ الناس بهذا المرسل لتطبيق الدين في حياتهم، وليصلوا بذلك  
إلى الكمال الحقيقي، ويتجاوزوا السبل المنحرفة التي تقتصر على كمالات دنيوية،  
فانية واعتبارية.

### الرسالات السماوية:

إنّ كل ما أنزله الله سبحانه بواسطة أنبيائه ورسله؛ ليكون منهجاً لحياة  
البشرية، يقودهم بما فيه من التعاليم والتوجيهات إلى الهداية وإحياء النفوس،

يسمى بـ«الرسالة السماوية».

وهذه الرسالة السماوية قد تكون وحيًا يُلقى إلى الرسول أو النبي ﷺ، وقد تكون كتاباً ينزل على الرسول دفعة واحدة أو تدريجاً على دفعات، والكتب السماوية المعروفة والمذكورة في القرآن الكريم هي: الزبور، التوراة، الإنجيل، والقرآن الكريم.

وكل واحد من هذه الكتب يصدق ما جاء قبله، فالتوراة تصدق الزبور، والإنجيل يصدق الزبور والتوراة، والقرآن يصدق كل ما أنزل قبله، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ...﴾<sup>(٢)</sup> و﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

هذا والشريعة المرسله مع كل كتاب سماوي تنسخ الشريعة السابقة كلياً أو جزئياً، إذ يقوم النبي أو الرسول الذي جاء بالكتاب والشريعة بتبيين الناسخ والمنسوخ<sup>(٤)</sup>.

يتضح من ذلك أن كل شريعة وكتاب سماوي حجة في زمانها وذلك حتى يبعث الله نبياً أو رسولاً بشريعة أخرى، فالالتزام بالتوراة وشريعة موسى ﷺ كان واجباً حتى نزول الإنجيل على عيسى ﷺ، والإنجيل كان لازم الاتباع للناس حتى نزول القرآن الكريم، ويجب اتباع القرآن الكريم إلى يوم القيامة؛ لأن من

(١) المائدة (٥): ٤٤.

(٢) المائدة (٥): ٤٦.

(٣) المائدة (٥): ٤٨.

(٤) للمزيد من التفصيل حول النسخ راجع كتاب الهدى إلى دين المصطفى، المقدمة الثانية عشر للشيخ جواد البلاغي.

جاء به هو خاتم النبيين وشريعته خاتمة لسائر الشرائع، فمهما يكن أمد دين النبي محمد ﷺ كدين سماوي فإن حجّية القرآن باقية أيضاً.

### مقارنة بين التوراة والقرآن:

إنّ الكتب المقدّسة في الأديان السابقة لم تبق سالمة عن التغيير والتحريف من قبل أتباع تلك الديانات، فقد غيروها حسب المصالح التي كانوا يرونها في التغيير، فنجد التوراة الرائجة مثلاً مملوءة بمطالب لا تنسجم مع صفات الله سبحانه ولا نبوة الأنبياء.

إلا أننا لا نجد هذه التعابير في القرآن الكريم، فهو باقٍ كما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، ومعارفه العالية دليل على عدم وقوع التحريف فيه، وبالعكس فإنّ في كتاب التوراة موارد كثيرة تدلّ على تحريفه؛ فهي على خلاف مع ما بيّنه الأنبياء السابقون.

وقد كتبت في هذا المجال كتب كثيرة استدلت على ذلك بأدلة عقلية ونقلية عديدة<sup>(١)</sup>.

### الله سبحانه وتعالى في التوراة والقرآن:

كان لله سبحانه وتعالى اسمان معروفان عند بني إسرائيل: إيل ويهوه، وقد ذكرت التوراة الرائجة هاتين الكلمتين عدّة مرّات، منها ما في قصة آدم وحواء عليهما السلام حيث ذكرت:

«إنّ آدم وحواء سمعا صوت الإله «يهوه» متمشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاخبتا عن الله «إيل» في شجرة الجنة، فنادى الله آدم: أين أنت؟، فقال آدم: سمعت صوتك فاخبتأت؛ لأنّي عريان، فقال الله: من أعلمك أنّك عريان؟،

(١) للمزيد من التفصيل راجع: الهدى إلى دين المصطفى، الرحلة المدرسية وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.



هل أكلت من الشجرة...»<sup>(١)</sup>.

فالصفات المذكورة في هذه القصة من أن الله له جسم ويمشي به في الجنة وجاهل لا يعلم عن عبده شيئاً، بل يسأله... كلها متنافية مع صفات الله العليا وأسمائه الحسنی التي تنسجم مع العقل والفطرة، والتي منها أنه سبحانه:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(٤)</sup>. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد جاء في سفر التكوين ضمن الإصحاح السادس إلى التاسع أن إله التوراة يندم ويأسف على خلق الإنسان، وهذه هي رؤية التوراة الرائجة إلا أن القرآن الكريم يبين أن الله سبحانه حكيم وعلیم، وقد قال عن نفسه بعد خلق الإنسان: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، بل جعل سبحانه وتعالى مخلوقاته من آياته التي تدل على أنه خالق حكيم وخبير فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، ويتضح من ذلك أن نسبة الندامة لله سبحانه وتعالى غير صحيحة؛ لأن جميع أفعاله مطابقة للحكمة. كما نسبت التوراة لله سبحانه نسبة التعب؛ فقد جاء فيها: «أن الله يتعب ويحتاج إلى الراحة»<sup>(٨)</sup>. ويقصدون بذلك أن الله سبحانه تعب بعد خلق السماوات والأرض وما بينهما، وعين يوم السبت للاستراحة، وهو لا يعمل ولا يفعل شيئاً في هذا اليوم.

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث (٨ - ١٥).

(٢) الأنعام (٦): ١٠٣.

(٣) فصلت (٤١): ٥٤.

(٤) طه (٢٠): ١١٠.

(٥) الشورى (٤٢): ١١.

(٦) المؤمنون (٢٣): ١٤.

(٧) الروم (٣٠): ٢٢.

(٨) سفر التكوين، الإصحاح الثالث.

إلا أن القرآن الكريم يصرّح بخرافة التعب وأكذوبة الاستراحة وينزّه ساحة الله عزّ وجلّ عن هذه الفرية الساقطة عن الاعتبار عند العقلاء ويقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ ثُغُوبٍ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُمُ خَلْقُهُمْ بَقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمُوتَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> و﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

### الأنبياء ﷺ في التوراة والقرآن:

إنّ الله سبحانه وتعالى يصطفي من عباده الشخص المتميّز بتفكيره السليم، ونقائه الروحي، وصفاء نفسه، وطهارة أخلاقه وأعماله للنبوة، ويجعله الرابط بينه وبين عباده، ويلقي على كاهله التحذير من الشرّ واللاأخلاقية والظلم، والحثّ على الالتزام بالقوانين الإلهية وبأعمال معيَّنة تكفل للإنسان حسن الثواب.

نعم، هذه هي واجبات النبيّ أو الرسول، فهو يقضي حياته بين الناس كبشير ونذير بكلّ جدّ وإخلاص وصبر وثبات، فهذه الشخصية العظيمة تمثّل الإنسان الكامل والمتميّز، إلا أنّ بعض الكتب السماوية المحرّفة نقلت قصصاً للأنبياء لا تتناسب ومكانتهم السامية المتميّزة، ومنها:

### قصة نوح أبي البشر الثاني ﷺ:

نقلت التوراة الرائجة قصة حياة نوح ﷺ ووصفت شخصيته بالصفات الخارجة عن المفهوم الديني للأنبياء ومكانتهم بشكل كليّ، وتذكر هذه القصة بعد ذكر واقعة الطوفان العظيم في العالم، فتقول:

(١) ق (٥٠): ٣٨.

(٢) الأحقاف (٤٦): ٣٣.

(٣) ق (٥٠): ١٥.

«... وابتدأ نوح يَكُونُ فَلَاحاً وَغَرَسَ كَرْمًا، وَشَرِبَ الْخَمْرَ فَسَكَرَ وَتَعَرَّى  
دَاخِلَ خَبَائِهِ، فَأَبْصَرَ خَامَ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ وَأَخْبَرَ أَخُوِيهِ خَارِجًا، فَأَخَذَ سَامٌ  
وَيَافِثَ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَيَّ أَكْتَا فَهُمَا وَمَشِيَآ إِلَى الْوَرَاءِ وَسْتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا،  
وَوَجَّهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ، فَلَمْ يَبْصُرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا  
فَعَلَ بِهِ ابْنَهُ الصَّغِيرَ فَقَالَ: مَلْعُونُ كَنْعَانُ...»<sup>(١)</sup>.

وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَصَفَ النَّبِيَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ عَظِيمٌ، قَضَى جُزْءًا كَبِيرًا  
مِنْ حَيَاتِهِ بَيْنَ قَوْمِهِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ بِكُلِّ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،  
وَيُوجِّهُهُمْ نَحْوَ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَ قَوْمِهِ كَأَبٍ نَاصِحٍ حَرِيصٍ  
عَلَى إِتْقَانِهِمْ مِنَ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ.

وَيَعْتَقِدُ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ مَعْصُومٌ عَنِ الْخَطَا وَالْعَصِيَانِ، وَهُوَ أَوَّلُ أَنْبِيَاءِ  
أُولِي الْعِزْمِ وَسَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى النَّاسِ كَافَّةً بِشَرِيعَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ تَامَّةٍ  
لِعَصْرِهِ، وَهُوَ الْأَبُ الثَّانِي لِلنَّسْلِ الْإِنْسَانِيِّ.

وَقَدْ سَلَّمَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ: ﴿سَلَامٌ عَلَيَّ نُوحٍ فِي  
الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وَعَدَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْمُحْسِنِينَ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَجَعَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>،  
كَمَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ كَامِلَةِ بِاسْمِهِ وَأَشَارَ فِيهَا إِلَى دَعْوَتِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالْأَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْمَسَاوَاةِ وَالْعَدَالَةِ.

(١) سفر التكوين، الإصحاح التاسع (٢٠-٢٦).

(٢) الصّافات (٣٧): ٧٩.

(٣) الصّافات (٣٧): ٨٠.

(٤) الصّافات (٣٧): ٨١.

## قصة إبراهيم خليل الله ﷺ:

ذكرت التوراة قصصاً مختلفة عن النبي إبراهيم ﷺ، منها قصة رحلته ﷺ إلى

مصر، فقد جاء في «العهد القديم»:

«وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك؛ لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إنني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي: إنك أختي؛ ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير، وعبيد وإماء، وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام، فدعا فرعون أبرام وقال: ما هذا الذي صنعت بي؟، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالاً، فشيّعوه وامرأته وكل ما كان له، فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له، وكان أبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب...»<sup>(١)</sup>.

هذه هي القصة التي ذكرتها التوراة لكن القرآن الكريم يذكر إبراهيم ﷺ ويصفه بأنه الشخصية الفذة، الذي ضحى بنفسه في سبيل الله ونجح في ما ابتلاه به ربه بخير نجاح، فقضى حياته في محاربة الشرك، وفاق العالمين في كل نواحي الخير والفضيلة.

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر (١٠ - ٢٠) والثالث عشر (١ - ٢).

وقد ذكرت عدّة آيات مختلف أبعاد شخصيته ﷺ، والتي تصرّح بأنّ الله سبحانه وتعالى آتاه رشده قبل أن يبعثه رسولاً؛ إذ قال عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد بلغ هذا النبيّ جدّه وسعيه في التسليم لربه سبحانه وتعالى؛ إذ أخذ ابنه للتضحية لمّا رأى في المنام أنّه يذبحه، ولأجل ذلك اختاره الله سبحانه خليلاً، وجعله للناس إماماً.

وبعد كل هذا فكيف يعقل بأنّ شخصيّة عظيمة كإبراهيم ﷺ قدوة للناس وأسوتهم في الغيرة والحميّة والحياء يأتي بزوجه لجلب الأموال في حباله غيره؟! ويفعل ما لم يفعله حتّى الوضع من الناس!!

### قصة النبيّ لوط ﷺ:

نقلت التوراة قصة النبيّ لوط ﷺ بعد نزول عذاب الله على قومه، فقالت:

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل، وابنتاه معه؛ لأنّه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كعادة كلّ الأرض، هلمّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحبي من أبينا نسلًا، فسقتنا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أنّ البكر قالت للصغيرة: إنّي قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه، فنحبي من أبينا نسلًا. فسقتنا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت

(١) الأنبياء (٢١): ٥١.

(٢) البقرة (٢): ١٣٠.

ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي. وهو أبو بني عمّون إلى اليوم...»<sup>(١)</sup>.

وهذه الحكاية تدلّ على تحريف التوراة الحقيقية، وتسقطها بذلك عن الاعتبار؛ لأنها لا تتناسب مع منهج الرسالات السماوية وأخلاق الأنبياء؛ فإنّ التوراة المنزّلة من الله تعالى على نبيّه موسى عليه السلام لا بدّ أن تخلو من هذه الأباطيل، فهي كالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هذا وقد ذكر القرآن الكريم النبيّ لوط عليه السلام، ووصفه بالعصمة والطهارة، كسائر الأنبياء، فهو من عمل جاهداً لكبح جماح شهوة رجال قومه نحو بعضهم بعضاً، وتحمل من أجل هداية الناس ما تحمّل، فعرض حياته للخطر وقام بالتبليغ؛ ليعلم قومه المكارم والفضائل وينهاهم عن المعاصي والأفعال القبيحة، وقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ \* وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

قصة موسى كليم الله وهارون عليه السلام:

إنّ اليهود يدعون بأنهم يؤمنون بنبوة موسى وهارون عليه السلام، إلا أنّهم يذكرون في توراتهم الرائجة بعض الأمور التي تدلّ على أنّ موسى وهارون عليه السلام لم يكونا مؤمنين بالله سبحانه وتعالى - والعباد بالله - فتقول:

«فقال الربّ لموسى وهارون من أجل أنّكما لم تؤمنا بي حتّى تقدّسانني أمام أعين بني إسرائيل؛ لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم

(١) سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر (٣٠ - ٣٧).

(٢) هود (١١): ٧٧ - ٧٨.

إيّاها»<sup>(١)</sup>. ونسبت التوراة الرائجة إلى الله سبحانه أنه قال لموسى وهارون عليهما السلام: «أنّهما عصيا»<sup>(٢)</sup> و«خانا»<sup>(٣)</sup>.

والعجب كلّ العجب من قوم يدّعون أنّهم أخذوا دينهم عن نبيّ لم يؤمن بما جاء به، فكيف أخذوا منه الدين وآمنوا بالله سبحانه؟!

ولم يقتصر محرّفوا التوراة على هذا، بل افتروا أكثر من ذلك ونسبوا إلى هارون عليه السلام أنه وضع العجل إجابة لطلب بني إسرائيل عندما طلبوا منه آلهة لهم؛ فقد جاء في العهد القديم:

«ولمّا رأى الشعب أنّ موسى قد طالت إقامته على الجبل، اجتمعوا حول هارون وقالوا له: هيّا، اصنع لنا إلهاً يتقدّمنا في سيرنا؛ لأنّنا لا ندرى ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذي أخرجنا من ديار مصر، فأجابهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وبنيتكم وأعطوني إيّاها فنزعوها من آذانهم، وجاءوا بها إليه، فأخذها منهم وصهرها وصاغ عجلاً، عندئذ قالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر، وعندما شاهد هارون ذلك شيّد مذبحاً أمام العجل وأعلن: غدّاً هو عيد الرب فبكرّ الشعب في اليوم الثاني وأصعدوا محرقات وقدموا قرابين سلام...»<sup>(٤)</sup>.

والقرآن أيضاً ينقل قصّة موسى وهارون عليهما السلام، لكن دون أيّ تحريف؛ إذ يصفهما بأنّهما من المؤمنين بالله وحده، وأنّ موسى كليّم الله، وهو الذي اختاره الله تعالى هادياً لبني إسرائيل، وجاء بالكتاب الذي هو نور وهدى للناس، وبيّن آيات الله سبحانه ليخرج قومه من الظلمات إلى النور، وقد سلّم عزّ وجلّ على موسى

(١) العدد، الإصحاح العشرون (١٢ - ١٣).

(٢) العدد، الإصحاح السابع والعشرون (١٤).

(٣) التثنية، الإصحاح الثاني والثلاثون (٥١).

(٤) الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون (١ - ٦).

وهارون فقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾<sup>(١)</sup> وذكر موسى ﷺ في المخلصين فقال: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>  
بشارات الأنبياء ﷺ بشأن مبعث الرسول الأكرم ﷺ:

قد ثبت لنبى إسرائيل أنّ النبى الأكرم ﷺ سبعت بعد مضي السنين وسينجي الناس من الضلالة والهلاك، وذلك على لسان النبى موسى ﷺ، كما اتضحت لهم معالم بعثته ﷺ وصفاته، ونهج رسالته، وخصائص ملته...  
إلا أنّ التوراة الموجودة بين أيدي الناس وبنسخها الثلاثة، أي: العبرانية واليونانية والسامرية، قد حرّفت بفروق واضحة، وقد أدّى هذا التحريف إلى ذهاب العديد من هذه البشارات والمعالم الموجودة في التوراة الأصلية، ومع ذلك فقد بقي في التوراة الرائجة كثير من الحقائق عن النبى المصطفى ﷺ، ومنها:  
بشارة داود ﷺ:

قال ﷺ: «... ويملك البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون مقدمة، ملوك شيا وسبأ يقدمون هدية، ويسجد له، الملوك، كلّ الأمم تتعبد له؛ لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين؛ إذ لا معين له يشفق على المسكين والبائس ويخلص نفسه الفقير من الظلم والخطف، يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا، يصلّي لأجله دائماً، اليوم كلّه يباركه...»<sup>(٣)</sup>.  
وهذه الصفات المذكورة لا تنطبق إلا على رسول الله ﷺ وأُمَّته الإسلامية، فهو الذي يُصلّي عليه ويبارك في كلّ حين، وهو الذي خضعت له الملوك إذ لم يبق

(١) الصافات (٣٧): ١٢٠.

(٢) مريم (١٩): ٥١.

(٣) سفر المزمير، المزمور اثنان وسبعون: (٨ - ١٥).



منهم إلا من أسلم أو أدى الجزية، وهو الذي أنقذ الضعفاء من الظالمين والجبابرة وأكرمهم بالإسلام.

بشارة موسى عليه السلام:

أ: جاء في التوراة الرائجة عن موسى عليه السلام أنه قال: «... جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلاًلاً من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس...»<sup>(١)</sup>.

والظاهر أن المراد بمجيء الرب هو: نزول التوراة على موسى عليه السلام على جبل سيناء، ومن إشراق الرب: نزول الإنجيل على عيسى عليه السلام على جبل ساعير، ومن تلاًل الرب: نزول القرآن على خاتم النبيين محمد ﷺ على جبل فاران، وفاران هذا جبل في مكة، كما صرحت بذلك التوراة في قصة هجرة إبراهيم عليه السلام بامرأته هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام، وجاء فيها:

«... وسكن البرية، وكان ينمو رامي قوس وسكن في بركة فاران...»<sup>(٢)</sup>.

وقد ثبت بالتواتر التاريخي أن إسماعيل عليه السلام ربي بمكة وبنى البيت الحرام هو وأبوه عليه السلام، فالمراد من فاران هي: مكة المكرمة، ولم ينزل في مكة كتاباً من الله سبحانه وتعالى على نبي من الأنبياء إلا القرآن العظيم على النبي الكريم محمد ﷺ.

ب: نقل النبي موسى عليه السلام - كما في التوراة المنسوبة إليه - عن الله سبحانه وتعالى أنه قال لهاجر بشأن ولدها إسماعيل عليه السلام:

«... ها أنت تحبلين وتلدين ابناً نسميه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع تذللِكَ وخضوعك... ويكون يده فوق الجميع، ويد الكلّ به...»<sup>(٣)</sup>.

(١) التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون: (١ - ٣).

(٢) التكوين، الإصحاح واحد وعشرون: (١٤ - ٢١).

(٣) التكوين، الإصحاح السادس عشر: (١١ - ١٢).

وهذه البشارة أيضاً لم تتحقق لإسماعيل عليه السلام ولا لأولاده قبل بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لأن أولاد إسماعيل عليه السلام وحتى ظهور نور الإسلام كانوا يتبعون شريعة أنبياء من بني إسحاق عليه السلام، وبعد ظهور الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله تحققت هذه البشارة، فهو صلى الله عليه وآله من أولاد إسماعيل عليه السلام وبُعث لسائر الأمم.

بشارة أشيعاء عليه السلام:

«... لأنه يولد لنا ولد، ويعطي ابناً ويكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجبياً مثيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً، رئيس السلام، لنمو بأسه، وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته يثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد...»<sup>(١)</sup>.

ويتضح من ذلك أن المراد هو: رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنه هو من كانت رئاسته على كتفه فكان خاتم نبوته صلى الله عليه وآله بين كتفيه، كما نُقل ذلك عن سعيد بن يعقوب الطالقاني، قال «رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وآله غدة حمراء مثل بيضة الحمامة»<sup>(٢)</sup>.

ونقل الترمذي أيضاً رواية في كيفية إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وسماعه بعلامات النبي الذي يأتي بعد عيسى عليه السلام والتي ذكرها الراهب، وكان فيها أن بين منكبيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، يقول «بريدة»: جاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة بمائدة عليها رطب، فوضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا سلمان ما هذا؟ قال: صدقة عليك وعلى أصحابك. فقال: ارفعها؛ فإننا لا نأكل الصدقة. قال: فرفعها، فجاء الغد بمثله، فوضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ما هذا يا سلمان؟ فقال: هدية لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: ابسطوا، ثم نظر إلى الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فأمن به<sup>(٣)</sup>.

(١) سفر أشيعاء، الإصحاح التاسع (٦ - ١٧)؛ وفي سفر دانيال، الإصحاح السابع (١٣ - ١٤).

(٢) الشمائل المحمدية للترمذي: ٢٨.

(٣) راجع: الشمائل المحمدية للترمذي: ٣٠ - ٣١.

وهو النبي المؤيد المنصور، ورئيس السلام، أي: الإسلام، ومعنى أن للسلام  
لا نهاية: أن شريعته خاتمة لسائر الشرائع، كما هو خاتم النبيين.

هذا وقد صرح القرآن الكريم - معجزة النبي ﷺ الخالدة - بما أخبر الله به  
الأمم السابقة عن مبعث الرسول الأكرم ﷺ، فقال الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (١).

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ﴾ (٢).

قصة ابن الهيثبان وإسلام بعض اليهود من بني قريظة:

قال عاصم بن عمر: إن إسلام ثعلبة بن سعية، وأسد بن سعية، وأسد بن عبيد،  
إنما كان عن حديث ابن الهيثبان.

وابن الهيثبان كان من كبار علماء اليهود، قدم من بيت المقدس إلى المدينة  
قبل بعثة النبي ﷺ بسنين، وكان قد ابتلي أهل المدينة بقحط المطر، فاستسقاهم ابن  
الهيثبان بالدعاء، وقد فعل ذلك غير مرة، فلما حضرته الوفاة واجتمع بنو قريظة  
عنده قال لهم: أخرجوني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس، لأنني أتوقع  
خروج نبي قد أظل زمانه، فاتبعوه ولا تستبقن إليه الخروج.

فلما كانت الليلة التي فتحت في صباحها حصون بني قريظة، قال هؤلاء  
الثلاثة (ثعلبة وأسد ابنا سعية وأسد بن عبيد): يا معشر اليهود! إنه والله هذا الرجل  
الذي كان وصف لنا ابن الهيثبان، فاتقوا الله واتبعوه. فأبوا عليهم، فنزل الثلاثة إلى  
النبي ﷺ وأسلموا (٣).

(١) البقرة (٢): ١٤٦ والأنعام (٦): ٢٠.

(٢) الأعراف (٧): ١٥٧.

(٣) للمزيد من التفصيل راجع: تاريخ الإسلام ١: ١٢٣، البداية والنهاية ٢: ٣٧٩.

## نور الإسلام في قلب «هلن»:

خلال دراسة تاريخ الأديان ومعالمها بالأدلة العقلية والنقلية تتضح حقانية الإسلام ولا يبقى أمام صاحب العقل السليم سوى الالتحاق بهذا الدين الحنيف، المعتقد الذي يُخرج أتباعه من الشرك واتباع الوهم وعبادة الشيطان إلى عبادة الرحمن، فهو الدين الذي وجدت فيه «هلن» المنجى الوحيد من حالة الانغماس في الملذات المادية، والمرتقى إلى نيل السعادة في الحياة الأبدية والنعيم الخالد وإثر ذلك أعلنت استبصارها، وسمت نفسها: «مريم»<sup>(١)</sup>.

---

(١) نقلاً عن: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٦٥٩.



## (٢٣) هنري كوربان (مسيحي / فرنسا)

ولد المستشرق الفرنسي «هنري كوربان» سنة ١٣٢٠هـ، المصادف ١٤ أبريل (١٩٠٣م)، في مقاطعة «نورماندي» شمال فرنسا، ونشأ في أسرة مسيحية بروتستانتية، وأتقن اللاتينية واليونانية، كما أتقن اللغة الألمانية، وألمّ باللغة الروسية، ودرس الفلسفة في كلية الآداب في جامعة «السوربون»، واهتمّ بالفلسفة الإسلامية وأخذ بتعلّم اللغة العربية، والفارسية القديمة والحديثة.

عمل «هنري» في المكتبة الوطنية الفرنسية، وأُرسل إلى البعثة الأثرية الفرنسية في إسطنبول، فأقام بها ستّ سنين لتحقيق كتب السهروردي، ومن ثمّ عُيّن أستاذاً للفلسفة في كلّ من جامعة السوربون الفرنسية، وجامعة طهران الإيرانية، ورئيس المعهد الفرنسي الإيراني.

وهو أحد المستشرقين المعروفين، ومن المختصّين بالدراسات الإيرانية، وقد قضى كثيراً من عمره في هذا الحقل، ودرس المبادئ الشيعية، كان يزور إيران كثيراً من سنة ١٩٤٥م إلى سنة قبل وفاته بمعدّل ثلاثة أشهر سنوياً، واطّلع على المخطوطات والوثائق الإسلامية فيها، وكان محقّقاً وباحثاً في القضايا الإيرانية والإسلامية، كالعرفان والفلسفة وغيرهما، وترجم بعض كتب الفلاسفة، وكانت له حوارات كثيرة مع جملة من العلماء والمتفّفين ورجال الفكر، منهم العلامة السيّد

محمد حسين الطباطبائي صاحب «تفسير الميزان»<sup>(١)</sup>.

ويعدُّ الأستاذ «هنري» من أهمَّ المستشرقين في مجال طريقة البحث والدراسة الإسلامية بشكل عامّ، وعن الشيعة الإمامية بشكل خاصّ، ويعدُّ من الأشخاص النزيهين المنصفين الذين قدّموا خدمات كبيرة وجليلة في إيصال نتائج هذه الدراسات والبحوث إلى عالم الغرب المادّي الذي تشرب بالأفكار الخاطئة عن دينٍ لا يعلم عن حقيقته إلا ما نُقل إليهم من صور مشوّهة، وربّما عرف بعض المستشرقين بعض حقائق المعارف الإسلامية، لكن نواياهم السيئة وسوء سرائرهم دفعتهم إلى عدم الاعتراف بالحقيقة.

فالعالم الغربي لم يتعرّف على هذه المدرسة إلا من خلال أعداء الشيعة؛ إذ كانت المصادر التي يستقي منها المستشرقون هي مصادر أهل السُنّة في فهم الشيعة، وكانت الصورة القديمة لدى الغرب عن المذهب الشيعي أنّها فرقة منشقة عن الإسلام، اختلفت مع بقية المذاهب على قضايا سياسية، أهمّها الخلافة والحكم.

وهذا ما دعا «هنري كوربان» إلى نذر نفسه لإعلاء كلمة الحقّ عند من جهله أو تجاهله، وقال مؤكّداً: من هذه الجهة بذلت جهودي على قدر ما أستطيع لتعريف العالم الغربي بالتشيع على النحو الذي يليق به، ويتّسق مع واقعية هذا المذهب، وسأبقى أبذل الجهود في هذا الطريق<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً - كما نقل عنه العلامة الطباطبائي - : إنَّ ما جناه المستشرقون حتّى الآن من معلومات علمية عن الإسلام اقتصر على مصادر أهل السُنّة ولم يتجاوزها، تستوي في ذلك البحوث التي أنجزها هؤلاء على الكتب والآثار

(١) موسوعة المستشرقين: ٤٨٢، رسالة التشيع في العالم المعاصر (المقدمة): ٧.

(٢) راجع: الشيعة (نصّ الحوار مع المستشرق كوربان): ٤٨.

الإسلامية، واللقاءات التي تمت لهم مع علماء الإسلام؛ إذ تمت هي الأخرى في محيط سنّي بحيث لم يفتح المستشرقون على غير هذا المحيط فيما يحفل به من مصادر ورجال، بل نراهم عادوا إلى مصادر أهل السنّة وعلمائهم في تشخيص المذاهب الإسلامية المختلفة، ومعرفة الأصول والمباني التي تقوم عليها، ولم يتعدّوها إلى غيرها من النظريات.

وإذا قدر أحياناً لمستشرق أن يزور إيران مثلاً: نراه لا يكثر بمعرفة الحقائق ذات الصلة بالتشيع، بسبب ما لديه من معطيات عن الموضوع تكوّنت لديه من خلال الآخرين، بل يكتفي بدراسة المذاهب من خلال الإطار الاجتماعي والوضع العامّ الذي يعكسه المنتمون إليه من عامّة الناس، ويقنع بمعلومات يكسبها من خلال أشخاص غير مطلّعين لا يُعبأ بهم.

بيد أنّي أعتقد خلافاً لما يذهب إليه إجماع المستشرقين أنّ التشيع هو مذهب حقيقي أصيل وثابت، يتحلّى بمعالم محدّدة تليق بمذهب واقعي. وما سوى ذلك ممّا غدّى به المستشرقون السابقون ذهنية العالم الغربي عن الإسلام والتشيع لا تعدو أن تكون أشياء لا أساس ولا محتوى لها من الثقافة والفكر<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كانت جميع مؤلّفات كوربان تعتمد على نفس المصادر الأصلية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولذا خرجت دقيقة وعميقة وموسّعة بشأن الحضارة الإسلامية، والثقافة الإسلامية، وهذا يدلّ على سعة اطلاعه على الثقافة الإسلامية إلى درجة قلّما ينافسها عليها غيره، خلافاً لكثير من المستشرقين الذين كتبوا عن الثقافة الشرقية والإسلامية بمعلومات خاطئة وغير صحيحة، وبناءً على ظنون وأوهام؛ إذ كانوا يرجعون إلى مصادر أهل السنّة في تحصيل معلوماتهم عن الشيعة، وهذا ما جعل نتائجهم ضعيفة وخاطئة في أكثر الأحيان.

---

(١) الشيعة (نص الحوار مع المستشرق كوربان): ٤٦ - ٤٧.

وللأستاذ كوربان مؤلفات قيّمة، ككتاب «الشيعة الاثنا عشرية»، وكتاب «تاريخ الفلسفة الإسلامية»، و«الإسلام الإيراني» في أربعة أجزاء، و«التخيّل الخالق في تصوّف ابن عربي»، وكتاب «ابن سينا والحكاية ذات الرؤيا» الذي نال شهرة واسعة في أوروبا، وترجم إلى الإنجليزية.

كما له ملاحظات نفيسة على الكتب الفلسفية، منها: رسالته عن صدر الدين الشيرازي «تعليقات»، ومقدّمة على كتاب «حكمة الإشراق» لشهاب الدين السهروردي، وعلى كتاب «جامع الحكمتين» لناصر خسرو العلوي الفاطمي، وعلى كتاب «كشف المحجوب» لأبي يعقوب السجستاني، وكتاب «عبر العاشقين» للشّيخ روزبهان بقلي الشيرازي، و«شرح شطحيات الشّيخ روزبهان بقلي الشيرازي»، وشرح لقصيدة فلسفية لأبي الهيثم الجرجاني.

وله أيضاً ترجمات لبعض الكتب الفلسفية إلى الفرنسية، ككتاب «المشاعر» لصدر الدين الشيرازي، وكتاب «البنابيع» لأبي يعقوب السجستاني، ورسالة «المبدأ والمعاد» للسيد الحسين بن علي، وبعض تأويلات «گلشن راز» لمحمود شبستري، كما وأصدر مجموعة أخرى من النصوص المترجمة إلى الفرنسية بعنوان «الأرض السماوية وأجسام البعث» أو «الجسم الروحي والأرض السماوية»، وغير ذلك ممّا خلف من آثار وتحقيقات ودراسات عن الفلسفة والعرفان والتصوّف<sup>(١)</sup>.

ولذا صار باحثاً متفرداً، وعالمًا متميزاً في طريقة البحث والدراسة، ومع ذلك كلّه حاول أن يفسّر الآيات القرآنية والروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، تفسيراً باطنياً، وكذلك مذهب التشيع فسّره بجميع مفاهيمه تفسيراً باطنياً، وأوله تأويلاً صوفياً عرفانياً<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: موسوعة المستشرقين: ٤٨٤ - ٤٨٥، تاريخ الفلسفة الإسلامية: ٦.

(٢) للمزيد لاحظ تاريخ الفلسفة الإسلامية، والشيعة الاثنا عشرية.



## حواره مع العلامة الطباطبائي:

استغلَّ «هنري كوربان» فترة وجوده في إيران، كأستاذ محاضر في جامعة طهران، ورئيس المعهد الفرنسي الإيراني، للاتصال بكبار رجال الفكر والدين في إيران، منهم العالم الشيعي العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي، الذي يعدُّ أحد رواد المنهج الفلسفي والتفسيري.

وقد التقى في أحد أيّام الخريف من سنة ١٩٥٨م العلامة الطباطبائي من أجل المناقشة والحوار، وخلال لقائه وجّه إليه عدّة أسئلة كانت تدور في ذهنه حول التشييع، واستمر بعد ذلك الاتّصال بينهما عبر الرسائل المتبادلة، ومن أبرز النقاط التي سعى كوربان لفهمها في المذهب الشيعي: قضية الظاهر والباطن، وقضية الإمامة والولاية، بالإضافة إلى قضية أُخرى لا تقلُّ أهميّة، وهي قضية الإمام المهدي عليه السلام، وإيمان الشيعة الاثني عشرية بعودته، وأنّه سيظهر في يوم من الأيام، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّه غائب عن الناس لحكمة في ذلك، وأنّه يظهر بطلعته المباركة، حتّى يتكئ على جدار الكعبة، بغية إحياء علوم وسنة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله من جديد.

وثمة بعض المسائل التي وجّهها الأستاذ كوربان إلى العلامة:

١- ما هو مفهوم الظاهر والباطن في القرآن الكريم؟

٢- كيف انبثقت الأفكار الأولية للشيعة؟

٣- إنّ الرأي السائد في بلاد الغرب أنّ الفلسفة الإسلامية انتهت بآبن رشد، وختمت به، ولم يعلموا بظهور مدارس فلسفية وحكومية في إيران أدّى وجودها إلى بروز أعلام في هذا المجال، أمثال: الخواجه نصير الدين الطوسي، والمير داماد، والملا صدرا، ونظائرهم.

فالسؤال المطروح: لماذا تركّزت الفلسفة في إيران وازدهرت أكثر من أية بقعة أخرى في العالم الإسلامي، وما هي العلاقة بين التشيع والفلسفة، وخصوصاً في منهج المير داماد والملا صدرا؟

٤- ما هي العلاقة بين التشيع والتصوف؟

٥- ما هي الآثار التي تترتب على تصوّر الإمام الغائب في الفكر الفلسفي والأخلاقي؟

وقد أجاب العلامة الطباطبائي على هذه الأسئلة، وطبعت في كتاب يجمع بين دفتيه قصة حوار لهذا المستشرق الفرنسي.

١- ما هو مفهوم الظاهر والباطن:

فالباطن كما في الكتب اللغوية هو: خلاف الظاهر<sup>(١)</sup>، والباطنية هم: أولئك الذين يأخذون بالمعنى الباطن للكتاب والسنة، ويجعلون لكل ظاهر باطناً، ويجعلون لكل تنزيل تأويلاً<sup>(٢)</sup>.

وقد أطلق هذا الاسم على فرق عدّة متباينة، كان لها شأن سياسي هام، وأهمّها: الخرمية، والقرامطة، والإسماعيلية، وبعض الصوفية. وهذه التسمية أُطلقت أيضاً على فرق من غير المسلمين؛ إذ يعدّ منهم المزدكية، وهي: فرقة مانوية أسّسها (مزدك)، وظهرت في عهد الملك الساساني (قباد بن فيروز).

ولا يوجد مذهب عامّ يقابل هذه التسمية، بل لكل فرقة منها مذهبها الخاص<sup>(٣)</sup>.

ويرى عبد الرحمن البدوي أنّ الكلمة الجامعة في الباطنية أنّها: «لقب عام

(١) لسان العرب ١٣: ٥٤، تاج العروس ١٨: ٦١.

(٢) الملل والنحل ١: ١٩٢.

(٣) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٢٩٠.

مشترك، تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي: تأويل النصّ الظاهر بالمعنى الباطن، تأويلاً يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص، فهو يعني: أن النصوص الدينية المقدّسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، وأنّ الشعائر بل الأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأنّ عامّة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية التي هي من شأن أهل العلم الحقّ، علم الباطن»<sup>(١)</sup>.

ومن أهمّ النقاط التي أثارها «كوريان» في أبحاثه هو موضوع: الظاهر والباطن في الدين، وفي الأحكام الشرعية بصورة عامّة، والقرآن الكريم بصورة خاصّة، وقد أسهب في هذا المجال، وجعله أساساً لكثير من أبحاثه، ومنطلقاً لمجموعة من استنتاجاته، واعتمد على هذا الأصل في فهم مذهب الشيعة، وتفسير كثير من الأمور التي تعتقدها مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ك: معنى الولاية والإمامة، والإمام الغائب، وغيرهما.

يقول «هنري كوريان» عن الفكر الشيعي: «نستطيع أن نعيّن خطوط القوى في الفكر الشيعي تحت هاتين الإشارتين التاليتين:

١- الباطن ٢- الولاية»<sup>(٢)</sup>.

ويقول في موضع آخر: «ولقد أعطت الفكرة الباطنية، التي هي أساس التشييع، وأصل بنيانه، أعطت أكلها، وأثمرت خارج الوسط الشيعي الخالص، (وسنرى أنّ هذا بالذات سيطرح أكثر من سؤال) لقد أثمرت لدى الصوفية، كما أثمرت لدى الفلاسفة.

فالتبطن الصوفي ينزع إلى عيش السرّ الأساسي لنطق القرآن، بين ثنايا النصّ القرآني.

(١) مذاهب الإسلاميين: ٧٥١.

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية: ٦٨.

وهذا العيش ليس بدعة من بدع الصوفية، ويكفي لنعلم ذلك أن نرجع إلى تلك الحالة النموذجية للإمام جعفر، فقد ظلّ تلاميذه صامتين ذات يوم احتراماً لسكوته الذهولي بعد الصلاة حتّى قال: لم أتوقّف عن ترديد هذه الآية حتّى سمعتها من الذي قرأها على النبي»<sup>(١)</sup>.

وهنا أيضاً نلاحظ أنه يفسّر أصل وأساس التشييع بالباطنية، ويحاول أيضاً أن يفسّر القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام تفسيراً باطنياً.

### الظاهر والباطن في القرآن الكريم:

فقد روى البرقي بإسناده، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التفسير، فأجابني، ثمّ سألته عنه ثانية، فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك! كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم.

فقال: «يا جابر! إنّ للقرآن بطناً، وللبطن بطناً، وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر! ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل منصرف على وجوه»<sup>(٢)</sup>.

فكانت لكوربان عدة أسئلة عن أمثال هذه الرواية من العلامة الطباطبائي

وهي:

أولاً: ما يعني الإدراك المعنوي والباطني للقرآن في ضوء الحقيقة الداخلية

للمذهب الشيعي؟

ثانياً: كيف يستلزم مثل هذا الإدراك المعنوي والباطني للقرآن معرفة الإمام

من جهة تصوّر شخصيته، ومن جهة الظهور المعنوي له؟

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية: ٤٧.

(٢) المحاسن ٢: ٣٠٠، تفسير العياشي ١: ١١ و١٢، تفسير القمي ١: ١٩.

وقد أجاب العلامة الطباطبائي عن ذلك بقوله: تتطابق أخبار أئمة الشيعة وأحاديثهم مع ما نستفيد من القرآن الشريف في الدلالة على أنّ الإنسان يعيش من خلال بنيته الجسمية في عالم مادّي محسوس يقع تحت سيطرة الطبيعة.

كما أنّ هذه الأخبار تتطابق مع القرآن في الدلالة على أنّ الجميع، بما في ذلك الإنسان، يسير نحو الهلاك والانقراض، بيد أنّ الدلالة المستفادة تشير في الوقت نفسه إلى أنّ العالم والإنسان يعودان بعد انقراضهما إلى الحياة مجدّداً، فيعيش الإنسان حياته الثانية سعيداً أو شقيماً، تبعاً لما كانت عليه عقائده في الحياة الأولى، وطبقاً لما مضت عليه سيرته العملية قبل موته.

لذا كان على الإنسان أن يقتدي بهدي السماء في الطريق الذي دلّ عليه الوحي الإلهي، وأبائته النبوات، فيقيم حياته على أصول منظومة من العقائد الصحيحة، والأعمال الصالحة، فبالترام الإنسان بهذه العقائد، ومواظبته على الأعمال الصالحة يؤمّن سعادته في الحياة الأخرى الخالدة، كما يؤمّنها في هذه الدنيا الزائلة.

وعند مراجعة القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام نجد دلالتهم تشير إلى أنّ النظام المادّي الطبيعي ينبثق من عالم معنوي أرفع من هذا العالم المحسوس، وأنّ أجزاء هذا العالم نزلت من ذلك العالم السامي، واستقرت في هذه النشأة التي تنطوي على التكاثر، وبعد ذلك سوف تعود إلى عالمها الذي انبثقت منه. فالنظام الذي يدعو الإسلام البشرية إليه يحمل سلسلة مقامات روحية ومعنوية، كما دعت إليه سائر الأديان السماوية، وسير الإنسان لهذه المقامات في سلّم العبودية في الحقيقة سير إلى درجات القرب الإلهي، الذي يبدأ من أوّل مقامات الإيمان وينتهي بحضيرة القرب الإلهي.

وهذا الصراط ليس معنى تصوّرياً يطلق عليه اسم الطريق تشريفاً، وإنما هو

حقيقة واقعية نورانية حيّة تحيط بالعالم الإنساني، وتسوق الإنسانية وتهديتها نحوها بواسطة الاعتقاد الحق والعمل الصالح.

ومن الطبيعي أن تتفاوت مراتب الهداية بتفاوت عمق الإيمان ودرجة الالتزام بالعمل الصالح.

ولا تسقط هذه الحقيقة الحيّة النورانية المعنوية أبداً، بل إنّ لها دائماً مَنْ يحملها من بني الإنسان، ويضطلع على أساسها بقيادة الناس وهدايتهم.

وهذا الشخص الذي يحمل هذه الحقيقة، هو الذي يُطلق عليه يعرف القرآن والحديث اسم (الإمام)<sup>(١)</sup>.

والحقيقة إنّ الباحثين في الأحكام الإسلامية والمفسرين للقرآن الكريم لا يعتمدون غالباً على أسلوب الرمزية، ولا يأخذون بالظاهر والباطن، بل المبدأ الشائع عندهم والطريقة السائدة هي: أصل مراحل الإدراك، ومبدأ تفاوت مراتب الفهم.

إنّ الحقيقة، أية حقيقة، لها جوانب عديدة، ولها آثار مختلفة، يتفاوت بعضها عن بعض وضوحاً وخفاءً، والعلم البشري يكتشف بالتدريج ويدرك الآثار واحداً تلو الآخر كلما تقدّم وتسرب إلى أعماق الحقيقة.

ولكن الكلمة تختلف عن سائر الحقائق، وتفسيرها يكاد يكون محدوداً بحدّين:

الحدّ الأوّل: هو مدلول الكلمة ومعناها الاستعمالي من حقيقة ومجاز وكناية؛ فلا يمكن تفسير الكلمة إلا في حدود محتواها ومدلولها، أمّا إذا تعدّينا هذا الحدّ فتصبح الكلمة رمزاً، وتتغيّر الدلالة الوضعية، وتحوّل إلى دلالة عقلية.

والحدّ الثاني: هو مستوى معرفة المتكلم وقصده من التكلم والكلام؛ إذ لا

---

(١) راجع: الشيعة (نص الحوار مع المستشرق كوربان): ١١٧ - ١١٩.

يمكن أن نفسّر كلام شخص بمعنى لا يعرفه، أو بحقيقة لم يصل إليها، وكلما ارتفع مستوى معرفة المتكلم وازداد علمه وثقافته ارتفعت معاني كلامه وكثرت مدلولات ألفاظه.

فالباحثون في تفسير القوانين ونصوص الاتفاقيات يعتمدون مبدأً قطعياً هو: أن واضعي القوانين أو كاتبي الاتفاقيات بلغوا من مستوى الخبرة والثقافة حداً يمكن المفسرين من أن يتعمقوا في معاني كلماتهم، وأن يبلغوا درجات عالية من التفسير والتأويل.

ولكن الباحثين والمفسرين لا يسعهم إلا أن يقفوا عند حد لا يتجاوزوه، إنه حد مستوى ثقافة الواضعين ومعرفة كتّاب النصوص وإطلاعهم ومعلوماتهم.

أمّا الكلام الإلهي فلا يُحدّ تفسيره بالحدّ الثاني. إذ أن علم الله تعالى عين ذاته ولا حدّ له: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>، فالمستمع للكلام الإلهي يحقّ له أن يفهم منه كلّ شيء في أيّ جانب من الواقع، وفي أيّ حقل من المعرفة، وبأيّ درجة من العمق والخفاء شرط أن لا يتجاوز فهم السامع المفسّر مدلول الكلمة، ولا يتعدّى التفسير محتوى الكلام ودلالاته الوضعية حقيقةً ومجازاً وكنايةً.

إنّ كلام الله هو كالحقيقة العينية، أو هو الحقيقة بعينها، له جوانب من الدلالة ومراحل من التفسير، كلّ واحد منها مقصود للقائل؛ حجة على المستمع، وطريق للمؤمن..

وحينما نبحث في هذه الميزة التي يمتاز بها كلام الله، والى حد كبير، نلحق به كلام الرسول؛ إذ أنه لا ينطق عن الهوى، وذلك بشرط أن تُنقل لنا نصوص كلامه دون تحريف أو تفسير من الراوي.

ويجد الباحث المدقق في كلمات المفسرين للقرآن الكريم، وفي الأبحاث

(١) طه (٢٠): ٩٨.

التي تدور حول الآيات المباركة، وحول السيرة المطهرة، يجد هذا المسلك الذي قلناه بوضوح، فيرى أن المفسرين والباحثين يحاولون التعمق في الكلمات المباركة بكل اهتمام ودقة، ثم يجدون في سائر الآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة أو الأحكام العقلية أو المكتشفات الحديثة.. يجدون في كل هذا قرائن جديدة لاكتشاف معانٍ متفاوتة، اتجاهاً وعمقاً، من هذه الآيات أو الروايات، ويعتبرونها ينابيع لتدفق حقائق متجددة عليهم يوماً بعد يوم.

فالشيخ مرتضى الأنصاري في كتابه الشهير في الفقه (المكاسب)<sup>(١)</sup> يذكر الحديث الشريف: «إنما يحلّل الكلام ويحرّم الكلام»<sup>(٢)</sup>، فيفسره تفاسير أربعة يختلف أحدها عن الآخر وضوحاً وأثراً، ولكن الجميع يعطي مدلول الكلمة.

والفقهاء المتأخرون فسروا قول الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»<sup>(٣)</sup>، وذكر كل عالم تفسيراً يختلف عن تفسير الآخرين، حتى ليبلغ عدد التفاسير المشهورة خمسة، وكلها مدلولات للحديث ظاهرة لا تتعدى نطاق دلالة اللفظ<sup>(٤)</sup>.

## ٢- كيف وجد التشيع:

لا ينبغي أن يفترض أن التشيع أقلية اختلفت مع الأكثرية في الأصول العامة للإسلام بحيث رفضت بعض مبادئها، فاندفعت إلى تأسيس مذهب جديد، أو كان سبب انبثاقه دواعٍ سياسية، أو تعصبات قومية، أو وطنية، أو قبلية، أو ترتبط بثار ديني، وانفصل عن جماعة المسلمين ليضرب بنسيج الوحدة الإسلامية، ويزرع بذور الفرقة.

(١) المكاسب ٣: ٦٠.

(٢) الكافي ٥: ٢٠١.

(٣) الكافي ٥: ٢٨٠.

(٤) انظر مقدمة تاريخ الفلسفة الإسلامية للسيد موسى الصدر: ٩ - ١١.



كما يصوّر المناوئون له من أنه وليد أفكار ابن سبأ اليهودي، الذي حرّض الناس من العراق والشام على قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان، وإنشاء مذهب جديد خليط من مجموعة من العقائد اليهودية وبعض المعارف الإسلامية، وتأسيس مزيجاً يتحرّك في إطار الغلوّ بحقّ أمير المؤمنين وآل بيته عليهم السلام.

أو أنّ جذور منشأ التشيع رست على أساس منهج الثأر وسياسة الانتقام؛ وذلك أثر ما تجرّعه الفرس من غصص الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب، بعد فتح إيران والإطاحة بتيجان الأكاسرة، واجتثاث جذور المجوسية.

أو منشأه أنّ بعض المجوس استغلّوا أرضية الاحترام إثر المصاهرة بين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام لكسرى كذريعة لإيجاد هذا المذهب.

أو أنّه وليد المساعي التي بذلها أئمة أهل البيت عليهم السلام، لاسيّما الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، بهدف تبوؤ مركز القيادة الروحية العامّة لهم.

أو أنّه صنيعة ملوك آل بويه، الذين حكموا العراق وبعض مناطق إيران لفترة معيّنة ما بين ٣٢٠-٤٤٧ هـ في القرن الرابع الهجري.

أو أنّه صنيعة الصفويين، الذين حكموا إيران وحواليها في القرن العاشر حتّى بدايات القرن الرابع عشر الهجري.

هذه ونظائرها من الرؤى والآراء والتهم التي ساقها مناوئو الشيعة حول نشوء التشيع، في حين أنّ الحقيقة هي شيء آخر.

### المعرفة الواقعية للشيعة والتشيع:

إنّ أوّل مَنْ وضع بذرة التشيع هو النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه، صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أنّ بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام، جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهد بها بالسقي والعناية حتّى نمت وأزهرت في حياته، ثمّ أثمرت بعد وفاته.

والشاهد على ذلك: أحاديثه الشريفة نفسها، لا من طرق الشيعة ورواة الإمامية، حتى يقال: إنهم ساقطون؛ يقولون بالرجعة، أو أن راويهم يجرّ النار إلى قرصه، بل من أحاديث علماء السنّة وأعلامهم، ومن طرقهم الوثيقة التي لا يظن ذو مسكة فيها الكذب والوضع<sup>(١)</sup>.

فمنها: ما أخرجه ابن عساكر بإسناده والسيوطي في الدرّ المنتور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(٢)</sup> عن جابر ابن عبد الله، قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل عليّ بن أبي طالب، فقال النبي ﷺ: «قد أتاكم أخي»، ثم التفت إلى الكعبة فضر بها بيده، ثم قال: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ثم قال: «إنّه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزيّة».

قال: ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. قال: فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل عليّ، قالوا: قد جاء خير البرية<sup>(٣)</sup>. وأخرج ابن عدي، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله ﷺ لعليّ: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»<sup>(٤)</sup>.

وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، أنت وشيعتك،

(١) للمزيد راجع أصل الشيعة وأصولها: ١٨٤.

(٢) البيّنة (٩٨): ٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٧١، الدرّ المنتور ٦: ٣٧٩.

(٤) الدرّ المنتور ٦: ٣٧٩.

وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب، تُدعون غرّاً محجلين»<sup>(١)</sup>.  
ومنها: عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: «أبشر يا عليّ! أنت وأصحابك في الجنة، أبشر يا عليّ! أنت وشيعتك في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما رواه ابن الأثير: قال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: «ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين»، ثم جمع يده إلى عنقه، يريهم كيف الإقماح.

الإقماح: رفع الرأس وعضّ البصر. يقال: أقمحه الغل: إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه<sup>(٣)</sup>.

ومنها: قال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: «يا عليّ! إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله، وأخذت أنت بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذت شيعة ولدك بحجزتهم، فترى أين يؤمر بنا؟!»<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أخرج الديلمي: «يا عليّ! إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعةك، فأبشر فإنك الأنزع البطين»<sup>(٥)</sup>.

ومنها: ما روي عن النبي ﷺ قال: «يدخل من أمّتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب».

فقال عليّ عليه السلام: «من هم يا رسول الله؟».

قال: «هم شيعةك يا عليّ وأنت إمامهم»<sup>(٦)</sup>.

(١) الدر المنثور ٦: ٣٧٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٣٤، مجمع الزوائد ١٠: ٢١، السنّة لعمر بن عاصم: ٤٦١.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤: ١٠٦، مادة (قمح).

(٤) المناقب للخوارزمي: ٢٩٦، ح ٢٨٩.

(٥) ينابيع المودة ٢: ٤٥٢، ح ٢٥٢.

(٦) مناقب الخوارزمي: ٣٢٨، ح ٣٤٣.

إلا أن ظهور هذه الفرقة كان يوم وفاة الرسول الأعظم ﷺ؛ إذ كان جسده الطاهر مسجىً على الأرض ولم يواز الثرى بعد، وأهل بيته وبعض خلص أصحابه مشغولون بتجهيزه ودفنه، فاجتمعت طائفة من الصحابة في سقيفة بني ساعدة على عجل؛ ليحسموا أمر الخلافة، وقد عيّنوا خليفة لرسول الله ﷺ زاعمين حرصهم على حفظ مصالح المسلمين.

نهض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع أهل بيته من بني هاشم وثلة من أصحاب رسول الله ﷺ المخلصين الباقين على وفائهم ببيعة الغدير للاعتراض على ما حصل من تعيين خليفة لرسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة مع وجود النصّ النبوي بأمر من الله تعالى على الاستخلاف في يوم الغدير وغيره، ويحذرونهم عواقب ما اجترحت أيديهم.

إباء أمير المؤمنين علي عليه السلام عن مبايعة أبي بكر:

الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لم يأت إلى أبي بكر بل أتني به إلى أبي بكر وهو يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله».

ف قيل له: بايع أبا بكر.

فقال: «أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة، وأنا احتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار: نحن أولى برسول الله حياً وميتاً، فانصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون».

فقال له عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع.  
فقال له علي: «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك  
غداً».

ثم قال: «والله يا عمر! لا أقبل قولك ولا أبايعه».

فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك.

فقال أبو عبيدة بن الجراح لعليّ عليه السلام: يا بن عم! إنك حديث السن وهؤلاء  
مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم، ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا  
أقوى على هذا الأمر منك، وأشدّ احتمالاً واضطلاعاً به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر،  
فإنك إن تعيش ويظل بك بقاء، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق، في فضلك ودينك،  
وعلمك وفهمك، وسابقتك، ونسبك وصهرك.

فقال عليّ عليه السلام: «الله الله يا معشر المهاجرين! لا تخرجوا سلطان محمد في  
العرب عن داره وقعر بيته، إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه  
في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحقّ الناس به؛ لأننا أهل البيت،  
ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله،  
العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم  
بينهم بالسوية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من  
الحقّ بُعداً»<sup>(١)</sup>.

اعتراض فاطمة الزهراء عليها السلام:

وكان ممن اعترض على هذا الأمر: فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؛  
فقد ذكر ذلك ابن قتيبة الدينوري، قال: «وخرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة  
بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٨ - ١٩.

النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فيقول عليّ كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم أدفنه، وأخرج أنزع الناس سلطانه؟

فقال فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطلبهم<sup>(١)</sup>.

### اعتراض بعض الصحابة:

لم يكن المعترضون على نهج السقيفة الذين التزموا جانب الإمام عليّ عليه السلام، ووقفوا إلى جواره أشخاصاً مجهولين، ومن ذوي الأهواء والأغراض، بل كانوا من كرام الصحابة وكبارها، ومن المسلمين الأوائل الذين عُرفوا بملازمة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، واتباع الكتاب والسنة، واشتهروا بالفداء والتضحية، والجهاد في طريق الدعوة.

قال سلمان يومئذٍ: «أصبتم ذا السن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان، ولأكلتموها رغداً»<sup>(٢)</sup>.

أمّا أبو ذر فقد كان حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله غائباً، وقد وليّ أبو بكر فقال: «أصبتم قناعة، وتركتم قرابة، لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان»<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن هدفهم أن يروّجوا لدين جديد يحلّ محلّ الدين الذي كانت معالمه قد شيّدت للتو، وإتّما كان مبتغاهم أن يدافعوا عن مجموعة من النصوص الإسلامية الثابتة التي جعلت زمام ولاية المسلمين بيد أمير المؤمنين عليّ وأولاده

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢: ٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢: ١٣.

المعصومين عليهم السلام بالنصوص المتواترة، والثابتة بين الفريقين الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كدعوة الأقرين من بني هاشم، وحديث الثقلين والسفينة والغدير وغيرها.

فهؤلاء هم المؤسسون لطريقة التشيع، وطلبة رجال الشيعة وأئمتهم، والملازمون للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن حواربي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فالتشيع ظاهرة تصحيحية، وهو يمثل الخط الإسلامي الأصيل، ويحمي الرسالة والأمة الإسلامية من الخطأ والانحراف، ويتبع الكتاب والسنة، فالتشيع ليس ظاهرة طارئة على الإسلام، ولا وجد بسبب التأثيرات الخارجية، وإنما نشأ من صميم الكتاب، وما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين عليهم السلام (١).

### ٣ - ازدهار الفلسفة الإسلامية في إيران:

لا ينبغي الشك في أن عدم اطلاع المؤسسة الثقافية في أوروبا على التغييرات التي طرأت على الفلسفة الإسلامية، والنمو الذي شهدته الحكمة خلال سبعة قرون على يد أمثال الخواجه نصير الدين الطوسي والمير داماد والفيض الكاشاني والملا هادي السبزواري وغيرهم، يعدُّ خسارة علمية لتلك الأندية العلمية.

والسر في ذلك أن أنظار الأوربيين توجّهت نحو الأندلس منذ الأيام الأولى التي بادروا فيها لنقل الكتب الإسلامية وترجمتها، كي يمنحوا قواماً لمؤسساتهم الثقافية؛ لقربهم من الأندلس، واتصالهم بها جعلهم يؤكدون على الاتجاهات العلمية فيها، وعلى الكتب الفلسفية اليونانية المترجمة إلى العربية، وكذلك كتب الفلاسفة الإسلاميين التي كانت رائجة هناك، من جملتها كتب ابن رشد التي ذاع صيتها في تلك الديار، واكتسبت شهرة فلسفية عندهم، بينما لم تول الاهتمام نفسه بالفلسفة الإسلامية التي ظهرت في شرق العالم الإسلامي بالرغم من تقدّم عهدها، ودقّتها، وعمقها.

(١) للمزيد راجع: الشيعة (نص الحوار مع المستشرق كوربان): ٥٥ - ٥٩.

لذا تركّزت اتّصالات الأوربيين مع العالم السنّي خاصة، الذي لم يشهد نمواً يذكر للفلسفة بعد ابن رشد، إلاّ بعض البحوث بهدف الردّ والإبطال لا بعنوان البحوث العلمية لإغناء المكتبة الفلسفية.

وعلى هذا الأساس أدرج الأوربيون اسم الفلسفة الإسلامية في فهرس سجل الأموات، وفي آثار الماضين، ولم يحتملوا أبداً إمكان أن تتجدّد الحياة فيها مرّة أخرى<sup>(١)</sup>.

### العلاقة بين الفلسفة والتشيّع:

الفلسفة الإسلامية كانت سلسلة مسائل وعناوين وحدود معيّنة بُحثت على يد مجموعة فلاسفة اليونان قبل الإسلام، ثمّ تابعت سيرها في الإسلام حتّى زمان ابن رشد، بيد أنّها شهدت تحوّلاً وأحرزت تقدّماً عجبياً بعد ابن رشد، منذ القرن السابع الهجري وحتّى الآن، وأضيفت إليها عناوين وأبواب ومسائل كثيرة لم تكن موجودة من قبل.

فالفلسفة ازدهرت وجدّدت حياتها في إيران خاصّة؛ لأنّ هناك كميّة ملحوظة من بيانات أهل البيت عليهم السلام المدوّنة في المجاميع الحديثية للشيعة تنطوي على طراز فكر وأسلوب عقلي حرّ، بحيث تناولت بالبحث الدقيق جميع جوانب عالم الوجود من مبدئه إلى معاده.

وكان من الطبيعي أن يدفع المنهج الواقعي الإسلامي عدّة من ذوي الأفكار الواقعية ممّن لهم ميول إلى البحث نحو حلّ لهذه المسائل، ليفتحوا الطريق بذلك إلى نهج منظمّ يضطلع بكشف رموز الوجود وأسراره.

والشيعة وحدهم هم الذين تحلّوا بوجود مثل هذه الذخائر الثمينة، واستغلّوا الفرصة المؤاتية لهم في إيران؛ لأنّهم كانوا بعيدين عن ضغط الأكرثية

(١) راجع: الشيعة (نصّ الحوار مع المستشرق كوربان): ١٢٣ - ١٢٥.



السُّنِّيَّة المخالفة للنهج الفلسفي، وبالأخص الخطُّ الوهابي منهم.  
فصارت العلاقة بين الفلسفة الإسلامية والتشيع، ونما في هذا البلد أكثر من  
غيرها من البلدان الإسلامية<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - ما هي العلاقة بين التشيع والتصوف؟

هو الآخر من الأسئلة التي أثارها الأستاذ «كوربان» عن علاقة التشيع  
بالتصوف، وأجاب عنه بأنه: يمكن أن يقال بشكل كلي أن ثمة رابطة خاصة بين  
أصل الدين (بمعنى القول بالألوهية والخضوع إلى عالم الغيب) وبين طريقة  
التصوف، ومن هذه الجهة يُفسَّر وجود المتصوفة في جميع الطوائف الدينية في  
العالم حتّى البوذية والبراهمة.

فكلّ طائفة «تصورها» الذي توكل من خلاله زمام الوجود، وأجزاء هذا  
العالم الفسيح، بيد قدرة «غيبية» عالمة تكون ما فوق الطبيعة، وتتوجّه لمقام  
الخالق بالعبادة والتعظيم.

وثمة عدد من هؤلاء ينخرط في المجاهدات والرياضات على أمل أن يقف  
على الأسرار المكنونة وراء حجاب الغيب، فيمتنع عن الملذّات المادّية،  
والشهوات النفسانية، ليتفرّغ إلى تخلية النفس وتجريدها.

هذا المسار الذي يعكسه سلوك هذه الفئة، هو التصوف، وإن كان في كلّ  
طائفة يُحمل على اسم خاصّ.

ومن الطبيعي أن هذا النهج عبّر عن نفسه في الإسلام أيضاً حيثما ظهر ونما،  
حتّى كانت ثمة مجموعة ملحوظة طوت هذا الطريق، وسارت فيه من بين أبناء  
الكيانين السُّنِّي والشيعي، ولا يُدرج التصوف كطريقة في إطار مذهب خاصّ

(١) راجع: الشيعة (نصّ الحوار مع المستشرق كوربان): ١٢٥-١٢٧.

بحيث يُعدّ رديفاً لسائر المذاهب، كي يقال: إنّ المذاهب السُّنِّيَّة هي: الأشاعرة، والمعتزلة والمتصوّفة، وإنّما ينطوي كلّ مذهب من المذاهب الإسلاميّة على الصوفيّة وغير الصوفيّة.

وإنّ كُنّا نلمس من بعض مؤلّفاتهم وآثارهم جهات توافق مع بعض معتقدات التشييع، منها: وجود شخصية بشرية تحمل حقيقة الولاية، ويقوم عليها عالم الوجود.

فالمتصوّفة يقولون: إنّهُ يلزم في كلّ عصر أن توجد شخصية بشرية تحمل حقيقة الولاية، ويقوم عليها عالم الوجود.

وهذه الشخصية القطبية تنطبق مع ما يعتقد الشيعة بوجوده دائماً، ويطلقون عليه اسم: إمام الزمان، وإن كان أولئك غالباً ما يطبّقون الشخصية القطبية على شيخ الطريقة، وبهذا يمتازون عن الشيعة.

وعليه لا يمكن أن نطلق اسم الشيعة اصطلاحاً على المتصوّفة من أهل السُّنَّة؛ لما في أيديهم من مسائل ومعتقدات مشتركة مع الشيعة أشادوا ببناءهم عليها، ولانتساب عموم سلاسل التصوّف مع كثرتها، باستثناء فرقة واحدة، إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتسليمهم له، وانقيادهم إليه<sup>(١)</sup>.

وهناك ردّ لطيف للسيّد موسى الصدر في مقدّمته على كتاب «تاريخ الفلسفة الإسلاميّة»؛ قال: «دور الإمام الغائب، الذي اعتبر الأستاذ المؤلّف أنّ رأي الصوفيّة في القطب تناول عليه، دور كبير يجب البحث عنه، خاصّة وأنّ المؤلّف قد ربط بينه وبين باطنية الشيعة، وأنّهم ينتظرون كشف الحقيقة لا ظهور نبيّ جديد، أي: ظهور وليّ يكشف جميع حقائق الأحكام، واعتبر المؤلّف أيضاً أنّ فكرة الإمام الغائب هي فكرة الهادي غير المنظور، الذي يقود الأمة ويعرّفها الحقيقة.

(١) راجع: الشيعة (نصّ الحوار مع المستشرق كوربان): ١٢٧ - ١٢٩.

والأنسب توضيح مفهوم الإمام الغائب عند الاثني عشرية من الشيعة، ودوره المنتظر في أيام الغيبة، لكي يتضح مدى صحة استنتاجات المؤلف، ومدى الفرق بين الفكرة عند الاثني عشريين وعند الإسماعيليين، ومدى الفرق بين هذه الفكرة وبين فكرة القطب الصوفي.

إن فكرة الإمام الغائب هي بعينها فكرة ظهور المصلح الكامل الذي يبشّر بالنظام الأكمل، ويهيئ جميع البشر لبلوغ كمالهم، وذلك بإقامة أفضل مجتمع، وتطبيق أفضل نظام، وتعميم العدالة التامة لكي يصل الإنسان إلى الذروة في المعرفة والعلم ووسائل العيش، وفي صلات الناس بعضهم ببعض، هذه الفكرة أساسها الشعور الفطري للإنسان، الذي يدفعه دائماً ومن دون توقّف إلى الأفضل، في جميع حقول معرفته، وميادين حياته، مقنعاً إياه أنه يستمرّ في الصعود إلى مدارج التكامل، ويتقدّم دائماً، وأن تجاربه الدائمة قد تنعكس انعكاساً مؤقتاً سرعان ما يعود عنه ولو بلغ عمر الانتكاسة عشرات السنين أو أكثر.

والعلم في سبيل دائم إلى الأمام، إذ أن الإنسان يجمع معلوماته وتجاربه دائماً لتكوين قوانين جديدة تزيد في دائرة علمه، فالعلم ينمو من جميع الجوانب، ويوفّر للإنسان التقدّم المنسّق المتكامل.

ولعلّ التراث العام الذي ورثه الإنسان من تعاليم السماء في أغلب الأديان يجعله ينتظر ظهور مصلح كامل يعيد الحقّ إلى نصابه، ويطبّق ما تمناه الأنبياء للبشر تطبيقاً كاملاً غير منقوص.

والقرآن الكريم يشير في مواضع عديدة إلى هذا المستقبل؛ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذُّكُرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

(١) الأنبياء (٢١): ١٠٥.

الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمْكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ  
مَنْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أُمَّمًا يُعْبُدُونََنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿١﴾.

والسنة المطهرة بالرغم من تفاوت مضامينها تشكّل تواتراً بظهور مصلح  
كامل يطبق الإسلام تطبيقاً كاملاً، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً  
وجوراً.

من مجموع هذه الأدلة، تكوّنت فكرة الإمام الغائب عند المسلمين، وأنه  
المبشّر بهذا النظام الكامل، حينما يعجز الإنسان ويقف حائراً، واعياً لفشل جميع  
طرقه وأساليبه، ينتظر نظاماً يرتاح فيه وجميع أفراده بجميع جوانب وجوده، وهذا  
الاستعداد في نفوس الناس يسهّل مهمّة الإمام المبشّر، فينجح فوراً في دعوته  
بالرغم من تقدّم البشر في القوى الهدامة والأسلحة الفتاكة.

فالإمام الغائب عند الشيعة هو أحد الأئمة الاثني عشر، وهو الحلقة الأخيرة  
منهم، وكلّهم نور واحد، وخطّ واحد، ويحملون رسالة واحدة، ودوره تطبيق ما  
كانوا يبشّرون به من رسالة جدّهم ليس إلا، ولا شك أنّ هذا الدور، مع لحاظ ما  
قلنا في معنى الإمام الوليّ، يشكّل رأياً خاصاً في المخطّط الديني، وإيضاحاً  
لتعاليم هذا المخطّط، وليس كشفاً لبواطن الأحكام.

هذا هو دور الإمام المنتظر في المستقبل، أمّا دوره وهو غائب فصيانة  
الأحكام، ومنع انعقاد الإجماع في الأحكام على خلاف الحقيقة، فهو بمخالفته  
لسائر الفتاوى يمنع حصول الإجماع، وبالتالي يمنع انحراف الفكر الشرعي، وإذا  
لاحظنا صعوبة الدراسات الفقهية أمام الأحداث والتطوّرات الحديثة، إذا لاحظنا  
ذلك نعرف أهميّة هذه الصيانة، ولكن هذه المخالفة غير مشروطة بمعرفته وشهرة  
اسمه، وهذا البحث مستوفى في الكتب الأصولية، وفي موضوع حجّية الإجماع

(١) النور (٢٤): ٥٥.

في زمن الغيبة.

والإمام المنتظر في المذهب الشيعي شخص واحد غير كلي، فلا ينطبق على قطب في كل زمان، ولا علاقة له بالدور الذي يقوم به القطب، ولا بانتظار كشف الحقائق وبواطن الأحكام بواسطته، وإنما تنفيذ الأحكام الإسلامية على يد الذي استخلفه الله في الأرض»<sup>(١)</sup>.

## ٥ - ما هي الآثار التي تترتب على تصوّر الإمام الغائب في الفكر الفلسفي والأخلاقي؟

وقد أجاب العلامة عن هذا السؤال بأن الشيعة ليست وحدها تثبت وجود الإمام الغائب، وتعتقد به، بل ثمة من طريق السنّة روايات لا تُعدّ في هذا الباب على النحو الذي يمكن بسهولة أن يُطلق دعوى التواتر فيها.

فحديث «المهدي من ولدي» هو من الكلمات الجامعة للنبيّ الأكرم ﷺ، وهو أحد الروايات قطعية الصدور، الذي أطبقت جميع طوائف المسلمين وطبقاتهم على روايته، والقبول به.

فرسول الله ﷺ بصريح بيانه، وإخباره القطعي عن المهدي الموعود ﷺ قبل ولادته، أو جد في نفوس المسلمين تلك الحالة المعنوية التي يمكن أن تتجلّى في باطن الإنسان الواقعي من أفراد المسلمين نتيجة اعتقاده بالمهدي الموعود ﷺ<sup>(٢)</sup>.

## النبوة والولاية عند كوربان:

قال في الولاية: «في عقيدتي أنّ التشيع هو المذهب الوحيد الذي حَفَظ بشكل مستمر رابطة الهداية بين الله والخلق، وعلاقة الولاية حيّة إلى الأبد. فاليهودية أنهت العلاقة الواقعية بين الله والعالم الإنساني في شخص النبيّ

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية: ٢٦ - ٢٨.

(٢) راجع الشيعة (نصّ الحوار مع المستشرق كوربان): ١٢٩ - ١٣٠.

موسى عليه السلام، ثم لم تدعن بعدئذ نبوة السيد المسيح عليه السلام، والنبى محمد صلى الله عليه وآله فقطعت الرابطة المذكورة.

والمسيحية توقفت بالعلاقة عند المسيح عليه السلام.

أما أهل السنة من المسلمين فقد توقفوا بالعلاقة المذكورة عند النبى محمد صلى الله عليه وآله، وباختتام النبوة به لم يعد ثمة استمرار في رابطة العلاقة (في مستوى الولاية) بين الخالق والخلق.

وأما التشيع فيبقى هو المذهب الوحيد الذي آمن بختم نبوة محمد صلى الله عليه وآله، وآمن في الوقت نفسه بالولاية - وهي العلاقة التي تستكمل خط الهداية، وتسير به بعد النبى - وأبقى عليها حيّة إلى الأبد.

لقد ظلت العلاقة التي تكشف اتصال العالم الإنساني الألوهي، حيّة من خلال الدعوات الدينية التي سبقت موسى عليه السلام، واستمرت مع دعوات موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله، ثم لم تتوقف مع النبى، بل استمرت من بعده بواسطة الولاية، وعبر أوصيائه (بحسب عقيدة الشيعة)، وستبقى حيّة»<sup>(١)</sup>.

### فكرة المهدي عليه السلام لدى كوربان:

كتب «كوربان» موضوعات رائعة في هذا المجال، وهي تدور حول موقف التشيع في العالم المعاصر، وأثبت فيها أنّ عقيدة الإمام المهدي عليه السلام التي تستند إليها الشيعة صحيحة، وهي حافظة لقوام الوجود البشري، ولا سبيل لأهل السنة بل جميع الفرق الإسلامية وغيرها إلا بالاستناد إليها، وعلى الناس قاطبة أن يرحّبوا بدخول هذه العقيدة في دينهم من أجل خلاصهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

وقد سعى كوربان لفهم قضيتي الولاية والإمام المهدي عليه السلام في المذهب

(١) راجع: الشيعة (نص الحوار مع المستشرق كوربان): ٤٩ - ٥٠.

(٢) معرفة الإمام ١٨: ٢٠٤.

الشيعة، وإيمان الشيعة بعودة الإمام المهدي بعد ظهور عدّة دلائل وإشارات بغية إحياء سنّة الرسول من جديد.

يقول «هنري كوربان»: «الفكرة الأساسية التي يتأملها ممثلو الحكمة الإلهية، (أو العرفان الشيعي) هي التي ذكرناها سابقاً: فكما أنّ دورة النبوة تختم بخاتم النبيين، كذلك فإنّ الولاية - وهي التي تحاذي النبوة، وتماشيها من حقبة لحقبة، تُختتم بالإمامة المحمّدية؛ فتُختتم الولاية العامّة بشخص الإمام الأوّل، وتُختتم الولاية المحمّدية التي تمثل باطن الباطنيات السابقة بشخص الإمام الثاني عشر»<sup>(١)</sup>.

وقال في موضع آخر: «إنّه حقيقة حيّة [يقصد الإمام المهدي عليه السلام] آخر أوصياء النبيّ، والوليّ الحيّ الذي تستمرّ من خلاله هداية الولاية] لا يمكن أن نضعه أبداً من وجهة النظر العلمية في عداد الخرافات، أو نحذفه من قائمة الحقائق القائمة»<sup>(٢)</sup>.

### الإمام الغائب:

مفهوم الغيبة وحقيقتها لم تنل نصيباً من التفكير العميق في إطار المتطلّبات التي يقتضيها عالمنا اليوم؛ إذ من المناسب أن تنال اهتماماً خاصّاً بالنظر إلى كونها المصدر الأساسي لدفع كلّ الشبهات التي ترد من جميع المدارس الفلسفية الشرقية والغربية من المادّية والماركسية والاشتراكية وغيرها.

ولذا يرى «كوربان» في حقيقة غيبة الإمام عليه السلام أساس وبنية أصيلة لتنظيم المجتمع الإسلامي، وينبغي أن ينظر إليها كقاعدة معنوية غيبية، تظلّ مصنونة من كلّ ضرب من ضروب التبدّل والتحوّل والتجسّد بأشكال مادّية ومعنوية واجتماعية

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية: ١٢٥.

(٢) الشيعة (نصّ الحوار مع المستشرق كوربان): ٥٠.

في منظومات اجتماعية.

وكما أنّ الحقيقة المذكورة تُعدّ تزيق الظاهرة الكنسية (الروحانية) في الغرب، ويمكن تحقّق ميلها من حيث التظاهر والتجسّد الاجتماعي للحقيقة الإلهية في المجتمع، وكافة النتائج التي يتضمّن هذا اللون من التفكير، فإنّها يمكن أن ترفع تشويش وقلق كلّ من يعاني به.

ويقول «كوربان»: «وفي عقيدتي أنّ الغيبة تتضمّن حقيقة تبلغ من الوضوح درجة أنّها لا تقبل مثل هذا الغموض والتبليد الفكريّ، ويمكن أن تعدّ العلاج الوحيد لمثل هذا التشويش والبلبلّة عند ظهورهما.

وفي رأيي أنّ الجانب المعنويّ للإسلام قابل للحياة والديمومة والنشاط بالتشيع فحسب، ويصمد هذا المعنى أمام كلّ لون من ألوان التحوّل والتغيير اللذين تصاب بهما المجتمعات الإسلاميّة»<sup>(١)</sup>.

### العلاقة الحقيقيّة لإمام العصر بالحياة المعنويّة:

يقول «كوربان» في معنى «إمام الزمان»: أنّه مفهوم أعلى يكمل مفهوم الغيبة، بيد أنّه يرتبط بشخصيّة الإمام الغائب ارتباطاً تامّاً، وأنا أشعر وأدرك مفهوم «الإمام الغائب» بنحو جديد وبكر بما أحمله من روح غربيّة، وألّقي في روعي أنّ علاقته الحقيقيّة ترتبط بالحياة المعنويّة للبشر، وكأنّ هذه العلاقة أخذت مكانها الحقيقيّ في خاطري كمنهج عمل باطنيّ معنويّ يري كلّ مؤمن بنفسه قريباً ومرافقاً لشخصيّة الإمام، ويستعيد سلسلة من فتیان المعنويّة وشعيرة الفتوة الضائعة، على شرط أن نكيّف الحقيقة الأخيرة مع الظروف والإمكانات الروحيّة المعاصرة.

وبنظري أنّ هذه العلاقة الخاصّة للأرواح بالإمام الغائب هي التزيق

(١) راجع: معرفة الإمام ١٨: ٢١٣.



الوحيد ضدّ خلط حقيقة الدين، وأنّ كرامة الإمام وإقراره هما ذوا صبغة معنويّة كأصالة حياته.

وهكذا التفاتنا واهتمامنا بتعاليم الأئمّة الذين ظهروا ويعيشون الآن في عالم المعنى.

إنّ المستشرقين الذين اعتقدوا بأنّ المذهب الشيعيّ بمنزلة مذهب مستبدّ قد ضلّوا ووقعوا في خطأ فادح، وقد تسرّبت هذه الفكرة إلى أذهانهم من المفهوم الكنسيّ بقرينة فكريّة معيّنة.

إنّ ما يلفت الأنظار أكثر من كلّ شيء عند عرفاء الشيعة، كحيدر الآمليّ، هو التشبيه الذي أُقيم بين الإمام الغائب و«البارقليط» واستشهاده بإنجيل يوحنا (الإنجيل الرابع)، ولا عهد للأذهان بهذا الالتقاء الفكري والمعنوي بما عليه من وضوح<sup>(١)</sup>.

### هل أسلم كوربان وتشيّع؟

الإنسان ينفر بطبعه ممّن يبلغ الحقيقة، ولا يتقيّد بلوازمها، والانتماء إلى الإسلام، وإلى التشيّع خاصّة، هي النتيجة الطبيعية التي تحكي حال الرجل وتفصّه، فهل أسلم هنري كوربان؟

ينقل السيّد عبد الباقي - النجل الأكبر للعلامة الطباطبائي - عن والده: أنّه التفت إليه يوماً وحدّثه بحيوية خاصّة من دون أن يسأله: أصبح البروفسور كوربان مؤمناً بالإسلام (التشيّع) بيد أنّه لا يصرّح بإسلامه وتشيّعه.

ويذكر السيّد عبد الباقي أنّه لم تمر سوى أيّام قلائل على الكلام، وإذا بكوربان يفجّر ضجّة كبيرة خلال محاضرة ساخنة ومثيرة ألقاها عن الإمام

(١) معرفة الإمام ١٨: ٢١٣ - ٢١٤.

المهدي عليه السلام، وكان ممّا ذكره فيها أنّه كاد أن يدفع مركزه العلمي بضغط من الكنيسة كتمن لبحثه حول الإسلام، وبلوغه هذه الحقائق.

عندما اطّلع أبي عليّ الواقع - يضيف نجل الطباطبائي - قال: ألم أقل إنّ البروفسور كوربان أضحى مؤمناً بالإسلام (التشيع) بيد أنّه يمتنع عن التصريح بذلك.

وممّا حدّث به الشيخ حسن زادة الآملي عن أستاذه الطباطبائي قوله: كنّا في إحدى الليالي عند العلامة الطباطبائي، وكان عائداً للتو من لقاء حوارى عقد في طهران مع هنري كوربان قبل يوم واحد من تلك الليلة.

حدّثنا العلامة: حلّ علينا في جلستنا بطهران تلك، ضيف كريم، والضيف الكريم هذا هو فرنسي مسلم إمامي، فقد ذكر من خلال مترجمه: أنّه مسلم شيعي اثنا عشري معتقد بسرّ الإمامية.

يضيف الطباطبائي: سألته: هل عائلتك في فرنسا من الشيعة الإمامية؟ أجابني: كلا، بل اهتديت شخصياً إلى الإسلام من خلال دراستي للأديان، وبحثي في المذاهب والملل والنحل، كما اهتديت في الإسلام إلى التشيع والمذهب الجعفري، وأنا معتقد بسرّ الإمامية أيضاً.

يقول العلامة الطباطبائي: سألته: وماذا تعني بسرّ الإمامية؟

قال في جوابي: وجود إمام الزمان المهدي الموعود<sup>(١)</sup>.

وقد وصف العلامة الطباطبائي كوربان أنّه: «كان غالباً ما يقرأ أدعية الصحيفة المهدوية، وهو يبكي».

وقال عنه في مكان آخر: «كان رجلاً سليم النفس، يتّسم بالموضوعية

---

(١) راجع: رسالة التشيع في العالم المعاصر (المقدمة): ٢٠ - ٢١.

والإنصاف، وهو يعتقد بانتهاء مهمّة جميع أديان العالم (السماوية) وتوقّفها عن التكامل، باستثناء التشييع الذي بقي متجدّداً حياً يقطّأ بفعل رابطة الولاية والمهدي»<sup>(١)</sup>.

ينقل السيّد محمّد الحسيني الطهراني رأي أستاذة العلامة الطباطبائي في كوربان فيقول: «أنّه اقترب من التشييع كثيراً بحيث شهدت شخصيته تحوُّلاً كبيراً، بل انقلاباً عظيماً إثر إيمانه العميق بالإمام المهدي عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فقد تأثر هنري كوربان بالفكر الشيعي كثيراً، واندمج بمناخه بحيث سجّل شهادات كبيرة على تشييعه، وانتمائته إلى مذهب أهل البيت عليه السلام.

يقول هنري كوربان: في عقيدتي جميع الأديان حقّ، وهي تسعى وراء حقيقة حيّة، وتشارك جميعاً في السعي لإثبات أصل وجود هذه الحقيقة الحيّة.

ولكن يبقى التشييع وحده هو المذهب الذي منح الحقيقة لباس الدوام والاستمرار بعقيدته؛ إنّ هذه الحقيقة ما بين العالم الإنساني والألوهي ثابتة دائماً، وباقية إلى الأبد<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن قدّم خدماته العلمية الجليلة للعالم الغربي، وقضى حياته في سبيل إيصال الفكر الشيعي المحتضن والمقتفي للآثار والمبادئ الفكرية الخالدة لأهل البيت عليه السلام توفي «كوربان» في السابع من أكتوبر عام ١٩٧٨م المصادف لـ ١٣٩٨هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع: رسالة التشييع في العالم المعاصر (المقدمة): ١٧.

(٢) رسالة التشييع في العالم المعاصر (المقدمة): ١٧.

(٣) الشيعة (نصّ الحوار مع المستشرق كوربان): ٥٠.

(٤) موسوعة المستشرقين: ٤٨٣، رسالة التشييع في العالم المعاصر (المقدمة): ٧.



(٢٤) وارتون كرباسين (حسين)  
(مسيحي / فرنسا)

ولد في قرية «فونتنبلو» التي تبعد مسافة خمسين كيلومتراً عن العاصمة الفرنسية باريس سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٩م)، ونشأ في أسرة مسيحية، ودرس في المدارس الأكاديمية في دار المعلمين للبنين.

حاز «والتون» على شهادة المتوسطة، ومن ثمّ توجه إلى بريطانيا لإكمال دراسته في قسم هندسة الراديو والكهرباء حتّى نال شهادته الهندسية، وبعدها سافر إلى بعض الدول الغربية والإسلامية، إلى أن جاء إلى إيران ليعمل فيها، فأصيب بمرض شافاه الله ببركة الإمام الحسين عليه السلام، ممّا وقّقه إلى التشرّف بالانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

تعرّفه على الإسلام والتشيّع:

وقّع «والتون» عقداً بينه وبين إحدى شركات الطيران ليعمل في قسم الشعب الفنيّة في مطار طهران الدولي، لمدة سنة، وبعد انقضاء هذه المدّة رجّح البقاء في إيران على العودة إلى فرنسا، فعمل كمترجم في المعاهد التجارية المختلفة، ومن بعدها ذهب إلى جنوب إيران ليعمل في إحدى الشركات.

واغتتم «والتون» أوقات فراغه مدّة إقامته في إيران بالمطالعة والدراسة

عن الدين الإسلامي بشكل عام، وعن مذهب التشيع بشكل خاص، كما قرأ القرآن عدّة مرّات ليرى ما فيه من الكنوز والذخائر.

### الحكمة الإلهية:

شاءت الأقدار الإلهية أن يصاب «وارتون» بمرض عضال وهو «السينوزيت»، وبمرور الأيام أخذ يتفاقم وضعه، ويزداد مرضه، وتكثر معاناته، فقرّر الأطباء نتيجة لفحوصاتهم الطبية إجراء عملية جراحية، فلم تطاوعه نفسه لإجراء تلك العملية.

وقد صادف أنّ تلك الأيام التي كان يعاني فيها من هذا المرض كانت في شهر محرّم الحرام، وأيام ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام؛ يقول «وارتون»: كانت بجواري دار واسعة مغطّاة بخباء كبير أعدت للتعزية بمناسبة أيّام محرّم وذكرى عاشوراء، وكانت المآتم تُقام في الليالي، وتُذكر فيها مصائب سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والوعظ والإرشاد، فاعتدت الجلوس خلف الشبّاك، والاستماع إلى كلمات الخطباء والمصائب التي كانوا يلقونها في المجلس.

فاتّفق أن قدّم أحد خدم المآتم طبقاً من شاي، وقال: أيّها السيّد! هل تشتهي أن تشرب شاي الإمام الحسين عليه السلام؟

وكانت الآلام تضيق عليّ لكنتي قبلت منه على اشتياق ورغبة تامّة.

وعندما لمست شفّتاي الشاي أحسست نوراً خافئاً أضاء في فكري، فناجيت ربّي وقلت: «إلهي بحرمة الإمام الحسين عليه السلام ومنزلته أرني معجزة خارقة لأستريح من هذا الألم، ومن شدّة هذا المرض المهول».

وفي اليوم التالي وعند نهوضي من فراشي من النوم رأيت العجب العجاب، واتضح لي أنّي قد شفيت من مرضي كلياً ببركة هذا الشاي للإمام الحسين عليه السلام.

## معاجز الإمام الحسين عليه السلام:

رويت معاجز وكرامات خارقة للإمام الحسين عليه السلام قبل استشهاده، وبعد الشهادة.

فقد روى محمد بن الحسن الصفار بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ اللَّهَ عَرَضَ وَلايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَبَلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، وَأَبَاهَا مَلَكٌ يَقَالُ لَهُ: فَطْرَسٌ، فَكَسَرَ اللَّهُ جَنَاحَهُ، فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام بَعَثَ اللَّهُ جَبْرَائِيلَ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْنِئُهُمْ بِوِلَادَتِهِ، فَمَرَّ بِفَطْرَسٍ. فَقَالَ لَهُ فَطْرَسٌ: يَا جَبْرَائِيلُ! إِلَى أَيِّ بَنٍ تَذْهَبُ؟

قال: بعثني الله إلى محمد أهنئهم بمولود ولد في هذه الليلة.

فقال له فطرس: احملني معك، وسل محمدًا يدعو لي.

فقال له جبرئيل: اركب جناحي فركب جناحه، فأتى محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدخل عليه وهنأه، فقال له: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فَطْرَسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أُخُوَّةٌ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ لَهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جَنَاحَهُ.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفطرس: «أَتَفْعَلُ؟».

قال: نعم.

فعرض عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شأنك بالمهد، فتمسح به وتمرغ فيه».

قال: فمضى فطرس، فمشى إلى مهد الحسين بن علي ورسول الله يدعو له، قال: قال رسول الله: «فنظرت إلى ريشه وإنه ليطلع ويجري منه الدم، ويطول حتى لحق بجناحه الآخر، وخرج مع جبرئيل إلى السماء وصار إلى موضعه»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: بصائر الدرجات: ٨٨، كامل الزيارات: ١٤٠، الأمالي للصدوق: ٢٠٠ الحديث ٢١٤، روضة الواعظين: ١٥٥، دلائل الإمامة: ١٩٠ الحديث ١١٠، بشارة المصطفى: ٣٣٨.

وفي ذلك قال الشاعر:

غذاه النبي بإبهامه فما زال عن ريبها يصدر

به الله ردّ على فطرس مقاماً به في السما يذكر<sup>(١)</sup>.

ومن شعر للميرزا عبد المجيد بن عبد العلي الزنجاني وقد تعلّق بضريح

الحسين عليه السلام:

ييدي وجناحا فطرس قد تعلّقا بجاه ذبيح الله وابن ذبيحه

فإن ساد في أمّ فانت ابن فاطم وإن ساد في مهد فانت أبو المهدي<sup>(٢)</sup>.

وروي من معاجزه أن قتلة الحسين عليه السلام لما قتلوه بعثوا برأسه إلى يزيد،

فنزّلوا أوّل مرحلة، فجعلوا يشربون بالرأس، فبينما هم كذلك، إذ خرجت عليهم

من الجدار يدٌ معها قلم من حديد فكتبت سطرأ بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب<sup>(٣)</sup>.

فهربوا وتركوا الرأس.

أخرجه منصور بن عمّار، وذكر غيره أنّ هذا البيت وجد بحجر قبل مبعث

النبي صلى الله عليه وآله بثلاثمائة سنة، وأنّه مكتوب في كنيسة من أرض الروم لا يُدرى من

كتبه<sup>(٤)</sup>.

وكان رأسه الشريف يقرأ القرآن؛ فقد روى المنهال بن عمرو، قال: أنا والله

رأيت رأس الحسين صلوات الله عليه على قناة يقرأ القرآن بلسان ذلق ذرب، يقرأ

سورة الكهف حتّى بلغ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا

(١) شجرة طوبى ٢: ٢٦١.

(٢) أعيان الشيعة ٨: ٩٣.

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٥٦٨، سبل الهدى والرشاد ١١: ٧٦.

(٤) الصواعق المحرقة ٢: ٥٦٨.

عَجَبًا ﴿١﴾. فقال رجل: ورأسك - والله - أعجب يا ابن رسول الله من العجب (٢).  
وعنه أيضاً، قال: أُدخل رأس الحسين صلوات الله عليه دمشق على قنّاة،  
فمرّ برجل يقرأ سورة الكهف وقد بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ  
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، فأنطق الله تعالى الرأس، فقال: أمري أعجب من أمر  
أصحاب الكهف والرقيم (٣).

وعن محمّد بن جرير الطبري الإمامي بإسناده عن الحارث بن وكيدة، قال:  
كنت فيمن حمل رأس الحسين عليه السلام، فسمعتة يقرأ سورة الكهف، فجعلت أشكّ في  
نفسي، وأنا أسمع نعمة أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: «يا بن وكيدة، أما علمت أنّا معشر  
الأمّة أحياء عند ربّنا نرزق؟».

قال: فقلت في نفسي: أسرق رأسه.

فنادى: «يا بن وكيدة، ليس لك إلى ذاك سبيل، سفكهم دمي أعظم عند الله  
من تسييرهم رأسي، فذرهم: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \* إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَغْنَائِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ  
يُسْحَبُونَ﴾ (٤) (٥).

### الشفاء في تربة الحسين عليه السلام:

روي عن سعد بن سعد، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الطين؟ فقال: «أكل  
الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير إلا طين قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ فيه شفاء  
من كلّ داء وأمناً من كلّ خوف» (٦).

(١) الكهف (١٨): ٩.

(٢) الثاقب في المناقب: ٣٣٣، فيض القدير ١: ٢٦٥، تاريخ مدينة دمشق ٦٠: ٣٦٩، سبل  
الهدى والرشاد ١١: ٧٦.

(٣) الثاقب في المناقب: ٣٣٣.

(٤) غافر (٤٠): ٧٠ - ٧١.

(٥) دلائل الإمامة: ١٨٨ نواذر المعجزات: ١١١.

(٦) الكافي ٦: ٢٦٦.



في حديث آخر: «ولكن لا يكثر منه، وفيه أمان من كلّ خوف»<sup>(١)</sup>.  
وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء»<sup>(٢)</sup>.  
وفي خبر آخر: «وأماناً من كلّ خوف»<sup>(٣)</sup>.  
وفي حديث آخر: «وهو الدواء الأكبر»<sup>(٤)</sup>.  
وعنه عليه السلام، قال: «طين قبر الحسين عليه السلام فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل»<sup>(٥)</sup>.  
وعنه عليه السلام، قال: «مَنْ أصابته علةٌ فبدأ بطين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة إلا أن تكون علة السام»<sup>(٦)</sup>، أي: «الموت».  
وعنه عليه السلام، قال: «لو أنّ مريضاً من المؤمنين يعرف حقّ أبي عبد الله عليه السلام وحرمة وولايته أخذ من طين قبره مثل رأس أنملة كان له دواء»<sup>(٧)</sup>.  
وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام حول طين قبر الحسين عليه السلام، قال: «هو أمان بإذن الله»<sup>(٨)</sup>.  
وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «حتّكوا أولادكم بتربة الحسين عليه السلام فإنّها أمان»<sup>(٩)</sup>.  
وعن بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلاّ تداويت به. فقال لي: «فأين أنت

(١) الكافي ٦: ٣٧٨.

(٢) كامل الزيارات: ٤٦١، الحديث ٧٠١.

(٣) كامل الزيارات: ٤٦٦ - ٣٦٧، الحديث ٧١٠ - ٧١١.

(٤) كامل الزيارات: ٤٦٢، الحديث ٧٠٢.

(٥) كامل الزيارات: ٤٦٢، الحديث ٧٠٣.

(٦) كامل الزيارات: ٤٦٢، الحديث ٧٠٤.

(٧) كامل الزيارات: ٤٦٥، الحديث ٧٠٦.

(٨) كامل الزيارات: ٤٦٦، الحديث ٧٠٧.

(٩) كامل الزيارات: ٤٦٦، الحديث ٧٠٨.

عن تربة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنَّ فيها الشفاء من كلِّ داء، والأمن من كلِّ خوف، وقل إذا أخذته: «اللهم إني أسألك بحقِّ هذه الطينة، وبحقِّ الملك الذي أخذها، وبحقِّ النبيِّ الذي قبضها، وبحقِّ الوصي الذي حلَّ فيها، صلِّ على محمَّد وأهل بيته، واجعل لي فيها شفاء من كلِّ داء، وأماناً من كلِّ خوف».

قال: ثمَّ قال عليه السلام: «أمَّا الملك الذي أخذها، فهو: جبرئيل عليه السلام، أراها النبيُّ صلى الله عليه وآله، فقال: هذه تربة ابنك تقتله أمتك من بعدك، والنبيُّ الذي قبضها محمَّد صلى الله عليه وآله، والوصي الذي حلَّ فيها، فهو الحسين بن علي عليه السلام سيِّد الشهداء».

قلت: قد عرفت الشفاء من كلِّ داء، فكيف الأمان من كلِّ خوف؟

قال: «إذا خفت سلطاناً أو غير ذلك، فلا تخرجنَّ من منزلك إلاَّ ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام، وقل إذا أخذته: «اللهم إنَّ هذه طينة قبر الحسين وليِّك وابن وليِّك، اتَّخذتها حرزاً لما أخاف ولما لا أخاف. فإنَّه قد يرد عليك ما لا تخاف».

قال الرجل: فأخذتها كما قال لي، فصحَّ والله بدني، وكانت لي أماناً من كلِّ ما خفت وما لم أخف، كما قال عليه السلام، فما رأيت بحمد الله بعدها مكرهاً<sup>(١)</sup>.

وروي عن جعفر الخلدي، قال: كان بي جرب عظيم كثير، فتمسَّحت بتراب قبر الحسين عليه السلام، قال: فغفوت فانتبهت وليس عليَّ منه شيء<sup>(٢)</sup>.

وفي عبارة: «فيها شفاء من كلِّ داء» إشارة إلى جميع الأمراض البدنية والروحية والعقلية؛ لأنَّ لفظه: «كلِّ» وضعت للدلالة على العموم.

فلو نفهّمنا مغزى ومعنى: «فيها شفاء من كلِّ داء» لا تضح أن تربة كربلاء، والإمام الحسين عليه السلام لم يُعرفا إلى الآن! وأن تربة قبره إكسير يشفي داء أبداننا، وداء أفكارنا، وداء أرواحنا، وكل داء جسمي، أو روحي للبشر. وأماناً من كلِّ خوف.

(١) راجع: كامل الزيارات: ٤٧٣، تهذيب الأحكام ٦: ٧٥.

(٢) شرح إحقاق الحقّ ٢٧: ٤١٩.

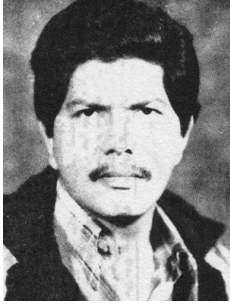
إنها أمانٌ من الخوف الأكبر، لمن وضعها في قبره وتفضل الله عليه بإكرامه  
إكراماً لهذه التربة، تربة الإمام الحسين عليه السلام، كما أنها أمان من خوف الظالم في الدنيا  
لمن اصطحبها معه ليردّ ببركتها ظلم الظالم!

### نقطة التحوّل

بعد شفاء «وارتون» من المرض الذي كان يعاني منه أقبل على اعتناق  
الدين الإسلامي والمذهب الشيعي، يقول «وارتون»: «فكانت مطالعاتي السابقة  
حول الإسلام وهذه الواقعة العجيبة التي شاهدتها عيناى أثرت في نفسي فصممت  
على إعتناق الدين الإسلامي، وبعد أشهر عدت من جنوب إيران إلى طهران  
العاصمة، ومنها توجّهت إلى مدينة قم المقدّسة حيث الحوزة العلمية». وعند  
مجيئه إلى قم حضر عند أحد علماء الشيعة، ونطق الشهادتين، واعتنق  
الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، وتسمّى باسم: الامام الحسين عليه السلام<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع كتاب «المستبصرون» للبنجوري: ٨٣، ومجلة نوردانش العدد ١.



(٢٥) أرفولد آريس (أمير علي)  
(مسيحي / الفلبين)

ولد في الفلبين، حاصل على شهادة الطب، نشأ في عائلة مسيحية، ولكنه وبالرغم من انتمائه للدين المسيحي كان يعاني من الفراغ العقائدي، ولم تكن المسيحية قادرة على ملء هذا الفراغ، بل كان يزداد يوماً بعد يوم حيرة في أمر دينه، حتى شاءت الإرادة الإلهية استنقاذه ممّا كان يعاني منه، فحصل له لقاء مع بعض علماء الشيعة واستمع الى محاضراتهم.

### التعاون بين الحاكم والشعب:

من جملة المواضيع التي يقوم علماء الشيعة بتوضيحها وتنقيحها: موضوع التعاون بين الحاكم والشعب في الحكومة الإسلامية؛ فإنّ الرؤية الإسلامية في هذا المجال، والتي استقيت من كلمات الرسول الأكرم والعترة الطاهرة عليهم السلام، تضاهي بل تعلو على ما يدّعيه دعاة الحرّية والديمقراطية في يومنا هذا.

فحقوق الحاكم - كما يجمّلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - أمور يعطاها من الشعب؛ لأنّها ضرورية لاستمرار الحكم وصلاحه، وهذه الحقوق هي: (وأما حقّي عليكم : فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم،

والطاعة حين أمركم<sup>(١)</sup>.

ذكر هنا حقّه عليهم، وأوّل الحقوق وأهمها: أن يكونوا أوفياء له في ما بايعوه عليه.

بايعوه على أن يكون خليفة يقوم بشؤونهم ويدبّر أمورهم، فيجب عليهم أن يفوا بذلك، فلا يبايعوا غيره، ولا يعطوا يداً لسواه، ولا يقبلوا إلا به.

إنّهم رضوا به قائداً لهم وخليفة عليهم، فليس لهم بعد ذلك أن يعطوا غيره ما أعطوه له.

وأن يكونوا في حال غيابه كما هم في حال حضوره، إذا رأوا أمراً فيه مصلحةً بادروا إلى بيانه والإفصاح عنه، وإذا رأوا عورةً يبتئوها وأوضحوا معالمها؛ فإنّ النصيحة - بيان الصالح وما فيه منفعة وفائدة - تجري بين المسلمين عامة، وتتأكد فيما بين الحاكم والمحكوم؛ لأثرها على المجتمع فيما لو تركت ولم يُخبر بها الحاكم.

وكانه عليه السلام يقول اليهم أيضاً: إذا دعوتكم لأمرٍ لبوا الأمر واستجيبوا لدعائي، فبادروا بدون تسويق أو تأخير، فليس لكم أن تتمردوا أو تتوقفوا أو تتعللوا وتتساءلوا؛ فإنّ الحاكم يبحث عن مصلحة شعبه وما ينفعهم، فهو عندما يأمرهم يجب عليهم الامتثال والطاعة والانقياد لتحقيق منافعهم وما فيه مصلحتهم.

يقول عليه السلام: (وَلِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ، وَالْأَلَّا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدًا هَوْنًا عَلَيَّ مِمَّنْ أَعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ)<sup>(٢)</sup>.

إنّه عليه السلام لما استوفى لهم ما شرطه لهم على نفسه قال: فإذا فعلت ذلك الذي

(١) نهج البلاغة ١: ٨٤، الخطبة: ٣٤.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٧٩ - ٨٠، الكتاب: ٥٠.

شرطته وقمت به على وجهه ثبت لله عليكم نعمة كبرى هي نعمة الوالي العادل، وهي نعمة تستحق الشكر؛ فإن من أعظم النعم أن يسلك الخليفة مع رعيته بهذا الطريق ويعطيهم هذه الحقوق... ثم ذكر ما له عليهم من الحقوق وهي:

١ - لي عليكم الطاعة: أن تطيعوا أمري في كل ما أريد فلا تعصوا ولا تتمردوا أو تردوا عليّ أمراً، أو ترفضوا طلباً.

٢ - لا تنكصوا عن دعوة: أي: لا تحجموا وتتأخروا عن دعوة دعوتكم إليها، فلو دعوتكم إلى الجهاد بادرتم بدون تأخير أو رفض.

٣ - لا تفرطوا في صلاح: أي: لا تفرطوا فيما يكون فيه صلاح الأمة فإذا وجدتم العدو ضعيفاً وكان من الصالح غزوه فلا تتأخروا، وهكذا.

٤ - أن تخوضوا الغمرات إلى الحق: أي تقطعوا الشدائد وتحملوا المصاعب والمصائب في سبيل الوصول إلى الحق وقطع دابر الباطل.

ثم أصدر وعيداً منه لهم إذا لم يقوموا بما عليهم من الحق، وقد هددهم بأمرين:

١ - تحقير المنحرف وإهانته بما يوجب سقوط منزلته وازدراءه، وهذا إسقاط معنوي وضربة قاسية تناله في شرفه وكرامته.

٢ - تشديد العقوبة عليه وتغليظها تأديباً له، وردعاً لغيره ممن تسول له نفسه مثل ذلك، ثم إنّه لا رخصة في ذلك ولا تهاون، لا عفو عن هذا الذنب ولا يقبل الاعتذار منه.

ثم أمرهم بقوله: خذوا منّي وممن يأتي بعدي من الولاة هذه الأمور التي يجب أن يؤدبها الوالي إليكم، ويقوم بها نحوكم، وأعطوني وإياهم في مقابلها ما شرطت عليكم وما عليكم من الحقوق التي بها تصلح الأمة، وتجتمع على الإلفة والمحبة.

وهي: قوله عليه السلام في خطبة له بصفين<sup>(١)</sup>: (إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَضْعُرَّ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظَّمَتْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أزدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظْمًا.

إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ<sup>(٢)</sup> حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبَّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ<sup>(٣)</sup> وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا<sup>(٤)</sup> لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، وَرُبَّمَا اسْتَحَلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ<sup>(٥)</sup>؛ فَلَا تُثَنُّوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَالْيَنُكْمِ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ<sup>(٦)</sup> مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا<sup>(٧)</sup>، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ<sup>(٨)</sup>، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ<sup>(٩)</sup>، وَلَا تُخَالِطُونِي

(١) صيفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صيفين بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية في سنة ٣٧ في غرة صفر. معجم البلدان، للحموي: ٣: ٤١٤.

(٢) السخف: رقة العقل. كتاب العين ٤: ٢٠٢.

(٣) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. لسان العرب ١٥: ٦.

(٤) الانحطاط: الانحدار والإدبار والاضمحلال. تاج العروس ١١٩: ٥.

(٥) بلي الإنسان وابتلي: إذا امتحن. والبلاء، في الخير والشر. والله يبلي العبد بلاء حسناً وبلاء سيئاً. وأبليت فلانا عذراً، أي: بينت فيما بيني وبينه ما لا لوم عليّ بعده. والبلوى: هي البلية، والبلوى: التجربة، بلوته أبلوه بلوا. كتاب العين ٨: ٣٤٠.

(٦) فرغ من الشيء: أي أصبح خالياً منه. كتاب العين ٤: ٤٠٨.

(٧) أمضى الشيء: أنفذه. لسان العرب ١٥: ٢٨٣.

(٨) الجبار: العاتي على ربه، القتال لرعيته. والجبار من الناس: العظيم في نفسه الذي لا يقبل موعظة أحد. كتاب العين ٦: ١١٧.

(٩) البادية: ما يبدر من حدة الرجل عند الغضب، يقال: فلان مخشي عند البادية، وأخاف حدته وبادرته. كتاب العين ٨: ٣٤.

بِالْمُصَانَعَةِ<sup>(١)</sup>، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قَبْلِ لِي، وَلَا التَّمَّاسَ<sup>(٢)</sup> إِعْظَامٍ لِنَفْسِي؛ فَإِنَّهُ  
 مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا  
 تَكْفُؤُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ  
 ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدُ  
 مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا  
 صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى<sup>(٣)</sup>.

تصغر الأشياء، وتحتقر إلى درجة الإهمال واللامبالاة أمام القلوب الطاهرة  
 التي عاش الله فيها، كل ما سوى الله يصغر حتى يضمحل ويفنى في القلب الذي لا  
 يغفل عن ذكره تعالى.

ذكر أمير المؤمنين عليه السلام هذه المقدمة ليدخل منها إلى أحق الناس الذي يجب  
 أن يعيش هذه الحالة من إجلال الله وتعظيمه وتصغير ما دونه، وهو من ترادفت  
 نعم الله عليه من مال وشرف وصحة وأمان وإيمان وعز وكرامة وسلطان، وكذلك  
 من لطف إحسانه إليه، أي: دق بحيث أعطاه الفكر والعقل على تحليل الأمور  
 الدقيقة اللطيفة التي يعجز الإنسان عن تصوورها.

وكلما ازدادت نعم الله على العبد ازداد عليه تعظيم حق الله، وهكذا يزداد  
 الشكر والتعظيم بزيادتها.

ومن أسخف وأخف ما يعيشه الولاية في نظر الناس الصالحين الذين أدركوا  
 الحقيقة أن يعيش هؤلاء الولاية حب الفخر والمباهاة، والتكبر والاستعلاء؛ لأن ذلك  
 ضعف في شخصيتهم ينعكس على الدولة وتوجهاتها، فالحاكم الذي ينتفخ للمدح  
 والثناء عليه ولا إنجازاته الكبيرة يعيش في حدود هذا المدح ولا يخرج عنه،

(١) التصنع: تكلف حسن السميت. وتصنعت المرأة، إذا صنعت نفسها. الصحاح: ٣: ١٢٤٦.

(٢) الالتماس: الطلب. والتلمس: التطلب مرة بعد أخرى. الصحاح: ٣: ٩٧٥.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٩٨، الخطبة: ١٠٦.



ويعيش الزهو في نفسه فيعطله ذلك عن العمل الجاد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن تلك الحالة النفسية يجب أن يتنزّه عنها المؤمنون؛ لأنهم بها يدخلون في الدّم الوارد للمتكبرين.

ثم أراد عليه السلام أن ينفي عن نفسه مثل تلك الصفات التي أنكرها في حقّ الولاية، فقال: إنني أخاف أن تحدّثكم نفوسكم وتقودكم ظنونكم إلى أنني أعيش هذه الحالات من حبّ المدح والإطراء والثناء، فإنني لست كذلك، ولا أحبّه، ولو فرضنا فرضاً أنني أحبّ أن يقال فيّ ذلك لتركته تواضعاً لله الذي هو أحقّ بذلك وأولى من كلّ أحد؛ لعظمته وكبريائه وعلوّ مقامه.

كما أراد عليه السلام أن يمهد ويعتذر لمن مدحه وأثنى عليه بأنّ الإنسان إذا قدّم شيئاً من التّضحيات وأنجز بعض المهمّات استحسن الثناء وأحبّ المدح والإطراء جزاءً عمّا قدّم، إنّه يحبّ كلمة شكر على عمله وما قام به.

ثم نهاهم أن يثنوا عليه ويمدحوه ويجلّوه، وعلل ذلك بأنّه قد أخرج نفسه لله، وأراد أن يؤدّي حقّه ويقوم بواجبه، وواجب أمره ونهيه؛ لأنّه عندما يقوم بذلك يقوم بواجب النعمة، ومن يقوم بذلك لا يطلب مدحاً ولا يريد إطراءً، وكذلك يريد أن يخرج نفسه من خدمتهم الواجبة عليه وما هو مطلوب منه من الحقوق نحوهم، فهو في كلا الأمرين يقوم بما هو واجب عليه، ولا شكر على واجب كما يقال.

وبعد أن ذكر الإمام عليه السلام ما ذكر وأكد على أنّه إنّما يعمل لله ولهم ويقوم بواجبه نحو الله ونحوهم نهاهم عن أمور لا يريد أن يتعاملوا بها معه...

نهاهم أن يكلموه بما تُكلّم به الجبابرة؛ فإنّ الطغاة والظالمين والفراعنة قد عبّدوا الناس لهم، وجعلوا لأنفسهم ألقاباً وأسماءً فيها التعظيم والرهبنة... مالك رقاب الناس... سلطان السلاطين... ملك الملوك... ظلّ الله في الأرض... مولاي السلطان... الحضرة الملوكية... إلى آخر الألقاب التي وضعها الجبابرة لأنفسهم.

ولا تتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادية؛ أي: لا تهابوني وتحترزوا

مَنِّي فتمتنعوا من الحديث معي والبوح لي بما تريدون، كما هي حالة الملوك الذين تعرفون من حيث يغضبون لأنفسهم بمجرد أن لا يعجبهم منطِق إنسان، أو لا يوافق مزاجهم، فيبادرون مستعجلين إلى الانتقام منه لأنفسهم، وغضباً لذاتهم...

ولا تخالطوني بالمصانعة: إذا أردتم أن تكونوا معي في الحياة وتكون بيننا معاشرة ومخالطة ومصاحبة ولقاء فلا تتعاملوا معي بالمداراة والنفاق والخوف بل كونوا صريحين واضحين، تبدو آراءكم، وتقولون كلمتكم، وتناقشون في ما ترون.

ثم نفى عَنْ عن نفسه كل مشقة أو ثقل أو كلفة إذا قالوا له الحق ونطقوا بالصواب، كما نفى عن نفسه أن يرفض قولهم ولا يستمع لهم؛ لأنه يطلب العظمة لنفسه وإنه فوق أن يقال له الحق، وقد بين أن من يستثقل سماع الحق، أو العدل إذ يعرضان عليه، يكون العمل بهما أثقل عليه؛ لأنه إذا كان مجرد عرض الحق والحديث فيه، ومجرد ذكر العدل وبيانه، ثقيل وصعب فالعمل به أشد وأصعب، بل من يستثقل سماع الحق وبيان العدل يمتنع عليه القيام بهما وأداء حقهما.

ثم دعاهم إلى قول الحق وإبداء المشورة التي فيها عدل.

ثم تواضع لهم كي يسترسلوا معه ولا يتحفظوا أو يصابنوا، فأشار إلى أنه ليس فوق أن يخطيء، ولا يطمئن إلى أنه لا يقع فيه إلا بعون الله وتسديده، الذي يملك من نفسه ما لا يملكه هو من نفسه.

ثم قال: إنه وإياهم سواء بسواء عبيد لله، مملوكون له، لا رب غيره ولا معبود سواه، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، يملك حق حياتنا ومماتنا ومرضا وشفائنا وغنانا وفقرنا، ولا نملك من ذلك شيئاً، فهو أملك منا بأنفسنا، وهو الذي أخرجنا مما كنا فيه من ظلمات الجاهلية وعاداتها والبعد عن الله إلى ما نحن فيه من الصلاح في الدين والعقيدة والهدى، فأبدلنا بعد الهلاك النجاة، وبعد الضلال الهدى.

وتكاد ترجع كل هذه الحقوق إلى الوفاء بالبيعة؛ فإنّ الإمام يبايع على السمع والطاعة، وإذا لم يسمع المحكومون حين يدعوهم، ولم يطيعوا حين يأمرهم، ولم ينصحوا له، ولم يثبتوا على ولائه، لم يستطع الإمام أن يسيّر أداة الحكم على نحو صالح.

ولا يمكن أن يصلح شيء من أمور الدولة إلا إذا وجد جوّاً صالحاً للعمل، ويتهيأ هذا الجو بتحقيق الرغبة المشتركة بين الحاكم والشعب في إصلاح ما يفتقر إلى الإصلاح، وتقويم ما يحتاج إلى التقويم من شؤون الناس وشؤون البلاد.

والذي يعبر عن هذه الرغبة المشتركة هو تعاون الوالي مع الرعية على القيام بذلك كله، ويتحقق التعاون بينهما بأن يقوم كل منهما بما عليه من واجبات بعد أن يتلقى كل منهما ما له من حقوق.

فعلى الرعية أن تعطي الوالي ما له عليها من حقوق، فتطيعه إذا أمر، وتجيبه إذا دعا، وتنصحه إذا كان في حاجة إلى ذلك.

وعلى الوالي إذا حصل على ذلك كله أن يستغلّه في إصلاح شؤون رعيّته. أمّا حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها، ولا تمحضه نصيحتها، ولا تلبّي دعوته إذا دعا، فإن الوالي يستغلّ الموقف في رعاية مصالح نفسه، ويهمل مصالح رعيّته وإنّ ذلك مؤذن بشيوع الظلم، وسيطرة الظلمة، وفساد الدولة!

**اعتناقه للإسلام والمذهب الإمامي:**

وبعد ان اتّضحت له «أرفولد» الحقائق بوضوح في إطار الرؤية الإسلامية وجد ضالته التي كان طالما يبحث عنها، فأعلن أخيراً إسلامه واتّباعه مذهب أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وسمى اسمه «أمير علي»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٠.



(٢٦) اندروورياني (علي)  
(مسيحي / الفلبين)

ولد في الفلبين، ونشأ في أسرة تنتمي إلى الديانة المسيحية، اعتنق مذهب أهل البيت عليه السلام عام ١٤٢٩هـ (٢٠٠٩ م) في إيران<sup>(١)</sup>، بعد التحقيق المستمر في الديانات والمذاهب المختلفة، وبعد وصوله إلى الاطمئنان الكامل بأنّ العقل السليم والفضيلة يستدعيان التمسك بالقرآن الكريم والسنة الشريفة.

هذا، وقد اتفق جميع علماء المسلمين على حجّية السنة الشريفة مع اتّفاقهم على وجود التعريفات المتعدّدة والتلاعبات المتكرّرة في ما صدر عن النبيّ الأعظم عليه السلام من قبل وعاظ السلاطين ومحدّثي الحُكّام، ولهذا أخذ البحث عن طريقة تدوين السنة وجمعها أهمّية كبيرة في جميع البحوث الإسلامية، ويمكن القول بأنّ أحد الأسباب الأساسية لاختلاف المذاهب هو اختلاف الأحاديث والروايات والأخبار الموجودة في كتب الحديث.

تدوين الحديث عند أهل السنة:

بدأ تدوين الحديث عند أهل السنة في القرن الثاني الهجري بعد فترة انقطاع وجهل بمحتوياتها، وفقدان أغلب موضوعاتها، إذ كان الحديث ينقل بالسماع

---

(١) نشرت المواقع الإلكترونية ومنها موقع «أخبار الشيعة» حينها خبر استبصاره في مدينة قم المقدسة.

فقط، من الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين ولذلك كان يُفرض عليه نوع من السيطرة والتحكم في ما ينقل ويروي من الحديث النبوي الشريف، فقد فرضت السلطات الحاكمة في ذلك الوقت قوانين وأحكام، وأوجدت عرفاً معيناً في أخذ الحديث أو رده؛ ولذلك قيّد تدوين الحديث عند أهل السنة بما يتوافق مع مصالح السلطة الحاكمة والفئات المتنفة.

وضغط الحكام على مدوّني الحديث؛ لمنعهم من رواية الحديث عن أهل البيت عليهم السلام، فمن كان كتابه يتماشى مع الأوامر التي هي في مصلحة الحكومة صار من الكتب المعتمدة والصحيحة عندهم، وما خالف ذلك تركوه وأهملوه؛ ولذلك لو نظرت إلى صحاح أهل السنة ومسانيدهم، خصوصاً في صحيح البخاري، ومسلم، فإنك قلماً تجدهم يروون عن أهل البيت عليهم السلام، أو عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلا نجد في كتاب البخاري مثلاً إلا نحو عشرة إلى خمسة عشر حديثاً يرويها أمير المؤمنين، وأغلبها موضوع للطعن على أهل البيت، بينما أحاديث أبي هريرة تتجاوز الستمائة في ذلك الكتاب، مع أنه لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى سنتين فقط.

كما لا تجد الصحابة الذين أوفوا بعهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه من الرواة المعتمدين عند المدوّنين للسنة النبوية، بينما تجدهم بالمقابل يعتمدون الرواية عن الصحابة الذين مالؤوا وناقفوا السلطة الحاكمة، وكانوا على موقف المبغض لأهل البيت عليهم السلام؛ إذ نجد في صحيح البخاري روايات متعدّدة عن مروان ابن الحكم، وأبي سفيان مثلاً، وغيرهم ممن على شاكلتهم.

هذا وكانوا يهدّدون من يروي الفضائل بل ربما سجنوه وعذبوه حتّى الموت، يذكر التاريخ أنّ النسائي عندما دوّن سننه، وألحق به مجلداً خاصاً عن خصائص أمير المؤمنين علي عليه السلام، - وبسبب هذه الجريمة الكبرى عندهم - نفوه وسجنوه، ثمّ ضربوه ضرباً أدّى إلى وفاته.

وحتى اليوم إذا أردت الذهاب إلى أي مكتبة لشراء نسخة من سنن  
النسائي، فإنك سوف تجد كتاب الخصائص من سننه مفصلاً عنه.

مكانة رواية فضائل أهل البيت عليهم السلام عند السنة:

جاء في فيض القدير:

وقد سلك النسائي أغمض تلك المسالك وأجلّها، وكان شهماً...، دخل  
دمشق فذكر فضائل علي عليه السلام، فقبل له: فمعاوية؟ فقال: ما كفاه أن يذهب رأساً  
برأس حتى نذكر له فضائل. فدفع في خصيتيه حتى أشرف على الموت، فأخرج  
فمات بالرملة، أو فلسطين، سنة ثلاثمائة، وحمل للمقدس أو مكة، فدفن بين الصفا  
والمروة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

حكى ابن خلّكان أنه توفي في شعبان من هذه السنة، وأنه إنما صنّف  
الخصائص في فضل علي وأهل البيت؛ لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة  
اثنين وثلاثمائة عندهم نفرة من علي، وسأله عن معاوية؟ فقال ما قال، فدقّوه  
في خصيتيه، فمات<sup>(٢)</sup>.

كما يجد الباحث أن علماء السنة يحاولون التقليل من شأن كتاب  
المستدرك على الصحيحين ومن صحّته، والسبب أنه روى الكثير من فضائل أهل  
البيت عليهم السلام، وخصائصهم.

جاء في سير أعلام النبلاء:

قال ابن طاهر: سألت سعد بن علي الحافظ عن أربعة تعاصروا: أيهم أحفظ؟  
قال: من؟ قلت: الدارقطني، وعبد الغني، وابن مندة، والحاكم. فقال: أمّا الدارقطني

(١) فيض القدير ١: ٣٣.

(٢) البداية والنهاية ١١: ١٤١.

فأعلمهم بالعلل، وأمّا عبد الغني فأعلمهم بالأنساب، وأمّا ابن مندة فأكثرهم حديثاً مع معرفة تامّة، وأمّا الحاكم فأحسنهم تصنيفاً.

أنبأني أحمد بن سلامة، عن محمّد بن إسماعيل الطرسوسي، عن ابن طاهر: أنّه سأل أبا إسماعيل عبد الله بن محمّد الهروي، عن أبي عبد الله الحاكم فقال: ثقة في الحديث، رافضيّ خبيث.

قلت: كلا، ليس هو رافضياً، بل يتشيع<sup>(١)</sup>.

وجاء في المغني في الضعفاء:

محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: إمام صدوق، لكنّه يتشيع، ويصحّ واهيات<sup>(٢)</sup>.

وينبغي هنا ذكر قصة الراوي الذي كان يتحدّث على المنبر بحديث رسول الله ﷺ لمُدّة خمس سنوات، واستمع له الآلاف من الناس، لكنّه حين روى حديث الطير، الذي يُظهر منزلة وفضل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ضربوه وطردوه من المسجد، ومنعوه من الرواية، ثمّ إنهم قاموا بغسل المنبر الذي كان يحدث الناس عليه، ليزيلوا نجاسته على حسب ما يدّعون. وإليك الرواية:

قال الذهبيّ في سير أعلام النبلاء:

قال عليّ بن محمّد الطيب الجلابي في (تاريخ واسط): ابن السّقا: من أئمة الواسطيين الحفاظ المتقين، قال السلفي: سألت خميس الحوزي عن ابن السقا، فقال: هو من مزينة مضر، ولم يكن سقّاء، بل هو لقب له.

كان من وجوه الواسطيين، وذوي الثروة والحفظ، رحل به أبوه، وأسمعه من أبي خليفة، وأبي يعلى، وابن زيدان البجلي، والمفضل الجندي وجماعة، وبارك الله

(١) سير أعلام النبلاء ١٧: ١٧٤.

(٢) المغني في الضعفاء ٢: ٦٠.

في سنّه وعلمه، واتفق أنّه أملى حديث الطائر، فلم تحتمله أنفسهم، فوثبوا به، وأقاموه، وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته لا يحدث أحداً من الواسطيين، ولهذا قلّ حديثه عندهم<sup>(١)</sup>.

كما جاء في البداية والنهاية:

«قتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً، كان مصانعاً للتتار على أموال الناس، يقال له: الفخر، محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، كان خبيث الطويّة، مشرقياً، مماثلاً لهم على أموال المسلمين، قبّحه الله. وقتلوا جماعة مثله من المنافقين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله ربّ العالمين<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أنّ الكنجيّ من أكابر علماء أهل السنّة، ولكنه ألف كتاب سمّاه: كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قتله أهل السنّة بسبب هذا الكتاب سنة ٦٥٨ هجرية.

مكانة المبغضين لأمر المؤمنين عليه السلام عند علماء السنّة:

من جهة أخرى يلاحظ الباحث أنّ الراوي كلّما كان مبغضاً لعليّ عليه السلام، كانت الثقة به أكثر، وكلّما كان أكثر التصاقاً بالسلطة الحاكمة من الأمويين والعباسيين، كانوا يعدّونه أوثق ولو لم يكن ذا مستوى من التقوى والصدق والدين.

جاء في الآحاد والمثاني:

ورواه مجالد بن سعيد، عن قيس، عن أبي بكر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وإسماعيل ابن أبي خالد من أثبت أهل الكوفة، واسم أبي خالد هرمرز، وقيس ثقة، من أحسنهم لقياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان عثمانياً<sup>(٣)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ١٦: ٣٥٢.

(٢) البداية والنهاية ١٣١: ٢٥٦.

(٣) الآحاد والمثاني ١: ٩٤.



ومقصودهم من العثماني: من كان يقدم عثمان على عليّ عليه السلام.

وقال البخاري في التاريخ الكبير:

عن معاوية بن صالح، قال: وكان وكيع يقول: التسبيح أفضل من الحديث.  
قال: فكرهت أن أقول لشعيب ووكيع، ووكيع أنفع للناس منك، وكان أصلب مذهباً  
من وكيع، كان عثمانياً<sup>(١)</sup>.

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ:

مغيرة بن مقسم، الفقيه، الحافظ، أبو هشام الضبيّ، مولا هم الكوفي...  
وقال أحمد العجلي: ثقة، يرسل عن إبراهيم، فإذا وقف ممن سمعه يخبرهم.  
وكان من فقهاء أصحاب إبراهيم، وكان عثمانياً، ويحمل على عليّ بعض  
الحمل<sup>(٢)</sup>.

وقال في سير أعلام النبلاء:

قال أحمد العجلي: كان أبو حصين شيخاً عالياً... وقال في موضع آخر: كان  
ثقة عثمانياً، رجلاً صالحاً، ثبتاً في الحديث<sup>(٣)</sup>.

وقال:

قال ابن سعد: كان ابن عون ثقة كثير الحديث، ورعاً، عثمانياً<sup>(٤)</sup>.

وقال:

قال محمد بن سعد: حماد بن زيد: يُكنى أبا إسماعيل، وكان عثمانياً، وكان

(١) التاريخ الكبير ٤: ٢٢٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ١٤٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥: ٤١٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦: ٣٦٥.

ثقة، ثبتاً، حجّة، كثير الحديث<sup>(١)</sup>.

وجاء في سير أعلام النبلاء:

عن بشر بن المفضل: قال أبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو عبد الرحمن النسائي: هو ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، وكان عثمانياً<sup>(٢)</sup>.

وفي معرفة الثقات:

طلحة بن مصرف الياامي: كوفيّ تابعي، ثقة، وكان يحرمّ النبيذ، كان عثمانياً، يفضّل عثمان على عليّ، وكان من أقرأ أهل الكوفة وخيارهم<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً:

عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي: ثقة، ثبت، صاحب سنّة، زاهد صالح، وكان عثمانياً، يحرمّ النبيذ<sup>(٤)</sup>.

وأيضاً: عبد الله بن أبي الهذيل: كوفيّ تابعي، ثقة، وكان عثمانياً<sup>(٥)</sup>.

وأيضاً: عثمان بن عاصم، أبو حصين الأسدي: كوفيّ ثقة، وكان عثمانياً، رجلاً صالحاً<sup>(٦)</sup>.

وأيضاً: محمّد بن عبيد الطنافسي: روى عنه في الثقات... وقال: كوفيّ ثقة، وكان عثمانياً، وكان حديثه أربعة آلاف يحفظها<sup>(٧)</sup>.

وفي تهذيب التهذيب:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧: ٤٦٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩: ٣٧.

(٣) معرفة الثقات ١: ٤٧٩.

(٤) معرفة الثقات ٢: ٢١.

(٥) معرفة الثقات ٢: ٦٥.

(٦) معرفة الثقات ٢: ١٢٩.

(٧) معرفة الثقات ١: ٣٨.

خالد بن خدّاش: كان من عقلاء الناس، وذوي الألباب... قال محمّد بن سعد: كان عثمانياً، وكان ثقة، ثبتاً، حجّة، كثير الحديث<sup>(١)</sup>.

وجاء في تهذيب التهذيب أيضاً:

عبد الله بن شقيق العقيليّ: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمّد البصري... وقالوا: كان عبد الله بن شقيق عثمانياً، وكان ثقة في الحديث، وروى أحاديث صالحة... وقال أحمد بن حنبل: ثقة، وكان يحمل على عليّ.

وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ثقة، وكان عثمانياً يبغض عليّاً.

وقال ابن عديّ: ما بأحاديثه بأس إن شاء الله تعالى.

كما جاء في ميزان الاعتدال:

عبد الله بن شقيق العقيليّ: بصريّ ثقة، لكنّه فيه نصب... وقال ابن عديّ: لا بأس بحديثه إن شاء الله...

وروى أحمد بن زهير، عن يحيى بن معين: هو من خيار المسلمين، لا يطعن في حديثه. وروى الكوسج، عن يحيى: ثقة. وثقه أبو زرعة، وأبو حاتم. وقال ابن خراش: ثقة، كان يبغض عليّاً<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى:

عبد الله بن عون بن أرطبان، ويكنى: أبا عون: مولى عبد الله بن درّة بن سراق المزني، وكان أكبر من سليمان التميمي، وكان عثمانياً، وكان ثقة، كثير الحديث، ورعاً<sup>(٣)</sup>.

وجاء في الطبقات أيضاً:

---

(١) تهذيب التهذيب ٣: ١٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٤٤٠.

(٣) الطبقات الكبرى ٧: ٢٦١.

يزيد بن زريع، ويكنى: أبا معاوية: وكان ثقة، حجة، كثير الحديث، وتوفي بالبصرة في شوال سنة اثنتين وثمانين ومائة. وكان عثمانياً<sup>(١)</sup>.

وهذا غيظ من فيض، ومع مراجعة كتب الرجال، يجد الباحث العشرات من هذه الأمثلة.

**مكانة محبي أهل البيت عليهم السلام من الرواة عند علماء السنة:**

أما من كان من الرواة محباً لأهل البيت عليهم السلام، فكان يرمى بالتشيع والرفض، ولا يعدّوه من الثقات، ولا يؤخذ حديثه، ولو كان - على حدّ زعم علماء الرجال - صدوقاً، أو مخلصاً، أو عابداً، أو مجاب الدعوة، أو زاهداً، لكن وبسبب روايته للحق، فإنه يُرفض ويُرمى بأقبح الصفات، وتراهم دائماً ينتقصون بإشارتهم إليه بأنه: يتشيع، وغيرها من الألفاظ التي يقصد منها الانتقاص، والأمثلة على ذلك عديدة جداً.

جاء في تحفة الأحوزي:

قوله: حدّثنا جعفر بن سليمان الضبعي، بضمّ الضاد المعجمة، وفتح الموحّدة: أبو سليمان البصري: صدوق زاهد، لكنّه كان يتشيع<sup>(٢)</sup>.

وجاء فيه أيضاً عن محمّد بن موسى:

قال أبو حاتم: صدوق، صالح الحديث، لكنّه كان يتشيع<sup>(٣)</sup>.

وقال عند قوله: (حدّثنا عليّ بن هاشم بن البريد)؛ بفتح الموحّدة، وبعد الراء تحتانية ساكنة: صدوق، لكنّه كان يتشيع<sup>(٤)</sup>.

وجاء في فيض القدير:

(١) الطبقات الكبرى ٧: ٢٨٩.

(٢) تحفة الأحوزي ٢: ٤٢.

(٣) تحفة الأحوزي ٣: ١٨٠.

(٤) تحفة الأحوزي ٥: ٣٧٨.

ومحمد بن المظفر، أورده في الميزان وقال: ثقة، حجة. إلا أن الباجي قال: كان يتشيع<sup>(١)</sup>.

وقال الرازي في الجرح والتعديل:

حدّثنا عبد الرحمن، نا محمد بن حمويه بن الحسن، قال: سمعت أبا طالب قال: قال أحمد: جعفر بن سليمان لا بأس به.

ف قيل له: إن سليمان بن حرب يقول: لا يكتب حديثه. فقال حماد بن زيد: لم يكن ينهى عنه، إنما كان يتشيع، وكان يحدث بأحاديث - يعني في فضل عليّ كرم الله وجهه -<sup>(٢)</sup>.

وجاء في سير أعلام النبلاء:

فطر بن خليفة: الشيخ العالم، المحدث، الصدوق، أبو بكر الكوفي المخزومي، مولى عمرو بن حريث الحنات... قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن فطر، فقال: ثقة، صالح الحديث، حديثه حديث رجل كئس إلا أنه يتشيع.

وقال أحمد بن يونس: تركته عمداً، وكان يتشيع، وكنت أمرّ به بالكناسة في أصحاب الطعام، وكان أعرج، فأمرّ وأدعه مثل الكلب<sup>(٣)</sup>.

وجاء فيه أيضاً:

أبو أحمد الزبيري: محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم، الحافظ الكبير، المجود، أبو أحمد الزبيري، الكوفي، مولى بني أسد...

قال العجلي: كوفي ثقة، لكنّه كان يتشيع. وقال بندار: ما رأيت رجلاً قطّ أحفظ من أبي أحمد الزبيري. وقال أبو حاتم: حافظ للحديث، عابد، مجتهد، له

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٦٦٦.

(٢) الجرح والتعديل ٢: ٤٨١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧: ٣٠ - ٣١.

أوهام. وقال أبو زرعة وغيره: صدوق. وقال النسائي: ليس به بأس<sup>(١)</sup>.

وجاء في معرفة الثقات:

الحسن بن صالح بن حي الثوري: من ثورهمدان الغرماء، يكتنى: أبا عبد الله، من أسنان سفيان، وكان ثقة، ثبتاً، متعبداً، وكان يتشيع، وكان حسن الفقه، إلا أن المبارك كان يحمل عليه بعض الحمل لحال التشيع، ولم يرو عنه شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال:

نوح بن قيس: بصري، صالح الحال... وثقه أحمد، وابن معين، وقال أبو داود: كان يتشيع، بلغني أن يحيى ضعفه، وقال النسائي: ليس به بأس<sup>(٣)</sup>.

التضعيف بعد التوثيق:

هناك بحث آخر في علم الرجال عند أهل السنة وهو أنه لو كان الراوي للحديث عندهم طيلة حياته وعامة دهره ثقة، أو يعتد به، لكنّه في أواخر حياته روى فضيلة لأهل البيت عليهم السلام، أو ذكر مثلبة لأحد الصحابة الذين لم يوفوا بعهدهم، أو ذكر فعلاً شنيعاً لأحدهم، فإن روايته مرفوضة ومنكرة وإن ثبت صدق وعدالة وثقة الراوي عندهم.

قال الذهبي في ميزان الاعتدال:

محمد بن سعيد بن نهران الكاتب: عاش مائة سنة. وسماعه صحيح، لكنّه يتشيع، ثمّ إنه قد اختلط قبل موته بعامين<sup>(٤)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ٩: ٥٢٩.

(٢) معرفة الثقات ١: ٢٩٦.

(٣) ميزان الاعتدال ٤: ٢٧٩.

(٤) ميزان الاعتدال ٣: ٥٦٦.

وجاء في لسان الميزان:

لسفنديار بن الموقِّ محمد بن يحيى أبو الفضل الواعظ: روى عنه الديلمي، وابن النجَّار، وقال: برع في الأدب، وبفقه الشافعي، وكان يتشيع، وكان متواضعاً، عابداً، كثير التلاوة. وقال ابن الجوزي: حكى عنه بعض عدول بغداد: أنه حضر مجلسه بالكوفة، فقال: لما قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» تغير وجه أبي بكر وعمر، فنزلت: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(١)</sup>.

فهذا غلو منه في تشييعه، وذكره ابن بابويه فقال: كان فقيهاً، ديناً، صالحاً، لقبه: صائن الدين<sup>(٢)</sup>.

وجاء في لسان الميزان أيضاً:

عبد الرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ: قال عبدان: كان يواصل المراسيل. وقال ابن عدي: كان يتشيع. وقال أبو زرعة: محمد بن يوسف الحافظ، كان خرج مثالب الشيخين، وكان رافضياً. وقال عبدان: قلت لابن خراش: حديث «لا نورث ما تركنا صدقة»، قال: باطل. قلت: من تتهم به. قال: مالك بن أوس. قلت: لعل هذا بدأ منه وهو شاب؛ فأني رأيت ذكر مالك بن أوس بن الحدثان في تاريخه فقال: ثقة.

قال عبدان: وحمل ابن خراش إلى بندار عندنا جزءين صنّفهما في مثالب الشيخين، فأجازه بألفي درهم.

قلت: هذا والله هو الشيخ المغتر الذي ضلّ سعيه؛ فإنه كان حافظ زمانه، وله الرحلة الواسعة والاطلاع الكثير والإحاطة، وبعد هذا، فما انتفع بعلمه، فلا عتب على حمير الرافضة، وجواتر خرو مشفرا (كذا في الأصل، وهي ألفاظ مهمة

(١) الملك (٦٧): ٢٧.

(٢) لسان الميزان ١: ٣٨٧.

مصحفة. وفي ميزان الاعتدال وحوادث جرّين ومشغراً...

وقال ابن عدي: إنّما ذكر شيء من التشيع؛ فأما في الحديث فإنّي أرجو أنّه لا يتعمّد الكذب، وبقيّة قصّة جزئي المثالب فأجازه بألفي درهم، فبني بها حجرة ببغداد ليحدّث فيها، فما متّع بذلك. ومات حين فرغت<sup>(١)</sup>.

وجاء في لسان الميزان أيضاً:

كثير بن يحيى بن كثير: صاحب البصري، شيعي، نهى عبّاس العنبريّ الناس عن الأخذ عنه. وقال الأزدي: عنده مناكير. ثمّ ساق له عن أبي عوانة، عن خالد الحدّاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، سمعت عليّاً عليه السلام يقول: وليّ أبو بكر عليه السلام وكنت أحقّ الناس بالخلافة.

قلت: هذا موضوع على أبي عوانة، ولم أعرف من حدّث به عن كثير، انتهى.

وقد روى عنه: عبد الله بن أحمد، وأبو زرعة، وغيرهما.

قال أبو حاتم: محله الصدق، وكان يتشيع. وقال أبو زرعة: صدوق. وذكره

ابن حبان في الثقات، فلعل الآفة ممن بعده<sup>(٢)</sup>.

وجاء في تهذيب التهذيب:

تليد بن سليمان المحاربي، أبو سليمان...

قال المروزي، عن أحمد: كان مذهبه التشيع، ولم نر به بأساً. وقال أيضاً:

كتبت عنه حديثاً كثيراً عن أبي الجحاف.

وقال الجوزجاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثنا تليد بن سليمان، هو

عندي كان يكذب.

وقال ابن معين: كان ببغداد، وقد سمعت منه، وليس بشيء، وقال في موضع

(١) لسان الميزان ٣: ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) لسان الميزان ٤: ٤٨٤ - ٤٨٥.



آخر: كذاب، كان يشتم عثمان، وكل من شتم عثمان أو طلحة أو واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقال أيضاً: قعد فوق سطح مع مولى لعثمان، فتناول عثمان فأخذه مولى عثمان فرمى به من فوق السطح، فكسر رجله، فقام يمشي على عصا.

وقال البخاري: تكلم فيه يحيى بن معين ورماه.

وقال العجلي: لا بأس به، كان يتشيع ويدلس.

وقال ابن عمّار: زعموا أنه لا بأس به.

وقال أبو داود: رافضي خبيث، رجل سوء، يشتم أبا بكر وعمر.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال يعقوب بن سفيان: رافضي خبيث، سمعت عبيد الله بن موسى يقول

لابنه محمد: أليس قد قلت لك: لا تكتب حديث تليد هذا...

وقال ابن حبان: كان رافضياً يشتم الصحابة، وروى في فضائل أهل البيت

عجائب.

وقال الدارقطني: ضعيف<sup>(١)</sup>.

وجاء في سير أعلام النبلاء:

ابن أبي دارم: الإمام الحافظ الفاضل، أبو بكر أحمد بن محمد السري...

التميمي الكوفي الشيعي، محدث الكوفة... كان موصوفاً بالحفظ والمعرفة، إلا أنه

يترفّض، وقد ألف في الحطّ على بعض الصحابة، وهو مع ذلك ليس بثقة في

النقل<sup>(٢)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب ١: ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٧٧.

وجاء في ميزان الاعتدال:

أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن أبي دارم: المحدث أبو بكر الكوفي،  
الرافضي الكذاب...

روى عنه: الحاكم؛ وقال: رافضي، غير ثقة. وقال محمد بن أحمد بن حماد  
الكوفي الحافظ، بعد أن أُرِّخ موته: كان مستقيم الأمر عامّة دهره، ثمّ في آخر  
أيامه كان أكثر ما يُقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: أنّ عمر رفس  
فاطمة حتّى أسقطت بمحسن. وفي خبر آخر في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ عَمْرٍ  
﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ أبو بكر ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾<sup>(١)</sup> عائشة وحفصة. فوافقته على ذلك، ثمّ إنّه  
حين أذنّ الناس بهذا الأذان المحدث، وضع حديثاً منته: تخرج نار من قعر عدن  
تلتقط مبعضي آل محمد. ووافقته عليه، وجاءني ابن سعيد في أمر هذا الحديث،  
فسألني، فكبر عليه، وأكثر الذكر له بكلّ قبيح، وتركت حديثه<sup>(٢)</sup>.

ميزان قبول الرواية أو ردّها عند أهل السُنّة:

هكذا كان ولا زال ميزان قبول الرواية أو ردّها، بالنسبة لعلماء أهل السُنّة؛  
فمن كان عثمانياً ومبغضاً لعليّ عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام تؤخذ روايته، ومن كان متديناً  
تقيّاً صدوقاً ورعاً عالماً فقيهاً حافظاً ولكنّه يذكر فضائل أهل البيت ويتشيع لهم،  
تردّ روايته، وباختصار: فإنّ المحدثين فيما سبق قد طبّقوا القانون الذي فرضته  
السلطة الحاكمة تطبيقاً تامّاً واعتمدوه في أغلب كتبهم.

فإذا كان الحديث فيه طعناً لعصمة النبي ﷺ، وجعله كأبي إنسان عاديّ  
يُخطئ ويصيب، فإنّهم اعتمدوا هذا النوع من الحديث.

وإذا كان الحديث فيه تبرير لفعل من الأفعال التي فعلوها، والتي لا يرضاها

(١) الحاقة (٦٩): ٩.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ١٣٩، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٧٧ - ٥٧٨.

الله ولا رسوله ﷺ أيضاً اعتمدوا هذا النوع منه، ولو كان على حساب منزلة الرسالة ومرتبة النبوة.

وأيضاً كلما كان الحديث فيه رفع لشأن أناس لم يرفعهم الله، أو فيه اختراع لفضائل لم تكن موجودة في أصحابها، أيضاً اعتمدوه، وإذا كان الحديث فيه تحويل لمثالب العديد من الصحابة وقلبها إلى فضائل اعتمدوه أيضاً.

ولذلك ظهرت التناقضات والاختلافات بين الفقهاء، والسبب الرئيسي في تلك الاختلافات والتناقضات هو ما رُوي من العشرات، بل المئات من الأحاديث التي لم يحدث بها رسول الله ﷺ ولم تخرج من نبع النبوة وعين الوحي، نسبوها إلى رسول الله ﷺ، ولذلك اعتمدها المسلمون بعد ذلك الزمان وحتى أيامنا هذه، وتعددت التناقضات التي خالفوا في العشرات منها صريح الآيات القرآنية الشريفة، وخالفوا فيها حقيقة الربوبية والرسالة الإلهية، والصفة الربانية لرسالة الإسلام العظيمة.

#### الالتحاق بمذهب أهل البيت ﷺ:

إن كثرة التناقضات والاختلافات الواردة في الصحاح والمسانيد تدلّ على تزلزل المذهب الذي بني عليها ولا يمكن للباحث المنصف أن يمرّ على الأمر مرّ الكرام، وإنّ التوقّف عند هذه المسألة والتفكّر فيها سيوصل الباحث إلى الحقيقة بدون شكّ، وإنّ «اندرو» هو أحد الذين انتبهوا إلى الحقيقة، وذهبوا يبحثون عن مذهب خالٍ من التناقضات، فتمسكوا بمذهب أهل البيت ﷺ، واعتنقوه بعد البحث والتحقيق.

(٢٧) أولفو كاستيلو (محمد حسين)

(مسيحي / الفلبين)

ولد في الفلبين في أجواء الديانة المسيحية، في ظل أسرة ملتزمة بتعاليم الكنيسة، واصل دراسته حتى حصل على شهادة عليا في مجال الهندسة في علوم الطيران، وهو يعمل مهندساً في القوة الجوية، أعلن عن تغيير انتمائه المذهبي واستبصاره<sup>(١)</sup> متخطياً - بعد البحث والتحقيق - كل الشبهات والافتراءات المفتعلة ضد الإسلام وضد المذهب الشيعي.

التشكيك بنبوة النبي ﷺ:

لا يخفى على الباحث ما يتعرض له مذهب أهل البيت عليهم السلام من شبهات وافتراءات من قبل أعداء الإسلام، وإن بعض هذه الافتراءات لم تُمَحَّ من أذهان السذج من مخالفي مذهب أهل البيت حتى زماننا هذا، ومن هذه الافتراءات ما ينسبوه للشيععة من أنهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أراد إنزال الوحي على أمير المؤمنين عليه السلام، لكن جبرئيل خان أو أخطأ فذهب بالوحي إلى النبي ﷺ، وقد نسبت هذه الفرية للشيععة من قبل ابن شاهين على لسان الشعبي.

فقد ذكر ابن شاهين عمر بن أحمد في كتابه اللطف في السنة - كما ذكره ابن

(١) راجع كتاب: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٥٨ - ٥٥٩.

تيمية في «منهاج السنة» - قال: حدّثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون، حدّثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدّثني جعفر بن نصير الطوسي، عن عبدالرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه، قال: قال لي الشعبي: أحذركم أهل هذه الأهواء المضلّة، وشرّها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة.

إلى أن قال: واليهود تبغض جبرئيل ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة، وكذلك الرافضة، يقولون: غلط جبرئيل بالوحي على محمّد<sup>(١)</sup>.

إنّ هذه الصورة التي وضعت على لسان الشعبي أخذها ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والنحل» فنسبها لفرقة من الغلاة سمّاهم: الغرابية؛ لأنّهم قالوا: إنّ علياً أشبه بمحمد من الغراب بالغراب ولذلك غلط جبرئيل بالوحي فذهب به لمحمّد وهو مبعوث لعلي، ولا لوم عليه، لأنّه اشتبهه، وبعضهم شتمه وقال: بل تعمّد ذلك، هكذا رواه ابن حزم<sup>(٢)</sup>.

في حين ذهب الرازي في كتابه «اعتقادات فرق المسلمين» الى أنّهم قالوا: غلط ولم يتعمّد<sup>(٣)</sup>.

وقد عرفت أنّ منشأ الرواية الشعبي، ونظراً لأهمّية الموضوع ينبغي مناقشة الرواية والإشارة إلى الثغرات التي لم يتفطن لها واضعوها:

أ - أنّ الشعبي عندما كان يقارن بين اليهود والشيعة سمّى الشيعة بـ «الرافضة»، وهذا اللقب الذي نبز به الشيعة عُرف - كما يقولون - في آخر أيام زيد بن عليّ، عندما طلب منه أفراد جيشه البراءة من الخليفتين، فأبى، فرفضه قوم منهم سمّوا بـ «الرافضة»<sup>(٤)</sup>، وكانت هذه الواقعة سنة مقتل زيد أي عام ١٢٤

(١) منهاج السنة ١: ٩.

(٢) راجع: الفصل بين الملل والأهواء والنحل ٤: ١٨٣.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين: ٧٤.

(٤) راجع: لسان العرب ٧: ١٥٧.

هجرية، في حين أنّ الشعبي ولد سنة عشرين، أو إحدى ثلاثين على رواية أخرى، من الهجرة فالفرق بين حياته والرواية سبعة عشر سنة؛ لأنّه مات سنة ١٠٥ من الهجرة<sup>(١)</sup>.

فإنّما أن يكون لفظ الرافضة ورد قبل هذا، وهو ما لا تقول به رواياتهم، أو أنّ القصة مخترعة، وهو الأصحّ.

ب - إنّ سند هذه الرواية ضعيف بعبد الرحمن بن مالك بن مغول؛ فقد قالت عنه كتب التراجم بأنّه: ضعيف، وكذاب، ووضّاع، ويقول عنه الدارقطني: متروك، ويقول عنه أبو داود: كذاب، ويقول عنه النسائي: ليس بثقة<sup>(٢)</sup>.

ج - على فرض صحّة المقدمتين فمن هم هؤلاء الغرابية؟ وكم عددهم؟ وأين مكانهم؟ وهل لهم من وجود خارجي؟! أغلب الظنّ أنّهم من المقلع الذي نُحت منه عبد الله بن سبأ، خلقتهم نفس الأهداف التي خلقتهم.

د - إنّ الذي يدّعي نبوّة شخص فلا بدّ أن يكون هذا النبي منصوباً من ربّ، وهنا يقال: هل الربّ الذي أرسل رسوله لنبيّه كان يعلم أنّ هذا الرسول مغفّل، لا يفرق بين من أرسل إليه وغيره، أم لا؟

فإذا كان لا يعلم فهو لا يصلح للألوهية، وإذا كان يعلم وأرسله مع علمه، فأيّ ربّ هذا الذي يرسل من لا ينفذ أوامره؟! إلاّ أن يقال أنّه متواطىء مع جبرئيل!!

هـ - أو ليس القرآن الكريم يقول عن جبرئيل: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول عن النبي ﷺ: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع: ترجمة الشعبي في وفيات الأعيان ٣: ١٥.

(٢) راجع: لسان الميزان ٣: ٤٢٧.

(٣) التكويد (٨١): ٢١.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٤٠.

والشيعة مسلمون يقرؤون القرآن آناء الليل وأطراف النهار، فكيف لا يفهمون ذلك؟!

و - كل من له إمام بالتاريخ يعلم مدى طاعة الإمام عليّ عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وجهاده بين يديه، فكيف يجتمع ذلك مع علمه بأنه أخذ منه الرسالة، إلا أن يقال: إنه لا يعلم أن الرسالة هي له!!

ز - إن مصدر التشريع الأول والأساس هو القرآن الكريم عند كل فرق المسلمين، ومنهم الشيعة، فإذا نزل القرآن بيد خائن فأى ثقة تبقى به بعد ذلك؟!  
ح - ألا تكفي آلاف المنائر والمساجد عند الشيعة في مختلف بقاع الأرض، والتي تصرّح ليل نهار: أشهد أن محمداً رسول الله، للتدليل على أن هذه القصة فرية مفتعلة كأخواتها.

ط - إن كتب عقائد وفقه الشيعة تملأ الدنيا، فهل يوجد في كتاب واحد منها ما يشير إلى هذه الفرية؟! ونرضى بأن يكون حتى من المخزفين ممن نراهم عند فئة أخرى..

إننا نطالب بمصدر واحد اعتمد عليه هؤلاء في نقل ما نقلوه.

وإذا كان العوام يتلقون أقوال رجال فكرهم بالقبول مهما كانت، فما بال المثقفين يعيشون العقلية نفسها؟ وما فائدة العلم إذا لم يقوم تفكير الإنسان؟ وإلى متى يبقى المسلمون يجترّون ما أدخل إلى أمعائهم يوماً ما؟ ليتهم يصارحوا الأجيال بأن لهم مصالح في بقاء هذه المهازل، إذ لأراحوها، ولكانوا صادقين مع أنفسهم، كما صنع مروان بن الحكم في لحظة من لحظات استيقاظ ضميره، وقد سئل عن موقف الإمام عليّ عليه السلام من عثمان أيام الثورة عليه فقال: ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ.

فقبل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟

فقال: لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن بعض الناس لا يصدّق أنّ هذه الافتراءات لا أساس لها؛ لأنّ تصديقه بذلك فيه تبرئة للروافض، ومعناه: ترك بعض الناس بدون عمل..

يقول السيّد محسن الأمين العاملي: إنّ من شكّ في نبوّة النبي وجعل له شريكاً في النبوّة فهو خارج عن دين الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ويقول الرضا المظفر في عقائد الإمامية: نعتقد أنّ صاحب الرسالة الإسلامية هو: محمد بن عبد الله، وهو خاتم النبيين وسيّد المرسلين، وأفضلهم على الإطلاق، كما أنّه سيّد البشر جميعاً، لا يوازيه فاضل في فضل، ولا يدانيه أحد في مكرمة، وأنّه لعلّى خلق عظيم<sup>(٣)</sup>.

### الالتحاق بركب المستبصرين:

يعلم كلّ باحث منصف بأنّ الحقيقة لا بدّ أن تظهر مهما حاول أعداؤها إخفاءها، وأنّ أحقيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام من أبرز تلك الحقائق، التي حاول أعداء الدين إخفاءها بثنّي الوسائل على مر العصور، ولكن نرى اليوم ازدياد عدد معتنقي مذهب أهل البيت عليهم السلام في جميع أنحاء العالم ساعة بعد ساعة.

وإنّ «أولفو» هو أحد الذين لم تؤثّر عليهم الشبهات والافتراءات ومن الذين وقّفهم الله لإزالة الحجب المتركمة، والتنوّر بنور أهل بيت النبوّة عليهم السلام. ثم إنّ «أولفو» بعد استبصاره سمى نفسه: محمد حسين تيمناً وتبركا بالعترة الطاهرة عليهم السلام.

(١) الصواعق المحرقة ١: ١٦٣.

(٢) أعيان الشيعة ١: ٣٩.

(٣) عقائد الإمامية: ٥٩.



(٢٨) ايسترا مالانا (زينب)

(مسيحية / الفلبين)

من مواليد الفلبين، واصلت دراستها الأكاديمية حتى نالت شهادة الليسانس، كانت تعتنق الديانة المسيحية وفق ما أملت عليها الأجواء المحيطة بها، وفي مرحلة من عمرها اعترتها حالة شك وريب في عقائدها، فتحرّكت من أجل أن تبحث وتساءل وتجاوز لتقتحم كل المجاهيل المقفلة وهذا ما ساعدها للتحوّل الديني والتخلّي عن انتمائها السابق، بعد أن لاحت لبصيرتها أنوار الإسلام.

الناس وبيعة أمير المؤمنين ﷺ:

من الأمور التي تجعل الفكر الشيعي ناضجاً عند الباحثين وتسكنه في أعماق ذوي المطالعات التاريخية: عدم إجبار الناس على البيعة في حكومة أمير المؤمنين ﷺ؛ إذ ممّا تعورف عليه في مجتمعاتنا الشرقية أنّ الاستيلاء على الحكم يتم بالانقلابات العسكرية، وفي حال نجحوا في الوصول الى السلطة فإنّهم يجبرون الناس عليها، ولا مجال لأحد من أن لا يقدّم الولاء للسلطة الجديدة، ولكننا نجد أنّ أمير المؤمنين ﷺ وعندما اختارته أغلبية المسلمين لم يستخدم هذا الأسلوب، بل ترك الحقّ للمعارضة في أن لا تبايع.

فقد كان المسلمون بعد مقتل عثمان يتعطّشون لحكم أمير المؤمنين ﷺ

وخلافته، فلذا ازدحموا عليه للمبايعة ولم يتخلف منهم إلا بضعة أشخاص، هم أصحاب مصالح ومنافع، أو كان في قلوبهم حقد وحسد على الإمام عليه السلام، وقد ذكر أرباب التاريخ وأصحاب السير كيف كانت بيعته، وما جرى فيها، وتتلخص في أنّ الإمام لم يرغب فيها لما يعرف من ظروفها وأحداثها، وما سوف يعترض طريقه فيها.

وقد ذكر ابن أبي الحديد أنّ المهاجرين والأنصار اجتمعوا وتداولوا الأمر واستقرّ رأيهم على أن يولّوا الإمام عليه السلام على الناس إلا محمد بن مسلمة، وعبدالله ابن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت...

وقال ابن أبي الحديد: أنّ هؤلاء الرهط إنّما اعتذروا بما اعتذروا به لِمَا نُدبهم إلى الشخوص لحرب أصحاب الجمل، وأنهم لم يتخلفوا عن البيعة وإنّما تخلّفوا عن الحرب، وهو ما أشارت إليه العديد من النصوص:

#### النص الأوّل:

قوله عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل: (فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تُجْرُ الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبُصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بَيْوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَّحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ)<sup>(١)</sup>.

والأصل فيه كتاب كتبه عليه السلام للناس ليقرأه عليهم لِمَا سألوه عن الثلاثة بعد فتح معاوية لمصر، رواه الثقفي في (الغارات)<sup>(٢)</sup>، وابن رستم الطبري في كتابه (المسترشد)<sup>(٣)</sup>. وقصده عليه السلام إظهار عذره في قتال أصحاب الجمل. وذكر لهم جملة

(١) نهج البلاغة ٢: ٨٦، الخطبة: ١٧٢.

(٢) الغارات ١: ٣١٠.

(٣) المسترشد: ٤٢٠.

من الذنوب تستلزم إباحة قتالهم وقتلهم:

الأولى: ما أشار إليه عليه السلام بقوله: (فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تُجْرُ الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا).

خروجهم بحرمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحبسه يجرّونها كما تجرّ الأمة عند شرائها مع حبسها لنسائهما ومحافظة عليهن، وضمير التثنية في حبسها لطلحة والزبير، ووجه الشبه انتهاك الحرمة ونقصانها في إخراجها، وفي ذلك جرأة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثانية: - موضع الشاهد - نكتهم لبيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة في جماعة، ما منهم إلا من أخذ بيعته. وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: (فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَّحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ)، حتى مروان بن الحكم، وجيشهما وإن كان مقدار منهم من مكة ومقدار منهم من البصرة، وهم لم يحضروا لبيعته عليه السلام، إلا أن عماله عليه السلام كانوا أخذوا منهم البيعة.

### النص الثاني:

ومن خطبة له عليه السلام: (فَتَدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكَ الْأَيْلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخَلَعَتْ مَتَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ)<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي الحديد: «إِنَّ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ اجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَنْظُرُوا مِنْ يَوْلُونَهُ أَمْرَهُمْ حَتَّى غَضَّ الْمَسْجِدَ بِأَهْلِهِ، فَاتَّفَقَ رَأْيُ عَمَّارٍ وَأَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّهْيَانَ وَرِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ وَمَالِكَ بْنِ عَجْلَانَ وَأَبِي أَيُّوبَ عَلَى إِقْعَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْخِلَافَةِ.

وكان أشدهم تهالكاً عليه عمار؛ فقال لهم: «أَيُّهَا الْأَنْصَارُ! قَدْ سَارَ فِيكُمْ

(١) نهج البلاغة ١: ١٠٣، الخطبة: ٥٤.

عثمان بالأمس بما رأيتموه، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم، وإنّ عليّاً عليه السلام أولى الناس بهذا الأمر؛ لفضله وسابقته».

فقالوا حينئذ بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين: «أيها الناس! إنّنا نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله، وإنّ عليّاً عليه السلام من قد علمتم، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه، ولا أولى به».

فقال الناس بأجمعهم: قد رضينا، وهو عندنا على ما ذكرتم وأفضل. وقاموا كلّهم فأتوا عليّاً عليه السلام فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده، فقبضها، فتداكوا عليه تذاك الإبل الهيم على ورودها حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً، فلما رأى ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس، وقال عليه السلام: إن كرهني رجل واحد لم أدخل في هذا الأمر.

فنهض الناس معه حتّى دخل المسجد، فكان أوّل من بايعه: طلحة؛ فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: تخوّفت ألا يتم أمره؛ لأنّ أوّل يد بايعته شلاء.

ثم بايعه الزبير وبايعه المسلمون بالمدينة، إلاّ محمّد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن سلام، فأمر بإحضار عبد الله بن عمر، فقال له: بايع.

قال: لا أباع حتّى يبايع جميع الناس.

فقال له علي عليه السلام: فاعطني حميلاً أن لا تبرح.

قال: لا أعطيك.

فقال الأشتر له عليه السلام: إنّ هذا قد أمن سوطك وسيفك، فدعني أضرب عنقه.

فقال عليه السلام: لست أريد ذلك منه على كره، خلّوا سبيله؛ لقد كان صغيراً وهو

سبّىء الخلق، وهو في كبره أسوأ خلقاً.

ثم أتى بسعد بن أبي وقاص، فقال له عليه السلام: بايع.

فقال له: خلني، فإذا لم يبق غيري بايعتك، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً.

فقال عليه السلام: صدق، خلوا سبيله.

ثم بعث إلى محمد بن مسلمة، فلما أتاه، قال له: بايع.

قال: إن النبي أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا (وشبك بين أصابعه) أن أخرج بسيفي فأضرب عرض أحد، فإذا تقطع أتيت منزلي فكنت فيه، لا أبرحه حتى تأتيني يد خاطفة أو منية قاضية.

فقال عليه السلام: له: فانطلق واذأ فكن كما أمرت به.

ثم بعث إلى أسامة بن زيد، فلما جاء، قال له: بايع.

فقال له: إنني مولاك ولا خلاف مني عليك، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس.

فأمره بالانصراف، ولم يبعث إلى أحد غيرهم. وقيل له: ألا تبعث إلى حسان

ابن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن سلام؟

فقال عليه السلام: لا حاجة لنا في من لا حاجة له فينا<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وروى أبو مخنف عن ابن عباس، قال: لما دخل

علي المسجد وجاء الناس ليباعوه، خفت أن يتكلم بعض أهل الشنآن لعلي عليه السلام

ممن قتل أباه أو أخاه، أو ذا قرابته في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فيزهد علي عليه السلام في الأمر

ويتركه. فكنت أصد ذلك وأتخوفه، فلم يتكلم أحد حتى بايعه الناس كلهم

راضين مسلمين غير مكرهين<sup>(٢)</sup>.

قوله عليه السلام: (فَتَدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكُ الْإِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ رُوْدَهَا): الأصل فيه قوله تعالى:

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: الإبل العطاش.

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٤: ١٠.

(٣) الواقعة: (٥٦): ٥٥.

قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا): زيادة كما بعده في بيان تداك الإيل الهيم [ومعناه تركها بدون لجام، أي: بدون تحكّم في حركتها تجاه الماء].

(وَحُلِيعَتْ مَثَانِيهَا) والثناء: ثني عقال البعير ونحوه، إذا عقلته بحبل مثني، وكل واحد من ثنبيه فهو: ثناء. وعقلت البعير بثنايين، يظهر الياء بعد الألف، وهي المدّة التي كانت فيها، ولو مُدَّ مَدًّا لكان صواباً؛ كقولك: كساء وكساوان وكساءان وسماء وسماوان وسماءان<sup>(١)</sup>.

(حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ): من شدّة ازدحامهم للتسابق على البيعة لي.

### النص الثالث:

ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة: (وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمُهَا<sup>(٢)</sup>)، وَمَدَدْتُمُوهَا فَفَبَضْتُمُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ<sup>(٣)</sup> عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِيلِ الْهِيمِ<sup>(٤)</sup> عَلَيَّ حِيَاضِهَا<sup>(٥)</sup> يَوْمَ وَرَدِهَا<sup>(٦)</sup>، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ<sup>(٧)</sup>، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ<sup>(٨)</sup>، وَوُطِئَ<sup>(٩)</sup> الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورٍ

(١) كتاب العين ٨: ٢٤٤.

(٢) كفت الثوب؛ أي: خطت حاشيته، وهي الخياطة الثانية بعد الشل. الصحاح ٤: ١٤٢٢.

(٣) الدك: الدق. وقد دككت الشيء أدكّه دكاً، إذا ضربته وكسرتة حتى سويته بالأرض.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَكَّنَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ سورة الحاقة (٦٩): ١٤، الصحاح ٤: ١٥٨٣.

(٤) الهيمان: العطشان. كتاب العين ٤: ١٠١.

(٥) الحوض: مجتمع الماء والجمع: أحواض وحياض. لسان العرب ٧: ١٤١.

(٦) الورد: وقت يوم الورد بين الظمّأين، وهو وقتان، وورد الوارد يرد ورودا. كتاب العين

٨: ٦٦.

(٧) النعل: ما جعلت وقاية من الأرض. نعل ينعل نعلًا، وانتعل بكذا: إذا لبس النعل. كتاب

العين ٢: ١٤٢.

(٨) الرداء: من الملاحف، وقول طرفه: ووجه كأن الشمس حلّت رداءها عليه، نقي اللون لم

يتخذ. لسان العرب ١٤: ٣١٦.

(٩) الوطء: بالقدم والقوائم، تقول: وطأته بقدمي إذا أردت به الكثرة، ووطأت لك الأمر، إذا

هيأته، ووطأت لك الفراش، وقد وطؤ يوطؤ وطأ ووطأة. كتاب العين ٧: ٤٦٧.

النَّاسِ بِيَعْتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتَهَجَ<sup>(١)</sup> بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ<sup>(٣)</sup> نَحْوَهَا  
الْعَلِيلُ<sup>(٤)</sup>، وَحَسَرَتْ<sup>(٥)</sup> إِلَيْهَا الْكَعَابُ<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>.

هذا الكلام منه عَلِيٌّ في وصف بيعته يتوجه به إلى الناكثين كي يكفوا؛ لأن من  
تمت له البيعة بهذه المثابة لم يكن لأحد أن يخرج عليه أو ينكث بيعته.

قوله: (وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمَهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا، ثُمَّ تَدَاكُكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكُ الْإِبِلِ  
الْهِيمِ عَلَى حَيَاضِهَا يَوْمَ وَرْدِهَا):

بين أنهم أخذوا يده فبسطوها للبيعة فكان يمتنع عنها، وكانوا يمدونها وهو  
يقبضها، كناية عن امتناعه وعدم رغبته بالخلافة؛ لأنه يعلم ما سيجري ويحدث،  
ولكنهم رغم امتناعه ورفضه ازدحموا عليه ازدحاماً شديداً يدفع بعضهم بعضاً،  
وقد شبههم بما يرونه، شبههم بالإبل العطاش التي سرحت يوم شربها، فإنها تزدهم  
ويدفع بعضها بعضاً كل واحد يريد الوصول إلى الماء والارتواء منه وأخذ نصيبه.

وقوله: (حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرَّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ): يشير إلى  
اجتماعهم على الإمام عَلِيٍّ كل واحد يريد أن يصل إليه لبياعته ويصفق على يمينه، حتى  
بلغ من شدة الازدحام أن انقطع النعل؛ لأن بعضهم يدوس على أرجل بعض،  
وسقط الرداء بحيث اشتغل كل بنجاة نفسه من هذا الازدحام فأدى إلى سقوط

---

(١) ورجل بهج؛ أي: مبتهج بأمر يسره، والمرأة بالهاء، وقد بهجت بهجة، وهي مبهاج، قد  
غلبت عليها البهجة، وقد تباهج الروض إذا كثرت النور؛ قال: نورها متباهج يتوهج راجع:  
كتاب العين ٣: ٣٩٤.

(٢) الهدجان: مشية الشيخ، ونحوه. كتاب العين ٣: ٣٨٥.

(٣) تحامل في الأمر وبه: تكلفه على مشقة وإعياء. لسان العرب: ١١: ١٧٦.

(٤) العليل: المريض. كتاب العين ١: ٨٨.

(٥) الحسر: كَشَطُكُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ؛ يقال: حسر عن ذراعيه، وحسر البيضة عن رأسه،  
وحسرت الريح السحاب حسراً. كتاب العين ٣: ١٣٣.

(٦) الكعاب، بالفتح: الكاعب، وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهود. الصحاح ١: ٢١٣.

(٧) نهج البلاغة ٢: ٢٢٢، الخطبة: ٢٢٩.

الرداء، وبلغ من اشتغال الناس وازدحامهم أنهم لم ينتبهوا إلى الضعيف فوطيء  
وديس، وهذا لا يكون إلا عند الاضطرار وعدم الانتباه من أجل أمر مهم.

قوله: (وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بَبَيْعَتِهِمْ إِتْيَايَ أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا  
الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ):

وهذا خروج عن العادة؛ إذ أن من لا يهتمه ذلك ومن ليس من شأنه،  
كالصغير، فإنه فرح ببيعة الإمام، وانشرح لها، وتحرك نحوها الهرم الكبير الذي لا  
يستطيع المشي إليها إلا بمشقة، لفرحه وسروره مشى متحملاً المشقة والتعب،  
وحتى المريض تحامل على نفسه وتكلف المجيء للبيعة؛ رغبة في إتمامها لأهلها،  
وحتى الصبايا اللاتي من شأنهن الستر والعفاف حسرن فرحاً بذلك، ورغبن فيها،  
وإذا كان كل هؤلاء قد أقدموا على البيعة وفرحوا بها، فحق أن لا يخرج أحد عليها  
أو ينكثها..

ولكن القلوب المريضة حتى إذا جئتها بألف آية وآية تبقى على مرضها،  
ولن يشفيها إلا حدّ السيف.

وتلخيصها: أنكم بلغتكم في طلبكم لي وحرصكم على بيعتي إلى هذه الغاية  
حتى أحببتكم، ومن كان كذلك فليس له أن ينكث ويغدر.

#### النص الرابع:

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ،  
فَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَدَبْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَنَكَتَا  
بَيْعَتِي وَالْبَا نَّاسَ عَلَيَّ، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِيَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا  
وَعَمَلَا، وَلَقَدْ اسْتَشَبَّتْهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ فَعَمَطَا النُّعْمَةَ وَرَدَا  
الْعَافِيَةَ)<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١، الخطبة: ١٣٧.



قوله: (فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ الْمَطْفِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا): فيه تشبيهه لاشتياق الناس في بيعته بإبل عطاش مخلاة السرب، مطلقة العنان يوم سقيها، كيف ترد الماء، وشبهه هنا بإبل معها أطفالها وهي قريبة العهد بالنتاج، كيف تقبل على ولدها. قوله: (تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ): أي: ليس لنا هم إلا بيعتك، ولا نرضى إلا بها. قوله: (قَبِضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُهَا): فبايعتم عن جدّ وطوع منكم، وكره وزهد مني. قال أبو ثور: كنت فيمن حاصر عثمان، فكنت آخذ سلاحي وأضعه وعليّ عليّ ينظر إليّ، لا يأمرني ولا ينهاني، فلما كانت البيعة له خرجت في أثره والناس حوله يباعونه، فدخل حائطاً من حيطان بني مازن فألجؤوه إلى نخلة وحالوا بيني وبينه، فنظرت إليهم وقد أخذت أيدي الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده...<sup>(١)</sup>.

ثم قوله عليه السلام هنا: (قَبِضْتُ يَدِي)، كقوله عليه السلام في سابقه: (وَبَسَطْتُ يَدِي فَكَفَفْتُهَا)، دالّ على قول الإمامية: إنّ الإمامة بالنص من النبي ﷺ لا ببيعة الناس، و: (إِنَّ الْإِمَامَ كَالْكَعْبَةِ يَأْتِي وَلَا يَأْتِي)<sup>(٢)</sup>، فلم يكن هو عليه السلام ولا المعصومون من عترته يكثر ثون ببيعة الناس لهم، وإنما إذا كانوا فلم يكن ذلك إلا إتماماً للحجة، فهو عليه السلام بعد قتل عثمان يمدّ الناس يده لأن يباعوه فيقبضها.

كما أنّه عليه السلام يوم الشورى يعرض ابن عوف عليه البيعة بشرط العمل بسنة الشيخين، فيطوي الكشح عنها؛ دلالة على بطلان أمرهم. وكان الحسين عليه السلام يقول لمن تبعه: قد رفعت بيعتي عن أعناقكم. والرضا عليه السلام لم يقبل ولاية عهد المأمون حتى أكرهه<sup>(٣)</sup>.

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦٦.

(٢) أوائل المقالات: ٢٧٦.

(٣) مقاتل الطالبين: ٣٧٥.

## النص الخامس:

ومن كلام له عليه السلام: (لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ! أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَإِيمُ اللَّهِ لَا تُصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَا قُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا)<sup>(١)</sup>.

هذا الكلام منه عليه السلام ردّ على بعض أصحابه الذين يريدون أن يستفيدوا من خلافته وينتفعوا من وجوده، فقال لهم: (لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً)، أي: في ساعة صعبة وبدون تفكير منكم وإدراك لما أتولاه وما أقوم به، وما هو دوري فيها وعملي، بل كنتم بكامل قواكم العقلية وإدراكاتكم، فلذا يجب أن تتحمّلوا ما أريد، ولا أريد إلا الصالح العام، وهذا الكلام منه تعريض ببيعة أبي بكر التي تمت في ظروف غير اعتيادية اغتنمها أبو بكر لصالحه في غياب وعي المسلمين، وعدم تماسكهم، وعدم معرفتهم بما يخطط له بعض الناس للخلافة<sup>(٢)</sup>.

وإنما قال عليه السلام ذلك من جهة أن بيعته لم تكن محتاجة إلى قطع الأعناق إليه، بل كانت الأعناق تنقطع دونها، فتداكوا عليه تذاك الإبل الهيم يوم وردها، قد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها، وأقبلوا إليه إقبال العوذ المطافيل على ولدها، حتى كاد أن يقتل بعضهم بعضاً، وحتى شقّ عطفاه، وحتى وطىء الضعيف وكان يقبض يده فيبسطوها، ويكفها فيجاذبها بدون غرض نفساني، بل لكونه أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، وأعلم الناس بكتابه وسنته، وسوابقه التي لم يشاركه فيها أحد.

ثم أشار إلى المفارقة الصارخة بين ما يريد وما يريدون بقوله: (وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا) لا جامع مشترك بينه وبينهم، بل فرقت الأهداف بينهم، فهو يريدهم لله في نياتهم وفي عملهم وفي كلّ حركات حياتهم، وأمّا هم فيريدونه لأنفسهم،

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩، الخطبة: ١٣٦.

(٢) راجع: صحيح البخاري ٨: ٢٦.

يريدونه لمصالحهم ومآربهم الشخصية، يريدونه من أجل منافعهم وما يعود عليهم بالفائدة، وشتان ما بين الإرادتين!  
قوله ﷺ: (إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ) أي: إنما أريد طاعتكم لإقامة دين الله، وإقامة حدوده.

قوله ﷺ: (وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ) أي: لحظوظ أنفسكم من العطاء والتقريب وسائر منافع الدنيا.

ثم لما وبّخهم بذلك، طلب منهم الإعانة على أنفسهم بقوله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ! أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي: بالطاعة له وامتنال أوامره.

قوله ﷺ: (وَإِنَّمَا اللَّهُ لَأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَا تُقْوَدَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهَاً) ثم أقسم بالله يميناً صادقة أنه سيأخذ الحق من الظالم للمظلوم قهراً عنه، ومهما كان الظالم متعالياً وصاحب قوة فإنه سيدلله بالحق الذي فرضه الله عليه، ويقوده إليه حتى يورده إلى الحق والعدل وإن كان كارهاً للحق ورافضاً له، وهل تجد قائداً في التاريخ متعصباً للحق كعلي ﷺ؟!!

وهل مرّت أمامك كلمات بعمق هذه الكلمات؟!!

وهل وقع نظرك على أحرف تحمل ثورة مستمرة على الظالمين مثل هذه

الكلمات؟!!

إزالة العقبات والالتحاق بركب شيعة أهل البيت ﷺ:

رأت «ايسترا» بعد إحاطتها الإجمالية بمعارف الإسلام أنّ السبيل الوحيد لإنقاذ نفسها من الشبه والضلال هو اتباع هذا الدين الحنيف، فوطنت نفسها لتزيل كافة العقبات التي تمنعها من اعتناق هذا الدين، فجاهدت نفسها وهواها بقدر وسعها حتى شرح الله صدرها للإسلام، ومنحها القدرة الكافية لإعلان استبصارها والتحاقها بمذهب أهل البيت ﷺ، وغيّرت اسمها إلى: زينب<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٧٥.



(٢٩) برانيا نيليا (فاطمة)

(مسيحية / الفلبين)

ولدت «برانيا» في الفلبين ونشأت في أجواء عائلة مسيحية، لكنها لم تكن متعصبة للمسيحية تعصباً أعمى ولذا حينما التقت ببعض الشيعة، لفت نظرها هذا المذهب واندفعت للدراسة والتحقيق بشأنه، ولم يكن هذا الأمر سهلاً بالنسبة لها، لأنّ ذهنها كان مملوءاً بالظلمات، إلا أنّ الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام استطاعا أن يبذبا ذلك الظلام وينيرا لها الدرب بوضوح، فلما اقتنعت بالمعارف العالية لمذهب أهل البيت عليهم السلام مثل مسألة الإمامة والولاية، أعلنت تشييعها وموالاتها للائمة الطاهرين عليهم السلام، فاستبصرت<sup>(١)</sup> وغيّرت رؤيتها الكونية حسب ما تقتضيه الشريعة المحمدية الأصيلة.

إنّ تعريف الإمامة عند أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرسة الخلفاء يُعدّ من أساسيات المسائل الخلافية بين المنهجين؛ إذ يرى أهل السنة الخلافة بمعنى السلطنة والرئاسة في أمور الدنيا والدين، إلا أنّ أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام لا يعتقدون بانحصار الإمامة في شؤون السلطنة والولاية الظاهرية في الدنيا، بل يرون لها أبعاداً مختلفة، مثل: البعد الغيبي، والتكويني، الذي يُعبّر عنه بـ «الولاية التكوينية» للمعصومين عليهم السلام.

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٩.

## البعد الغيبي في أمر الإمامة:

إنّ الحديث في مجال الإمامة له جوانب متعدّدة وجهاً مختلفة، وقد تناول علماءنا المتقدّمون والمتأخّرون - رضوان الله تعالى عليهم - البحث في إثبات النصّ، وإفحام الخصم، وإقامة الأدلّة المتنوعة على إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وخلافته للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أمثال: الإرشاد، والغدير، وعبقات الأنوار، والمراجعات، وغيرها كثير، وكانت نتيجة هذه الجهود المتواصلة أن أصبح البحث بشأن صحّة وتواتر حديث من أحاديث الولاية من السهولة واليسر ممّا لا ينكره إلا مكابر أو معاند.

والبحث الذي نريد أن نتناوله هنا هو: حقيقة الإمامة، وماهيتها وكنهها، وهو ليس أمراً مبتكراً في بابه؛ فقد تناوله الأعلام، لكن بنحو مضغوط ومبعثر في ذيل تفسير بعض الآيات القرآنية، وفي شرح بعض الأحاديث الشريفة، ونسعى إلى طرح ذلك من خلال نهج واضح، وأسلوب يرفع الستار عن كثير من الحقائق التي خفيت في كتب الأقدمين، ويعدها بعض أهل العصر من العجائب والغرائب..

ونذكر هنا عدة أمور في هذا المجال:

### الأمر الأول: تحرير محلّ النزاع:

يُعدّ مصطلح الإمامة من الموضوعات التي كانت مثار بحث وجدل بين المتكلّمين والفقهاء من الصحابة والتابعين وغيرهم، منذ بدأ عصر الرسالة، فكانوا وعندما يحرّرون محلّ النزاع يقولون إنّ الإمامة ترادف: الزعامة الدنيوية، وأنّ البحث في الإمامة هو البحث في: من يجب أن يتولّى إدارة أمور المسلمين ومن يكون له الأمر والنهي، وبالتعبير الحديث: حصر محلّ النزاع في ما يصطلح عليه اليوم بـ«الفقه السياسي».

وتوسّع بعض المتكلّمين من الإمامية، بل أكثرهم، في محلّ النزاع، وأضافوا إليه: الزعامة الدينية، بمعنى أنّه بالإضافة إلى دور الإمام في إدارة شؤون المجتمع

فهو يقوم ببيان الدين والذّب عنه، ونشر الأحكام الشرعية، فيُعدّ قوله وفعله وتقريره مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي.

ونحن لا ننكر هذين الموردين - وإن كان العامة قد أنكروها وأصبحت مورداً للنزاع - لكن نقول: إنّ الأمر لا ينحصر بهما، بل إنّ الإمامة تحمل في طبيعتها معنى أوسع وأكبر ممّا ذكره هؤلاء جميعاً، ويمكننا القول: أنّ علماءنا رضوان الله تعالى عليهم ألجأتهم ظروف التخاصم والتقية إلى ذكر ذلك كمحلّ للنزاع، ولا يحصرون اعتقادهم بالإمامة في هذا النطاق.

فالإمامة في حقيقتها هي محور الاتصال بين الأرض والسماء؛ وإذ إنّ الاتصال الغيبي بين الخالق ومخلوقه لم ولن ينقطع منذ بدء الخليقة حتى قيام الساعة، فدائماً يوجد من يمثل تلك الصلة الروحية والمعنوية، ومن هنا عدّت الإمامة امتداداً للنبوّة والرسالة، فهي من تلك الجهة تؤدي نفس وظيفة النبوّة في عالم الدنيا.

فإنّ الأدلّة قائمة على ضرورة وجود حجّة الله عزّ وجلّ في كلّ زمان، وإنّ الاتصال لا ينقطع بوفاة النبي ﷺ، وهذا هو المقام الإلهي الذي يثبته الإمامية الاثني عشرية، وهو من الأمور التي انفردوا بها عن بقية المذاهب، حتى الإسماعيلية والزيدية، وهنا يمكن النزاع والخلاف مع المذاهب الأخرى، وتلك الحقيقة هي التي نريد إمطة اللثام عنها.

ومن الشواهد التي تؤيد ما ذكرناه: إنّ الأئمّة في دعواهم للإمامة لم يكونوا ليقتصروا حديثهم على زعامة المسلمين، بل كانوا يركّزون على مقامات أكبر من ذلك، ويذكرون في كلماتهم اتّصالهم بالغيب، وتحديث الملك لهم، وأنّ علومهم من نور، وإطلاعهم على أعمال العباد، وأنّ ما لديهم هو علم لدني.

والجدير بالذكر: إنّ مثل هذه الدعاوى لم تصدر عن غيرهم، ممّن عاصروهم أو ممّن أتى بعدهم، بل غاية ما ادّعوه هو تصدّيهم للزعامة الدينية، ومن هنا نرى

بعض المنحرفين يرمون الأئمة بدعوى الإلوهية والنبوة، وذلك لأن الأئمة كانوا يركّزون على مسألة الاتصال بالغيب، وهي أعم من النبوة والإمامة.

بل في موقف عمر بن الخطاب مع سلمان المحمّدي ما يدلّ على أعرق من ذلك؛ فقد روى الشيخ الطبرسي أنّ سلمان قال - لعمر -: أشهد أنّي قد قرأت في بعض كتب الله المنزلة آية باسمك ونسبك و صفتك باب من أبواب جهنّم.

فقال له: قل ما شئت، أليس قد عزلها الله عن أهل هذا البيت، الذين قد اتخذتموهم أرباباً من دون الله<sup>(١)</sup>.

وفي ذيل قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾<sup>(٢)</sup>، يذكر المفسرون أنّ نافع وهو من الموالين للخليفة الثاني كان جالساً في المسجد الحرام في موسم الحج، إذ رأى أنّ الناس قد تجمّعوا حول شخص، (وهو الإمام الباقر<sup>(عليه السلام)</sup>)، فسأل هشام بن عبد الملك: من هذا الجالس الذي اجتمعت عليه الناس؟

فقال: هذا نبيّ أهل الكوفة<sup>(٣)</sup>.

فهم كانوا يعرفون عقيدة الإمامية في الأئمة<sup>(عليهم السلام)</sup> في أنهم هم الرابط بين السماء والأرض، فالتهمة بالربوبية أو بأنهم أنبياء ليست تهمة جديدة بل لها جذورها من عصر الإمام علي<sup>(عليه السلام)</sup>، والسبب في ذلك أنّ دعوى الربوبية - في أذهانهم - تختلف عن دعوى الإلوهية، فالربوبية تعني اتحاد الوسائط بين الأرض والسماء؛ وذلك لأنّ الإنسان بنفسه يدعن بعدم إمكانيته الاتصال بالغيب وفي الوقت نفسه يشهد عقله بأن الاتصال بالغيب لا بدّ منه.

فحكم الفطرة يوجب أن تكون هناك واسطة، ولكن يجب في هذه الوسائط

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ١١١.

(٢) الزخرف (٤٣): ٤٥.

(٣) الكافي ٨: ١٢٠، تفسير القمي ٢: ٢٨٤.

أمران:

أحدهما: أن تكون مجعولة من قبل الخالق الواحد الأحد، لا أن يخلقها بنو الإنسان، كما كانوا يفعلون في الأصنام.

والثاني: أن لا تصل هذه الوسائط إلى رتبة الإلهية، فهي مخلوقة لله وهي ذليلة لله تعالى، ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾<sup>(١)</sup>، وخاضعة له سبحانه في السر والعلانية.

الأمر الثاني:

ينسب إلى الشيعة القول بأن الإمامة وراثية، وبالتالي فهم يقولون أن الزعامة تنتقل بالوراثة، كما تنتقل الرئاسة بين الملوك وأبنائهم. وهذا لا أساس له من الصحة؛ إذ بناء على ما ذكرنا من أن الإمامة مقام إلهي واتصال بالغييب، وبالتالي هي بعيدة عن التوريث النسبي، بل هي مقام تكويني ووراثة روحية، بمعنى وجود استعداد في روح أخرى للكلمات التي أفيضت على روح سابقة، وعندما يقال:

إن الإمامة وراثة فإن ما ذكرنا هو المقصود منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

الأمر الثالث:

يتضح مما ذكر أن مثل هذا المقام لا يكون بيد الإنسان، بل لله عز وجل يجعله حيث يشاء، أما إذا اقتصرنا في محلّ النزاع على الزعامة الدنيوية فواضح أن ما يطرحه العامة من جعله بيد الناس وباختيارهم يكون أقرب إلى العقول وأميل إلى النفوس، وكأنه أشبه بلغة العصر: لنفرة الإنسان من تسلط فئة معينة على إرادته وتفردّها في إدارة شؤون مجتمعه، فطرح محلّ النزاع بتلك الصورة يخدم العامة، أما على ما ذكرناه من حقيقة الإمامة فيتضح السبب في إيكال ذلك الأمر

(١) مريم (١٩): ٩٣.

(٢) آل عمران (٣): ٣٣ - ٣٤.



إلى الله عزّ وجلّ، وما إن يجعل الحق تعالى إماماً فلا معنى للجوء إلى طرق أخرى لتعيين من له الزعامة الدنيوية، بل يكون هو المتعين.

وبتعبير آخر: إنّ من تثبت فيه الكمال الروحانية العالية، ومن يتّصل بالغيب، لا يمكن أن يلجأ الناس إلى غيره لإدارة شؤونهم.

وبهذا ترى أنّ مركز الزعامة الدنيوية متفرّع على ذلك المقام وتابع له، كما رأينا في حياة الرسول ﷺ؛ فإنّه بعد ثبوت نبوّته، وإيمان الناس به، لم ينازع أحد في حاكميته.

والخلاصة: أنّه يمكننا القول أنّ مقام الزعامة الدنيوية هو أدنى مراتب الإمامة ومقاماتها.

#### الأمر الرابع:

إنّ وظيفة النص في تعيين الإمام لا تنحصر في الجعل والاعتبار والإنشاء، كما يقوم أي حاكم في تعيين حاكم آخر، بل إنّ النص سوف يكون كاشفاً عن الإرادة التكوينية والجعل الإلهي.

ومن هنا يتّضح أنّ نصب الرسول، أو الإمام السابق للإمام اللاحق، لا يقوم به من تلقاء نفسه بل هو بإيحاء من الله عزّ وجلّ، فهو جعل اعتباري كاشف عن الجعل التكويني.

#### الأمر الخامس:

من الأمور المهمة التي تترتب على تحرير محلّ النزاع هو أنّ مسألة الإمامة تدخل ضمن المسائل الاعتقادية الأصلية في الدين؛ لأنّها تكون بمنزلة النبوة وإن اختلفت عنها، وتكون هذه المسألة ممّا بها النجاة يوم القيامة، بخلاف المسائل الاعتقادية غير الأصلية، التي لا يكون النجاة يوم القيامة مرهون بها..

بيان ذلك: أنّ الركن الأساسي في مقام الإمامة هو مقام السفارة الإلهية،

وَمَنْ يَكُونُ سَفِيرًا مِنْ قَبْلِ الْغَيْبِ، وَمَنْ هُوَ حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، فَالْأَمْرُ الرَّئِيسِيُّ هُنَا هُوَ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالتَّسْلِيمِ بِهَذِهِ السَّفَارَةِ وَالسَّفِيرِ، وَهَذَا أَمْرٌ إِعْتِقَادِيٌّ وَلَيْسَ مَسْأَلَةٌ عَمَلِيَّةٌ فَرَعِيَّةٌ.

نعم، هذا المقام تلحقه شؤون عملية وفرعية، لكن الأمر الأساس هو الأمر الاعتقادي، كما هو الحال في بحث النبوة.

وللأسف الشديد نجد مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ مَسْأَلَةَ الْإِمَامَةِ خَارِجَةٌ عَنِ الْأُصُولِ وَدَاخِلَةٌ فِي الْفُرُوعِ، وَهَذَا بِلَا شَكِّ غَفْلَةٌ عَنِ حَقِيقَةِ الْحَالِ، وَلَهُ لَوَازِمٌ فَاسِدَةٌ، مِثْلَ عَدَمِ وَجُودِ فَائِدَةٍ عَمَلِيَّةٍ لِهَذَا الْبَحْثِ فِي زَمَانِنَا الْحَاضِرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِمَامَ غَائِبًا، فَيَنْتَفِي مَوْضِعَ الزَّعَامَةِ وَلَوْ انْتِفَاءً مُؤَقَّتًا.

كما أنه لا فائدة من البحث عمّن كان يجب أن يخلف النبي ﷺ، فهذا حدث تاريخي قد مضى.

أمّا على ما ذكرنا فإنّ البحث تبقى له أهميته القصوى؛ إذ قضية الاعتقاد لا ترتبط بحضوره وعدم حضوره، ولا بحياته وعدم حياته.

ومثل هذا في الوهن أن يقال: إنّ أهميّة بحث الإمامة تنحصر في أنّ الإمام هل هو مصدر من مصادر التشريع الإسلامي أم لا؟

فهذا وإن كان صحيحاً إلا أنّ فائدة البحث لا تنحصر به، بل البحث في أمر اعتقادي، كما يُبحث حول النبوة مع عدم وجود نبيّ على قيد الحياة، إلا أنّ البحث له أهميّة وخطورة من حيث وجوب الاعتقاد على كلّ مسلم.

فليس البحث في من يكون رئيساً وزعيماً فقط، وليس البحث عن ميزان استنباط الأحكام الفرعية، وهل السُّنَّة تشمل النبيّ والأئمّة أم يقتصر فيها على النبيّ؟ فهذه كلّها أمور فرعية تبثني على ذلك الأصل الاعتقادي، وهو: إنّ الإمامة استمرار لمسيرة النبوة، فالاعتقاد بها على نحو الاعتقاد بالنبوة.

## الأمر السادس:

إنّ البحث قد يتعمّق إلى البحث في مقامات الأئمة عليهم السلام، وليعلم أنّ مقام الإمامة من أهم هذه المقامات، كما أنّ مقام الزعامة أدناها وأقلّها، فهناك مقامات أخرى تتجاوز الإمامة، ككونهم: كلمات الله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَتِهِ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾<sup>(١)</sup>. و: أسماء الله الحسنى، وغيرها من المقامات العالية، التي تُعدّ من أسرار معارف أهل البيت، وفي كلّ هذه المقامات لا يخرجون عن زي العبودية، بل إنّ خضوعهم وتذلّلهم التام، وفنائهم في المعبود هو الذي جعلهم ينالون هذه المقامات.

وبعض هذه المقامات يشاركون فيها غيرهم من الأنبياء والمرسلين، وفي بعضها يتفردون ويشاركون بها الخاتم صلى الله عليه وآله، وكذلك الزهراء عليها السلام تشاركون في بعض هذه المقامات، كمقام حجّة الله؛ كما ورد في الخبر ما معناه «أنّ فاطمة حجّة الله علينا»<sup>(٢)</sup>، أو كون مصحفها مصدر من مصادر علومهم.

## الأمر السابع:

إذا تمّ مقام الإمامة فسوف تتوجّه إلى المكلفين بعض الوظائف الشرعية، بدءاً من الاعتقاد والمعرفة والتسليم، إلى التولّي والتبري القلبي والعملي وغيرها. ولا يخفى أنّ المقامات الأخرى لا يتوقّف عليها الإيمان؛ فكثير من علمائنا في علم الرجال يشيرون إلى أنّ الاعتقاد بأدنى مراتبه، وهو إجمال الزعامة الدينية والدينيوية - كما هو حال كثير من الناس والرواة - كافٍ في اعتبارهم من الإمامية.

## الأمر الثامن:

وقد يطرح ها هنا إشكال حاصله:

(١) آل عمران (٣): ٤٥.

(٢) الأسرار الفاطمية: ١٧.

إنَّ إثبات المقامات الغيبية للنبيِّ والأئمَّة وتعميق هذا الجانب في شخصيتهم البشرية يتنافى مع جعلهم قدوة للبشرية، ولا يتلاءم مع أمر الله عزَّ وجلَّ باتِّباعهم واتِّخاذهم أُسوة.

بيان ذلك: إنَّ طبيعة الاقتداء والاتِّباع أن: يأمل المقتدي الوصول إلى مرتبة المقتدى به، وأن يجعل همَّه الأوَّل هو الوصول إليه، والسير على هداه، وهذا يعني أن يكون المقتدى به بمرتبة ومقام يمكن الوصول إليه، أمَّا إذا كان مقامه ممَّا لا يمكن الوصول إليه، بل هو ممتنع المنال، فكيف يُجعل قدوة، ونؤمر باتِّخاذه أُسوة؟! فعليه يجب حصر الجانب الغيبي في ما يظهره من المعاجز لإثبات الرسالة والإمامة فقط.

وقد يطرح الإشكال بنحو آخر: إنَّ تعميق هذا الجانب الغيبي في أحكام الدين سوف يبعد الدين عن الجوانب الاجتماعية والمادية التي جعلها ضمن اهتماماته.

وبتعبير آخر: إنَّه لو قلنا أنَّ ملاكات الأحكام أمور غيبية بعيدة عن تأثيرات وضعية دنيوية سوف يفقد المكلف الدافع المحرِّك للسعي وراء تحصيل تلك الملاكات.

وفي الواقع ليس هذا الإشكال بصيغته شيئاً جديداً مبتكراً، بل هو إشكال يعود في جذوره إلى ما قبل الإسلام؛ إذ كان الاعتقاد السائد وقتئذٍ أنَّ الوصول والاتِّصال بالله سبحانه وتعالى ذي القدرة المطلقة اللامحدودة متعسّر وممتنع، فيجب توسط وسائط تُعدُّ أرباباً وآلهة صغيرة تكون وسيلة وواسطة.

أما الجواب:

أولاً: إنَّ طبيعة الاقتداء تقتضي أن يكون هناك فارق بين المقتدي والمقتدى به، فإذا كان المقتدى به مساوياً للمقتدي، فإنَّ الاقتداء يكون ممتنعاً؛ إذ لا توجد مزية للمقتدى حتى يُقتدى به، فالسعي والحركة والانبعاث الذي يحصل للمقتدي

إنّما هو من أجل تحصيل أمور وكمالات هو فاقدها لكنّها متوفّرة وحاصلة في المقتدى به، إذ يجب أن يكون المقتدى به غير مساوٍ للمقتدي.

ثانياً: كما أنّ الحاصل لا يسعى الإنسان إلى تحصيله، فإنّ الممتنع أيضاً لا يسعى الإنسان إلى تحصيله، فيجب أن يكون المقتدى به له مرتبة بين هذين الأمرين، وفي نفس الوقت يجب أن يكون هذا الاقتداء ملازماً للإنسان في كلّ مسيرته، بمعنى: أنّ المقتدى به يجب أن يكون متفوّقاً دائماً على المقتدي، وإلا فلا يكون هناك سعي ولا يكون هناك هدف يحرك هذا الإنسان، فيجب أن تكون كمالات المقتدى به ممتنعة، كي يمكن السعي والتحصيل.

وهذا هو معنى الحالة الوسطية بين الأمرين، أي: لا كمالاته كلّها ممتنعة، ولا كلّ كمالاته بكلّ درجاتها متحصّلة، فيسعى الإنسان لتحصيل تلك الكمالات، وهو قد يصل بجهدّه إلى تحصيل بعضها وقد لا يستطيع؛ وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»<sup>(١)</sup>.

فتحصيل كلّ كمالات المقتدى به أمر مستحيل غير ممكن، أمّا تحصيل بعض درجات كماله فهو أمر مرجوّ، ويمكن تحصيله؛ فلماذا لا يصحّ الاقتداء؟! ولماذا لا يمكن السعي نحوها؟!

وقد يقال: إذا كان الأمر كذلك فما الحاجة إلى الإمام للاقتداء به إذا لم يكن من الممكن نيل كلّ كمالاته، فليقتدى مباشرة بالكمال المطلق اللامحدود، وهو الذات المقدسة؟

وجوابه: إنّ الإمام هو الآية العظمى، وفي الحديث: «ما لله آية أكبر منّي»<sup>(٢)</sup>، وآيته في الصفات الخلقية، فالسعي إلى الله غير متناه لا في الدنيا ولا في الآخرة،

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٠.

(٢) روي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: بصائر الدرجات: ٩٧، مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٩٤.

ومن رحمة الله بعباده أن جعل لهم إماماً يقتدون به، يماثلهم في البشرية ومتخلّقاً بأخلاق الله عزّ وجلّ، وهذا هو لطف الله بعباده؛ لأنّ المقتدى به أيضاً هو في حالة سير وحركة من أجل تحصيل الكمال اللامتناهي، ونعود إلى محلّ الكلام، فإنّ هذه الحالة الوسطية دائماً هي التي تدفع الإنسان نحو الحركة والعمل، كما في الخوف والرجاء؛ إذ ليست محصورة في حالة الخوف فقط؛ لأنّه يأس من رحمة الله، واليأس عدم اعتقاد برحمته تعالى؛ فهو: كفر، والرجاء المطلق كفر أيضاً؛ لأنّه عدم اعتقاد بعقاب الله.

فالإمام ليست صفاته كلّها قابلة للمنال، ولو كانت كذلك لما كان الإنسان متحرّكاً نحوها بحركة مستمرّة دائمة لا تقف عند حد، ولا هي حاصلة للإنسان حتى لا يكون هناك دافع نحو السير والسعي الحثيث نحو الكمال.

ثالثاً: ذكرنا أنّ كمالات الإنسان تشمل جنبتيه البدنية المادية والروحية المعنوية، وكمالات الجنبّة الأخيرة على قسمين:

منها ما له ارتباط بالبدن، كالشجاعة، فهي كمال روحي إلاّ أنّ له ارتباطاً بالبدن.

والقسم الآخر: كمالات روحية لا ارتباط لها بالبدن، بل ترتبط بعوالم الغيب والآخرة والعوالم المجرّدة، وكمالات هذا الجانب أشرف من الجوانب الأخرى، والافتداء المؤدّي للكمال لا بدّ أن يشمل جميع جوانب النفس الإنسانية، ومن هنا نحتاج في المقتدي به أن تكون له جوانب غيبية وكمالات مرتبطة بعالم الغيب.

رابعاً: إنّ دراسة طبيعة حركة الإنسان ترشدنا إلى أنّ جوارحه تنطلق في حركتها من الجوانح، والأخيرة تتحرّك طبقاً للإدعان والإيمان والاعتقاد الذي يلتزم به الإنسان، فهذه الهيكلية في صدور تصرّفات الإنسان هي الأساس، وهذا يعني أنّ أساس تحرّك الإنسان هو معارفه الاعتقادية، والاعتقاد يشمل جميع

الجوانب، الغيبية وغيرها، فلا يمكن أن نتمسك بقسم معيّن من المعارف ونثبتته ونغضّ الطرف عن القسم الآخر؛ لأنّ العقائد شأن مجموعي يبتني عليها عمل الجوانح، التي هي المحرّك للجوارح، فإذا اختلّ الأساس اختل ما عليه من البناء. خامساً: نحن نسأل المستشكل الذي لا ينفي الغيبيات في المقتدى به، بل يحصرها في إثبات المعجزة للرسالة والنبوة والإمامة، نقول: لماذا تُثبت الأمر الغيبي في هذا الجانب فقط؟

والجواب: إنّ هذا هو الكاشف عن اتّصال هذا الشخص بالغيب، وإنّه مبعوث وسفير من قبل الله سبحانه وتعالى، فالمعجزة هي المثبتة للاتّصال والسفارة الإلهية، وإنّ هذا الاتّصال غير موجود في بقية أفراد البشر، ونحن نقول: إنّ هذا الاتّصال الغيبي هو المقام الغيبي نفسه، بمعنى: إنّ هذا الاتّصال يكشف أنّ لهذا الشخص درجة وجودية معيّنة، وهذه الخصوصية من الله تعالى بها عليه، وهي التي مكنته من الإتيان بالمعجزة حتى يثبت لبني البشر أنّه سفير من قبل الله تعالى. وممّا لاشكّ فيه أنّ تحرير محلّ النزاع بما ذكرنا يهيئ الأرضية والذهنية المطلوبة للتعامل مع الأدلّة العقلية والنصوص الشرعية؛ إذ أنّ طائفة كبيرة سوف تدخل ضمن نطاق التحليل والاستنتاج، بخلاف ما إذا كان المطلوب هو إثبات الزعامة الدنيوية فحسب؛ فإنّه سوف يتم إسقاط عدد كبير من الأدلّة بحجّة أنّها تبحث عمّا هو خارج عن محلّ النزاع.

التمسك بأهل البيت عليهم السلام:

إنّ عدم فهم البعد الغيبي للإمامة نتيجة طبيعية لعدم التمسك بتعاليم أهل بيت النبوة عليهم السلام وإنّ «برانيا» واحدة من الذين فهموا هذا الأمر، وبادروا إلى التمسك بأهل البيت عليهم السلام لكي يتنوّروا بنورهم، ويتفهّموا معارفهم العالية، ويتعرّفوا على مقاماتهم السامية، حتى لا يجرّهم التعصّب للموروث إلى اتّباع الذين لا يجدر اتّباعهم، وتسمّت «برانيا» بعد استبصارها باسم: «فاطمة الزهراء» سيدة نساء العالمين عليها السلام.



(٣٠) بلن مانتو هيا  
(مسيحية / الفلبين)

ولدت في دولة الفلبين، في بيئة متأثرة بالديانة المسيحية، في ظل أسرة ملتزمة من الناحية الدينية، واستمرت في الدراسة الأكاديمية حتى نالت شهادة الديبلوم، اعتنقت التشييع بعد أن وصلت إلى القناعة بأحقية مذهب أهل البيت عليه السلام بالنسبة لسائر مذاهب المسلمين<sup>(١)</sup>.

والملاحظ في ظاهرة الاستبصار وما يتعلق بها أن أعداء الشريعة الإسلامية طالما يحاولون أن يقللوا من حجم المتأثرين بمذهب أهل البيت عليه السلام بشتى الوسائل ويمكن عدّ مسألة إلقاء الشبهات والافتراءات من أهم الطرق التي يستفيدون منها، فنراهم بين فترة وأخرى يركّزون على شبهة معينة ويوظفون كلّ وسائلهم الإعلامية لإبرازها وتضخيمها؛ لكي يكون التأثير كبيراً.

إنّ مسألة حداثة مذهب الشيعة وابتداعه من قبل بعض الأشخاص هي إحدى تلك الشبهات، ويحاول الأعداء إخفاء الدور الأساسي لقدماء علماء الشيعة في جميع العلوم حتى يتمكنوا من الوصول إلى هدفهم، وهو: إثبات حداثة المذهب الشيعي لكن يمكن إبطال ما يدّعه بمراجعة جزئية لكتب التراجم

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٧٦.



وتواريخ العلوم؛ لكي يطلع الباحث على دور علماء الشيعة في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

### قدماء الشيعة والعلوم العقلية:

جاء الإسلام ليحرّر عقل الإنسان وفكره من الأغلال المتركمة الموروثة التي توارثها قهراً من الأجيال الماضية، فهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلة الناطقة، ويكفي لتوضيح ذلك أن الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها (٤٧) مرّة، و«التفكير» (١٨) مرّة، و«اللب» (١٦) مرّة و«التدبّر» (٤) مرات و«النهي» مرتين. وبذلك نهى عن التقليد وحثّ على التعقل ببيانات مختلفة.

فتارة يدعو الإنسان إلى التأمل في ما حوله من الكائنات لما فيها من دلائل ناطقة على وجوده سبحانه وصفاته؛ قال سبحانه: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءِ بَنَاهَا \* رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا \* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا \* وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا \* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا \* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا \* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وأخرى يدعو إلى التفكير والاستدلال المنطقي؛ فقال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ \* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فعالج المشاكل العلمية والفلسفية تارة بالدعوة إلى النظر في الكون نظرة ثاقبة فاحصة، وأخرى بالحثّ على التفكير في المعارف بأسلوب منطقي وبرهاني، وبذلك أيقظ عقول المسلمين وحثّهم على التأمل والتدبّر في العلوم المختلفة، دون التقليد الأعمى والاتباع غير المتبصّر، وجعل لأولئك المكانة المتميّزة. غير أن المسلمين - سوى قليل منهم - تنكّبوا عن هذا الطريق، خصوصاً في ما يرجع إلى

(١) النازعات (٧٩): ٢٧ - ٣٣.

(٢) الطور (٥٢): ٣٥ - ٣٦.

المعارف العليا، فصاروا بين مشبّه ومعتلّ، فالبسطاء منهم بنوا عقائدهم بالجمود على المفردات الواردة في الكتاب والسنة، وبذلك استغنوا عن أيّ تعقل وتفكر، إلى أن بلغت جرأتهم إلى حدّ قال بعضهم في الخالق: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عمّا وراء ذلك<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء هم المجسّمة والمشبّهة، وأمّا غيرهم فاختاروا تعطيل العقول عن التفكير في الله سبحانه، فقالوا: أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية، فمن شغل ما أُعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية، ولم يدرك الربوبية<sup>(٢)</sup>.

فالأكثرية الساحقة في القرون الأولى كانوا بين مشبّه ومعتلّ، غير أنّه سبحانه شملت عنايته أمة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً فقالوا بإمكان التعرّف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال عن طريقين:

١ - النظرة الفاحصة إلى عالم الوجود وجمال الطبيعة، كما ورد ذلك في القرآن الكريم.

٢ - ترتيب المقاييس المنطقية للوصول إلى الحقائق العليا، وهذا أيضاً هو الخطّ الذي رسمه القرآن الكريم، وسار على هذا الخطّ الأئمة عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم. ترى ذلك في كلام الإمام عليّ عليه السلام بوضوح، في أحاديثه وخطبه ورسائله، ولا يسعنا هنا أن نستعرض ولو بعضاً ممّا قاله عليه السلام في هذا المجال، إلاّ أنّنا سنكتفي بحديث واحد: سأله سائل: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يُصعّر الدنيا أو يكبّر البيضة؟ فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى لا يُنسب إلى العجز،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٠٥.

(٢) الإلهيات للسبحاني: ٨٩، نقلاً عن كتاب «الحجّة في بيان المحجّة».

والذي سألتني لا يكون»<sup>(١)</sup>.

إنّ خطب الإمام علي عليه السلام ورسائله وقصار حكمه كانت هي الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم في العقائد والمعارف، ولم يتوقف نشاط الشيعة في ذلك المجال، بل ونتيجة لتوالي الأئمة عليهم السلام إمام بعد إمام، كان يعني ذلك استمرار المنهج السابق عينه الذي ربّى عليه الإمام علي عليه السلام..

فقد واصل الأئمة من بعده - عليه عليهم السلام - في حياتهم تربية شيعتهم، فشحذوا عقولهم بالدعوة إلى التدبّر والتفكّر في المعارف، حتّى تربّى في مدرستهم عمالقة الفكر، من عصر سيّد الساجدين إلى عصر الإمام العسكري، تجد أسماءهم وتأليفهم وأفكارهم في المعاجم وكتب الرجال<sup>(٢)</sup>.

واستمرّ علماء الشيعة على اثر من تقدمهم في تلقي تلك العلوم وتناولها والتدبّر فيها، وممّن اشتهر بذلك والمعدود من أكابر فطاحلة الكلام شيخ الأئمة وأستاذ المتكلّمين الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣ هـ)، الذي نطق بفضله وعلمه وورعه وتقاه لسان كل موافق ومخالف، ونذكر هنا نموذجاً ممّا ذكره أصحاب التذكرة وعلماء الرجال في كتبهم على وجه الإيجاز، ونركّز على كلمات أهل السنّة ومع ذكر القليل من كلمات الشيعة في حقه.

١ - قال عنه معاصره ابن النديم (ت ٣٨٨ هـ) في الفهرست:

ابن المعلم أبو عبد الله، في عصرنا انتهت رئاسة متكلّمي الشيعة إليه، مقدّم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطرة، شاهدته فرأيته بارعاً...<sup>(٣)</sup>

(١) التوحيد للصدوق: ١٣٠ باب «القدرة» برقم ٩.

(٢) راجع: أضواء على عقائد الشيعة الامامية للسبحاني: ٢٨٩، فقد ذكر العديد من متكلّمي الشيعة وفلاسفتهم في القرون الأربعة الهجرية الأولى.

(٣) فهرست النديم: ٢٢٦.

٢- وقال عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ):

شيخ الإمامية وعالمها، صنّف على مذهبه، ومن أصحابه المرتضى، كان لابن المعلم مجلس نظر بداره - بدرب رياح - يحضره كافة العلماء، له منزلة عند أمراء الأطراف، لميلهم إلى مذهبه<sup>(١)</sup>.

٣- وقال أبو السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ):

وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة توفي عالم الشيعة وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بـ«المفيد»، وابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقهاء، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية.

قال ابن أبي طي: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس.

وقال غيره: كان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش سنّاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائتي مصنّف، وكانت جنازته مشهورة وشييعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة<sup>(٢)</sup>.

٤- ووصفه أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) بقوله:

شيخ الإمامية الروافض، والمصنّف لهم، والمحامي عن حوزتهم... وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف<sup>(٣)</sup>.

٥- وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ):

وكان كثير التعقيب والتخشّع، والإكباب على العلم، تخرّج به جماعة، وبرع

(١) المنتظم لابن الجوزي ٩: ٤٠٨.

(٢) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: ٣٠١، نقلاً عن مرآة الجنان لليافعي.

(٣) البداية والنهاية ١٢: ١٩.

في المقالة الإمامية حتى يقال: له على كل إمامي منة، وكان أبوه معلماً بواسط، وما كان المفيد ينال من الليل الإهجة ثم يقوم يصلي أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن<sup>(١)</sup>.

٦- وقال عنه ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ):

ابن المعلم، عالم الشيعة، إمام الرفضة، وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبي طي في «تاريخ الإمامية»: هو شيخ مشايخ الطائفة، ولسان الإمامية، ورئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية.

وقال: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس<sup>(٢)</sup>.

هذا جانب مما ترجم له أهل السنة، وأما الشيعة فنقتصر على كلام تلميذه الطوسي والنجاشي؛ توخياً للاختصار:

يقول الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) في الفهرست:

المفيد يكتى: أبا عبد الله، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم، وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف، ولد سنة (٣٣٨هـ)، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (٤١٣هـ)، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان الميزان ٥: ٣٦٨.

(٢) شذرات الذهب ٣: ٣٤٨.

(٣) الفهرست: ٢٣٩.

ويقول تلميذه الآخر، النجاشي (٣٧٢ - ٤٥٠هـ):  
شيخنا وأستاذنا عليه السلام فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية  
والثقة والعلم. ثم ذكر تصانيفه <sup>(١)</sup>(٢).

### التمييز بين الحق والباطل:

يرجع تاريخ التشيع إلى زمن النبي الأعظم عليه السلام؛ إذ كان الشيعة الأوائل من  
خيار أصحابه عليه السلام، مثل: سلمان وعمّار والمقداد وأبي ذر رضي الله عنهم، ولا  
يمكن لأعداء المذهب إخفاء هذه الحقيقة التي تصرّح بها صفحات كتبهم قبل  
كتبتنا...

وإنّ «بلن» هي واحدة من الذين استطاعوا أن يميّزوا بين المذهب الأصلي  
والمذهب المبتدع، فاختاروا مذهب أهل البيت عليهم السلام، واستبصروا بنور ولاية النبي  
الأعظم، ووصيّه وأولاده المعصومين عليهم السلام.

---

(١) رجال النجاشي: ٣٩٩.

(٢) مقتطفات من كتاب: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية للسبحاني ٢٨٦ - ٣٠٣.

## (٣١) جيرن مار يو (مسيحي / الفلبين)

من مواليد الفلبين، حاصل على شهادة الليسانس، نشأ في أسرة تعتقد الديانة المسيحية، فساورته ذات يوم في معتقداته بعض الشكوك حول المبادئ التي كان يعتنقها، فتوجه إلى البحث ليتمكن من الحصول على الأجوبة لأسئلته، فتعرّف عن طريق البحث على الدين الإسلامي، فواصل دراسته عن هذا الدين من أهم الأمور التي غالباً ما تلفت نظر الباحثين في الديانة الإسلامية بالقياس مع سائر الديانات أنه دين ينسجم مع الفطرة، وأنه يساوي بين الناس، فلا ينظر إلى أجناسهم، ولا إلى أعراقهم، ولا إلى لونهم، وقد تجلّى ذلك جلياً في سيرة ومنهج أمير المؤمنين عليه السلام.

### الإسلام دين الفطرة:

إن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله عليها الناس أجمعين، قبل أن تُفسدهم الانحرافات المتسرّبة إلى النفوس والعقول من خلال طوارئ المعتقدات والأفكار، وتحكّم العادات والتقاليد، وفوارق العنصريّات والأجناس، وتبعد حدود الزمان والمكان، إنّه يعيدهم إلى سيرتهم الأولى، على سجيّتهم النقية كبدء نشأتهم مطهّرين من الأدران، خالصين من الشوائب، كأنّهم يولدون من جديد، هو

بهذا يسوّى بينهم كافة؛ لأنّ الفطرة هي العاقل الوحيد الذي يشتركون فيه، فأساس المقارنة بينهم - على هذا الوضع - ثابت غير قابل للتغيير، وهم في مساواة كاملة، لا سبيل معها إلى المفاضلة والترجيح.

فإذا هم تفاوتوا من بعد، فبمعايير غير هذا المعيار، هذه حقيقة عصبية على الإنكار، بعيدة بعداً مطلقاً عن الممارسة، ليس أدلّ عليها من نأي الإسلام - في دعوته - عن التمحيص، بالاتّجاه إلى التعميم.

### المساواة في القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم، تؤكد كما آياته، حين يدعو دعوته الإيمانية لا يخاطب إلاّ «الناس»، وهو ما جاء في العديد من الآيات:

١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾<sup>(٣)</sup>.

٤ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاواتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾<sup>(٤)</sup>.

٥ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً

(١) البقرة (٢): ٢١.

(٢) البقرة (٢): ١٦٨.

(٣) النساء (٤): ١.

(٤) النساء (٤): ١٧٠.



مُبِينًا ﴿١﴾.

٦- وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).  
٧- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣).

أو يخاطب بني آدم، وهو ما جاء في العديد من الآيات:

١- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٤).

٢- وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٥).

٣- وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦).

٤- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ ﴿٧﴾.

أو يخاطب «الإنسان»، وهو ما جاء في العديد من الآيات أيضاً:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٨).

(١) النساء (٤): ١٧٤.

(٢) يونس (١٠): ٢٣.

(٣) الحجرات (٤٩): ١٣.

(٤) الأعراف (٧): ٢٦.

(٥) الأعراف (٧): ٣١.

(٦) الأعراف (٧): ٣٥.

(٧) يس (٣٦): ٦٠.

(٨) الإنفطار (٨٢): ٦.

٢- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (١).

أو يخاطب «عباد الله»، وهو ما جاء في العديد من الآيات:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٢).

٢- وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ

بِالْعِبَادِ﴾ (٣).

٣- وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوذِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤).

فلا يختصُّ بها جنساً، ولا عنصراً، ولا قوماً، ولا لونا، ولا طائفة، ولا مجتمعاً

من المجتمعات بالخطاب.

المساواة في كلام وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام:

إن استقامة السلوك العام في الأمة رهنٌ باستقامة السلوك الخاص لأولئك الذين بيدهم مقادير الأمور، ومن ثمَّ فقد حرص أمير المؤمنين عليه السلام على أن تظلَّ عينه على تصرفات عمَّاله ورجالِهِ الأذنين الذين يتقدَّمون الصفوف، خشية أن يميلوا عن «المساواة» استجابةً لضغوطٍ بيئية، أو نتيجة هوى أو ضعفٍ أو عصبية.

ذلك لأنهم بأوضاعهم تلك هم المؤدِّبون والمهدِّبون، ولأنهم أيضاً القدوة التي يَحْتَذِيهَا الجمهور، لذلك يأمر الإمام كلَّ عاملٍ من عمَّاله أن يراعي المساواة، إنصافاً لله كما هي إنصافٌ للناس، فيقول: «وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَأَبْتَعِ عَاقِبَتَهُ بِمَا

(١) الإنشقاق (٨٤): ٦.

(٢) البقرة (٢): ١٨٦.

(٣) البقرة (٢): ٢٠٧.

(٤) آل عمران (٣): ١٥.

يَتَّقِلُ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ مَغَبَّةَ<sup>(١)</sup> ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ، وَإِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ<sup>(٢)</sup> لَهُمْ  
بِعُدْرِكَ، وَأَعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ،  
وَإِعْذَارًا<sup>(٣)</sup> تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ<sup>(٤)</sup>.

فالحقُّ في الإسلام لا يَعْرِفُ القريبَ والبعيدَ ولا الصغيرَ والكبيرَ، ولا الملكَ  
وعامةَ الناسِ، بل صاحبُ الحقِّ سلطان، لأنَّه يَنْظُرُ من خلالِ حِجَّتِهِ التي تُدِينُ  
الآخرَ وتجبره على الإذعانِ، والاعترافِ لصاحبِ الحقِّ بحقِّه.

وإنَّ أَحَقَّ الناسِ بإقامةِ الحقِّ همُ الولاةُ الذين بيدهم أزمَةُ الأمورِ،  
وخصوصاً على حاشيتيهم، وقرابيتهم، مهما كانت إقامته قاسيةً، ووقعه صارمٌ  
وعنيفٌ فإنَّ مع عُنْفِهِ لَذَّةٌ، ومع قساوته سَمُوٌّ ورفعةٌ، وأنَّ هذا الثقل الذي يجده المرءُ  
من خلالِ إقامتهِ الحقِّ على خِوَاصِّهِ وأهْلِهِ يجد لذتهُ في يومٍ تشخَّصُ فيه العيونُ  
والأبصارُ، كما يجد لذتهُ أيضاً في الدنيا، وبذلك يجمع كرامةَ الدارينِ.

ثمَّ على الوالي أن يتعامل مع رعيته من موقعِ الثقةِ المتبادلةِ، وهذا لا يَنْتُمُ إذا  
أساءتِ الرأْيِ فيه في قضيةٍ من القضايا، وخصوصاً إذا تصوَّرت أن الوالي يظلمها  
ويحيفُ عليها في مسألةٍ ما، وهُنَا يجبُ على الوالي العادلِ أن يرفَعَ هذا الظنَّ من  
عُقُولِ رعيتهِ، ويعلنها أمامهم بكلِّ صراحةٍ، مبيِّناً وجهَ التقشُّفِ - إن كان هناك  
تقشُّفاً - موضحاً أمامهم طريقتهُ وسبيله الذي حدها إلى سلوكِ هذا النهجِ.

وفي هذا الإعلانِ يكتسبُ الوالي أمرين:

أولهما: أنه يرفع سوءَ ظنِّ رعيتهِ به.

الثاني: أنه يعودُ نفسه على أن يكشفها أمامَ الناسِ، ويبين أَعذارَهُ بشكلٍ

---

(١) الغب، بالكسر أيضاً: عاقبة الشيء، والمغبة بالفتح مثله. مجمع البحرين ٣: ٢٩٠.  
(١) أصح: أي خرج إلى الصحراء، وأصح به غيره، وقد جاء هنا معدى على حذف الجار  
وإيصال الفعل. الفائق في غريب الحديث ٢: ١٣٣.  
(٢) أعذر إعداراً وعذراً: أبدى عُذراً. لسان العرب ٤: ٥٤٥.  
(٣) نهج البلاغة ٣: ١٠٥، الكتاب ٥٣.

واضح، وفي هذا على النفس ثقل كبير، فليس كل فردٍ يستطيع أن يكشف أوراقه ويوضح معالم مسيرته، وخصوصاً إذا كان في موقع رفيع من المسؤولية؛ إذ يرى نفسه فوق هذه الأمور وأرفع منها.

ويقول عليه السلام: «وإياك والاستئثار<sup>(١)</sup> بما الناس فيه أسوة<sup>(٢)</sup>، والتغابي<sup>(٣)</sup> عما تُعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، ويُنصف منك للمظلوم، أملك حمية<sup>(٤)</sup> أنفك، وسورة<sup>(٥)</sup> حدك، وسطوة<sup>(٦)</sup> يدك، وغرب لسانك، وأخترس من كل ذلك بكف البادرة، وتأخير السطوة<sup>(٦)</sup>، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر هُمومك بذكر المعاد إلى ربك»<sup>(٧)</sup>.

هذا تحذيرٌ منه عليه السلام إلى قضية ذات أهمية كبرى، إنها قضية الاستئثارِ بَدَل الإيثارِ، والاستئثارُ الذي يبيح للفرد أن يأخذ حقه ويتناول حق غيره، فإذا كان الناس شركاء في أمرٍ من الأمور لا يجوز للقوي بما يتمتع به من سلطة أن تمتد يده لتأخذ ما ليس له بحق بل يجب أن يقف عند حقه دون التعدي على شركائه الذين يتساوون معه في هذا الحق.

ثم نبّه إلى عدم جواز التغافل عما يجب العلم به من حقوق الناس التي أخذت ظلماً، وقد رأت العيون كلها إهمالك لها، وبيّن له من الأمور ما فيه مزدجرٌ حيث يقتض من الوالي لغيره ممن ظلمه أو تمكن من منع الظلم عنه، فلم يرفعه يوم

(١) الاستئثار: الانفراد بالشيء. النهاية في غريب الحديث ١: ٢٢.

(٢) الأسوة: وهي القدوة. لسان العرب ١٤: ٣٦.

(٣) تغابي عنه: تغافل. تاج العروس ٢٠: ٦.

(٤) الحمية - بفتح الحاء وكسر الميم وتشديد التحتية - الأنفة والغضب. مجمع البحرين ١:

٥٨١.

(٥) السورة: الوثبة. وقد سرت إليه أي وثبت إليه. ويقال: إن لغضبه لسورة. لسان العرب

٤: ٣٨٥.

(٦) السطوة: القهر بالبطش. يقال: سطا به. الصحاح ٦: ٢٣٧٦.

(٧) نهج البلاغة ٣: ١٠٩، الكتاب ٥٣.

تَنكشِفُ الحُجُبُ وتوفِّي كلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ، وينادي العزيز الحكيم: ﴿فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> عندها يُقتَصَّ للمظلوم من الظالم، ويقتَصَّ للجماء من القرناء، ويقف كلُّ صاحب حقٍّ يطالب بحقه.

وإذا كانت الأمور ستتكشف على حقيقتها، وستتوضح الأمور على جليتها، فلا بد للعاقل من أخذ الأهبة والاستعداد للقاء يوم الحساب، فلا يغضب بل يملك نفسه عن ذلك، وإذا كان ذا بأس فلا تأخذه الحدة للانتقام، وإذا كان ذا سطوة فلا ينتقم، وإذا كان صاحب لسان حديدي فلا يأكل أعراض الناس أو يتعدى على كرامتهم، بل إذا حصل شيء يوجب ذلك أحر السطوة والانتقام حتى يسكن الغضب، ويستطيع أن يختار بكلِّ حرّيته، فلا يقع تحت أسر هذه الأمور السالبة للقدرة والاختيار.

وليتفكر الإنسان قبل اتخاذ القرار بأن له يوم المعاد موقفاً ترتعش منه القلوب فرعاً وجزعاً، فليعدّ الإجابة عن كلِّ حركة وقول وفعل.

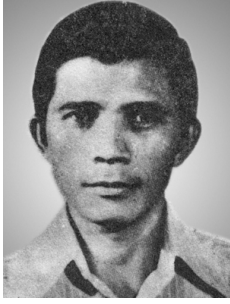
ثم يؤكّد وجوب المساواة بين الحاكم والمحكوم، وهو يعلم علم اليقين، وكما تشير الأمثال في مختلف العصور، أنّ الثناء إغراء، وأنّ بطانة الحاكم ومشيريه أقوى عليه تأثيراً، وأدنى إليه حظوة، وأعلم بما يكرهه وبما يرضيه، فلا عجب إن استطاعوا - بالملق أو طيب الثناء - أن يقودوه كيف يشاؤون.

### اتضح الحقيقة الناصعة:

وبعد أن اتّضحت لـ «جيرن ماريو» حقائق الإسلام الناصعة، وأشرق له بكلِّ جلائها، ترك تمسّكه الأعمى بالتقاليد الموروثة، واعتنق الدين الإسلامي والمذهب الإمامي الاثني عشري، بعد أن تجلّى له نور الحقّ فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) ق (٥٠): ٢٢.

(٢) تمّت الإشارة إلى استبصاره في كتاب: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٦.



(٣٢) ريكاردو بوئينا (رضا)

(مسيحي / الفلبين)

من مواليد الفلبين، حاصل على شهادة الليسانس في الهندسة المعمارية، نشأ في عائلة تعتنق الدين المسيحي، لكنّه وجد نفسه لا تتقبّل المفاهيم التي تُلقى عليها من دون الإفصاح عمّا كان يخالجه من تساؤل أو استفسار. فبقي على ذلك حتى صادف أنّه التقى بمجموعة من علماء الشيعة الوافدين إلى الفلبين للتبليغ، فتعرّف على الإسلام، فكان ذلك سبباً في تعلّقه بالدين الإسلامي. ومن الأمور التي يطرحها المبلّغون الشيعة، والتي طالما تلفت نظر الباحثين في مجال الديانات السماوية: القواعد التي فرضها الإسلام على الولاية والحكام في الدولة والحكومة.

فإذا كانت إمامة المسلمين والولاية عليهم أمراً لازماً فهل يصحّ أن يتولاها كلّ من قدر على بلوغها دون نظر إلى صفاته الشخصية وكفاءته؟ أم أنّ من يصحّ له أن يلي منصب الإمامة يجب أن تتوفر فيه شروط خاصّة يمتاز بها عن غيره من الناس؟ يتفق المسلمون فيما بينهم على أنّ منصب الإمامة لا يليه إلا من توفّرت فيه شروط مميزة.

الصفات التي يجب توفرها في الحاكم المسلم عند أمير المؤمنين عليه السلام:

هنالك مجموعة من الصفات التي لا بد أن يتصف بها الوالي الشرعي وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إليها في كلامه فقال: (وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدِمَاءٍ وَالْمَغَانِمِ <sup>(١)</sup> وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ؛ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ <sup>(٢)</sup>، وَلَا الْجَاهِلُ؛ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَافِي <sup>(٣)</sup>؛ فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْحَافِي <sup>(٤)</sup> لِلدُّوَلِ <sup>(٥)</sup>؛ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُرْتَشِي <sup>(٦)</sup> فِي الْحُكْمِ؛ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ <sup>(٧)</sup>، وَلَا الْمُعْطَلُ لِلسُّنَّةِ؛ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ <sup>(٨)</sup>).

يذكر أمير المؤمنين عليه السلام صفات يجب أن تنتفي من الحاكم، وذكر عليه السلام شروط الوالي الذي يحكم وتكون بيده مقاليد الأمور:

قوله عليه السلام: (وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدِمَاءٍ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ)؛ لأن هذه الصفة كما يعللها الإمام تجعله يحرص على سلب أموالهم وضمها إليه، وجمعها من الناس وتكديسها عنده، ويمنعها عن أهلها، وهذا يستلزم نفورهم منه وبعدهم عنه، مع ما في ذلك مما لا يحبّه الله من قبيح الصفات.

(١) الغنم: الفوز بالشيء في غير مشقة. والاعتنام: انتهاب الغنم، الفيء. كتاب العين ٤: ٢٦٤.  
(٢) النهمة: بلوغ الهمة والشهرة في الشيء. هو منهوم بكذا، أي: مولع به، وفي الحديث: «منهومان لا يشبعان: منهوم بالعلم، ومنهوم بالمال». كتاب العين ٤: ٦١.  
(٣) الجفاء ممدود: خلاف البر. وقد جفوت الرجل أجفوه جفاء. فهو مجفوف. الصحاح ٦: ٢٣٠٣.

(٤) الحيف: الميل في الحكم. حاف يحيف حيفا. كتاب العين ٣: ٣٠٧.  
(٥) الدولة بالضم، في المال، ويقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه: يكون مرّة لهذا ومرّة لهذا، والجمع دولات ودول. الصحاح ٤: ١٦٩٩.  
(٦) الرشوة: الجعل، ورشاه يرشوه رشواً: أعطاه الرشوة. لسان العرب ١٤: ٣٢٢.  
(٧) كل شيء يقطع منه، فهو مقطع. والمقطع: موضع القطع. لسان العرب ٨: ٢٨٤.  
(٨) نهج البلاغة ٢: ١٤، الخطبة: ١٣١.

وقد حفل التاريخ بالعديد من الصور التي تشير إلى هذا المعنى الذي أشار إليه الإمام عليه السلام منها أنه:

ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام -، فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان، وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان، حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة: داراً لثلاثة، وداراً لعائشة، ولغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبنو عمته من بني أمية، أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول، ولا تجربة لهم بالأمر<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَلَا الْجَاهِلُ يُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ)؛ لأنه لجهله بقوانين الدين وتدبير أمور العالم ضالاً، وضلاله يستلزم ضلال من اقتدى به، وذلك ضد مقصود الشارع، ومن المعلوم أن الوالي قدوة فإذا كان جاهلاً فكيف يرضى الشارع بقدوة جاهل.

قوله: (وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ)؛ لأن جفاهه يستلزم النفرة والانقطاع عنه، فيمتنع الناس عن لقاءه، ويكفوا عن الدخول عليه، وبذلك لا يصله منهم صوت ولا شكوى ولا أمر ينتفع به، وفي ذلك ضرر وفساد؛ فإنه صاحب الأمر الذي يجب أن يفتح صدره لكل الناس ويستقبلهم ويسمع منهم، فإنه الأب للجميع، والرحمة العامة لكل الرعية.

قوله: (وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ)؛ فيجب أن يقسم المال بالسوية، فلا يؤثر طائفة على أخرى، فتكون الأولى بطانة له، والأخرى عدوة له، وليس ذلك بالمال والأعطيات فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الولايات وغيرها من الشؤون.

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٠.



وروي «الحائف» بالخاء، فيكون المعنى: أن يخصّص بعنايته من يخافه دون غيره، وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم.

قوله: (وَلَا الْمُزْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاتِعِ)؛ فإنه إذا قبض مالا مقابل الجور في الحكم والعدول فيه عن الحق فإن ذلك يخرج الحق من أيدي أصحابه ويسلبه منهم، بل يميمت الحق ويبطله، فلا تصل الحقوق إلى أصحابها بهذه الرشوة.

قوله: (وَلَا الْمُعْطَلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ)؛ لأنّ الوالي إذا عطّل سنة رسول الله وما جاء عنه فقد ضاعت قواعد الشريعة وقوانينها؛ لأنّ السنة هي الشارحة للكتاب والمتولّية لبيانه وتفصيل مجمله، بها تبيّنت خصوصيات الفرائض وتفصيلاتها، وخذ لذلك مثلاً: الصلاة؛ فإنّ عدد ركعاتها وكيفيتها وما فيها من قراءة وذكر وركوع وسجود وتشهد وتسليم وغير ذلك، كلّ هذا قد تكفّلت به السنة فإذا تعطلت فكيف يهتدي الناس إلى الدين؟! وكيف نعرف متى يُرجم الزاني، وخصوصيات ذلك؟! فمن عطّل السنة أعاد الجاهلية، وفي ذلك هلاك الأمة في الدنيا والآخرة.

### مدح الأعمال الصالحة التي يقوم بها الحكّام:

وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما تقومه على عثمان، وسأله مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه، فقال: (فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ: إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَّ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَبِيْرَةٍ، لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ)<sup>(١)</sup>.

قوله: (فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَّ وَهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةَ

(١) نهج البلاغة ٢: ٦٨، الخطبة: ١٦٤.

مَعْلُومَةٌ وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً: يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: (وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَبِيرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ)؛ فبيت المال، السُّنَّةُ فيه كانت معلومة، من وجوب صرفه في مصالح الإسلام والمسلمين، وبذل عثمان ذلك لبني أمية أعداء الإسلام بدعة واضحة، وتسمية عثمان فعله: صلة الرحم، مخزاة له؛ فإنَّ مورد صلة الرحم بذل الإنسان مال شخصه لرحمه الذي كان رضى الله في صلته، وأمّا من كان من أعداء الله فلا يجوز إعطاؤه من ماله فضلاً عن مال غيره.

### جزاء الحاكم الجائر والأعمال التي تجعله ينال هذا الجزاء:

وهو أيضاً ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له لعثمان، قال عليه السلام: (وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ: إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُودَةً، وَأَخْبَا بِدْعَةً مَشْرُوكَةً، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَلُورُ فِيهَا كَمَا تَلُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَزْتَبُطُ فِي قَعْرِهَا)<sup>(٢)</sup>.

إنَّ أشرَّ الناس: إمام جائر ظالم، ضلَّ عن الطريق واتبع غير سبيل المؤمنين، وأضلَّ غيره بفعله وسلوكه وتصرفه، فأمات سُنَّةً نبوية إلهية أخذ بها الناس واتبعوها، فجاء ليعطلها ويلغي وجودها، بينما عمد إلى بدعة متروكة مهمة فأحياها وعمل بها وأمر الناس أن يعملوا بها.

ثم أراد تخويله لعله يرجع أو يتوب، فذكر له ما سمعه من رسول الله في حقَّ الإمام الظالم، وكيف يؤتى به يوم القيامة وليس له من ينصره، أو يدفع عنه نار جهنم وعذابها، ولا عاذر يعذره في ظلمه، أو يبرر له ما فعل، وعندها يلقى في نار

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٦٨، الخطبة: ١٦٤.

جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحي، فتطاله بنارها كلها حتى يذوق جزاء عمله، ثم يشد في قعرها ولا يخرج منها، أجارنا الله من عذابها.

وبدون شك هناك أئمة عدل وهناك أئمة ضلالة؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

الدعوة إلى النار هي: الدعوة إلى ما يستوجب النار من الكفر والمعاصي؛ لكونها هي التي تتصوّر لهم يوم القيامة ناراً يُعذبون فيها، أو المراد بالنار: ما يستوجبها مجازاً من باب إطلاق المسبب وإرادة سببه.

ومعنى جعلهم أئمة يدعون إلى النار: تصييرهم سابقين في الضلال، يقتدي بهم اللاحقون، ولا ضير فيه؛ لكونه بعنوان المجازاة على سبقهم في الكفر والجحود، وليس من الإضلال الابتدائي في شيء.

قوله: (ويوم القيامة لا ينصرون)، أي: لا تنالهم شفاعة من ناصر.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾: بيان للآية السابقة؛ فهم لكونهم أئمة يقتدى بهم من خلفهم في الكفر والمعاصي لا يزال يتبعهم ضلال الكفر والمعاصي من مقتديهم ومتبعيهم، وعليهم من الأوزار مثل ما للمتبعين، فيتبعهم لعن مستمر باستمرار الكفر والمعاصي بعدهم.

فالآية في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي

(١) القصص (٢٨): ٤١ - ٤٢.

(٢) العنكبوت (٢٩): ١٣.

إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١﴾، وتنكير اللعنة للدلالة على تفخيمها واستمرارها.  
وكذا لما لم ينلهم يوم القيامة نصر ناصر كانوا بحيث تنتفّر وتشمئزّ عنهم  
النفوس، ويفرّ منهم الناس ولا يدنو منهم أحد، وهو معنى القبح، وقد وصف الله  
تعالى من قبح منظرهم شيئاً كثيراً في كلامه.  
اتّضح الحقائق:

لَمَّا اتّضحت لـ «ريكاردو» جملة من الحقائق وعرف الحق اعتنق الإسلام،  
واتخذ من مذهب أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مذهباً يدين الله به، وسمّى نفسه:  
«رضا» تيمناً بالإمام ثامن الحجج عليه السلام (٢).

---

(١) يس (٣٦): ١٢.

(٢) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٤.



(٣٣) رينالدو ريز (رضا)

(مسيحي / الفلبين)

ولد في دولة الفلبين، ونشأ في كنف عائلة تنتمي إلى الديانة المسيحية، وتدرّج في الدراسة الأكاديمية حتى نال شهادة الدكتوراه في مجال طب الأسنان. بقي «رينالدوريز» يطبّق المناهج العبادية التي تلقّاها من رجال الكنيسة، واستمرّ على هذا المنوال حتى تعرّف على مجموعة من المسلمين، فدفعه حبّ الاستطلاع ليتعرّف على مبادئهم وأسسهم الدينية، فبيّن له أحدهم صورة مجملّة عن مبادئ الإسلام، فوجد نفسه مندفعاً إلى التعاطف الوجداني مع هذا الدين، فتوجّه إلى البحث العلمي في الإسلام، واستمرّ في البحث والتحقيق لتمييز الحقّ من الباطل بين المذاهب الإسلامية، وفي نهاية مطاف بحثه اختار مذهب أهل البيت عليهم السلام معتقداً وسبيلاً للوصول إلى رضوان بارئه عزّ وجلّ.

دلالات آية الولاية:

تُعَدُّ مسألة الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مسألة أساسية من المسائل الخلافية بين أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرسة الخلفاء، ولا يخفى على أيّ باحث منصف تمسك علماء الإمامية بالأدلة القرآنية على معتقدتهم في جميع المسائل، في مجال إثبات مصداق الإمام والوليّ بعد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله.

## آية الولاية:

من الأدلة القرآنية التي يتمسك بها الشيعة في تعيين الولي والإمام بعد الرسول الأكرم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ونذكر هنا أقوال عدد من علماء ومفكري السنة في مصداق الآية، ثم نشير إلى بعض الشبهات الواردة والإجابة عليها.

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج الخطيب في (المتفق) عن ابن عباس، قال: تصدق عليّ بخاتمه وهو راع، فقال النبي ﷺ للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع. فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه: عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب.

وأخرج الطبراني في (الأوسط)، وابن مردويه: عن عمّار بن ياسر، قال: وقف بعليّ سائل وهو راع في صلاة تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك، فنزلت على النبي ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ على أصحابه، ثم قال: (من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه).

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه: عن عليّ بن أبي طالب، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ في بيته: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلى آخر الآية فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد - وجاء الناس يصلّون بين راع

(١) المائدة (٥): ٥٥.

وساجد وقائم - يصلي فإذا سائل فقال: يا سائل! هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: لا، إلا ذلك الراكع - لعلي بن أبي طالب - أعطاني خاتمه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر: عن سلمة بن كهيل، قال: تصدق علي بن خاتمه وهو راکع، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، الآية.

وأخرج ابن جرير: عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية: نزلت في علي بن أبي طالب؛ تصدق وهو راکع.

وأخرج ابن جرير: عن السدي، وعتبة بن حكيم مثله<sup>(١)</sup>. وفي المناقب للخوارزمي:

«عن علي بن أبي طالب، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، فخرج رسول الله ﷺ ودخل المسجد، والناس يصلون ما بين راکع وقائم، وإذا سائل، قال له: يا سائل! أعطاك أحد شيئاً؟ قال: لا، إلا هذا الراكع - لعلي - أعطاني خاتماً»<sup>(٢)</sup>.

وفي تفسير الثعالبي:

«... ولكن اتفق مع ذلك أن علي بن أبي طالب ﷺ أعطى خاتمه وهو راکع»<sup>(٣)</sup>.

وفي مجمع الزوائد للهيتمي:

«عن عمّار بن ياسر، قال: وقف على علي بن أبي طالب ﷺ سائل وهو راکع في تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه بذلك،

(١) الدر المنثور ٢: ٢٩٣.

(٢) المناقب: ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٣) تفسير الثعالبي، المسمى: بـ «جواهر الحسان في تفسير القرآن» ٢: ٣٩٦.

فنزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»<sup>(١)</sup>.

وفي جامع البيان لابن جرير الطبري:

وأما قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به؛ فقال بعضهم: عني به: علي بن أبي طالب. وقال بعضهم: عني به: جميع المؤمنين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: ثم أخبرهم بمن يتولاهم، فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هؤلاء جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مر به سائل وهو راع في المسجد، فأعطاه خاتمه.

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا عبدة، عن عبد الملك، عن أبي جعفر، قال: سألته عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، قلنا: من الذين آمنوا؟

قال: الذين آمنوا!

قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب.

قال: علي من الذين آمنوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن عبد الملك، قال: سألت أبا جعفر عن قول الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.. وذكر نحو حديث هناد عن عبدة.

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملي، قال: ثنا أيوب بن سويد، قال: ثنا عتبة

(١) مجمع الزوائد ٧: ١٧.



ابن أبي حكيم في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: علي بن أبي طالب.

حدّثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا غالب بن عبيد الله، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدّق وهو راکع<sup>(١)</sup>.

وفي أحكام القرآن للجصاص:

«قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: روي عن مجاهد، والسدي، وأبي جعفر، وعتبة بن أبي حكيم: أنها نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدّق بخاتمه وهو راکع... وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يدلّ على أنّ صدقة التطوّع تسمّى زكاة؛ لأنّ علياً تصدّق بخاتمه تطوّعاً، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي أسباب النزول للنيسابوري:

«قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: قال جابر بن عبد الله: جاء عبد الله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنّ قوماً من بني قريظة والنضير قد هاجرونا<sup>(٣)</sup> وفارقونا، وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل. وشكا ما يلقي من اليهود، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين وأولياء.

ونحو هذا قال الكلبي، وزاد: إنّ آخر الآية في علي بن أبي طالب رضوان الله عليه؛ لأنّه أعطى خاتمه سائلاً وهو راکع في الصلاة.

(١) جامع البيان - المعروف بـ «تفسير الطبري» ٦: ٣٨٩.

(٢) الروم (٣٠): ٣٩، أحكام القرآن ٢: ٥٥٧-٥٥٨.

(٣) في تفسير الثعلبي ٤: ٨٠: قد هجرونا...

(أخبرنا) أبو بكر التميمي، قال: (أخبرنا) عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن أبي هريرة، قال: حدّثنا عبد الله بن عبد الوهّاب، قال: حدّثنا محمد الأسود، عن محمد بن مروان، عن محمد السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا، فقالوا: يا رسول الله! إنّ منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدّث، وإنّ قومنا لمّا رأونا آمنّا بالله ورسوله وصدّقناه رفضونا، وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا، فشقّ ذلك علينا.

فقال لهم النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، الآية.

ثمّ إنّ النبي ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكم، فنظر سائلاً، فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟

قال: نعم، خاتم من ذهب<sup>(١)</sup>، قال: من أعطاكه؟ قال: ذلك القائم. وأوماً بيده إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: عليّ أيّ حال أعطاك؟

قال: أعطاني وهو راكم.

فكبر النبي ﷺ، ثمّ قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغَالِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني:

«عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: نزلت في

(١) غلط من الراوي أو المؤلف!! والصحيح: خاتم من فضة، كما في تفسير الألوسي ٦:

١٦٧ وشواهد التنزيل ١: ٢٤٧.

(٢) أسباب نزول الآيات: ١٣٣.

علي بن أبي طالب عليه السلام. و(أخبرنا) قراءة، قال: حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق التنوخي، قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا علي بن أبي بكر، قال: حدّثنا موسى مولى آل طلحة، عن الحكم، عن المنهال، عن محمّد بن الحنفية، قال: جاء سائل فلم يعطه أحد، فمرّ بعلي وهو راعٍ في الصلاة، فناوله خاتمه، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، الآية.

وعن عبد الله بن محمّد بن الحنفية، عن أبيه، قال: فلم يعطه أحد شيئاً، فمرّ بعلي وهو راعٍ، فسأله، فناوله يده، فأخذ خاتمه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره، قال: أتعرف الرجل؟ قال: لا، فأرسل معه من يتعرّفه، فإذا هو علي بن أبي طالب، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:

«المسألة الثانية: وذلك أنّ سائلاً سأل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يعطه أحد شيئاً، وكان عليّ في الصلاة في الركوع وفي يمينه خاتم، فأشار إلى السائل حتّى أخذه. قال الكيا الطبري: وهذا يدلّ على أنّ العمل القليل لا يبطل الصلاة؛ فإنّ التصدّق بالخاتم في الركوع عمل جاء به في الصلاة، ولم يبطل به الصلاة.

وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يدلّ على أنّ صدقة التطوّع تسمى: زكاة؛ فإنّ عليّاً تصدّق بخاتمه في الركوع، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد روي أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أعطى السائل شيئاً وهو في الصلاة، وقد يجوز أن تكون هذه صلاة تطوّع، وذلك أنّه مكروه في الفرض. ويحتمل أن

(١) شواهد التنزيل ١: ٢٠٩ و٢١٧ بعدة طرق، وكلّها تقول أنّه تصدّق حال الركوع.

(٢) الروم (٣٠): ٣٩.

يكون المدح متوجّهاً على اجتماع حالتين، كأنه وصف من يعتقد وجوب الصلاة والزكاة، فعبر عن الصلاة بالركوع، وعن الاعتقاد للوجوب بالفعل، كما تقول: المسلمون هم المصلّون، ولا تريد أنّهم في تلك الحال مصلّون.

ولا يوجّه المدح حال الصلاة، فإنّما يريد من يفعل هذا الفعل ويعتقده»<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير:

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا الربيع بن سليمان المرادي، حدّثنا أيوب بن سويد، عن عتبة بن أبي حكيم في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: قال: هم المؤمنون وعليّ بن أبي طالب.

وحدّثنا أبو سعيد الأشج، حدّثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، حدّثنا موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل، قال: تصدّق عليّ بخاتمه وهو راع، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

وقال ابن جرير: حدّثني الحارث، حدّثنا عبدالعزيز، حدّثنا غالب بن عبد الله، سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، الآية، نزلت في عليّ بن أبي طالب؛ تصدّق وهو راع.

وقال عبدالرزاق: حدّثنا عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، الآية، نزلت في عليّ بن أبي طالب. عبدالوهاب بن مجاهد لا يحتجّ به.

ورواه ابن مردويه عن طريق سفيان الثوري، عن أبي سنان، عن الضحّاك، عن ابن عباس، قال: كان عليّ بن أبي طالب قائماً يصليّ فمرّ سائل وهو راع، فأعطاه خاتمه، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، الآية. الضحّاك لم يلق ابن

(١) الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ«تفسير القرطبي» ٦: ٢٢١.

عبّاس.

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن السائب الكلبي - وهو متروك - عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد والناس يصلون بين راعع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكين يسأل، فدخل رسول الله ﷺ، فقال: أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم. قال: من؟ قال: ذلك الرجل القائم. قال: علي أي حال أعطاك؟ قال: وهو راعع. قال: وذلك علي بن أبي طالب.

قال: فكبر رسول الله ﷺ عند ذلك وهو يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وهذا إسناد لا يقدر به.

ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمار بن ياسر، وأبي رافع، وليس يصح شيء منها بالكلية؛ لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها.

ثم روى بإسناده عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: نزلت في المؤمنين وعلي بن أبي طالب أو لهم. وقال ابن جرير: حدثنا هناد، حدثنا عبدة، عن عبد الملك، عن أبي جعفر، قال: سألته عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، قلنا: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا.

قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب.

قال: علي من الذين آمنوا.

وقال أسباط، عن السدي: نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين، ولكن علي

(١) المائدة (٥): ٥٦.

ابن أبي طالب مرّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه»<sup>(١)</sup>.  
وقال الألويسي: «غالب الأخباريين على أنّ هذه الآية نزلت في عليّ كرم  
الله وجهه»<sup>(٢)</sup>.

### الشبهات الواردة وردّها:

لقد قام عدد من الذين لم يرق لهم هذا المقام السامي لأمير المؤمنين علي  
ابن أبي طالب عليه السلام بطرح الشبهات والإشكالات على دلالة هذه الآية نذكرها  
إجمالاً:

- ١- قال بعضهم: إنّ الآية نزلت في عبادة بن الصامت.
- ٢- هناك من أشكل في معنى «الولي»، وقال: إنّ الولاية في الآية بمعنى:  
النصرة، كالفضل بن رزبهان.
- ٣- هناك من قال باحتمال أن تكون الواو في: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ واو عاطفة لا  
واو حالية، وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.
- ٤- يقال: كيف أنّ الإمام عليّ عليه السلام يسمع صوت السائل، ويلتفت إليه، ويشير  
إليه، ويومئ إليه بالتقدّم نحوه، ثم يرسل يده ليخرج الخاتم من إصبعه، وهذا كله  
انشغال بأمور دنيوية، وعدول عن التكلم مع الله سبحانه وتعالى؟!
- ٥- افتراءات ابن تيمية، حيث قال: «قد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى:  
أنّ هذه الآية نزلت في عليّ لَمَّا تصدّق بخاتمه في الصلاة، وهذا كذب بإجماع أهل  
العلم بالنقل، وكذبه بين، وأجمع أهل العلم بالنقل على أنّها لم تنزل في عليّ  
بخصوصه، وأنّ علياً لم يتصدّق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث  
على أنّ القصّة المروية في ذلك من الكذب الموضوع، وأنّ جمهور الأمة لم تسمع

(١) تفسير القرآن العظيم - المعروف بـ «تفسير ابن كثير» - ٢: ص ٧٣.

(٢) روح المعاني ٦: ١٦٨.

هذا الخبر»<sup>(١)</sup>.

٦- أشكل البعض بأنّ علياً مفرد، فلماذا جاءت الألفاظ في الآية بصيغة

الجمع؟

أمّا في مجال رد هذه الشبهات فنقول:

١- أمّا من قال: إنّ الآية نزلت في عبادة بن الصامت، فنقول له:

إنّ هذه رواية شاذة مقابل رواية نزولها في الإمام علي عليه السلام التي أخرجها  
وصحّحها علماء الحديث والتفسير.

فليراجع كلّ باحث عن الحقّ الكتب التي استوفت ذلك، وما أكثرها، والتي

ذكرنا جملة منها.

وقد أنشد حسّان بن ثابت في ذلك فقال:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكلّ بطيء في الهدى ثابت ومسارع  
أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً وما المدح في ذات الإله بضائع  
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راع فدتك نفوس القوم يا خير راع  
فأنزل فيك الله خير ولاية فأثبتها في محكمات الشرائع<sup>(٢)</sup>

٢- لفظة: (وليّ) هنا إنّما هي بمعنى: الأولى بالتصرّف، كما في قولنا: فلان

وليّ القاصر، وقد صرّح اللغويون بأنّ كلّ من ولي أمر أحد فهو وليّه، فيكون  
المعنى: أنّ الذي يلي أموركم يكون أولى بها منكم، وهو الله عزّ وجلّ ورسوله  
وعليّ؛ لأنّه هو الذي اجتمعت به هذه الصفات، الإيمان وإقامة الصلاة، وإيتاء  
الزكاة في حال الركوع، وقد أثبت الله في الآية الولاية لنفسه تعالى ولنبيّه ولوليّه  
على نسق واحد، وولاية الله عزّ وجلّ عامّة مطلقة، وكذا ولاية النبيّ، والوليّ مثلها؛

(١) راجع: منهاج السنة ٤: ٥.

(٢) راجع ما في هامش شواهد التنزيل ١: ٢١٣، نقلاً عن كفاية الطالب، الباب: ٦١.

إذ لم تقيّد.

ويتّضح ذلك أكثر بمراجعة الآية الكريمة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فهنا جعل الله تعالى ولاية النبيّ على الناس أولى منهم لأنفسهم، ثمّ النبيّ ﷺ أكّد لعموم المسلمين بقوله: (ألست أولى بكم من أنفسكم؟)، ثمّ قال ﷺ: (فمن كنت مولاه فعليّ مولاه). يعني: أنّ المقام الذي تعترفون به بالنسبة إليّ فهو حقّ ثابت لعليّ عليه السلام، فبايعه المسلمون على ذلك منذ عيّنه الرسول ﷺ، فجعلوا يباركون لعليّ بإمرة المؤمنين، فقال عمر بن الخطاب: يخ بك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة<sup>(٢)</sup>.

والنصرة ما هي إلّا أحد معاني لفظ الولاية، كما في الكتب اللغوية<sup>(٣)</sup>، ولا يجوز عقلاً - بغضّ النظر عن النقل - أن يكون معنى الوليّ هنا بمعنى النصير، أو المحبّ، أو نحوهما؛ لأنّه لا يبقى لهذا الحصر وجه؛ إذ أنّه تعالى نفى أن يكون وليّاً غير الله ورسوله والذين آمنوا بلفظة: (إنّما)، وهي تفيد حصر الصفة على من ذكر، ونفيها عمّن لم يُذكر.

فهل يعقل حمل الولاية في هذه الآية مع هذه القرائن على النصرة؟!

وهل كان من شك في كون عليّ ناصراً للمؤمنين وهو المعروف بصاحب الراية، وفاتح خيبر، وقاتل ابن عبد ودّ، وصاحب ذي الفقار، و.. يتّضح من ذلك أنّ الولاية المقصودة من هذه الآية هي: ما ذهب إليه شيعة أهل البيت، ولهم أدلّة أخرى تؤيّد ما ذهبوا إليه، كحديث الغدير ونحوه؛ إذ كرّر ﷺ لفظ الولاية للإمام عليّ عليه السلام أكثر من مرّة، وبتعابير مختلفة، فمرّة يعبّر الرسول ﷺ: أنّ الإمام عليّ عليه السلام منه، ومرّة: نفسه، ومرّة: خليفته، ومرّة: أخوه، ومرّة: وليّ كلّ مؤمن بعده فثبت أنّ

(١) الأحزاب (٣٣): ٦.

(٢) راجع: مسند أحمد ٤: ٢٨١، تاريخ بغداد ٨: ٢٨٤.

(٣) راجع: تاج العروس ٢٠: ٣١٠، مادة وليّ.



للإمام علي عليه السلام من الولاية المطلقة كما لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن ولايته اقترنت بولاية الله ورسوله صلى الله عليه وآله بلا استثناء ولا قيد.

٣- أمّا الواو فهي حالية، كما جاء في النصوص السابقة: أنّ الإمام علي عليه السلام أعطى الخاتم حال كونه راکعاً.

٤- أمّا قولهم: كيف ينشغل في حال صلاته بأمر دنيوية؟

فنقول: لو كان لهذا الإشكال أدنى مجال لما عدّ فعله هذا من مناقبه عليه السلام، ثم إنّ هذا الالتفات لم يكن من أمير المؤمنين إلى أمر دنيوي، وإمّا كانت عبادة في ضمن عبادة، ومن اعترض فإنّما يعترض على الله تعالى؛ لأنّ ما ثبت بالنص لا مجال للنقاش فيه بالعقل، وتصدّق الإمام علي عليه السلام ثبت بالنص القرآني، وأكّده السنّة المطهّرة، ورواه الفريقين.

يقول الألويسي: قد سئل ابن الجوزي هذا السؤال، فأجاب بشعر: يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الناس أطاعه سكره حتّى تمكّن من فعل الصحة فهذا واحد الناس<sup>(١)</sup>

٥- أمّا ابن تيمية فهو لم يكذب الشيعة فحسب بل كذب المحدثين، والمفسّرين، ومن نقل ذلك من كتب أهل السنّة المعترية التي بيّنت نزول الآية المباركة في الإمام علي عليه السلام في القصة المشهورة، ولا عجب؛ إذ عاداته تكذيب صحاح الأحاديث والروايات، واتّهام الناس بالكذب والشرك، ولا ندري من يقصد بـ«أهل العلم والإجماع»؟! يعني: رأيه ورأي الذين يقولون برأيه، فيدّعي إجماع أهل الحديث وأهل النقل!! وعلى كلّ حال، فهذه القضية واردة في كتبهم المعترية لديهم مع إجماع الشيعة.

٦- أمّا قولهم: أنّ علياً مفرد، فلماذا جاءت الألفاظ بصيغة الجمع؟

فنقول: إنّ هناك آيات، كآية المباهلة أيضاً وردت بصيغة الجمع، إلا أنّ

(١) تفسير الألويسي ٦: ١٦٩.

رسول الله جاء بعليّ، مع أنّ اللفظ لفظ جمع: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، وجاء بفاطمة وحدها والحال أنّ اللفظ لفظ جمع: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

بل إنّ علماءهم ردّوا على هذا الاعتراض، كالزمخشري الذي هو من كبار علماء العامّة؛ وقال ما ملخصه: بأنّ الفائدة في مجيء اللفظ بصيغة الجمع في مثل هذه الموارد هو ترغيب الناس في مثل فعل أمير المؤمنين، لينبّه أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذا الحد من الحرص على الإحسان إلى الفقراء والمساكين، يكونون حريصين على مساعدة الفقراء وإعانة المساكين، حتّى في أثناء الصلاة، وهذا شيء مطلوب من عموم المؤمنين، ولذا جاءت الآية بصيغة الجمع<sup>(٢)</sup>.

هذا ويوجد في القرآن الكريم، والسنة النبوية، والاستعمالات العربية بعض الألفاظ بصيغة الجمع والمقصود شخص واحد،

ثمّ إنّ الروايات المعتبرة دلّت على أنّ المراد هنا خصوص عليّ عليه السلام، فمن أنكر هذا ولو جاء اسم علي في القرآن لأنكره، وأوله بدون شك؛ لأنّ هذه أدلّة في ولاية علي عليه السلام وهي كالشمس في رابعة النهار، وهاهم يؤوّلونها وبصرفونها عن محلّها ما استطاعوا، ولكن الله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

### التحرر من التقليد الأعمى:

إنّ الأدلّة القاطعة والبراهين الواضحة القرآنية، كآية الولاية لا تبقى مجالاً للريب والشك في ثبوت معتقد الإمامية في مجال البحث في الإمامة والخلافة بعد الرسول الأكرم ﷺ، وإنّ «رينالدو» يعدّ أحد الذين تنوّروا بنور هذه الأدلّة والمعارف، وتحرّروا من قيد اتباع التقليد الأعمى للموروثات العقائدية، وتيمناً باسم الإمام الثامن من العترة الطاهرة غير اسمه إلى: «رضا»<sup>(٣)</sup>.

(١) آل عمران (٣): ٦١.

(٢) راجع: الكشف ١: ٦٢٤.

(٣) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٧.



(٣٤) زنيذا كورس (زهراء)

(مسيحية / الفلبين)

ولدت في «الفلبين»، واصلت دراستها الأكاديمية حتى تخرّجت من كليّة الطب - قسم الأمراض النسائية والولادة.

كانت «زنيذا» كثيرة الشوق لمعرفة الحقّ والحقيقة، ما سار بها إلى التحقيق في الأديان والمذاهب، ولما كانت صادقة مع نفسها في بحثها هذا، وكانت لا تبحث إلا لتجد الحقّ فتتبعه، لذا نرى الله سبحانه هيّأ لها الطريق وسهّله لها واختصره.

وكانت بداية معرفتها بالإسلام عن طريق جماعة من المسلمين الشيعة، حيث عرفوها الإسلام على خير وجه، فاعتنعت به واعتنقته.

**دافعيّة المسيحيّة:**

من خصائص الدين أن تكون له جاذبية، تجذب قلوب الناس وعقولهم إليه لا منفراً ينفر عنه البشر. أي بمعنى أن يكون الدين فطرياً ليأنس إليه الإنسان، ويكون منطقيّاً ليقبله العقل. أمّا إذا خلا من هاتين الخصلتين، أو إحداهما، فسوف يكون غريباً على طبع الناس، وهم لا يأنسون إلى ما يخالف طبيعهم، وهذا أمر فطريّ، بديهيّ..

وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

أما العقيدة المسيحية الموجودة الآن فهي خالية عن الجانب العقلي؛ إذ ضحت به أمام العاطفة، فهي إذاً ديانة عاطفية بحتة ليس فيها للعقل أي دور. ولذا نرى أن هذه الديانة لا تواكب العصر، والإنسان كلما تقدّم به الزمان كلما نضح عقله وفكره، فهو ليس ذلك البشر القديم الذي يتلبّس عليه الحقّ والباطل. بل أصبح يشعر بقيمته المخزونة في عقله، فالإنسان من دون العقل لا يساوي شيئاً.

إلى أن المقصود بالديانة المسيحية المذكورة هنا ليست تلك الديانة التي جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام؛ فتلك كانت ديانة تحتوي على العنصرين المذكورين، أي أنها كانت فطرية ومنطقية؛ لأنها صادرة من حكيم كامل، وهو الله سبحانه وتعالى، وهو لا يرسل رسالة تخالف الفطرة البشرية ولا العقل البشري.

والسؤال الذي يُطرح هنا هو: ماذا جرى على المسيحية حتى وصل بها الحال إلى أن تركت الجانب العقلي وتمسكت بالجانب العاطفي؟ لمعرفة جواب هذا السؤال علينا أن نقرأ تاريخ الديانة المسيحية بشيء من الإمعان والدقة.

فنقول: لما عُرج بعيسى إلى السماء، كما نعتقد، أو صُلب، كما يعتقدون، قام اليهود وبدعم من الحكومة آنذاك بملاحقة أنصار عيسى وحوارييه فضيّقوا عليهم دائرة العمل حتى كادت المسيحية تُنسى تماماً، ولكن مع ذلك أخذ الناس يتعاطفون معهم وينضمّون إليهم.

(١) الروم (٣٠): ٣٠.

لذا قام أعداء المسيح الحاقدين بالتباعد أسلوب خبيث، وهو محاربة المسيحية من الداخل وحرفها وإبعادها عن طريقها الأساسي، وهو: التوحيد. وتبنى هذه العملية عدوها اللدود: «شاؤول».

فلنقرأ عن هذا الذي استطاع أن ينفذ إلى المسيحية، ويهدم أساسها من الداخل، ومع ذلك أصبح أعظم رجل في المسيحية؛ فتجاوزت قدسيته قدسيّة الحواريين، بل أصبح ينازع قدسيّة عيسى عليه السلام نفسه. فمن هو شاؤول؟  
شاؤول (بولس الرسول):

كان من اليهود المتطرفين، وكان يضطهد المسيحيين بإفراط، فكان يسطو على الكنيسة، ويدخل البيوت، ويجزّ الرجال والنساء لإياداعهم السجن.  
يقول «لوقا» عن كيفية دخول بولس إلى المسيحية: عندما كان بولس قريباً من دمشق، بغتة أ برق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً:  
يا شاؤول لماذا تضطهدني؟

فقال بولس: من أنت؟

فأجابه قائلاً: أنا يسوع الذي تضطهده.

فقال بولس مر تعدياً متحيراً: ماذا تريد أن أفعل؟

فقال: قم وكرز بالمسيحية

ويستمر لوقا بقوله: وللوقت جعل [بولس] يكرز في المجاميع بالمسيح أن

هذا هو ابن الله.

والعجب أن بولس لم يكن متعلماً عند أحد الحواريين، بل كان يدّعي أن عيسى نفسه هو الذي تبنى تربيته وتعليمه من وراء الحجاب، وكان يقول: أعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بُشّرتُ به، أنه ليس بحسب إنسان؛ لأنني لم أقبله من عند

إنسان، ولا علمته من إنسان بل بإعلان يسوع المسيح.  
فهو بقوله هذا رفض تعاليم الحواريين، الذين هم أقرب الناس إلى المسيح،  
وكانوا الواسطة بينه وبين الناس. والهدف الذي كان بولس يبغيه هو: أن يكون  
مبسوط اليد في تسطير بدعته وخرافاتة، فكلما جاء بقول غريب يعارض ما عند  
الحواريين نسبه إلى المسيح دون واسطة؛ ولذا كان الحواريون يعارضون بولس  
ويرفضون أفكاره المنحرفة، لكنّه استطاع أن يكرّز بدعته في أذهان مخاطبيه  
السذج والمغفلين ومن كانت لهم مصلحة في ذلك.

ومن جملة هؤلاء النفعيين: «لوقا»، الذي أخلص لبولس ولسالته، وكان لم  
يعرف من المسيحية سوى تعاليم أستاذه هذا. وخدم أستاذه وأحلّه محلاً رفيعاً لا  
يقال عن مقام عيسى نفسه، وكتب «لوقا» رسالة تحت عنوان: أعمال الرسل،  
ولكنّها في الحقيقة كلّها في وصف أعمال بولس وحده، وهي لبولس كإنجيل متّى  
ومرقس للمسيح.

وفي المقابل أعطى بولس تلميذه فرصة ليكون في مصاف الحواريين ومن  
كتبه الأناجيل؛ فدوّن إنجيل «لوقا»، مع أنّهما - أي: الأستاذه والتلميذ - لم يريا  
المسيح قط ولم يسمعا منه حرفاً واحداً.

بدعة بولس:

جمع بولس أفكاراً متعدّدة لثقافات وديانات متغايرة. ومزجها مع بعضها،  
فأصبح لديه معجون غريب سمّاه بـ«المسيحية»، وهي أبعد ما تكون عن المسيحية  
العيسوية، سوى اسمها.

يقول ويلز في كتابه «التاريخ الصغير للعالم»: وقد أُوتى بولس قوّة عقليّة  
عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بالحركات الدينيّة في زمانه، فتراه على علم عظيم

باليهودية والميثرائية، وديانة ذلك الزمان التي تصنعها الاسكندرية، فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم ومصطلح تعبيرهم ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها، وهي فكرة ملكوت السماوات، ولكنّه علّم الناس أنّ عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، بل إنّ ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً، ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية مثل الأضاحي القديمة للآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية وكذلك صرح بعض المحققين المنصفين بأنّ الديانة المسيحية الموجودة حالياً لا تمتّ لعيسى بن مريم بصلّة، بل هي ديانة بوليسية (إن صحّ التعبير) ..

فهذا «بيري» يقول: شاؤول كوّن المسيحية على حساب عيسى. فشاؤول في الحقيقة هو مؤسس المسيحية، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب أتباعاً له من اليونان<sup>(١)</sup>.

وكذلك ابتكر بولس (شاؤول) فكرة جعل المسيح (LORD)، واستعار أيضاً من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق «الكلمة» (Logos)، أو «ابن الإله»، أو «صروح القدس»، وهذا كله تمهيداً لبدعة التثليث، التي قضى بها على المسيحية التي جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام، والتي كانت تقوم على أساس التوحيد.

فهو إمّا عميل من قبل الحكومات اليونانية لحرف وتشويه الديانة المسيحية، التي تعاطف معها جمهور واسع من الناس، وإمّا قد استطاع أن يحصل على ثقة الحكومات لمّا أدخل في ديانته الجديدة كثيراً من المعتقدات المنحرفة، وفي الحالين النتيجة واحدة، وهي أنّه استقوى بهذه الحكومات فأيدته وقامت

---

(١) راجع: موسوعة مقارنة الأديان، المسيحية: ١٠١ نقلاً عن كتاب (التاريخ الصغير للعالم).

بمحو كل الآثار التي تعود إلى تعاليم المسيح والحواريين الذين كانوا يدعون إلى التوحيد.

وهذا يذكرنا بما جرى في صدر الإسلام؛ إذ قامت ثلثة من الصحابة بغصب خلافة الرسول الأعظم ﷺ من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نصبه ﷺ خليفة له بأمر من الله تعالى، فقام الغاصبون بمحو معظم الأحاديث الصادرة من الرسول ﷺ في حق علي عليه السلام، وأخذوا يشترعون على هواهم.

ومن يقارن بين سيرة بولس وبين سيرة عمر بن الخطاب سيجد هناك الشبه الكبير بينهما، فعمر بن الخطاب بالنسبة للمسلمين كبولس بالنسبة إلى المسيحيين.

### اتباع الحق:

وهكذا تعرّفت «زنيديا» على التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شائبة، وهو الموافق للعقل السليم والفطرة الإنسانية.

فلما أخلصت نيتها مع ربّها، منّ الله عليها أن هداها إلى الصراط المستقيم، وهو: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(١)</sup>.

---

(١) نقلاً عن: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٧١.





(٣٥) سنن هاجوئي  
(مسيحية / الفلبين)

ولدت في الفلبين، ونشأت في عائلة مسيحية، واصلت دراستها الأكاديمية حتى التحقت بكلية الطب، قسم الأمراض النسائية.

### القدرة الإلهية:

من الأسباب التي دعت «سنن» لاعتناق الدين الإسلامي النظرة الإسلامية الشاملة التي تتسجم مع الفطرة الإنسانية، ومن موارد ومصاديق هذه النظرة: موضوع قدرة الله سبحانه وتعالى.

فإنّ القدرة: من صفاته الذاتية الكمالية، كالعلم ولأجل ذلك يعد «القادر» من أسمائه سبحانه.

فالقدرة لغة - كما عرفها أصحاب المعاجم -: الملك والغنى واليسار.

قال ابن منظور: الاقتدار على الشيء: القدرة عليه، والقدرة: مصدر قولك: قدر على الشيء قدرة، أي: ملكه؛ فهو قادر وقدير. واقتدر الشيء: جعله قدراً. وقوله: ﴿عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ﴾<sup>(١)</sup> أي: قادر.

(١) القمر (٥٤): ٥٥.

والقدر: الغنى واليسار، وهو من ذلك؛ لأنه كَلَّه قُوَّة<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب: قدر: القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسمٌ لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي: نفي العجز عنه<sup>(٢)</sup>.  
وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى قدرته تعالى في مجموعة من النصوص، منها:

قوله: (كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نَطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَالَيْهِ مُتَقَلَّبُهُ.

لَمْ تَرَكَ الْعُيُونَ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحَشَةٍ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ.

أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمُوعِدُ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِي مَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْبَغَ نِعْمَكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ<sup>(٣)</sup>.

لقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا النص إلى مجموعة من الأمور التي تبين قدرة الباري تعالى:

(١) لسان العرب ٥: ٧٦.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٣٩٤.

(٣) نهج البلاغة ١: ٢١٠، الخطبة ١٠٩.

١- إنَّ كلَّ مخلوقات الله خاشعة لله خاضعة له، وخضوع كلِّ شيء بحسبه؛ لأنَّه العظيم القوي، وما دونه الضعيف الحقيق؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّقِيهِ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- إنَّ قيام كلِّ شيء به؛ لأنَّ كلَّ ما عداه ممكن الوجود ويحتاج في أصل وجوده وكمال وجوده وإكمال وجوده إلى الله سبحانه وتعالى، إمَّا مباشرة أو بالواسطة، ولو تخلى عنه لحظةً لانهيار وانعدام، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾<sup>(٤)</sup>.

٣- إنَّ كلَّ ما دون الله فقير محتاج، وبالله خرج من العدم إلى الوجود، وبالله كان كلُّ موجود، وبالله كان غني كلُّ موجود؛ قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْتَهُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا \* فَعَسَى رَبِّي أَنْ

(١) الرعد (١٣): ١٥.

(٢) النحل (١٦): ٤٨ - ٤٩.

(٣) الرعد (١٣): ٣٣.

(٤) فاطر (٣٥): ٤١.

(٥) المنافقون (٦٣): ٧.

(٦) الضحى (٩٣): ٨.

يُؤْتِينَ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿١﴾.

٤ - إنَّ الدليل الحقير المهين إذا آمن بالله واستنقام كما أمر كان عزيزاً قوياً،  
وكم من الضعفاء تحوّلوا إلى أعزّة عندما نبذوا الأصنام والأهواء وتوجّهوا لله  
واعتمدوا عليه، فبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي أصبحوا بالله  
أعزّة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ  
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ  
الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

٥ - بالله تعالى يصبح الضعيف قوياً؛ لأنَّ هذا الضعيف إذا اتّصل بالله اتّصل  
بمصدر الوجود وبأصل كلّ موجود، ومن آمن بالله فهو موصول العرى بأعظم قوّة  
في العالم، بل كلّ العالم في قبضته وتحت قدرته، إن شاء فعل وإن شاء منع، ومن  
هذا التصرّو يكبر الإنسان المتّصل بالله ويقوى، بل يتحدّى العالم كلّ منفرداً عندما  
يدخل هذا الإيمان إلى قلبه، كما تحدّاه إبراهيم الخليل، فكان أمة برأسه يتحدّى  
الطغاة والجبابرة؛ لأنّه يشعر باستمداد القوّة من الله، القوّة المطلقة في عالم الوجود  
الموجّهة لكلّ ما فيه.

٦ - إلى الله يلجأ كلّ مكروب خائف مستغيث؛ فعندما تتقطّع الأسباب  
وتنسدّ الأبواب ولا يعد في الوجود من يلجأ إليه، عندها ومن أعمق أعماق هذا  
الإنسان وبالاضطرار والقهر، وبدون التفات وتنبيه، يصرخ المضطرّ بصوت كلّ رقة  
وعطف واستغاثة: «يا الله»! إنّها الكلمة التي ينطقها الإنسان من أعمق شعوره، ومن  
فطرته وأساس تكوينه، «يا الله» حقيقة تنطوي عليها كلّ نفس، تظهر قهراً عند كلّ

(١) الكهف (١٨): ٣٩ - ٤٠.

(٢) النساء (٤): ١٣٩.

(٣) المنافقون (٦٣): ٨.

الناس، حتى الجاحدين لمضمونها والمنكرين لوجودها، حتى هؤلاء يرجعون إلى الله في كشف كربتهم وإزالة علتهم، يلتفت الإنسان لا شعورياً إلى القوة المطلقة القادرة على إغاثته فلا يجد غير الله يعينه وينجيه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاؤُنَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

٧- إنه تعالى مفرع كل ملهوف؛ يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويشهد لجميع الفقرات: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

٨- إنه من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، وهذا إشارة إلى عموم علمه، وإنه كما يعلم كل ما يتكلم به الإنسان يعلم ما يسره ويكتمه؛ قول تعالى: ﴿وَإِن تَجَهَّرَ بِأَقْوَالٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾<sup>(٥)</sup>.

٩- من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره؛ قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) النحل (١٦): ٥٣.

(٢) الإسراء (١٧): ٦٧.

(٣) النمل (٢٧): ٦٢.

(٤) آل عمران (٣): ٢٦- ٢٧.

(٥) طه (٢٠): ٧.

(٦) الرعد (١٣): ١٠.

١٠ - إنه سبحانه الحاكم في الدنيا وفي الآخرة؛ فمن عاش فالله هو رازقه،  
وبه تقوم حياته، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ  
مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

١١ - إنه من مات فإلى الله يرجع، وإليه الحساب، يجزي المطيع بالجنة،  
والعاصي بالنار، وهذا ردّ لهذا الإنسان إلى حقيقته، وأنه في كلا الدارين تحت عين  
الله؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَقَّأَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
ثم نزّه ﷻ الله أن يقع تحت بصر؛ لأنّ من يقع تحت الأبصار يكون محدوداً،  
والمحدود ممكن محتاج إلى المكان، والله منزّه عن ذلك، هو واجب الوجود، وإذا  
لم تره العيون فقد رأته القلوب بحقائق الإيمان.

ثم تساءل: كيف يخبر عنك الواصفون وأنت كنت قبل خلقهم؟! أي: الأصل  
في خلقهم والمنزّه عن الجسمية التي هي من عوارض الإمكان.

ثم نزّه الله عما يعترى المخلوقات من الناس؛ فإنّ المتفرّد منهم يستوحش  
فيطلب ما يؤنسه ويزيل وحشته، والله سبحانه لا يتأثر بالكون وما فيه، فلم يخلق  
ما خلق من أجل أن يرفع استيحاشه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا  
لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما أنّه لم يكلفهم بما كلفهم به من أجل أنّه محتاج يريد أن ترجع المنفعة  
إليه، بل هو غنيّ بالذات، وما كلفهم إلا لصالحهم وما ينفعهم؛ قال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ  
مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) هود (١١): ٦.

(٢) السجدة (٣٢): ١١.

(٣) الذاريات (٥١): ٥٦.

(٤) الذاريات (٥١): ٥٧-٥٨.

وهو عز وجل يدرك من طلبه ولن يفوته أخذه، ومن أخذه لن يفلت منه ويهرب من بين يديه؛ وفي ذلك إشارة إلى كمال قدرته، وهذا مضمون ما نطق به الجن وصدقه القرآن في قولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّنَّا يُصْحَبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ \* تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

ثم أشار ﷺ إلى أن المعصية لله لا تهدد سلطانه، ولا تؤثر في ملكه، ولا ينقص سلطانه من عصاه؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>، وقال

(١) الجن (٧٢): ١٢.

(٢) الرعد (١٣): ١١.

(٣) الأنبياء (٢١): ٤٣.

(٤) القمر (٥٤): ٤٢.

(٥) القصص (٢٨): ٨١.

(٦) الواقعة (٥٦): ٨٦ - ٨٧.

(٧) المائدة (٥): ٤١.

تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

كما أنّ من أطاعه لا يزيد في ملكه ولا يقويه ويدعمه، كما هو حال ملوك الدنيا، الذين يتزلزل سلطانهم بعصيان الناس لهم وتمردهم عليهم، ويقوى ويشتدّ كلما أطاعهم الناس والتفوا حولهم؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣).

وإذا أراد الله أمرًا نفذ، وإن لم يرضه العباد؛ قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤)، لأنّ الله لا يفعل إلا لحكمة، وله السلطة الكاملة على خلقه، وسخطهم وعدم رضاهم فلضعفهم وجهلهم بمقام الربوبية؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ \* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٦).

كما أنّ من تولّى عن طاعة الله وأمره لم يستغن عن عونه وحاجته إليه باعتبار إمكانه وحاجته، والممكن المحتاج بحاجة دائماً إلى الغني الكريم بالذات؛

(١) يونس (١٠): ٢٣.

(٢) فصلت (٤١): ٤٦.

(٣) الزمر (٣٩): ٧.

(٤) آل عمران (٣): ٤٧.

(٥) آل عمران (٣): ٨٣.

(٦) الشورى (٤٢): ٤٩ - ٥٠.



قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَزُونَ \* ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والأمور كلها عند الله تعالى منكشفة على مستوى واحد، فليس هناك سرّ وآخر جهري؛ قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينٍ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وليس هناك عنده تعالى غائب وآخر حاضر، وذلك لأنّ علمه أحاط بكلّ شيء، وهي كلها منكشفة لديه؛ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>.

وهو الدائم فلا غاية له يقف عندها وجوده؛ لأنّه واجب الوجود، الذي لا ينتهي، كما أنّ الرجوع إليه فلا مهرب من لقائه، ولا خلاص من عذابه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>.

وإليه يعود الخلق وهم على ميعاد معه يوم الحساب، ولا ينجي من عذابه وعقابه إلا الرجوع إليه، والتوبة من الذنوب، وإصلاح ما فسد، وطلب العفو

(١) يونس (١٠): ١٢.

(٢) النحل (١٦): ٥٣ - ٥٤.

(٣) هود (١١): ٥.

(٤) غافر (٤٠): ١٩.

(٥) الأنعام (٦): ٧٣.

(٦) النجم (٥٣): ٤٢.

والغفران منه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّالٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومخلوقاته كلها تحت سلطانه وبيده زمامها، يفعل بها ما يشاء؛ قال تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>..

قال الطبرسي في مجمع البيان: «أي ما من حيوان يدب على وجه الأرض إلا وهو مالك لها، يصرفها كيف يشاء، ويقهرها، وجعل الأخذ بالناصية كناية عن القهر والقدرة؛ لأن من أخذ بناصية غيره فقد قهره وأذله»<sup>(٤)</sup>.

وإلى الله مصير كل روح، إليه سبحانه ترجع كل نفس فيجازيها على ما عملت، ويحاسبها عما اقترفت؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله عليه السلام: (سبحانك ما أعظم شأنك): تنزيه لله يراد به التعجب من أمر الله وحكمه، وأن أمره أعظم من أن يوصف، أو يحد ويؤطر.

قوله عليه السلام: (سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك): ننزهك يا رب عن كل أمر يصغرك، ونحن نرى خلقك ما أعظمه وأجله وأكبره، وكيف يعدد العبد المحدود مخلوقاته؟! وهل يقدر على إحصائها بأنواعها وأفرادها، ومواصفات كل فرد،

(١) الغاشية (٨٨): ٢٥ - ٢٦.

(٢) الشورى (٤٢): ٤٧.

(٣) هود (١١): ٥٦.

(٤) تفسير مجمع البيان ٥: ٢٩١.

(٥) الأنعام (٦): ٦٠.

وتوجه كل فرد، وطريقة كل فرد؟!!

قوله ﷺ: (وما أصغر كل عظمة في جنب قدرتك): مهما عظم خلقك من سماوات وأرضين وبر وبحر وليل ونهار، وما يدب على الأرض، أو يطير في الجو، كلها حقيرة صغيرة بالنسبة إلى قدرتك؛ فإنها لا تحد ولا توصف؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وروي أن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم فقال له: ألك رب؟ فقال: بلى. قال: قادر؟ قال: نعم قادر، قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في بيضة لا يكبر البيضة ولا يصغر الدنيا؟ فقال هشام: النظر. فقال له: قد أنظرتك حولاً. ثم خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبد الله ﷺ فاستأذن عليه، فأذن له، فقال: يا ابن رسول الله! أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله وعليك. فقال له أبو عبد الله ﷺ: عمّاذا سألك؟ فقال: قال لي كيت وكيت. فقال أبو عبد الله ﷺ: يا هشام! كم حواسنك؟ قال: خمس. فقال: أيها أصغر؟ فقال: الناظر. فقال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها. فقال: يا هشام! فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى. فقال: أرى سماءً وأرضاً، ودوراً وقصوراً، وتراباً وجبالاً وأنهاراً. فقال له أبو عبد الله ﷺ: إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة، لا يصغر الدنيا ولا يكبر البيضة. فانكبت هشام عليه وقبل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يا ابن رسول الله.

(١) الكهف (١٨): ١٠٩.

(٢) إبراهيم (١٤): ١٩.

فانصرف إلى منزله، وغدا إليه الديصاني، فقال: يا هشام! إنني جئتك مسلماً ولم أجئك متقاضياً للجواب. فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهناك الجواب. فخرج عنه الديصاني، فأخبر أن هشاماً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فعلمه الجواب، فمضى عبد الله الديصاني حتى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له، فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمد! دلني على معبودي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟! قال: لو كنت قلت له: (عبد الله) كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد؟ فقالوا له: عد إليه فقل له يدلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك.

فرجع إليه، فقال له: يا جعفر! دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس. وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة. فناوله إيّاها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا ديصاني، هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهب مائة وفضة ذائبة، فلا الذهب المايعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المايعة، هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن إصلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، ولا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟

قال: فأطرق مليّاً، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه<sup>(١)</sup>.

قوله عليه السلام: (وما أهول ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك في ما غاب عنا من سلطانك): هذا تعجب من عظيم ما نشاهد ونرى من ملك الله، وأنه كبير عظيم

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ١٢٢ - ١٢٤.

يقف الإنسان أمامه يمجّد الله ويحمده، ولكن مع كلّ عظمة ملكه فهو حقير أمام ما غاب من سلطانه الممتد إلى أعالي السماء، ممّا هو مستور عنّا تحت أستار القدرة، وفي حجب العزّة من بدايع ما في الملاء الأعلى، ولعلّ بعض مشاهدات النبيّ في معرّاجه تدلّل على هذه العظمة التي نقرّوها في كلّ ما خفي في ملكوت الله.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثَّ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله ﷻ: (وما أسبغ نعمك في الدنيا، وما أصغرها في نعم الآخرة): تعجّب من سعة نعم الله على عباده في الدنيا بحيث شملت البر والفاجر، وتناولت كلّ حاجات هذا الإنسان، ولكن استصغرها بالنسبة إلى نعم الآخرة؛ لأنّ نعم الدنيا محدودة بحدود الدنيا فحسب، وأمّا نعم الآخرة فلا حدود لها ولا انتهاء، وما لا

(١) الطلاق (٦٥): ١٢.

(٢) طه (٢٠): ٦.

(٣) البقرة (٢): ٢٥٥.

(٤) المؤمنون (٢٣): ٨٦-٨٧.

(٥) النور (٢٤): ٤٣.

حدّ له ولا انتهاء يصغر بالنسبة إليه ما يُحد وينتهي، وهذا ترغيب لنا في الآخرة لنسعى من أجل نعيمها وما فيها؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن النبيّ الأعظم ﷺ أنه قال: «إنّه من يدخل الجنّة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»<sup>(٣)</sup>.

### اعتناقها للإسلام:

وبعد أن لاحظت «سنن هاجوئي» قوّة أدلّة النظرية الإسلامية وشمولها من الله تبارك وتعالى عليها بالدخول في الدين الإسلامي، فأصغت إلى المبادئ الإسلامية، فاستجابت لها ثمّ أسلمت وجهها لله ربّ العالمين واتبعت مذهب أهل البيت <sup>(٤)</sup>.

(١) لقمان (٣١): ٢٠.

(٢) السجدة (٣٢): ١٧.

(٣) مسند أحمد ٢: ٤٠٧.

(٤) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٧٦.

## (٣٦) طالب أبو ذر (وهّابي / الفلبّين)

من أهل جزائر الفلبّين، كان السبب في استبصاره: صدمته من مدى اعتداء ابن تيمية ومن تبعه من الوهايبية في عصرنا الحاضر على أهل البيت عليهم السلام، ممّا جعله يتساءل أنه في يوم القيامة كيف ستكون عاقبتهم، وخاصة ابن تيمية الذي ملأ كتبه بالتعرض لأهل البيت عليهم السلام صراحة وكناية والتشكيك في فضائلهم وإنكارها والوقوف إلى جانب مناوئهم؟ وكيف ستكون مواقفهم عند مواجهة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك اليوم؟  
ابن تيمية وأهل البيت عليهم السلام:

إن لأهل بيت الرسول عليهم السلام منزلة عظيمة أثبتتها القرآن وأثبتها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأيقن بها المسلمون، ولم يمار فيها إلا من كان في قلبه مرض، وابن تيمية في بعض ما كتب يثبت شيئاً ممّا ورد في منزلتهم العظيمة وتقديمتهم على سائر الأمم، فيقول: «إن بني هاشم أفضل قریش، وقریش أفضل العرب، والعرب أفضل بني آدم، كما صحّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله في الحديث الصحيح: «إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قریشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قریش».

وفي صحيح مسلم عنه أنه قال يوم غدیر خم: «أذکرکم الله في أهل بيتي، أذکرکم الله في أهل بيتي، أذکرکم الله في أهل بيتي».

وفي السنن أنه شكّا إليه العباس أن بعض قريش يحقرونهم، فقال: «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبّوكم لله ولقرايتي». ثم قال: وإذا كانوا أفضل الخلائق فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال»<sup>(١)</sup>.

والسؤال: كيف كانت عقيدته فيهم؟ وكيف كان موقفه الدائم منهم؟

لقد كشف ابن تيمية عن عقيدته في أهل البيت عليهم السلام وموقفه منهم بكلّ صراحة، وبوضوح لا غبار عليه، ويمكن إجمال ذلك بالنقاط التالية:

أ- الميل إلى جانب أعدائهم على الدوام:

كان ابن تيمية صريحاً في ميله إلى جانب أعداء أهل البيت عليهم السلام، ودفاعه عنهم بكلّ ما يمتلك من قدرة على الجدل، وخداع في القول، ومغالطة في الكلام، يكافح عنهم، ويختلق لهم الأعذار، ويبرّر عداءهم لأهل البيت عليهم السلام، يكذب لأجلهم أحاديث الرسول وأئمة السلف من الصحابة والتابعين، ويكذب لأجلهم حقائق التاريخ التي تواتر نقلها وأجمع عليها أهل العلم قاطبة، ويزور حقائق أخرى بأسلوب يتنزّه عنه العلماء، بل حتى العوام والبسطاء.

ومن شواهد ذلك وبكلّ إيجاز: أنه صنّف كتاباً أسماه: (فضائل معاوية وفي يزيد وأنه لا يُسبّ)، هذا مع أن الذي ثبت عن السلف أنه لا يصحّ في فضائل معاوية ولا حديث واحد!!

فقد نقل ذلك عن أحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup>، والنسائي صاحب السنن إذ قيل له: ألا تُخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج؟ حديث «اللهم لا تشيع بطنه»

(١) رأس الحسين: ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) راجع: سير أعلام النبلاء ٣: ١٣٢.



فسكت السائل<sup>(١)</sup>.

وثبت عن الحسن البصري أكثر من ذلك، فقد قال: أربع خصال كُنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخدامه بعده ابنه - يزيد - سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وقتله حجر بن عدي وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر، ويا ويلاً له من

حجر!!<sup>(٢)</sup>.

أمّا في يزيد فقد زور ابن تيمية حديث أحمد وبتره لأجل أن يمنع من لعنه!! ثمّ زور كلّ ما ثبت من حقائق التاريخ وكلام السلف فيه وافتري عليهم كثيراً لأجل أن يختلق عذراً ليزيد، فقال: «إنّ يزيد لم يظهر الرضى بقتل الحسين، وإنّه أظهر الألم لقتله»!<sup>(٣)</sup>.

وقد نقل التفتازاني إجماع السلف في هذه المسألة، فقال: «اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين، أو أمر به، أو أجازه، أو رضي به. والحق أنّ رضى يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهائته أهل بيت رسول الله ﷺ ممّا تواتر معناه وإن كان تفصيله آحاداً، فنحن لا نتوقّف في شأنه، بل في كفره وإيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن تيمية: «إنّ نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن

(١) راجع: سير أعلام النبلاء ١٤: ١٢٩، تاريخ الذهبي ٢٣: ١٠٧.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ٣: ٤٨٧، تهذيب تاريخ دمشق ٢: ٣٨٤.

(٣) رأس الحسين: ٢٠٧.

(٤) نقلا عن شذرات الذهب ١: ١٢٣.

يزيد»<sup>(١)</sup>.

وقال: «إنّ القصة التي يذكرون فيها: حمل الرأس يزيد ونكته في القضيّب، كذبوا فيها»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «من المعلوم أنّ الزبير بن بكّار ومحمّد بن سعد صاحب الطبقات، ونحوهما من المعروف بالعلم والفقّه والاطّلاع، أعلم بهذا الباب وأصدق في ما ينقلونه من المجاهيل الكذّابين»<sup>(٣)</sup>.

ويقول: «والمصنّفون من أهل الحديث في ذلك، كالبعوي وابن أبي الدنيا ونحوهما، هم بذلك أعلم وأصدق بلا نزاع بين أهل العلم»<sup>(٤)</sup>.

وابن تيمية لم ينقل عنهم حرفاً واحداً في ذلك، لسبب بسيط، وهو: أنّهم قد أثبتوا ذلك الذي أنكره ابن تيمية، أثبتوه بأسانيدهم التي قال عنها ابن تيمية أنّها الأصدق بلا نزاع بين أهل العلم!

أمّا كلّ ما نقله ابن تيمية عنهم فهو قوله: «إنّ الذين جمعوا أخبار الحسين ومقتله مثل ابن أبي الدنيا والبعوي وغيرهما، لم يذكر أحد منهم أنّ الرأس قد حمل إلى عسقلان أو القاهرة!!»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن تيمية: «ويزيد لم يسب للحسين حريماً، بل أكرم أهل بيته!»<sup>(٦)</sup>.

وقال: «ولا سبى أهل البيت أحد، ولا سبى منهن أحد»<sup>(٧)</sup>.

(١) رأس الحسين: ٢٠٧.

(٢) رأس الحسين: ٢٠٦.

(٣) رأس الحسين: ١٩٨.

(٤) رأس الحسين: ٢٠٦.

(٥) رأس الحسين: ١٩٧.

(٦) منهاج السنة ٢: ٢٢٦.

(٧) رأس الحسين: ٢٠٨.

وكلامه هذا لم ينقله أحد سواء كان من الثقات أو من غيرهم، وإنما أطلقه حمية ليزيد.

أمّا أصحاب التاريخ فقد أجمعوا على صحة هذه الوقائع: قال ابن أبي الدنيا ومحمد بن سعد - بعد أن ذكرا قتل الحسين وانتهابهم ثيابه وسيفه وعمامته - ما نصّه:

«وأخذ آخر ملحفة فاطمة بنت الحسين، وأخذ آخر حليتها... وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد، وحمل النساء والصبيان، فلما مروا بالقتلى صاحت زينب بنت علي: يا محمداه! هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء، مقطّع الأعضاء.. يا محمداه! وبناتك سبايا.. وذريّتك قتلى تسفي عليها الصبا! فما بقي صديق ولا عدوّ إلا بكى..»

قالا: ثمّ دعا ابن زياد زحر بن قيس فبعث معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد. وجاء رسول من قبل يزيد فأمر عبيد الله بن زياد أن يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من أهله..

قالا: ثمّ دعا يزيد بعلي بن الحسين والصبيان والنساء وقد أوثقوا بالحبال فأدخلوا عليه، فقال علي بن الحسين: يا يزيد! ما ظنك برسول الله ﷺ لو رأنا مقرّنين بالحبال؟!!

ودعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه، فقام رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه - يعني فاطمة بنت الحسين!! - فأرعدت وظّت أنّهم يفعلون، فأخذت بثياب عمّتها زينب.

فقال زينب: كذبت والله، ما ذلك لك ولا له.

فغضب يزيد لذلك وقال: كذبت، إنّ ذلك لي لو شئت لفعلته!!

قالت: كلاً والله ما جعل الله عزّ وجلّ ذلك لك إلا أن تخرج من ملّتنا أو تدين  
بغير ديننا. ثم بعث بهم يزيد إلى المدينة»<sup>(١)</sup>.

أرأيت هذا الذي ضيّع الأمانة في نقل حقائق تواتر نقلها، وأجمع عليها أهل  
الحديث والسير، اتّباعاً للهوى والعصبية، أيكون مؤتمناً على الدين؟  
ب - تكذيبه بمنزلتهم العظمى:

وله في هذا الباب كلام كثير يدلّ على عصبية لا حدّ لها:

١ - إن ابن تيمية يقول بالحرف الواحد: «إن فكرة تقديم آل الرسول هي من  
أثر الجاهلية في تقديم أهل بيت الرّؤساء!!»<sup>(٢)</sup>.

وسنشير قبل الجواب على ما ادّعاه إلى بعض ما جاء في منزلة أهل بيت  
الرسول عامة وأهل بيت نبيّنا ﷺ خاصّة:

أ - قوله تعالى في أهل بيت إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ  
وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ب - قوله تعالى وقد ذكر ثمانية عشر نبيّاً بأسمائهم ثم قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا  
آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ  
وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ  
الصَّالِحِينَ \* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَمِن آبَائِهِمْ  
وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع: الرد على المتعصّب العنيد: ٥٢ - ٦١.

(٢) منهاج السنّة ٣: ٢٦٩.

(٣) هود (١١): ٧٣.

(٤) الأنعام (٦): ٨٣ - ٨٧.

ت - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ث - قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ج - قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ح - قوله تعالى في أهل بيت نبينا عليه السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

خ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>.

وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٦)</sup> في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعليّ خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟

قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»<sup>(٧)</sup>.

(١) آل عمران (٣): ٣٣.

(٢) العنكبوت (٢٩): ٢٧.

(٣) الأنبياء (٢١): ٧٢ - ٧٣.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٥) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٦) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٧) سنن الترمذي ٥: ٣١.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟

فقلت: بلى، فأهدها لي.

فقال: سألتنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نُسلم؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد»<sup>(١)</sup>.  
إذاً، فاصطفاه الله تعالى لأهل بيت الأنبياء والرسل، وجعلهم الأئمة والقادة والأوصياء من بعدهم، وإنزاله إليهم تلك المنازل الرفيعة، وكل ما جاء بحقهم في السنة المطهرة هو من أثر الجاهلية في تقديم أهل بيت الرسول!! إن لم يكن هذا هو التكذيب بالدين والسخرية بكتاب الله وسنة رسوله، فكيف سيكون التكذيب؟! وكيف ستكون السخرية؟!

ولما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>. ودعا الرسول ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين فجعل عليهم كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وافق ابن تيمية على صحة ذلك، لكن ماذا رأى فيه؟ إنه لم يرف فيه لأهل البيت أية مزية! فقال: إن هذا مجرد إرادة من الله لهم بالتطهير، ودعاء من النبي لهم بذلك، ولا يعني هذا أن الله قد طهرهم حقاً<sup>(٣)</sup>.

إن ابن تيمية لم يرد ما أراده الله ورسوله، ولهذا فقط لم يؤمن به!!  
وكذب بكل ما ورد بحقهم في القرآن الكريم، كآيات سورة الدهر:

(١) صحيح البخاري ٤: ١١٨ - ١١٩.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٣) منهاج السنة ٢: ١١٧.

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(١)</sup> التي أجمع أصحاب التفسير على أنها نزلت فيهم<sup>(٢)</sup>.

كما كذب ما ورد في حق أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> التي أجمع أصحاب التفسير على نزولها في علي حين تصدق بخاتمه وهو راع<sup>(٤)</sup>.

وقس على ذلك تكذيب ما جاء في فضل علي عليه السلام خاصة في السنة الصحيحة رغم ثبوتها بالأسانيد الصحيحة والطرق المتعددة، دون أن يعتمد على نقل صحيح عن أئمة السلف، وإنما هو الهوى والعصبية.

ت - التنقص منهم وتجريحهم:

لم يقف ابن تيمية عند الدفاع عن خصوم أهل البيت، ثم التكذيب بمنزلتهم ومناقبهم، بل تعدى وراء ذلك فأطلق عليهم لساناً لم تعرفه هذه الأمة إلا عند النواصب الذين امتلأت قلوبهم بغضاً وحقداً على آل الرسول، وهذه نبذ من كلامه فيهم:

١ - إنه ينبغي أن تكون هناك مصلحة من وجود أهل البيت، ويقول: «لم يحصل بهم شيء من المصلحة واللفظ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الإنسان (٧٦): ٨.

(٢) تفسير الثعلبي ١٠: ٩٨، شواهد التنزيل ٢: ٤٠٣، تفسير البغوي ٤: ٢٨، تفسير الرازي ٣٠: ٢٤٤.

(٣) المائدة (٥): ٥٥.

(٤) جامع البيان ٦: ٣٨٩، تفسير ابن أبي حاتم ٤: ١١٦٢، أحكام القرآن للجصاص ٢: ٥٥٧، تفسير السمعاني ٢: ٤٨، شواهد التنزيل ١: ٢١٢، تفسير البغوي ٢: ٤٧، تفسير القرطبي ٦: ٢٢١.

(٥) منهاج السنة ٢: ٨٤.

هذا، ونجد مسلم يروي عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ.

قال: يا ابن أخي! والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيّه.

ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس! فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(١)</sup>.

لكن ابن تيمية أتى على هذه الأحاديث فأولها تأويلاً يضحك التكلّي، فقال: «الحديث الذي في مسلم إذا كان النبيّ قد قاله فليس فيه إلا الوصية باتّباع الكتاب، وهو لم يأمر باتّباع العترة، ولكن قال: أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(٢)</sup>.

تُرى ألم يقل ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله»، ثم واصل الحديث حتى ذكر أهل البيت، فإن كان الأمر باتّباع الكتاب وحده، فأين هو النقل الثاني إذا؟؟

حقاً إنّ الهوى يعمي ويصم!!

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) منهاج السنّة ٤: ٨٥.



## الاستبصار:

بعد أن تبين لـ«طالب أبوزر» - الذي كان وهابياً - الحقد والغلّ والتحامل الذي يحمله هذا الشخص ومنهجه، وأنه سيؤدّي إلى وقوفه يوم القيامة موقف المخذول أمام رسول الله ﷺ وعترته الطاهرين عليهم السلام أيقن بضلاله وضلال منهجه، واتّبع المنهج الحقّ، منهج أهل بيت النبي ﷺ، فاعتنق هذا المذهب وركب سفينة النجاة، سفينة علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من أولاد الحسين سلام الله عليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

---

(١) للوقوف على نبذة من سيرته راجع كتاب: مادر گریه نکن (لا تبك يا أمي): ٢٢٥، للسيد محمود شاه حسيني.

## (٣٧) فاطمة أيّوب

(شافعية / الفلبين)

ولدت في دولة الفلبين في مدينة كوتاباتو عام ١٣٩١هـ (١٩٧٢ م)، وترعرعت في أحضان أسرة شافعية المذهب حتى تعرّفت على مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبعد البحث والمطالعة والتأمل أعلنت استبصارها بنور معارف أهل البيت عليهم السلام سنة ١٤٢٨هـ (٢٠٠٨ م)، وهي على ارتباط بمركز الأبحاث العقائدية من خلال شبكة الإنترنت.

### بداية السير نحو الحقيقة:

تأتي تساؤلات كثيرة إلى ذهن الإنسان المسلم عندما يفكر في مسألة الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، منها أنه: هل يصدّق عاقل أنّ الصحابة قد أدركوا أهمية إدارة الأمة فشكّلوا اجتماع السقيفة لاختيار مدير لها، وأدركوا الحاجة إلى الدولة والنظام، ولم يدرك ذلك الله ورسوله؟!

معاذ الله، وهو الذي بلغ الحجّة على أنّ النعمة قد تمت، وأنّ الدين قد اكتمل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> وأنّه ما بقي شيء ممّا يهم الإنسانية في أمور دينها ودنياها إلا أودعه الله جلّ وعزّ في

(١) المائدة (٥): ٣.

كتابه العزيز: ﴿وَمَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>.

بل إن القيادة أهم أمر شدد عليه الإسلام، وأكد عليه الرسول ﷺ في أكثر من موقف، ابتداءً بحديث الدار عند نزول آية الإنذار في بداية الدعوة وحتى حديث الغدير في حجة الوداع، بل حتى أن الرسول ﷺ طلب - في أواخر أيامه من الدنيا - أن يؤتى بدواة وقرطاس ليكتب لأُمَّته كتاباً لا يضلون بعده أبداً، وهذا الكتاب الذي أراد أن يكتبه ويبيته هو مفاد حديث الثقلين المشهور والمتواتر بأن أهل البيت والقرآن هما الثقلان ولا يضل من تمسك بهما أبداً.

**أهمية مسألة الخلافة بعد رسول الله:**

إن مسألة تعيين الخليفة الآتي من قبل الخليفة السابق كانت متعارفة في زمنها، فإن الخلفاء أنفسهم أوصى بعضهم لبعض؛ إذ يقولون: إن أبا بكر أوصى لعمر، وأوصى عمر لسنة - بغض النظر عن التخبُّط الكبير في موضوع الخلافة، وهل كانت شورى أو بالنصب - بحجة أن القائد الكفوء لا بد من تعيينه من قبل أهل الخبرة، حتى أن ابن تيمية عدّ الولاية من أعظم واجبات الدين؛ فقال: (إن ولاية أمر الناس أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى البعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم..

فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات)<sup>(٢)</sup>.

ولكن لا فرق عنده بين الرئيس وحاكم الجور، وبين الأئمة الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، والقيادة العامة، وعلى هذا ينبغي تحليل التاريخ بدقة وفق مبادئ الإسلام نفسه، وقواعده التي وضعها، لنرى هل فرق الإسلام بين الحكام الذين

(١) الأنعام (٦): ٣٨.

(٢) السياسة الشرعية: ٢١٧.

استولوا على الحكم بالسيف والجور، وبين من نصّبهم الله تعالى أماناً للأمة من الاختلاف والهلاك، وهل أمضى الله تعالى ولاية احدهم على المسلمين دون الآخر؟!

يتضح من العديد من الأحاديث والوقائع أنّ الله تعالى وعلى لسان نبيه ﷺ أمضى الولاية لعدد من أوليائه، فجعلهم أوصياء النبي ﷺ ووصفهم النبي ﷺ بدوره بأنهم قرناء القرآن وسفينه النجاة وأمان لأهل الارض وغيرها من الأوصاف، ونقتصر هنا على ذكر واقعة واحدة تثبت الولاية بعد الرسول الأكرم ﷺ لأول أوصيائه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ألا وهي واقعة الدار.

### حديث الدار وآية الإنذار:

قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يعدّ هذا الدليل من الأدلة النقلية الصحيحة المتواترة عند نقلة التأريخ والأثر؛ ومفاده أنّ رسول الله ﷺ أوصى إلى عليّ في مبدأ الدعوة الإسلامية، حين أنزل الله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ولم يزل بعد ذلك يكرّر وصيته إليه، ويؤكدّها المرّة بعد المرّة، حتّى أنّه أراد أن يكتبها لأُمَّته حينما قال ﷺ: (ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)، فتنازعا وقالوا: هجر رسول الله، فقال لهم: (قوموا عني)<sup>(٢)</sup>، فاكتفى ﷺ بعهوده اللفظية، ومنها ما جاء في حديث الدار في كتب التأريخ والحديث والتفسير السنيّة، نصّاً صريحاً يصدّق بعضه بعضاً ويشد بعضه أزر بعض، كالقرآن الكريم يردّ متشابهه لمحكمه، فيفهمه من أراد فهمه، ويبقى من في قلبه مرض يتخبّط في لجاجته وعناده.

(١) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

(٢) راجع: صحيح البخاري ٤: ٣١، صحيح مسلم ٥: ٧٦، مسند أحمد ١: ٣٢٤ وغيرها من المصادر المعتبرة عند أهل السنة.

## حديث الدار في السيرة النبوية لابن كثير:

قال ابن كثير: قال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل: (أخبرنا) محمد بن عبد الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل، واستكتمني اسمه، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب، قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال رسول الله ﷺ: (عرفت أنني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمت، فجاءني جبريل ﷺ فقال: يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار).

قال: فدعاني فقال: (يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام، وأعد لنا عس لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب).

ففعلت، فاجتمعوا له يومئذ، وهم أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث. فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية فشققها بأسنانه، ثم رمى بها في نواحيها وقال: (كلوا بسم الله).

فأكل القوم حتى نهلوا عنه، ما نرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: (أسقهم يا علي). فجئت بذلك القعب، فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنه الله فقال: لهد ما سحركم صاحبكم! فتفرقوا، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ.

فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: (عد لنا مثل الذي كنت صنعت لنا

بالأمس من الطعام والشراب؛ فإنّ هذا الرجل قد بدر إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم).

ففعلت، ثمّ جمعتهم له، وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتّى نهلوا منه، وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثمّ قال رسول الله ﷺ: (أسقهم يا علي). فجئت بذلك القعب، فشربووا منه حتّى نهلوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله أن يكلمهم، بدره أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال: لهد ما سحركم صاحبكم! فتفرّقوا، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ.

فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: (يا علي! عدّ لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب؛ فإنّ هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم).

ففعلت، ثمّ جمعتهم له، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتّى نهلوا عنه، ثمّ سقيتهم من ذلك القعب حتّى نهلوا، وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها، وليشرب مثلها. ثمّ قال رسول الله ﷺ: (يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة).

هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، عن شيخ أبيهم اسمه، عن عبد الله بن الحارث به.

وقد رواه أبو جعفر بن جرير، عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل الأبرش، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي، فذكر مثله. وزاد بعد قوله: (وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة): (وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا...).

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت، ولأني لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطناً، وأخمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه.  
فأخذ برقتي فقال: (إنّ هذا أخي وكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا). قال:  
فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع<sup>(١)</sup>.  
حديث الدار في مسند أحمد:

وقد جاء في مسند احمد بن حنبل: حدّثنا عبد الله، ثنا أبي، ثنا أسود بن عامر، ثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله الأسيدي، عن عليّ عليه السلام، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قال: (جمع النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا. قال: فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي، ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي، فقال رجل لم يسمه شريك: يا رسول الله! أنت كنت بحراً من يقوم بهذا؟  
قال: ثمّ قال الآخر:

قال: فعرض ذلك على أهل بيته فقال عليّ عليه السلام: أنا)<sup>(٢)</sup>.

حديث الدار في تاريخ الطبري:

وقد ذكر الطبري هذا الحديث في تاريخه فقال: (حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، عن عبد الله بن عباس، عن عليّ بن أبي طالب، قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لي: يا علي! إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١: ٤٥٧.

(٢) مسند أحمد ١: ١١١.

متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه، حتى جاءني جبريل فقال:  
يا محمد! إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك.

فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسّاً من لبن،  
ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً  
أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وأبو لهب. فلما اجتمعوا  
إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ  
حذية من اللحم فشقّها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: (خذوا بسم  
الله). فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله  
والذي نفس عليّ بيده، إن كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: اسقِ القوم. فجئتهم بذلك العسّ، فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً،  
وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن  
يكلّمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام، فقال: لهد ما سحركم صاحبكم! فتفرّق القوم، ولم  
يكلّمهم رسول الله ﷺ، فقال الغد: يا علي! إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت  
من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم  
اجمعهم إليّ.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل  
بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم. فجئتهم بذلك العسّ،  
فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا بني عبدالمطلب!  
إنني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنني قد جئتكم  
بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنني على  
هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟



قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت، وإنِّي لأحدّثهم سنّاً، وأرخصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحشمهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

حدّثني زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدّثنا عفان بن مسلم، قال: حدّثنا أبو عوانة، عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد: أنّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين! بم ورثت ابن عمّك دون عمّك؟

فقال عليّ: هاؤم! ثلاث مرّات، حتّى اشربّ الناس، ونشروا آذانهم. ثمّ قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله - أو دعا رسول الله - بني عبدالمطلب منهم رهطه، كلّهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق، قال: فصنع لهم مُدّاً من طعام، فأكلوا حتّى شبّعوا، وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يمس. قال: ثمّ دعا بغمر فشربوا حتّى رووا، وبقي الشراب كأنّه لم يمس ولم يشربوا.

قال: ثمّ قال: يا بني عبدالمطلب! إنّي بعثت إليكم بخاصّة، وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم، فأيّكم يبإيعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟

فلم يقم إليه أحد، فقامت إليه، وكنت أصغر القوم. قال: فقال: اجلس، قال: ثمّ قال ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه، فيقول لي: اجلس، حتّى كان في الثالثة، فضرب بيده على يدي.

قال: فبذلك ورثت ابن عمّي دون عمّي<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٢ - ٦٤.

## حديث الدار عند الزرندي الحنفي والمتقي الهندي:

وقد ذكر هذا الحديث في نظم درر السمطين إذ قال المؤلف: (... وفي رواية: فأيتكم بيا يعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليي؟ قال: فلم يقم إليه أحد منهم، قال علي: فقامت إليه، وكنت أصغر القوم. فقال: اجلس، ثم قال ذلك ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي. وفي رواية لهم: من يؤاخذني ويؤازرني، يكون وليي وصاحبي، ويقضي ديني؟

فسكت القوم، وأعاد ذلك ثلاثاً، كلّ ذلك يسكت القوم، ويقول علي: أنا، فضرب يده على يدي، فقال: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك<sup>(١)</sup>.

وجاء في كنز العمال ما نصه:

(.. ثم تكلم النبي ﷺ فقال: يا بني عبدالمطلب! إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما<sup>(٢)</sup> جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرني على أمري هذا؟ فقلت، وأنا أحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي فقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلي<sup>(٣)</sup>).

(١) نظم درر السمطين: ٨٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٢: ٦٣: بأفضل ممّا...

(٣) كنز العمال ١٣: ١٢٨ - ١٣٣.

ولنا ملاحظات نقف معها للتدبر بشأن النصوص السابقة، ليترك القارىء المنصف مجالاً لفكره وعقله ابتغاء الرؤية المنصفة لرؤية الحق، والعزم على اتباعه مهما كلف ذلك من ثمن.

### ملاحظات هامة:

١ - عبارة ابن كثير: (أخي وكذا وكذا)، تدلّ على أنّ هناك كلاماً قد حُذِف، فلا يمكن أن يقول الرسول ﷺ: (كذا وكذا) وهو في حال تبليغ رسالته السماوية، ثمّ إنه قد وردت نصوص ذكرناها تبين ما هي العبارة التي قال عنها: (كذا وكذا).

٢ - عبارة مسند أحمد هي: (ويكون خليفتي)، وهذا لفظ صريح في الخلافة.

٣ - عبارة تاريخ الطبري وكنز العمال صرّحت بالخلافة والوصيّة. فلم يعد هناك أيّ غموض إلاّ لمن تعامى عن ضوء الشمس فلم يرها رغم شدّة شعاعها، فليفتح عينيه كلّ من هو منصف حقاً وليس متعصباً؛ لأنّه إن تعصّب فهو على الله ورسوله، وحسابه سيكون عسيراً، فليتّق الله، ولا يُزكّ إلاّ من زكّاه الله تعالى ورسوله ﷺ.

٤ - نص ما جاء في نظم درر السمطين: (أن يكون أخي وصاحبي ووليي)، ولفظ «وليي» هنا يفسّره حديث الغدير وغيره.

٥ - الأمر الصريح بالطاعة المطلقة: (إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا).

٦ - استدلال الأمير عليه السلام بهذا الحديث.

ويبقى الباحث في حيرة، هل أنهم لم يفهموا اللفظ (خليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا)؟!!

فمن لم يفهم فليقرأ اللغة العربية علّه يتعلّمها، أو يغسل لّبته أربعين يوماً بالذكر والاستغفار والدعاء، عندها ستتكشف الغشاوة عن بصيرته فيبصر ما لم يبصره من قبل.

ألا يخاف الراوي عندما يقول: (فلان)، وهو يعرف من هو أن يكون كاتماً للحقّ ومائلاً للهوى؟!!

ثمّ ألا يدري أنّه سيذكره غيره؟!!

كذلك عبارة (كذا وكذا)؛ هل الراوي يعرف النصّ ويكتمه؟ ألا يعرف جريمة كاتم الحقّ؟!!

بل وصل الحد بهم إلى أن بعضهم ذكره في أحد كتبه، ثمّ كتمه في آخر، وذكره آخر في طبعة وحذفه من أخرى!!

مثل: الطبري الذي يروي هذا الحديث في تاريخه وفيه عبارة: (الوصي والخليفة) لكنّه حذفها في تفسيره وأبدلها بعبارة: (يكون أخي وكذا وكذا)<sup>(١)</sup>.

وربما كان هذا من النسخ للتفسير أو كان من الطّبّاعين، والله العالم.

المهم أنّ هذا الأسلوب لا يصحّ شرعاً.

ومثل: كتاب حياة محمّد ﷺ لمحمّد حسنين هيكلي؛ إذ أورد فيه قصّة الإنذار بالتفصيل، وقال: قال ﷺ لهم: (... فأَيُّكم يؤازرنني على هذا الأمر، وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي)<sup>(٢)</sup>، ولكنّ جملة: (ويكون أخي ووصيي وخليفتي) حذفت في الطبعات التالية.

وهذا أيضاً يعدّ تصرفاً شنيعاً في النصّ، فكلّ زيادة أو نقصان في النصّ يعدّ

(١) تفسير الطبري ١٩: ١٤٩.

(٢) حياة محمّد: ١٠٤، ولكنها حذفت في الطبعات التالية.

تصرفاً، فليحكم القارىء العزيز بعقله وضميره وتفكيره بما شاء، والله من وراء ذلك كله.

### حل التساؤلات في المذهب الشيعي:

إنَّ «فاطمة» واحدة من الذين استمعوا لنداء العقل حين التفكّر في مسألة الخلافة بعد الرسول الأكرم ﷺ، ولم تجد لتساؤلاتها حلاً إلا فيما يعتقد أنه أتباع مذهب أهل البيت عليه السلام من وصاية النبي ﷺ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أمر الإمامة والخلافة من بعده.

## (٣٨) فاطمة عبد الله (مسيحية / الفلبين)

ولدت في الفلبين في أسرة مسيحية، ودرست حتى حصلت على الليسانس في مجال الطب.

بعد البحث والتحقيق في مجال الديانات السماوية اعتنقت «فاطمة» الدين الإسلامي<sup>(١)</sup>، صاحب الإيدولوجيا التي أثبتت أن العدل ليس مجرد مفهوم، بل يمكن تطبيقه على أرض الواقع، وذلك من خلال سيرة الرسول الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، مقارنة بالمدارس الأخرى التي لا يوجد فيها نظرية واضحة عن هذا الموضوع.

فالعدل: هو مناعة نفسية، تردع صاحبها عن الظلم، وتحفزه على العدل، وأداء الحقوق والواجبات. وهو سيد الفضائل، ورمز المفاخر، وقوام المجتمع المتحضّر، وسبيل السعادة والسلام.

وقد مجّده الإسلام، وعنى بتركيزه والتشجيع عليه في القرآن:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

---

(١) للمستبصرة ملف في المركز ولها تواصل معه.

الْفُحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَالْبَغْيَ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾.

ابتدأ سبحانه بهذه الأحكام الثلاثة، التي هي بالترتيب أهم ما يقوم به صلب المجتمع الإنساني؛ إذ أنّ صلاح المجتمع العام أهم ما يبتغيه الإسلام في تعاليمه المصلحة، فإنّ أهمّ الأشياء عند الإنسان في نظر الطبيعة هو نفسه الفردية، لكن سعادة الشخص مبنية على صلاح الظرف الاجتماعي الذي يعيش هو فيه، وما أصعب أن يفلح فرد في مجتمع فاسد أحاط به الشقاء من كل جانب. ولذلك اهتمّ الإسلام باصلاح المجتمع اهتماماً لا يعادله فيه غيره، وبذل الجهد البالغ في جعل الأحكام والتعاليم الدينية، حتى العبادات، من الصلاة والحج والصوم، اجتماعية ما أمكن فيها ذلك؛ كلّ ذلك ليستصلح الإنسان في نفسه ومن جهة ظرف حياته.

٢ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٢).

ذكرُ ذي القربى، وهو الذي تدعو عاطفة القرابة والرحم إلى حفظ جانبه وصيانتته من وقوع الشر والضرر في نفسه وماله، يدلّ على أنّ المراد بالقول هو القول الذي يمكن أن يترتب عليه انتفاع غير ذي القربى أو تضرّره، كما أنّ ذكر العدل في القول يؤيّد ذلك، ويدلّ على أنّ هناك ظلماً، وأنّ القول متعلّق ببعض الحقوق، كالشهادة والقضاء والفتوى، ونحو ذلك...

فالمعنى: وراقبوا أقوالكم التي فيها نفع أو ضرر للناس واعدلوا فيها، ولا تحملنكم رحمة أو رأفة أو أي عاطفة على أن تراعوا جانب أحد فتحرّفوا الكلام وتجاوزوا الحق، فتشهدوا أو تقضوا بما فيه رعاية لجانب من تحبّوه، وإبطال حقّ من تكرهوه.

(١) النحل (١٦): ٩٠.

(٢) الأنعام (٦): ١٥٢.

٣- قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (١).

فإنه أمر الناس بتأدية الأمانات إلى أهلها، وبالعدل في الحكم، وردّ الأمانة المالية إلى صاحبها، وعدل القاضي وهو الحكم في مورد القضاء الشرعي، وذلك أنّ التشريع المطلق لا يتقيّد بما تتقيّد به موضوعات الأحكام الفرعية في الفقه، بل القرآن مثلاً يبيّن وجوب ردّ الأمانة على الإطلاق، ووجوب العدل في الحكم على الإطلاق، فما كان من ذلك راجعاً إلى الفقه من الأمانة المالية والقضاء في المرافعات فمرجعه فيه الفقه، وما كان غير ذلك استفيد منه في أصول المعارف وهكذا.

### «العدل» في السُّنة:

أكدت الأحاديث الشريفة عن النبيّ الأعظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على موضوع العدل في مجموعة من الروايات:

١- صحيحة معاوية بن وهب: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة؟» (٢) أنفق ولا تخف فقراً، وأفش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقاً، وأنصف الناس من نفسك» (٣).

الآبيات جمع: البيت، وهو المسكن، ك: «البيوت»، والضمان: الالتزام؛ يقال: ضمنت المال، وبه ضماناً، فأنا ضامن وضمن: التزمته، ويتعدّى بالتضعيف؛ يقال: ضمّنته المال تضميناً، أي: ألزمته إياه..

والمعنى: من يلتزم لي أربعة من الأعمال التزمت له أربعة بيوت في الجنة،

(١) النساء (٤): ٥٨.

(٢) في المحاسن (١: ٨): «من يضمن لي أربعة أضمن له بأربعة أبيات في الجنة».

(٣) الكافي ٢: ١٤٤.



ثم أشار إلى الأعمال الأربعة على سبيل الاستئناف.

قوله: (وأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ) وهو التزام العدل في المخالطة والمعاملة حتى يحكم بنفسه على نفسه، وهو من أَخَصَّ الصفات العُدلية والفضائل البشرية، وبه يتم نظام العالم ويرتفع الجور في بني آدم.

٢ - صحیحة أبي أسامة: قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما ابتلي المؤمن بشيء أشدَّ عليه من خصال ثلاث يُحرَّمها، قيل: وما هنَّ؟ قال: المؤاساة في ذات يده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إنِّي لا أقول: سبحان الله والحمد لله، [ولا إله إلا الله]، ولكن: ذَكَرَ اللهُ عند ما أحلَّ له، وذَكَرَ اللهُ عند ما حرَّم عليه»<sup>(١)</sup>.

قوله: (ما ابتلي المؤمن بشيء أشدَّ عليه من خصال ثلاث يحرمها): أي: يمتنع منها، ويتركها ولا يتَّصف بشيء منها، تقول: حرَّمته حراماً من باب: شرف وعلم، إذا امتنعت من فعله، وفيه ترغيب للمؤمن في الاتِّصاف بها.

قوله: (ولكن ذكر الله عند ما أحلَّ له، وذكر الله عند ما حرَّم عليه): حتَّى على ذكره تعالى في جميع الأحوال؛ لأنَّ القلب يميل مرَّة إلى الحقِّ ومرَّة إلى الباطل، تارة إلى الخير وتارة إلى الشرِّ، والجوارح تابعة له في جميع ذلك، فلا بُدَّ للمؤمن من أن يكون ذاكرةً لله تعالى في جميع حركاته وسكناته، وتقلَّب قلبه ونظراته، وناظراً إلى جميع أعماله القلبية والبدنية؛ فإن كان خيراً أمسكه بحبل التذكُّر والإيقان، ومال إليه بنور القوَّة والإيمان، وإن كان شراً يدعه من خوف العقوبة والخذلان، كما روي: «إذا عرض لك أمر فتدبَّر عاقبته؛ فإن كان خيراً فامضه، وإن كان شراً فانتِه»<sup>(٢)</sup>.

٣ - صحیحة معاوية بن وهب: عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «العدل أحلى من

(١) الكافي ٢: ١٤٦.

(٢) الكافي ٨: ١٥٠.

الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك»<sup>(١)</sup>.

رغب في العدل التابع للاعتدال في القوى الإنسانية بتشبيهه أولاً بالشهد، وهو: العسل، في الحلاوة وميل الطبع، وثانياً بالزبد في اللين، والزبد ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم، وثالثاً بالمسك في الريح المرغوب فيه، وهذه المعاني وإن كانت في المشبه عقلية خفية عند الجاهلين، لكنها كحسية جلية عند العارفين.

٤ - صحيحة محمد بن قيس: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنَّ لله جنة لا يدخلها إلا ثلاثة، أحدهم من حكم في نفسه بالحق»<sup>(٢)</sup>.

٥ - صحيحة الحلبي: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل»<sup>(٣)</sup>.

### أنواع العدل:

وقد جعل الإسلام للعدل صور مشرقة تشعّ بالجمال والجلال، وإليك أهمّها:

١ - عدل الإنسان مع الله - عزّ وجلّ -:

وهو أزهى صور العدل، وأسمى مفاهيمه، وعنوان مصاديقه، وكيف يستطيع الإنسان أن يؤدّي واجب العدل للمنعم الأعظم، الذي لا تُحصى نعمائه، ولا تُعدّ آلاؤه؟!!

وإذا كان عدل المكافأة يُقدّر بمعيار النعم، وشرف المنعم، فمن المستحيل تحقيق العدل نحو واجب الوجود، والغني المطلق عن سائر الخلق، إلا بما يستطيعه قصور الإنسان، وتوفيق المولى - عزّ وجلّ - له. وجماع العدل مع الله تعالى

(١) الكافي ٢: ١٤٧.

(٢) الكافي ٢: ١٤٨.

(٣) الكافي ٢: ١٤٨.

يتلخص في: الإيمان به، وتوحيده، والإخلاص له، وتصديق سفرائه وحججه على العباد، والاستجابة لمقتضيات ذلك من التوكل بحبه والتشرف بعبادته، والدأب على طاعته، ومجافاة عصيانه.

## ٢ - عدل الإنسان مع المجتمع:

وذلك برعاية حقوق أفراد، وكف الأذى والإساءة عنهم، وسياستهم بكرم الأخلاق، وحسن المداراة، وحب الخير لهم، والعطف على بؤسائهم ومعوزيهم، ونحو ذلك من محققات العدل الاجتماعي.

وقد رسم أمير المؤمنين عليه السلام منهاج العدل الاجتماعي بإيجاز وبلاغة؛ فقال لابنه: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ؛ فَأَحِبَّ لغيرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمَ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنُ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ»<sup>(١)</sup>.

هذه قاعدة تربوية يجب أن يضعها كل إنسان في لوحة مكتوبة بماء الذهب ويبقى يديم النظر إليها ويكررها في كل يوم حتى يتعمق مدلولها في داخله، وينطلق منها في سلوكه وعمله.

إن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان يشوبها كثير من الاضطراب، وتتعرض في أكثر الأحيان إلى هزات عنيفة قد تأتي على صلات القربى فتفصلها، وعلى روابط المحبة فتفكك عراها، وهكذا يتحوّل الأحاب إلى أعداء والأقرباء إلى بُعداء، ويُفسد جبل الودّ والوئام.

إن كثيراً من المشاكل والأحداث تكون نتيجة لعدم إنصاف الناس،

(١) نهج البلاغة ٣: ٤٦، الوصية: ٣١.

وتجاوزهم عمّا رُسم لهم؛ إذ يطلبون من غيرهم ما لا يؤدّونه إليهم. إنّ عدم الإنصاف في القول وفي العلم يثير الغبار بين الإخوة فيحجب الرؤى الصحيحة السليمة التي يجب أن يكون عليها كلّ إنسان اتّجاه الآخرين.

إنّك تطلب من الناس أن يحترموك ويقدّروك، ويقدموا لك فروض الولاء والطاعة، ولكّلك لا تكلف نفسك أن تعاملهم بالمثل، إنّك تصرخ في وجوههم لأدنى بادرة سيّئة منهم أو خطأ، ولكن تفرض عليهم أن يتقبّلوا منك كلّ خطأ، بل كلّ معصية، إنّك لا تتبرّع بقضاء حوائجهم بل لا تحاول قضاءها إذا طلبوها منك، غير أنّك تفرض عليهم أن يتبرّعوا بقضاء حوائجك دون طلب منك أو استدعاء.

إذا طلب أحد منك عارية أو ديناً، منعت وبخلت، ولكن لو أنت طلبت ذلك وجب عليهم أن يلبّوا طلبك بسرعة ودون إبطاء.

وهكذا دواليك.. إنّك كما يقال: ترى القشّة في عين غيرك، وتنسى الجذع في عينك.

ومن هذا المنطلق السيّء من كونك تطلب من الناس أكثر مما تؤدّي إليهم، وتريد أن تأخذ منهم أكثر ممّا تعطيهم، تنشأ المشاكل وتمتلئ القلوب بالأحقاد.

إنّك لم تنصفهم من نفسك، ولم تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، ولم ترض لهم بما ترضى لها، فاعرض الأمر على نفسك قبل أن تعرضه على الآخرين، فإن قبّلته فاعرضه على الآخرين، وإلا فرفض عرضه عليهم كما رفضته لنفسك... اكره لهم ما تكرهه لنفسك، وأحسن إليهم كما تحبّ أن يُحسنوا إليك.

وهكذا سائر الأفراد تدرج تحت قاعدة واحدة أصلية، وهي: أن يجعل نفسه ميزاناً يوزن به الأمور كلّها. فكلّ ما ترتضيه نفسه وتقبله يجوز له أن يعرضه على الآخرين ويقبله لهم؛ فإذا أحبّ الظلم لنفسه - وهو لا يحبّه قطعاً - فليظلم

غيره، وإذا كان يستقيح من نفسه أمراً فليستقيحه من الآخرين، وإذا كان يرتضيه لنفسه فليرتضيه للآخرين.

إنها قاعدة توفّر على الناس كثيراً من المشقّات والأتعاب، وتجعلهم يعيشون الدعة والهدوء والحبّ والإخلاص.

### ٣ - عدل الحكّام:

وحيث كان الحكّام ساسة الرعية، وولاة أمر الأمّة، فهم أجدر الناس بالعدل، وأولاهم بالتحلّي به، وكان عدلهم أسمى مفاهيم العدل، وأروعها مجالاً وبهاءً، وأبلغها أثراً في حياة الناس. بعدلهم يستتب الأمن، ويسود السلام، ويشيع الرخاء، وتوسع الرعية. ويجورهم تنتكس تلك الفضائل والأمانى إلى نقائصها، وتغدو الأمّة آنذاك في قلق وحيرة وضنك وشقاء.

### محاسن العدل:

فطرت النفوس السليمة على حب العدل وتعشقه، وبغض الظلم واستنكاره، وقد أجمع البشر عبر تاريخ البشرية، واختلاف الشرائع والمبادئ، على تمجيد العدل وتقديسه، والتعني بفضائله ومآثره، والتفاني في سبيله؛ فهو سرّ حياة الأمم، ورمز فضائلها، وقوام مجدها وسعادتها، وضمان أمنها ورخائها، وأجلّ أهدافها وأمانيتها في الحياة.

وما دالت الدول الكبرى، وتلاشت الحضارات العتيقة، إلا بضياح العدل والاستهانة بمبدئه الأصيل.

وقد كان أهل البيت عليهم السلام المثل الأعلى للعدل، وكانت أقوالهم وأفعالهم دروساً خالدة تنير للإنسانية مناهج العدل والحقّ والرشاد.

## نماذج من عدل النبي ﷺ:

١ - قال سودة بن قيس للنبي ﷺ في أيام مرضه: يا رسول الله! إنك لَمَّا أقبلت من الطائف استقبلتُك وأنت على ناقتك العضباء، وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة، فأصاب بطني.

فأمره النبي أن يقتص منه، فقال: اكشف لي عن بطنك يا رسول الله. فكشف عن بطنه، فقال سودة: أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك. فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من رسول الله من النار يوم النار.

فقال ﷺ: يا سودة بن قيس أتعفو أم تقتص؟

فقال: بل أعفو يا رسول الله.

فقال: اللهم أعف عن سودة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد<sup>(١)</sup>.

٢ - عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه. فاشتد عليه، حتى قال له: أخرج عليك إلا قضيتني.

فانتهره أصحابه، وقالوا: ويحك! تدري من تكلم؟

قال: إنني أطلب حقي.

فقال النبي ﷺ: «هَلَّا مع صاحب الحق كنتم؟».

ثم أرسل إلى خولة بنت قيس، فقال لها: «إن كان عندك تمر فاقضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك».

فقالت: نعم. بأبي أنت يا رسول الله.

قال: فأقرضته. فقضى الأعرابي وأطعمه، فقال: أوفيت، أوفى الله لك؟ فقال:

«أولئك خيار الناس، إنّه لا قدّست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقّه غير متعنع»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأماشي للشيخ الصدوق: ٧٣٣.

(٢) سنن ابن ماجة ٢: ٨١٠.

وهكذا كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ ففي صحيحة محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لَمَّا وُلِّيَ عليّ عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني والله لا أرزؤكم من فيئكم درهماً ما قام لي عذق بيثرب، فليصدقكم أنفسكم؛ أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم؟ قال: فقام إليه عقيل فقال له: والله لتجعلني وأسود بالمدينة سواءً، فقال: اجلس، أما كان هاهنا أحد يتكلّم غيرك، وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى<sup>(١)</sup>!

وعن حميد بن هلال: إنّ عقيل بن أبي طالب سأل عليّاً، فقال: يا أمير المؤمنين! إني محتاج، وإني فقير، فأعطني.

قال: اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين، فأعطيكم معهم.  
فألحّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده، فانطلق به إلى حوانيت أهل السوق، فقل: دقّ هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت.

قال: يريد عليّ أن يتّخذني سارقاً؟!

فخرج إليه، فقال: يا أمير المؤمنين! أردت أن تتّخذني سارقاً؟

قال: أنت والله أردت أن تتّخذني سارقاً؛ أن آخذ أموال الناس فأعطيها دونهم<sup>(٢)</sup>.

ومن كلام له عليه السلام لَمَّا عوتب على التسوية في العطاء: «أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ - فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟! وَاللَّهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، وَلَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ؟! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَضَعْ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ

(١) الكافي ٨: ١٨٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٢١ - ٢٢، تاريخ الإسلام ٤: ٨٥.

شَكَرَهُمْ، وَكَانَ لِعَبْرِهِ وَدُهُمُ؛ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ وَالْأَمُّ  
خَلِيلٍ»<sup>(١)</sup>.

ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة: قال عبد الله بن العباس:  
دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف<sup>(٢)</sup> نعله، فقال لي: ما قيمة هذا  
النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام: «والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أُقيم حقاً  
أو أدفع باطلاً»<sup>(٣)</sup>.

مفهوم «العدل» والاستبصار:

بعد أن اتضحت لـ «فاطمة» حقيقة الدين الإسلامي، المدرسة التي تمثل  
أعلى درجات العدل في جميع المدارس الفكرية، قامت باعتناقه، واختارت  
مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولا غرو فإن علياً عليه السلام يمثل صوت العدالة الإنسانية<sup>(٤)</sup>.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٧، الخطبة: ١٢٦.

(٢) خصف النعل، يخصفها، خصفاً، ظاهر بعضها على بعض، وخرزها، وكل ما طورق  
بعضه على بعض فقد خصف. تاج العروس ١٢: ١٧١.

(٣) نهج البلاغة ١: ٨٠، الخطبة: ٣٣.

(٤) المستبصرة على تواصل مع المركز، وتم إرسال عدد من الكتب العقائدية إليها.



(٣٩) فيكتور جالان (حسين)

(مسيحي / الفلبين)

ولد في الفلبين، حاصل على شهادة الليسانس في فرع الميكانيك، نشأ في عائلة تتبع الدين المسيحي، فحاول أن يعمق علاقته بدينه عن طريق دراسته والبحث فيه إلا أنه توصل إلى أن الدين المسيحي السائد ليس هو الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام، وإنما هو دين تلاعبت به أيدي التحريف والتغيير، فاستغرب من النتائج التي توصل لها، ثم انطلق من حب الاستطلاع وتوجه إلى دراسة الدين الإسلامي.

ومن الواضح أن من يراجع دائرة المعارف ويقرأ التسلسل التاريخي للديانة المسيحية يجد بين فترة وأخرى أن القساوسة والأخبار فسّروا الدين المسيحي بما يتلاءم مع أهوائهم ومصالحهم، فالديانة المسيحية التي كانت تجذب الناس إلى نفسها بقوة أدلتها ومتانة براهينها انقلبت بعد القرن الثالث إلى طقوس وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، وأصبحت لا تتلائم مع الفطرة، بحيث اضطرت رجالها إلى حفظ وجودهم عن طريق أعمال القوّة والسلطة، حتى آل الأمر بالناس إلى رفضها بتاتا، وعزلها عن الحياة.

## التوحيد في الإسلام:

من أهمّ الإشكالات الواردة على المسيحية، والتي تقرّب الباحثين للإسلام خرافة التثليث: الأب والابن وروح القدس، وقد نسفت هذه النظرية من قبل العديد من العلماء بالبراهين العقلية؛ إذ أثبتوا التوحيد لله سبحانه وتعالى، فلم يُرد الإسلام أن يؤمن المسلم بالله فحسب، وإنما جوهر هذا الإيمان وحدانية الله وتنزيهه عن الشريك؛ فإنّ لا إله إلا الله نفي لكلّ إله في الكون ما عدا الله.

وقد قامت البراهين العقلية والنقلية على الإيمان بالله الواحد الأحد، نذكر

منها:

الأوّل: إنّهما لو كانا اثنين وأراد أحدهما تحريك جسم مثلاً، وأراد الآخر أن يسكن؛ فإن وقع المرادان اجتمع النقيضان، وإن لم يقع شيء منهما ارتفع النقيضان، وإن وقع أحدهما دون الآخر لزم الترجيح من غير مرجح، والكلّ محال.

الثاني: إنّنا نرى وحدة النظام الكوني والتوافق التام بين جميع أجزائه، من صغيرها إلى كبيرها، من قمرها وشمسها وبحارها وأنهارها إلى كلّ ذرّة في الكون. وهذا النظام والتنسيق والترتيب لم يحصل ولن يحصل لو كان هناك إلهان، بل يؤدّي وجودهما إلى فساد السماوات والأرض؛ إذ كلّ واحد يستقلّ برأيه وينفرد بصنعه، وهذا يؤدّي إلى الفساد والضلال.

فمن وحدة النظام وتناسقه نستدلّ على وحدة الصانع، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>

فهذا تقرير حجّة الآية وهي حجّة برهانية مؤلّفة من مقدّمات يقينية تدلّ

(١) الأنبياء (٢١): ٢٢.

على أنّ التدبير العام الجاري بما يشتمل عليه ويتألف منه من التدابير الخاصة صادر عن مبدءٍ واحدٍ غير مختلف.

وهو تنزيهه تعالى عن وصفهم: أنّ معه آلهة، هم ينشرون، أو أنّ هناك آلهة من دونه يملكون التدبير في ملكه؛ فالعرش كناية عن: المُلْك، وقوله: «عمّا يصفون»: «ما» فيه مصدرية؛ والمعنى: عن وصفهم<sup>(١)</sup>.

وفي صحيحة هشام بن الحكم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أنّ الله واحد؟

قال: اتّصال التدبير، وتمام الصنع، كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٢)</sup>.

الثالث: إجماع الأنبياء؛ فإنّه لم يأت نبيّ من الأنبياء يدّعي أنّه من عند غير الله الواحد الأحد، وهذا ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (وَأَعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَيْتَكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يُزُولُ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تُثْبِتَ رُبُوبِيَّتَهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ)<sup>(٣)</sup>.

وأشار الإمام هنا إلى مجموعة أدلّة:

- ١- إنّ جميع الأنبياء والمرسلين دعوا إلى الله واحد لا ضدّ له ولا ندّ.
- ٢- إنّ الآثار كلّها تدلّ على أنّ المؤثّر واحد، وهي أو منها هذه القوانين الطبيعية الدقيقة التي تحكم أجزاء الطبيعة وظواهرها، وتجمعها في مجموعة واحدة

(١) تفسير الميزان ١٤: ٢٦٨.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ٢٥٠.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٤٤، الوصية: ٣١.

شاملة تدلّ على وحدة التدبير والمدبّر الواحد.

٣- إنّه تعالى وصف نفسه في العديد من الآيات، ثم في سورة خاصّة وهي سورة الإخلاص، بأنّه واحدٌ أحدٌ لا شريك له، ولا ندّ، ولا شبيهه.

وذكر الملا صدرا في شرح «أصول الكافي» لهذه السورة عشرين اسماً، وقال: إنّ لها خاصّة وامتيازاً على سائر آيات التوحيد، ومما قاله في تفسيرها: إنّ كلمة «الله» تدلّ بذاتها على الأحدية بلا حاجة إلى آية قرينة، وإنّما جيء بكلمة «الأحد» لمجرّد التوضيح بأنّ الله واحد من كلّ وجه، وأنّه منزّه عن الحدوث والمادّة والكيفيات والافتقار إلى الغير، وأنّه قادر وعالم، وأبديّ أزليّ، والمبدىء الأوّل لكلّ موجود، وبكلمة: إنّ الأحدية منبع الكمال التام من شتى الوجوه<sup>(١)</sup>..

الرابع: لو كان لله شريك لزم التركيب في ذات الله، وانتفى وجوب وجوده، بل أضحى ممكناً، وهذا غير الله الذي نعتقد بوجود وجوده؛ وذلك أنّهما يشتركان في كونهما واجبي الوجود كما يشترك الإنسان مع غيره في الحيوانية، فلا بدّ من مائزٍ يميّز بين المشتركين، كما يميّز الصاهل الفرس عن الإنسان، وإلّا لما حصلت الاثنية.

ومتى ثبت المائز حصل التركيب؛ لاشتراكهما في جنس وافتراقهما في فصل، والمركب من الجنس والفصل ممكن، فيكون الواجب ممكناً، وهذا خلف. وأما القرآن الكريم فهو مشحون بالأدلة الدالّة على وحدانية الله وأنّه لا شريك له:

١- قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) نقلاً عن: في ظلال نهج البلاغة لمحمّد جواد مغنّية ٣: ٤٩٩.

(٢) التوحيد: ١١٢.

٢ - قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

٣ - قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

٤ - قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فالله سبحانه واحد في ذاته، واحد في صفاته، لا يشبهه شيء من خلقه، وقد نطق القرآن بكفر من اتخذ التثليث عقيدة له؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله عز وجل: ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي أحد الثلاثة: الأب والابن والروح، فهو ينطبق على كل واحد من الثلاثة، وهذا لازم قولهم: إن الأب إله، والابن إله، والروح إله، وهو ثلاثة، وهو واحد.

يضاهون بذلك نظير قولنا: إن زيد بن عمرو إنسان؛ فهناك أمور ثلاثة، هي: زيد، وابن عمرو، والإنسان، وهناك أمر واحد، وهو: المنعوت بهذه النعوت، وقد غفلوا عن أن هذه الكثرة إن كانت حقيقية غير اعتبارية أوجبت الكثرة في المنعوت حقيقة، وأن المنعوت إن كان واحداً حقيقةً أوجب ذلك أن تكون الكثرة اعتبارية غير حقيقية؛ فالجمع بين هذه الكثرة العددية والوحدة العددية في زيد المنعوت بحسب الحقيقة مما يستنكف العقل عن تعقله.

(١) الكهف (١٨): ١١٠.

(٢) الإسراء (١٧): ٢٣.

(٣) الإسراء (١٧): ٣٩.

(٤) المائدة (٥): ٧٣.

ولذا ربّما ذكر بعض الدعاة من النصارى أنّ مسألة التثليث من المسائل  
المأثورة من مذاهب الأسلاف التي لا تقبل الحلّ بحسب الموازين العلمية، ولم  
يتنبّه أنّ عليه أن يطالب بالدليل على كلّ ادّعاء يقرع سمعه، سواء كان من دعاوى  
الأسلاف أو من دعاوى الأَخلاف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ردّ منه تعالى لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ﴾ بأنّ الله  
سبحانه لا يقبل بذاته المتعالية الكثرة بوجه من الوجوه، فهو تعالى في ذاته واحد،  
وإذا اتّصف بصفاته الكريمة وأسمائه الحسنى لم يزد ذلك على ذاته الواحدة شيئاً،  
ولا الصفة إذا أُضيفت إلى الصفة أورت ذلك كثرة وتعدّداً، فهو تعالى أحديّ الذات  
لا ينقسم، لا في خارج ولا في وهم ولا في عقل.

فليس الله سبحانه بحيث يتجزّء في ذاته إلى شيء وشيء قط، ولا أنّ ذاته  
بحيث يجوز أن يضاف إليه شيء فيصير اثنين أو أكثر. كيف، وهو تعالى مع هذا  
الشيء الذي تراد إضافته إليه تعالى في وهم أو فرض أو خارج؟!

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ من التأكيد في إثبات التوحيد  
ما ليس في غيره؛ إذ سبق الكلام بنحو النفي والاستثناء، ثم أدخل «من» على النفي  
لإفادة تأكيد الاستغراق، ثم جيء بالمستثنى وهو قوله: «إله واحد» بالتنكير المفيد  
للتنوين، ولو أُورد معرفة كقولنا «الإله الواحد» لم يفد ما يرام من حقيقة  
التوحيد.

فالمعنى: ليس في الوجود شيء من جنس الإله أصلاً إلا إله واحد، نوعاً من  
الوحدة لا يقبل التعدد أصلاً، لا تعدّد الذات ولا تعدّد الصفات، لا خارجاً ولا  
فرضاً ولو قيل: وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ لَواحد، لم يدفع به قول النصارى ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ﴾؛  
فإنهم لا ينكرون الوحدة فيه تعالى، وإنّما يقولون: إنّ ذات واحدة لها تعين

بصفتها الثلاث. وهي واحدة في عين أنها كثيرة حقيقة<sup>(١)</sup>.

ومن هذا البيان العقلي والقرآني يتوجّه الحديث إلى النصارى الذين يقولون بالأقانيم الثلاثة: (الأب والابن وروح القدس)، ويقولون: إنّ الثلاثة يصبحون واحداً والواحد ثلاثة.

إنّ المسخ للعقول والقلوب، والضرب عليها بالعمى والضلال؛ كيف يصبح الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة؟! وما دور كلّ واحد منهم في تدبير العالم؟! إنّها سخافات وثنية دخلت النصرانية.

وأين هذه الضلالة من الفطرة الإنسانية التي تصرخ بوحدانية الله الذاتية والصفية؟! وما هذا التهافت البين بين الثلاثة والواحد؟! وكيف تقبلها عقول العقلاء منهم؟! بل كيف يسكتون على هذا الإسفاف والهبوط إلى الحضيض في الرؤى والفكر؟!!

حاشاك يا ربّ أن يكون لك شريك، وأنت القوي المطلق. ثم إنّ لو كان لله شريك لكان له صفات خاصّة يمتاز بها عن غيره، ثم رأيت آثار ملكه وسلطانه، ولكن بما أنّ كلّ تلك الأفعال والصفات والآثار لم تظهر فإننا نستدلّ من عدمها على عدم وجوده، ومن فقدانها فقدانه.

اعتناقه للإسلام<sup>(٢)</sup>:

لم تمض فترة حتى وجد «فيكتور» ضالته المنشودة في الإسلام، فانجذب إليه، ثم انضوى تحت رايته وأعلن إسلامه واعتناقه لمذهب أهل بيت رسوله ﷺ، وغير اسمه إلى: حسين.

(١) تفسير الميزان ٦: ٧٠.

(٢) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٧.



(٤٠) كاباي (حسين)  
(مسيحي / الفلبين)

ولد في الفلبين، وبعد إكمال دراسته الأكاديمية العامة تخصص في هندسة الطائرات، نشأ في كنف عائلة مسيحية حتى من الله عليه بالهداية فأنقذه سبحانه من الضياع، ووفقه لاعتناق الدين الإسلامي.

حاول أن لا يفقد معتقده السابق بسهولة فراجع الديانة المسيحية، إلا أنه وجد بذور شكّه بالكنيسة وطقوسها المبهمة تزداد يوماً بعد يوم، ووجد أن ذهنه يحمل أسئلة حائرة تحتاج إلى جواب مقنع، فبحث في الديانة المسيحية لعله يجد أجوبة لهذه الأسئلة، إلا أن أمله قد خاب، ووصل في نهاية مطافه إلى أن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على منحه ما يبتغيه.

#### النبوة:

من المواضيع التي يبحث عنها غالب الباحثين وابتغون الوصول فيها إلى الإجابة المقنعة: موضوع النبوة؛ إذ دسّت فيه بعض الديانات المنحرفة العديد من الخرافات والانتهاكات لمقام الأنبياء ﷺ، ما جعل الأمم تبتعد عن هذا الموضوع أكثر فأكثر، إذ لم تبيّن مفاهيمه بشكل واضح ومع رعاية شتى الجوانب، أو لم تسلم من التحريف.



إلا أن النظرية الإسلامية في هذا الموضوع كانت هي الأرقى؛ فأوضحت سبب بعث الرسل وبيّنت واجباتهم ليتضح من خلال ذلك مدى احتياج الناس إليهم وأنهم يشكّلون الضرورة لحياة الإنسان.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه النظرية بقوله: (وَأُضْطَفِي<sup>(١)</sup> سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ<sup>(٢)</sup>، وَعَلَى تَنْبِيغِ<sup>(٣)</sup> الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ<sup>(٤)</sup> أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ<sup>(٥)</sup> مَعَهُ، وَأَجْتَالَتْهُمْ<sup>(٦)</sup> الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَأَقْتَطَعَتْهُمْ<sup>(٧)</sup> عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ<sup>(٨)</sup> إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ<sup>(٩)</sup> مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّنْبِيغِ، وَيُشِيرُوا<sup>(١٠)</sup> لَهُمْ دَفَائِنَ<sup>(١١)</sup> الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ<sup>(١٢)</sup> تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ<sup>(١٣)</sup> تُحْسِبُهُمْ، وَأَجَالَ تَفْنِينَهُمْ، وَأَوْصَابٍ<sup>(١٤)</sup> تُهْرِمُهُمْ،

- 
- (١) الصفايا واحداً صفي، وهو ما يصطفيه لنفسه، أي: يختار لنفسه من الغنيمة أيضاً قبل القسم. غريب الحديث لابن سلام ٣: ٨٨.
- (٢) الميثاق: العهد، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: الموائيق، على الأصل، والميثاق والميثاق أيضاً. الصحاح ٤: ١٥٦٣.
- (٣) الإبلاغ والتبليغ، الإيصال، والاسم منه: البلاغ. مختار الصحاح: ٤٠.
- (٤) التبديل: التغيير. كتاب العين ٨: ٤٥.
- (٥) الند بالكسر: المثل والنظير، وكذلك النديد والندية. الصحاح ٢: ٥٤٣.
- (٦) اجتال الشيء: إذا ذهب به وساقه. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٠٦.
- (٧) اقتطع طائفة من الشيء: أخذها. لسان العرب ٨: ٢٨٠.
- (٨) واتر بين أخباره، وواتره مواترة وواتاراً: تابع. القاموس المحيط ٢: ١٥٢.
- (٩) الأداء: إيصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه. الفروق اللغوية: ٣٠.
- (١٠) تَوَّر فلان عليهم الشر، أي هيجه وأظهره. الصحاح ٢: ٦٠٦.
- (١١) الدفائن: الكنوز، واحدها: دفينة. لسان العرب ١٣: ١٥٦.
- (١٢) المهاد: اسم أجمع من المهدي، كالأرض جعلها الله مهاداً للعباد، وجمع المهاد: مهدي، وثلاثة أمهدة. كتاب العين ٤: ٣٢.
- (١٣) المعيشة: التي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب. كتاب العين ٢: ١٨٩.
- (١٤) الوصب: المرض. كتاب العين ٧: ١٦٨.

وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَزِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قَلَّةٌ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ (١) عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ (٢).

بعد أن هبط آدم إلى الأرض وتكاثرت ذريته دب الفساد والانحراف فيهم، فاحتاج الأمر في إصلاحهم إلى الأنبياء، فمن هنا اختار الله سبحانه من خلقه أصفى بريته؛ لكمالهم وطهارتهم وعفة أنفسهم.

فقد اطلع سبحانه - وهو العالم بهم - على ذرية آدم فوجد بعض النفوس في قمة الكمال، فاخترهم أنبياء إلى خلقه، أخذ عليهم العهد أن يؤدوا الوحي المنزل عليهم إلى الناس بكماله وتمامه في الأصول والفروع، كما أخذ أمانتهم على أن ينشروا الرسالة بين الناس، ويبلغوها كما هي.

وقد بين ﷺ سبب إرسال الرسل وعلّة بعث الأنبياء في موارد منها:

#### ١ - تغيير الناس عهدهم الذي قطعوه على أنفسهم:

وهو ما فطر الله الناس عليه، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٣). أو أنّ المراد: عهده المأخوذ عليهم بتوسط رسله في الظاهر: كما في آية: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ \* (٥)، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ

(١) الغابر: الباقي. كتاب العين ٤: ٤١٤.

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٤، الخطبة ١.

(٣) الأعراف (٧): ١٧٢.

(٤) يس (٣٦): ٦٠.

(٥) الصافات (٣٧): ٧١ - ٧٢.

بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١﴾.

فحقّ الله أن يؤمنوا به ولا يشركوا به شيئاً، ولكنّ الشياطين أضلّتهم وحرقتهم عن ذلك، فجهلوا حقّه بعد المعرفة.. وكفروا به بعد أن أقرّوا واعترفوا، وجعلوا له أشباهاً ونظراء، تصوّروه كما شاءوا وكما تخيلوا، وصرفتهم الشياطين عن معرفته الحقيقية، ومالت بهم عن الإيمان الصحيح وصرفتهم عن عبادته إلى عبادة غيره، من أصنام وأوثان وميول وأهواء، وقد تفتنّ هذا الإنسان في الانحراف حتى بلغ به الإسفاف إلى عبادة البقر، بل إلى أخطّ من ذلك وأحقر.

## ٢- انتشار الفساد وضلال الناس:

فأرسل الله لهم رسله، وجعلهم واحداً إثر واحد، تتصل دعوتهم وتقوم حجّتهم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢). ومهمّة الرسل ودعوتهم ليجعلوا الناس يؤدّون عهد الفطرة الذي أعطوه لربّهم، من الإيمان به، والتوجّه إليه، ويذكروهم ما نسوا من نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى، فإنّ الإنسان ينسى، بل يبطر ويكفر بالنعمة، فيأتي الرسل ليعيدوا هذا الإنسان إلى رشده، ويذكروه ما نسي من نعمة الله.

وكذلك من أسباب بعث الرسل أن تصل الحجّة إلى الناس، ويعرف كلّ واحد تكليفه الواجب عليه القيام به، فلا يكون له عذر يوم القيامة إن قصّر في الأداء ورفض الأمر وتمرد على الحكم.

## ٣- إثارة ما أودعه الله في عقول بني آدم:

فإنّ الأنبياء كانوا يحركون عقول الناس ويطلقونها من عقالها، كانوا يقولون

(١) غافر (٤٠): ٥.

(٢) المؤمنون (٢٣) ٤٤.

للناس: فكروا في خلق السماوات والأرض، وفكروا في أنفسكم، فكروا في مخلوقات الله وفي تركيبها ودقة صنعها، فكروا بعقولكم وليس بعقول غيركم وعاداتهم وتقاليدهم. فإنه يدرك أنه لا بد لكل معلول من علة، ولكل حادث من محدث، ولكل مسبب من سبب، وهذا قانون يدركه العقل بالبداهة والفطرة، أودع الله فيه ذلك ليستدل من خلاله على وجود سبب أول للعالم، هو الخالق له، والموجد لكل ما فيه، ولذا لم يأت نبي يقول للناس: عطّلوا عقولكم ثم اتبعوني، بل قال لهم: ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وكذلك كانت بعثة الأنبياء من أجل أن يبصر الناس علامات القدرة الإلهية التي تتجسد في خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما؛ فإنّ الإنسان يرى كلّ هذه الآيات وهي أمام نظره ولكنّه يغفل عن التفكير فيها، وعن عظيم دقة صنعها، ثمّ ذكر ستّ آيات من آيات عظمة قدرته، وهي:

أ - السماء التي نراها وهي فوقنا بما فيها من كواكب وسيّارات ونجوم، إنّها مرفوعة فوقنا لا يمسخها إلا الله، بحسب ما وضع لها من قوانين ونظم، وقد أقسم الله بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعِ﴾ (٢).

ب - إنّ جعل الأرض مهاداً؛ لأنّها صالحة لاستقرار الإنسان عليها، فهي مبسوطة بشكل تقبل أن يعيش الإنسان عليها ويستمرّ في حياته فيها، وقد منّ الله على الإنسان بهذه النعمة في قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ (٣).

ت - إنّ رزق العباد وما به قوامهم واستمراريتهم بما خلق الله لهم من خضار

(١) البقرة (٢): ٢٦٩.

(٢) الطور (٥٢): ٥.

(٣) النبأ (٧٨): ٦.

وفواكه ونعم وخيرات. إن الله وفر لهذا الإنسان مادة حياته وبقائه بما أعطاه من حبوب وثمار، وهداه إليها ووفرها له.

ث - إنه تعالى جعل الآجال التي إذا نظر الإنسان إليها اعتبر واتعظ؛ فإن هذا العمر إذا انتهى مات الإنسان. فأيامه معدودة، وأوقاته محدودة، متى استوفأها توفأه الله ونقله من عالم إلى آخر، وكم في هذه من العبرة؟! وبما أن هذا الإنسان سيصل إلى أجله فليعد العدة له.

ج - إن ما ينتاب هذا الإنسان من التعب والآلام والأمراض، وما أكثرها، وأي إنسان لا يمرض؟! وأي إنسان لا يتعب، أو لا يمر في حالة من الألم؟! إنها كلها تزيل شباب الإنسان وتدنوه إلى الهرم، ثم النهاية بالموت.

ح - أحداث الدهر ومصائبه كثيرة، وفي المثل العامي: «مصائب الدهر أكثر من نبات الأرض»، وأي بيت لم تدخله التعاسة؟! وأي إنسان لم يمر بحادثة بل أحداث تشوش عليه أفكاره وتنغص عليه حياته؟!!

إنها متوالية متتالية، منذ أول ولادته وإلى خاتمة حياته، ولد في شدة ويموت في شدة، ويحيا فيما بين الولادة والوفاة في شدائد متتابعة.

وقد سبقت الهداية الناس فكان آدم نبياً ولم يكن معه أحد، ثم كثرت ذريته واستمرت الحجة قائمة إلى يومنا هذا، فتارة تكون الحجة نبياً يرسله الله ويبعثه إلى الخلق يهديهم ويعلمهم ويرشدهم ويوجههم نحو الخير، وأخرى تكون كتاباً منزلاً من السماء، كما لو مات النبي وبقي الكتاب بين أيدي أتباعه؛ فإنه حجة عليهم، ونور يهديهم إلى مستقيم الطريق.

٤ - أن يحتجوا على البشرية بالتبليغ:

وذلك لتلا يعتذر الإنسان في ترك طاعة الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ

تُكذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١﴾.

ثم أشار ﷺ إلى أن الأنبياء على قلتهم نسبة إلى البشر فإنهم كافون في البلاغ، وافون في البيان، إنهم على قلتهم مشاعل في طريق الهداية، ومنارات يهدون الناس إلى الخير، ومهما كذبهم المكذبون فإنهم عاجزون عن إطفاء نورهم، وقاصرون عن إخماد شوكتهم. وما المكذبون لهم إلا شهود زور يفضحهم الواقع وتفضحهم الحقيقة؛ فإنهم يسقطون وينتصر الرسل وتنتشر دعوتهم ويؤمن بها الناس.

ثم أشار ﷺ إلى طريقة الله عز وجل وسنته، فإنه سبحانه عندما يرسل رسولاً وتنتهي مدته كان يسمي له من يأتي من بعده، كما هي قصة عيسى مع نبينا ﷺ؛ إذ كان يبشر به، ويعطي لأتباعه علامات ظهوره، وقد كان اليهود يترقبون طلعه، ويوعدون به من يعاديهم، فكان الله هو الذي يتولى تعريف النبي اللاحق، وقد يكون النبي حاضراً وقد بشر به من تقدم عليه، وعلى هذه الطريقة - من حيث أن الأرض لا تخلو من حجة - انقضت القرون ومضت الأزمان والدهور، وعليه مضى السلف وانقضت أيامهم، وعلى هذا جاءت من بعدهم الأبناء، فالسيرة واحدة في الآباء والأبناء، والحجة قائمة على الجميع.

وقد أشارت الآيات القرآنية إلى هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴿٢﴾.

(١) العنكبوت (٢٩): ١٨.

(٢) آل عمران (٣): ٨١.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾.

هدايته للإسلام:

بعد أن اتّضحت الحقائق الناصعة في النظرية الإسلامية «لكاباي» وأشرقت بكلّ جلائها ووضوحها، اعتنق الإسلام والمذهب الشيعي، وأصبح فؤاده مطمئنًا تملؤه الثقة بالله تعالى، وبدّل اسمه إلى: حسين<sup>(٣)</sup>.

(١) الصف (٦١): ٦.

(٢) الأعراف (٧): ١٠.

(٣) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦١.



## (٤١) كلوريا (مسيحية / الفلبين)

ولدت في الفلبين، ودرست في المدارس الأكاديمية، وبعد ذلك التحقت بالجامعة لتحصل على شهادة الليسانس.

نشأت في عائلة تعتنق الديانة المسيحية، وظلت على هذه الديانة برهة من الزمن حتى تعرّفت على مجموعة من الشيعة، فتسنّى لها الاطلاع على معالم الدين الإسلامي، والتعرّف على مبانيه ما سبّب اعتناقها لهذا الدين الملائم للفطرة.

### هل التوراة والإنجيل الرائجان من كلام الله المنزل؟

إنّ المتتبع لعبارات التوراة والإنجيل يجدهما بعيدين كلّ البعد عن كلام الله المنزل على أنبيائه، عدا بعض الجمل التي يمكن أن تكون قد نقلت حكاية، كما ينقل أيّ مؤرّخ بعض آيات القرآن الكريم.

### حال التوراة:

الملاحظ في التوراة أنّ سندها غير متّصل بالنبّي موسى عليه السلام؛ إذ انقطع تواتر هذه التوراة قبل زمان «يوشيا بن آمون»، والنسخة وجدت بعد ثماني عشر سنة من جلوسه على العرش، ثمّ إنّ هذه النسخة غير المعتمدة ضاعت أيضاً، وفي حادثة «بخت نصر» انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن الوجود رأساً، ثمّ



كتب عزرا هذه الكتب - على حدّ زعمهم - فضاغت نسخها وأكثر نقولها في حادثة «أنتيوكس»<sup>(١)</sup>.

ويذكر العلامة الطباطبائي قصة التوراة الحاضرة، فيقول:

«بنو إسرائيل هم الأسباط من آل يعقوب، كانوا يعيشون أولاً عيشة القبائل البدويين، ثمّ أشخصهم الفراعنة إلى مصر، وكانوا يعاملونهم معاملة الأسرى المملوكين، حتّى نجّاهم الله بموسى من فرعون وعمله.

وكانوا في زمن موسى يسيرون مسير الحياة بالإمام وهو موسى، وبعده يوشع عليه السلام، ثمّ كانوا برهة من الزمان يدبّر أمرهم القضاة، مثل: إيهود وجدعون وغيرهما. وبعد ذلك يشرع فيهم عصر الملوك، وأول الملوك فيهم: شاؤل، وهو الذي يسمّيه القرآن الشريف بـ (طالوت)، ثمّ (داود)، ثمّ (سليمان).

ثمّ انقسمت المملكة وانشعبت القدرة، ومع ذلك ملك فيهم ملوك كثيرون، كـ: (رجعان) وإبيام ويربعام ويهوشافاط ويهورام وغيرهم، بضعة وثلاثون ملكاً. ولم تنزل تضعف القدرة بعد الانقسام حتّى تغلّبت عليهم ملوك بابل، وتصرفوا في (أورشليم) وهي بيت المقدس، وذلك في حدود سنة ستّمائة قبل المسيح، وملك بابل يومئذٍ بخت نصر (بنوكد نصر).

ثمّ تمردت اليهود عن طاعته، فأرسل إليهم عساكره، فحاصروهم، ثمّ فتحوا البلدة، ونهبوا خزائن الملك، وخزائن الهيكل (المسجد الأقصى)، وجمعوا من أغنيائهم وأقويائهم وصنّاعهم ما يقرب من عشرة آلاف نفساً، وساروا بهم إلى بابل، وما أبقوا في المحل إلا الضعفاء والصعاليك، ونصب بخت نصر (صدقيا)، وهو آخر ملوك بني إسرائيل، ملكاً عليهم، وعليه الطاعة لبخت نصر.

وكان الأمر على ذلك قريباً من عشر سنين حتّى وجد (صدقيا) بعض القوّة

(١) راجع: إظهار الحقّ ١: ١١٢.

والشدة، واتصل بعض الاتصال بواحدٍ من فراعنة مصر، فاستكبر وتمرد عن طاعة  
بخت نصر.

فأغضب ذلك بخت نصر غضباً شديداً، فساق إليهم الجيوش وحاصر  
بلادهم، فتحصنوا عنه بالحصون، وتمادى بهم التحصن قريباً من سنة ونصف حتى  
ظهر فيهم القحط والوباء. وأصرّ بخت نصر على المحاصرة حتى فتح الحصون،  
وذلك في سنة خمسمائة وستّ وثمانين قبل المسيح، وقتلهم، وخرّب ديارهم،  
وخرّبوا بيت الله، وأفنوا كلّ آية وعلامة دينية، وبدّلوا هيكلهم تلاً من تراب،  
وفقدت عند ذلك التوراة والتابوت الذي كانت تجعل فيه.

وبقي الأمر على هذا الحال خمسين سنة تقريباً، وهم قاطنون ببابل، وليس  
من كتابهم عين ولا أثر، ولا من مسجدهم وديارهم إلا تلال ورياح.

ثمّ لمّا جلس كورش من ملوك فارس على سرير الملك، وكان من أمره مع  
البابليين ما كان، وفتح بابل ودخلها أطلق أسراء بابل من بني إسرائيل، وكان عزرا  
المعروف من المقرّبين عنده، فأمره عليهم، وأجاز له أن يكتب لهم كتابهم التوراة،  
ويبني لهم الهيكل، ويعيدهم إلى سيرتهم الأولى.

وكان رجوع عزرا بهم إلى بيت المقدس سنة أربعمائة وسبعة وخمسين قبل  
المسيح، وبعد ذلك جمع عزرا كتب العهد العتيق وصحّحها، وهي التوراة الدائرة  
اليوم».

ثمّ قال العلامة الطباطبائي - بعد ذكره لهذه القصة -: «وأنت ترى بعد التدبّر  
في القصة أنّ سند التوراة الدائرة اليوم مقطوعة غير متصلة بموسى عليه السلام إلا بواحدٍ -  
وهو عزرا - لا نعرفه أولاً، ولا نعرف كيفية اطلاعه وتعمّقه ثانياً، ولا نعرف مقدار  
أمانته ثالثاً، ولا نعرف من أين أخذ ما جمعه من أسفار التوراة رابعاً، ولا ندري

بالاستناد إلى أي مستند صحّح الأغلط الواقعة أو الدائرة خامساً»<sup>(١)</sup>.

وأما من ناحية المتن فلا يمكن الاعتماد عليها لأُمور:

منها: وجود التناقضات والمخالفات بين بعض آياتها؛ فقد ورد في موضع من الكتاب المقدّس: أنّ الأبناء يؤخذون بذنوب الآباء إلى ثلاثة أجيال أو أربعة، وذلك قوله: «لأنّي أنا الربّ إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي»<sup>(٢)</sup>.

وفي موضع آخر ورد ما يخالف هذا الكلام؛ إذ جاء في كتاب حزقيل: «النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برّ البار عليه يكون، وشرّ الشرير عليه يكون»<sup>(٣)</sup>..

فعلم من هذه الآية أنّ أحداً لا يؤخذ بذنب غيره، وهو ما ذكر في القرآن الكريم؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أنّ بعض فقراتها لا يمكن أن تكون كلاماً لموسى عليه السلام وهو الذي نزلت عليه التوراة؛ فقد جاء فيها: «وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة... فمات هناك موسى عبد الربّ في أرض موآب حسب قول الربّ \* ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم \* وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم تكلّ عينه، ولا ذهبت نضارته \* فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً، فكمملت أيّام بكاء مناحة موسى»<sup>(٥)</sup>.

(١) راجع: الميزان ٣: ٣٠٨ - ٣١٠.

(٢) الكتاب المقدس (العهد القديم): سفر الخروج - الإصحاح ٢٠، الآية ٥، وقريب من هذه العبارة في سفر الخروج - الإصحاح ٣٤، الآية ٧، سفر التثنية - الإصحاح ٥، الآية ٩.

(٣) الكتاب المقدس (العهد القديم): حزقيل - الإصحاح ١٨، الآية ١٩.

(٤) الأنعام (٦): ١٦٤، الأسراء (١٧): ١٥، فاطر (٣٥): ١٨، وقريب منه في سورة النجم (٥٣): ٣٨.

(٥) الكتاب المقدس (العهد القديم): سفر التثنية - الإصحاح ٣٤، الآية ١ - ٨.

وتوجد الكثير من هذه العبارات في التوراة الرائجة، ما يدلّ على أنها ليست من كلامه عليه السلام.

ومنها: أن رسم الكتابة لم يكن موجوداً في عهد موسى عليه السلام؛ فلا يكون هو كاتباً لهذه الكتب، كما قال ذلك القسيس نورتن، ويؤيد كلامه ما ورد في بعض كتب التاريخ: «كان الناس في سالف الزمان ينقشون بميل الحديد، أو الصفر، أو العظم على ألواح الرصاص، أو الخشب، أو الشمع، ثم استعمل أهل مصر بدل تلك الألواح أوراق الشجر بيبرس، ثم اخترع الوصلي في بلدة بركمس، وسوّي القرطاس من القطن والإبريسم في القرن الثامن [الميلادي]، وسوّي في القرن الثالث عشر من الثوب، واختراع القلم كان في القرن السابع»<sup>(١)</sup>.

ومنها: وقوع الأغلط في التوراة، وكلام موسى عليه السلام أرفع من أن يكون كذلك، فقد ورد في الإصحاح السادس والأربعين، الآية الخامسة عشر من سفر التكوين: «فهؤلاء بنو ليّا الذين ولدتهم بين نهريّ سوربة ودينا ابنتها، فجميع بنيتها وبناتها ثلاثة وثلاثون نفساً»<sup>(٢)</sup>.

فقوله: «ثلاثة وثلاثون نفساً» غلط، والصحيح أربعة وثلاثون نفساً؛ اعترف بذلك مفسرهم المشهور «هارسلي»، فقال: «لو عدت الأسماء، وأخذتم دينا صارت أربعة وثلاثون، ولا بدّ من أخذها كما يعلم من تعداد أولاد زلفا؛ لأنّ سارا بنت أشير واحدة من ستة عشر».

كما جاء في الآية الثانية من الباب الثالث والعشرين من سفر الاستثناء: «ومن كان ولد زانية لا يدخل جماعة الربّ حتّى يمضي عليه عشرة أحقاب».

(١) راجع: إظهار الحقّ ١: ١١٩ - ١٢٠.

(٢) في النسخ الحالية للتوراة جاءت بهذه الصورة: «هؤلاء بنو ليّة الذين ولدتهم ليعقوب في فدان أرام مع دينة ابنته. جميع نفوس بنيه وبناته ثلث وثلاثون». الكتاب المقدس (العهد القديم): سفر التكوين - الإصحاح ٤٦، الآية ١٥.

وهذا غلط؛ لأنه يلزم أن لا يدخل داود عليه السلام، ولا آباؤه إلى فارض ابن يهوذا في جماعة الرب؛ لأنّ فارض ولد زنا، كما صرح بذلك في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين، وداود عليه السلام البطن العاشر منه، كما يظهر من نسب المسيح المذكور في إنجيل متى ولوقا، مع أنّ داود رئيس الجماعة والولد البكر لله على وفق الزبور<sup>(١)</sup>.

ومنها: الاختلاف في نسخ التوراة في تاريخ بعض الحوادث، مثل: المدّة من زمان خلق آدم إلى طوفان نوح، فهي (١٦٥٦) سنة وفق التوراة العبرانية، و(٢٢٦٢) سنة وفق التوراة اليونانية، و(١٣٠٧) سنة وفق التوراة السامرية. وكفترّة ما بين طوفان نوح إلى زمان ولادة إبراهيم عليه السلام، فقد بلغت (٢٩٢) سنة وفق التوراة العبرانية، و(١٠٧٢) سنة وفق التوراة اليونانية، و(٩٤٢) سنة وفق التوراة السامرية<sup>(٢)</sup>.

قال الدكتور سكندر كيدس - وهو من فضلاء المسيحية المعتمدين - في ديباجة البيبل الجديد: «ثبت لي بظهور الأدلّة الخفيّة ثلاثة أمور جزماً: الأوّل: أنّ التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى. والثاني: أنّها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني ما كتبت في عهد موسى الذي كان بنو إسرائيل في هذا العهد في الصحارى. والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود، ولا بعد زمان حزقيا، بل أنسب تأليف لها يعود إلى زمان سليمان عليه السلام، يعني قبل ألف سنة من ميلاد المسيح، أو إلى زمان قريب منه في الزمان الذي كان فيه هومر الشاعر. فالحاصل أنّ تأليفها بعد خمسمائة سنة بعد وفاة موسى»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع: إظهار الحقّ ١: ١٢٠ - ١٢٢.

(٢) راجع: يا أهل الكتاب: ١٣٠.

(٣) راجع: إظهار الحقّ ١: ١١٦ - ١١٧.

## حال الإنجيل:

لا يختلف حال الإنجيل عن التوراة كثيراً من حيث السند والمتن، فلا يُعلم زمان تأليفه، ولا مَنْ ألفه، وإن ذكروا لزمان تأليفه روايات واهية ضعيفة بلا سند، يعلم منها أيضاً أنه لا سند عندهم لهذه الكتب.

قال (هورن): «الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرّخي الكنيسة بتراء وغير معيّنة، لا توصلنا إلى أمر معيّن، والمشايخ القدماء الأوّلون صدّقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبّل الذين جاؤوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذّر تنقيدها بعد انقضاء المدّة»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «ألف الإنجيل الأوّل سنة ٣٧، أو سنة ٣٨، أو سنة ٤١، أو سنة ٤٣، أو سنة ٤٨، أو سنة ٦١، أو سنة ٦٢، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من الميلاد. وألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦، أو ما بعدها إلى سنة ٦٥، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣.

وألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤. وألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨، أو سنة ٦٩، أو سنة ٧٠، أو سنة ٩٧، أو سنة ٩٨ من الميلاد»<sup>(٢)</sup>.

فلا يمكن البتّ في زمان تأليفه، وكذا في مؤلّفه، يقول «سلسوس» أحد علماء المشركين الوثنيين في القرن الثاني: «إنّ المسيحيين بدّلوا أناجيلهم ثلاث مرّات أو أربع مرّات، بل أزيد من هذا تبديلاً كأنّ مضامينها بدّلت».

كما يقول (فاستس) وهو من أعظم علماء فرقة (ماني كيز) في القرن الرابع:

(١) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ١: ٢٣٣ نقلاً عن تفسير هورن المطبوع عام ١٨٢٢ م.

(٢) راجع: إظهار الحقّ ١: ١٥٧.

«إنّ هذا الأمر مُحقَّق، إنّ هذا العهد الجديد ما صنّفه المسيحُ ولا الحواريون، بل صنّفه رجل مجهول الاسم، ونُسب إلى الحواريين، ورفقاء الحواريين ليعتبره الناس، وأذى المريدين لعيسى إبداءً بليغاً بأن ألف الكتب التي فيها الأغلاط والتناقضات»<sup>(١)</sup>.

ويظهر من كلام (إكهارن) - وهو مختار العديد من العلماء المتأخرين في ألمانيا - أربعة أمور:

الأوّل: إنّ الإنجيل الأصلي قد فُقد.

والثاني: إنّهُ يوجد في هذه الأناجيل الروايات الصادقة والكاذبة.

والثالث: إنّهُ وقع فيها التحريف أيضاً، وكان سلسوس من علماء الوثنيين يقول: إنّ المسيحيين بدّلوا أناجيلهم ثلاث مرّات أو أربع مرّات أو أزيد من هذا تبديلاً كأن مضامينهم أيضاً بدّلت.

والرابع: إنّهُ لا توجد إشارة إلى هذه الأناجيل الأربعة قبل آخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث<sup>(٢)</sup>.

فالذي يلاحظ هذه الأناجيل يجد أنّها لا تتعدّى كونها كتابات أدبية وتاريخية وقصصية، قام بها مؤرّخو القرنين الأوّلين بعد ميلاد عيسى عليه السلام؛ فهي لا تشبه الوحي، بل تدلّ طريقة كتابتها على أنّها من بقايا أدب القرن الأوّل والثاني الميلاديين، وأدخل عليها - على مرّ العصور - بعض التعديلات والتطويرات جعلت من النسخ الأدبية الأوّلية مخطوطات ليس لها من أثر في يومنا هذا إلا ما قلّ وندر، وهذا يعني عدم كونها متعلّقة بفجر المسيحية حقيقة.

(١) راجع: إظهار الحقّ ١: ١٥٥-١٥٦.

(٢) راجع: إظهار الحقّ ٢: ٣٨٦.

## القرآن الكريم من كلام الله المنزل:

أمّا القرآن الكريم فهو الوحيد من الكتب السماوية حفظه الله تعالى من أيّ تغيير أو تبديل أو تحريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١).  
فقد أُطلق «الذكر» وأُطلق «الحفظ»، فالقرآن محفوظ بحفظ الله عن كلّ زيادة ونقصية وتغيير في اللفظ، أو في الترتيب الذي يزيله عن الذكرية، ويبطل كونه ذكراً لله سبحانه بوجه (٢).

وظاهر السياق أنّ الحصر ناظر إلى ما ذكر من ردّهم القرآن بأنّه من هذار الجنون، وأنّه ﷺ مجنون لا عبرة بما صنع، ومن اقتراحهم أن يأتيتهم بالملائكة لبيدّقه في دعوته، وفي أنّ القرآن كتاب سماوي حقّاً.

والمعنى على هذا - والله أعلم -: إنّ هذا الذكر لم تأت به أنت من عندك حتّى يعجزوك ويبطلوه بعنادهم، وشدة بطشهم، وتكلف لحفظه، ثمّ لا تقدر، وليس نازلاً من عند الملائكة حتّى يفتقر إلى نزولهم وتصديقهم إياه، بل نحن أنزلنا هذا الذكر إنزالاً تدريجياً، وإنا له لحافظون، بما له من صفة الذكر، بما لنا من العناية الكاملة به.

فهو ذكر حيّ خالد، مصون من أن يموت وينسى، مصون من الزيادة عليه بما يبطل به كونه ذكراً، كما أنّه مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث يتغيّر به صفة كونه ذكراً لله، مبيّناً لحقائق معارفه.

فالآية تدلّ على كون كتاب الله محفوظاً من التحريف بجميع أقسامه من جهة كونه ذكراً لله سبحانه، فهو ذكر حيّ، خالد (٣).

(١) الحجر (١٥): ٩.

(٢) الميزان ١٢: ١٠٦.

(٣) راجع: الميزان ١٢: ١٠١.



ونظير الآية في الدلالة على كون الكتاب العزيز محفوظاً بحفظ الله، مصوناً من التحريف والتصرف بأي وجه كان، من جهة كونه ذكراً له سبحانه، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فالقرآن الكريم من حيث هو ذكر لا يغلبه باطل، ولا يدخل فيه حالاً، ولا في مستقبل الزمان، لا بإبطال، ولا بنسخ، ولا بتغيير، أو تحريف يوجب زوال ذكريته عنه.

وقد ظهر بما تقدم أن اللام في «الذكر» للعهد الذكري، وأن المراد بالوصف: ﴿لِحَافِظُونَ﴾ هو الاستقبال، كما هو الظاهر من اسم الفاعل، فيندفع به ما ربما يورد على الآية من أنها لو دلت على نفي التحريف من القرآن؛ لأنه ذكر، لدلت على نفيه من التوراة والإنجيل أيضاً؛ لأن كلاً منهما ذكر، مع أن كلامه تعالى صريح في وقوع التحريف فيهما؛ وذلك أن الآية بقريئة السياق إنما تدل على حفظ الذكر الذي هو القرآن بعد إنزاله إلى الأبد، ولا دلالة فيها على عليّة الذكر للحفظ الإلهي ودوران الحكم مداره<sup>(٢)</sup>.

فقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ بحذف الضمير العائد إلى اسم إن، والتقدير: لا يأتيه منهم؛ أي: لا يأتيه من قبلهم ما يبطله، ولا يقدر على ذلك، أو بجعل (ال) في (الباطل) عوضاً من الضمير، والمعنى: لا يأتيه باطلهم. فإتيان الباطل إليه ووروده فيه، وصيرورة بعض أجزائه، أو جميعها، باطلاً، بأن يصير ما فيه من المعارف الحقّة، أو بعضها، غير حقّة، أو ما فيه من الأحكام والشرائع، وما يلحقها من الأخلاق، أو بعضها، لغواً لا ينبغي العمل به.

(١) فصلت (٤١): ٤١ - ٤٢.

(٢) راجع: الميزان ١٢: ١٠٢، و١٠٦.

وعليه فالمراد بقوله: ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ زمانا الحال والاستقبال أي: زمان النزول وما بعده إلى يوم القيامة. وقيل: المراد بما بين يديه ومن خلفه: جميع الجهات، كالصباح والمساء كناية عن الزمان كله، فهو مصون من البطلان من جميع الجهات.

وهذا العموم على الوجه الأول مستفاد من إطلاق النفي في قوله: ﴿ لَا يَأْتِيهِ ﴾. والمدلول على أي حال أنه لا تناقض في بياناته، ولا كذب في أخباره، ولا بطلان يتطرق إلى معارفه وحكمه وشرائعه، ولا يعارض ولا يغيّر بإدخال ما ليس منه فيه، أو بتحريف آية من وجه إلى وجه<sup>(١)</sup>.

### حفاظ القرآن:

لم تهتم البشرية بشيء مثل ما اهتم المسلمون بالقرآن الكريم كتابةً وحفظاً وصيانة، فقد حفظوه، وكتبوه، وشرحوه، وترجموه، وحسبوا آياته وكلماته وحروفه وحركاته، ونحو ذلك.

قال جرجي زيدان: «وقد عنى المسلمون في كتابة القرآن وحفظه عناية ليس بعدها عناية، فكتبوه على صفائح الذهب والفضة، وعلى صفائح من العاج، وطرزوا آياته بالذهب والفضة على الحرير والديباج، وزينوا بها محافلهم ومنازلهم، ونقشوها على الجدران في المساجد والمكاتب والمجالس، ورسموه بكل الخطوط وأجملها، على كل أصناف الرقوق والجلود والكواغد، بالأدراج والكراريس والرقاع، بأصناف المداد وألوانها وملؤوا بين الكلام بالذهب. وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين يتبركون بكتابة المصاحف بأيديهم، ويختزنونها في المساجد أو نحوها؛ في دار الكتب الخديوية (المصريّة) بالقاهرة أمثلة كثيرة من المصاحف المخطوطة بمعظم الأشكال المذكورة، من القلم الكوفي الخالي من

(١) راجع: الميزان ١٧: ٣٩٧ - ٣٩٨.

الشكل والإعجام، إلى إتمام الإعجام والشكل وبينها، وقد ضبطوا عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، وعدّوا ما فيه من الألفات والباءات إلى الياءات»<sup>(١)</sup>.

فمن مظاهر اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم هو ضبطهم لعدد سوره وآياته وكلماته وحروفه، وقد ذكر النراقي في «الخرائن»<sup>(٢)</sup> عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه حتّى ذكر كلّ حرف من حروف الهجاء.

فهذا القرآن قد نزل من عند الله تبارك وتعالى هداية للبشرية جمعاء، وفي نفس الوقت لا يلغي الكتب السماوية السابقة عليه بل يصدقها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ... وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

فالقرآن يصدّق التوراة والإنجيل الموجودين لكن في الجملة لا بالجملة؛ لمكان الآيات الناطقة بالتحريف والسقط فيهما إلاّ أنّه يعدّه مهيمناً عليها؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

#### خاتمة المطاف:

لمّا رأت «كلوريا» الدين الإسلامي وتكامله، وكتابه العظيم الذي لم تمسه يد التحريف، اندفعت بقوة لاعتناق هذا الدين الحنيف، وترك الدين الذي امتدت إليه بعض الأيدي عن عمد وقصد، فملأته بالحشو الغريب من الأفكار التي يرفضها العقل والوجدان<sup>(٤)</sup>.

(١) يا أهل الكتاب: ١٠٤.

(٢) نقلاً عن منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٨٠.

(٣) المائدة (٥): ٤٤ - ٤٨.

(٤) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب للعلامة النوري: ٥٦٨.



(٤٢) كونستانسيو ماهيناي (علي ياسر)  
(مسيحي / الفلبيني)

ولد عام ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) في مدينة «هولوسلو» التابعة لدولة الفلبين، ونشأ في عائلة تنتمي إلى الديانة المسيحية، تدرّج في الدراسة حتى حصل على شهادة البكالوريوس، واعتنق مذهب أهل البيت عليه السلام سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)<sup>(١)</sup>. يقول «كونستانسيو» عن كيفية استبصاره: بعد أن تخرّجت من الجامعة اتخذت قراراً مهماً، وكان ذلك تسجيل اسمي في مدرسة أهل البيت عليه السلام، والتي تبين الفكر الإسلامي الأصيل من خلال تعاليمها، وما إن مرّ على ذلك شهر واحد حتى منّ الله عليّ بالهداية، وكان لقراءة الكتب الدينية الموجودة في المكتبة الأثر الكبير في استبصاري.

ومما يلفت النظر في الكتب الدينية التي تبين المنهج الشيعي كثرة البحث في مسألة الإمامة، وليس ذلك إلا لأنها تعدّ من الأركان الأساسية التي ابنتى عليها مذهب أهل البيت عليه السلام، ولهذا نرى التأكيد عليها من قبل العلماء الأعلام إذ عدّوها أصلاً من أصول الدين وأصول مذهب الإمامية الاثني عشرية. وقد تثار بين فترة وأخرى أسئلة تتعرّض للمسلّمات العقائدية الموجودة

---

(١) زار مركز الأبحاث العقائدية، وله ملف خاص في المركز.

لدى المسلمين، وبالذات لدى الطائفة المحقّة، أتباع أهل البيت عليهم السلام، وتختلف دوافع تلك الأسئلة؛ فبعضها بدافع التعرّف والبحث عن الدليل تتناول تلك المواضيع، وتحتاج إلى إجابة شافية وافية، وربّما كان هدف بعضهم من طرح هذه الأسئلة هو التشكيك في تلك المسلّمات، وإلقاء الشبهة في قلوب العوام من أتباع هذا المذهب.

ومن سمات هؤلاء: أنّهم لا يطرحون إشكالاتهم ومناقشاتهم على العلماء المتخصّصين في العقائد، والقادرين على إثباتها بالدليل القاطع، وإنما يقومون بنشر تلك الشبهات والتشكيكات بين عامة الناس من الذين لم يطلّعوا بشكل دقيق على حدود تلك المسائل وعلى تفاصيل أدلّتها، ولذا يجدون فيهم سوقاً رائجة وعملة نافقة.

ومن هذه الأسئلة المطروحة: مسألة النص على أسماء الأئمّة عليهم السلام؛ إذ لا يخفى على الباحثين في مجال المسائل العقائدية أهمّية هذه المسألة، وضرورة وجود النص على أسمائهم عليهم السلام لتعيين مصاديق الاثنى عشر خليفة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

الروايات الصحيحة والصريحة التي تعيّن أسماء الأئمّة عليهم السلام في كتب الشيعة:

سننّ عرض هنا إلى ذكر بعض الروايات الصحيحة والصريحة التي تعيّن أسماء الأئمّة عليهم السلام، ممّا يقطع الطريق على من يدّعي عدم وجود النص عليهم أو على بعضهم، وسيثبت هذا أنّ المدّعي لعدم وجود النص - لو سلمت نيته - فإنّه ضعيف الاطلاع جداً على أخبار أهل البيت، وغير بصير بأحاديثهم عليهم السلام. وسنلتزم أن يكون النص الذي نوردّه صحيحاً من غير شبهة أو مناقشة، وإلا فالنصوص الأخرى كثيرة جداً.

وهذه النصوص تنقسم إلى ما هو نص على قسم من الأئمة عليهم السلام، مثل: النصوص الواردة الناصّة عليهم إلى الإمام الباقر عليه السلام، وأهميّة هذه النصوص أنّ المشكّكين يدّعون أنّه لا نصّ بعد الإمام الحسين عليه السلام، وما هو نصّ عليهم جملة واحدة.

ثم سنتعرّض إلى ذكر النصوص الواردة بشأن إمامة كلّ إمام بخصوصه، ونحن وإن كنّا لا نحتاج إلى ذكرها، بل كان يكفيننا ويكفي من يريد الدليل رواية صحيحة واحدة تذكرهم جملة من غير حاجة إلى ذكر سائر الروايات، سواء كانت بالعنوان أو لكلّ شخص، إلا أنّنا نوردها للتأكيد، وأنّ النصّ عليهم كان حاصلًا بطرق مختلفة، وهو كافٍ؛ إذ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### النصوص التي تعيّن أسماء الأئمّة المعصومين عليهم السلام:

يوجد في مصادر الشيعة الحديثية العديد من الروايات التي تنصّ على تحديد أسماء الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولكن - ولاختصار المقالة - سنكتفي بذكر رواية صحيحة صريحة في كل باب (أو روايتين)، وفيها لمن أراد الدليل كفاية وغنى.

وهذه الروايات تنقسم بحسب المدلول إلى أقسام:

### القسم الأوّل: روايات تنصّ على أسماء قسم من الأئمّة عليهم السلام:

وهي الروايات التي تنصّ على أسماء الأئمّة عليهم السلام بدءاً من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وهي متعدّدة، نكتفي منها بروايتين:

الأولى: صحيحة الكليني: عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن

(١) ق (٥٠): ٣٧.

يونس، وعلي بن محمد بن سهل بن زياد أبي سعيد، عن محمد بن عيسى، عن  
يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ  
وجلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. فقال: «نزلت في عليّ  
ابن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام».

فقلت: إنَّ الناس يقولون: فما باله لم يسمَّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله  
عزَّ وجلَّ؟

فقال: قولوا لهم: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه الصلاة ولم يسمَّ الله لهم ثلاثاً  
ولا أربعاً، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسَّر ذلك، ونزلت الزكاة ولم يسمَّ لهم  
من كل أربعين درهماً درهم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسَّر لهم ذلك،  
ونزل الحجَّ فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسَّر لهم  
ذلك، ونزلت: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ - ونزلت في عليّ  
والحسن والحسين - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عليّ: (من كنت مولاه فعليّ مولاه)،  
وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيته، فإني سألت الله أن لا يفرِّق بينهما حتى  
يوردهما عليّ الحوض، فأعطاني ذلك، وقال: لا تعلّموهم فهم أعلم منكم، وقال:  
إنَّهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم باب ضلالة.

فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبيِّن من أهل بيته لادّعاها آل فلان وآل  
فلان، لكن الله أنزل في كتابه تصديقاً لنبيّه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٢)</sup>. فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة، فأدخلهم  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء في بيت أمّ سلمة، ثم قال: اللهمَّ إنَّ لكلَّ نبيٍّ أهلاً  
وثقلاً وهؤلاء أهلي وثقلي.

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

فقالَتْ أُمّ سلمة: ألسْت من أهْلِك؟

قال: إنَّك إلى خيْر، ولكن هؤْلاء أهْلي وثقْلي.

فلَمَّا قبض رسول الله ﷺ كان عليّ أُولى الناس بالناس؛ لكثرة ما بَلَغ فيه رسول الله ﷺ، وإقامته للناس، وأخذه بيده، فلَمَّا مضى عليّ لم يكن يستطيع عليّ - ولم يكن ليفعل - أن يدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحداً من ولده.. إذاً لقال الحسن والحسين: إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، وبَلَغ فينا رسول الله ﷺ كما بَلَغ فيك، وأذهب عننا الرجس كما أذهب عنك.

فلَمَّا مضى علي، كان الحسن أُولى بها؛ لكبره، فلَمَّا توفّي لم يستطيع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، فيجعلها في ولده.. إذاً لقال الحسين: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبَلَغ في رسول الله ﷺ كما بَلَغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك.

فلَمَّا صارت إلى الحسين لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما كان هو يدّعي على أخيه وعلى أبيه، لو أراد أن يصرف الأمر عنه، ولم يكونا ليفعلاه، ثم صارت حين أفضت إلى الحسين فجرى تأويل هذه الآية: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين، ثم صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي، ثم قال: الرجس هو الشك، والله لا نشكّ في ربّنا أبداً<sup>(٢)</sup>.

وينبغي التوجّه إلى نقطتين مهمّتين توضّحهما هذه الرواية:

(١) الأنفال (٨): ٧٥، والأحزاب (٣٣): ٦.

(٢) الكافي ١: ٢٨٦.



أولاهما:

أنها تجيب على سؤال ربّما طرحه بعضهم، وهو أنّه لو كانت الإمامة بتلك الأهميّة فلماذا لم ينص القرآن عليها، ولمّ لم يذكر القرآن اسم أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام حتى يرتفع الشك والتردد بصورة قاطعة؟ ولا يضلّ الناس؟ والرواية تجيب بأنّه كما نزل أصل وجوب الصلاة والزكاة والحج في القرآن، ولم تُبيّن فيه تفاصيل الأحكام، فكذلك الحال في الإمامة؛ إذ نزل وجوب الطاعة للأئمّة وأولي الأمر، وأوكل تعيين أسماءهم إلى النبي ﷺ، وقد قام بذلك خير قيام.

وثانيتها:

أنّ قضية الإمامة ونصب الإمام هي أمر إلهي لا يرتبط بقضية الوراثة، أو إرادة الإمام السابق في تعيين اللاحق؛ فإنّه لا يستطيع - ولم يكن ليفعل - أن يغيّر مجراها عمّا هو عليه من النصب الإلهي. وفي هذه القضية كما أنّ أمير المؤمنين قد نُصّب نصّباً إلهياً، فكذلك زين العابدين علي بن الحسين، والباقر محمد بن علي عليه السلام، من دون فرق في هذه الجهة، ممّا يردّ بذلك على دعوى المشكّكين بأنّ النصّ إنّما هو على الثلاثة الأوائل من الأئمّة.

والأخرى، المؤيّدّة للأولي: ما رواه الكليني أيضاً: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني وعمر بن أذينة، عن أبان، عن سليم بن قيس، قال: شهدت وصية أمير المؤمنين حين أوصى إلى ابنه الحسن، وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح، وقال لابنه الحسن: «يا بُني! أمرني رسول الله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضر الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين. ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها

إلى ابنك هذا». ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي، واقرأه من رسول الله ومثي السلام»<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني:

### ما نصّ على أسماء الأئمة عليهم السلام جميعاً:

ومع هذه الروايات، التي سوف نذكر بعضها، ينقطع عذر كل متعلّل؛ لصراحتها وقوّتها، وما يحفّ بها، ففي الأولى نلتقي مع أسماء الأئمة عليهم السلام في سجدة الشكر، عقيب كل صلاة، إذ يُشهد المصلّي ربّه والملائكة والخلق بمجمل اعتقاداته التي ينبغي أن يلقاه بها، ومنها تولّيه للأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، وأنّه يتولاّهم ويتبرّأ من أعدائهم، ولا يخفى الارتباط بين الصلاة وبين ذكر الأئمة الهادين وفضلهم على الخلق في تعليمهم معالم الدين.

فمن هذه الروايات:

الصحيحة التي رواها الصدوق بإسناده: عن عبد الله بن جندب، عن موسى ابن جعفر عليه السلام، أنّه قال: تقول في سجدة الشكر: «اللهمّ إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنّك أنت الله ربّي، والإسلام ديني ومحمداً نبّي، وعلياً، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجّة ابن الحسن أئمّتي، بهم أتولّى ومن أعدائهم أتبرّأ»<sup>(٢)</sup>.

والصحيحة الأخرى: التي رواها الكليني، فقال: عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي وهو متكئ على يد

(١) الكافي ١: ٢٩٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٩.

سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلم على أمير المؤمنين، فردّ عليه، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين! أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرني بهنّ علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم، وأن ليسوا بمؤمنين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنّك وهم شرع سواء!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عما بدالك.

قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن، فقال: يا أبا محمد أجبه!

قال: فأجابه الحسن.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصي رسول الله والقائم بحجّته - أشار إلى أمير المؤمنين - ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّك وصيّ الله والقائم بحجّته - أشار إلى الحسن - وأشهد أنّ الحسين بن علي وصيّ أخيه والقائم بحجّته بعده، وأشهد على علي بن الحسين أنّه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي أنّه القائم بأمر علي بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمد أنّه القائم بأمر محمد، وأشهد على موسى أنّه القائم بأمر جعفر بن محمد، وأشهد على محمد بن علي أنّه القائم بأمر علي بن جعفر، وأشهد على محمد بن علي أنّه القائم بأمر علي بن موسى، وأشهد على علي بن محمد أنّه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي أنّه القائم بأمر علي بن محمد، وأشهد على رجل من ولد الحسن<sup>(١)</sup> لا يكفّي ولا يُسمّى حتى يظهر أمره، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، والسلام عليك يا أمير

(١) من ولد الحسين، كما في علل الشرايع ١: ٩٨.

المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ثم قام فمضى، فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد اتّبعه! فانظر أين يقصد؟  
فخرج الحسن بن علي عليه السلام، فقال: ما كان إلا أن وضع رجله خارجاً من  
المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين فأعلمته،  
فقال: يا أبا محمد أتعرفه؟

قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم.

قال: هو الخضر»<sup>(١)</sup>.

### الروايات التي تنص على كلِّ إمامٍ بشخصه:

بعد أن ذكرنا الروايات التي تذكر أسماء الأئمة الطاهرين، نعود ونذكر  
الروايات الخاصة التي تنص على كلِّ إمامٍ بشخصه، وهي تارة تذكر الإمام باسمه،  
وتارةً بالقرينة والصفة؛ فإنَّ بعض الروايات تعتمد على ذكر أمر، ذلك الأمر يلزم  
كونه إماماً، كما سيأتي في وصية الإمام الباقر لابنه الصادق عليه السلام أن يغسله ويجهّزه  
ويكفّنه، فإنَّ هذا من النص عليه؛ لما ثبت عندنا من النصوص والإجماع على أنَّ  
الإمام لا يتولّى تجهيزه إلا الإمام بعده، وقد لا ينتبه لمثل هذه الإشارات إلا من  
كان على مستوى من الإحاطة بتعابير الأئمة عليهم السلام.

كما نرى أنَّ هشاماً بن الحكم عندما سمع من علي بن يقطين قول  
الكاظم عليه السلام: أنَّ عليّاً الرضا عليه السلام سيّد ولده وأنّه قد نحلّه كنيته، استنتج أنّه نص عليه  
بالإمامة من بعده<sup>(٢)</sup>، ومثل: أن يعطيه السلاح والكتب.

وهكذا ما يرافق إمامتهم من الكرامات، مثلما حصل في قضية شهادة الحجر

(١) الكافي ١: ٥٢٥.

(٢) الكافي ١: ٣١١.

الأسود لعلي بن الحسين عليه السلام بالإمامة في مناقشة محمد بن الحنفية إياه، كما ورد في رواية صحيحة رواها الكليني في الكافي <sup>(١)</sup>.

فإنه بعدما احتجّ السجّاد عليه السلام عليه بأنّ سلاح رسول الله عنده، وأنّ الحسين قد أوصى إليه، دعاه للحجر الأسود ليحتكما إليه، فتكلّم محمد فلم يحصل على شيء، ثم تكلم علي بن الحسين عليه السلام، فنطق الحجر بقدره الله: (أنّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي إلى علي بن الحسين)، فانصرف محمد بعد ذلك وهو مؤمن بإمامة علي بن الحسين عليه السلام.

وبما أنّنا قد ذكرنا في القسم الأوّل من الروايات ما ينص على إمامة الأئمة من الإمام أمير المؤمنين إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، سنتعرّض هنا لذكر النصوص في إمامة الأئمة بدءاً بالإمام الصادق عليه السلام، وسنكتفي بنصّ واحد بالنسبة لكلّ إمام، وسنذكر نصوصاً متعدّدة لخاتم الأوصياء والأئمة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

### الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

فمما ورد من النص على إمامة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: الرواية الصحيحة التي نقلها الكليني رحمته الله في الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ أبي استودعني ما هناك، فلمّا حضرته الوفاة قال: ادع لي شهوداً.

فدعوت له أربعة من قريش، فيهم: نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: اكتب:

هذا ما أوصى يعقوب بنبيه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

(١) الكافي ١: ٣٤٨.

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾. وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد، وأمره أن يكفنه في  
بُردته الذي كان يصلّي فيه الجمعة، وأن يعمّمه بعمامته، وأن يربع قبره، ويرفعه  
مقدار أربع أصابع، وأن يحلّ عنه أطماره عند دفنه... ثم قال للشهود: انصرفوا  
رحمكم الله.

فقلت له - بعدما انصرفوا -: يا أبت! ما كان في هذا بأن تشهد عليه؟  
فقال: يا بني! كرهت أن تغلب وأن يقال: إنّه لم يوصَ إليه، فأردت أن تكون  
لك الحجّة» (٢).

وهذا كما تقدّم، بمصاحبة ما دلّت عليه النصوص، وقام عليه الإجماع، أنّ  
الإمام عندنا لا يتولّى تجهيزه إلا إمام مثله إذا كان حاضراً، وأنّ الوصية هي من  
علائم الإمامة، ينتج ذلك: إمامة الصادق عليه السلام.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

ممّا ورد في النصّ على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: الصحيحة التي  
رواها في الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن صفوان  
الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال له منصور بن حازم: بأبي أنت وأمي! إنّ الأنفس  
يغدى عليها ويراح، فإذا كان ذلك فمن؟

فقال أبو عبد الله: «إذا كان ذلك فهو صاحبكم. وضرب بيده على منكب أبي  
الحسن الأيمن - فيما أعلم - وهو يومئذ خماسي (٣)، وعبد الله بن جعفر جالس  
معنا» (٤).

(١) البقرة (٢): ١٣٢.

(٢) راجع: الكافي ١: ٣٠٧.

(٣) جاء في الإرشاد ٢: ٢١٨... وضرب على منكب أبي حسن الأيمن، وهو فيما أعلم يومئذ  
خماسي.

(٤) الكافي ١: ٣٠٩.

## الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

من النصّ على إمامة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ما ورد في الكافي صحيحاً: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن الحسين بن نعيم الصحاف، قال: «كنت أنا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد، فقال علي بن يقطين: كنت عند العبد الصالح جالساً فدخل عليه ابنه علي، فقال لي: يا علي بن يقطين! هذا علي سيّد ولدي، أما إني قد نحلته كُنيتي. فضرب هشام بن الحكم براحته جبهته، ثم قال: ويحك! كيف قلت؟ فقال علي بن يقطين: سمعت والله منه كما قلت. فقال هشام: أخبرك أنّ الأمر فيه من بعده»<sup>(١)</sup>.

يتضح للقارئ هنا أنّ هشاماً بن الحكم لمّا كان متبحراً في العقائد، وعارفاً بإشارات الأئمة في ما يرتبط بموضوع الإمامة، والصفات التي لا بدّ من توفرها في الإمام، فإنّه بمجرد أن سمع تلك الكلمات، وضمّها إلى الكبريات الموجودة في ذهنه، المرتبطة بموضوع الإمامة، انتقل فوراً إلى معنى نص الإمام الكاظم على الرضا عليه السلام، وإن كان مثل علي بن يقطين، على جلالته، ربما لم يتوجّه إلى ذلك المعنى بالسرعة نفسها.

## الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام:

من النصّ على إمامة محمد بن علي الجواد عليه السلام: الصحيحة التي نقلها في الكافي أيضاً: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد، قال: سمعت الرضا عليه السلام، وذكر شيئاً، فقال: «ما حاجتكم إلى ذلك؟ هذا أبو جعفر، أجلسه مجلسي وصيّره مكاني. وقال: إنّ أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القدّة بالقدّة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ١: ٣١١.

(٢) الكافي ١: ٣٢٠.

## الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام:

من الروايات التي تنص على إمامة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: ما رواه الكليني صحيحاً في الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مهران، قال: «لما خرج من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك! إني أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الأمر من بعدك؟»

فكرّ إليّ بوجهه ضاحكاً: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة.

فلما خرج به الثانية إلى المعتصم، صرت إليه، فقلت له: جعلت فداك! أنت خارج فإلى من الأمر من بعدك؟

فبكى حتّى اخضلت لحيته، ثمّ التفت إليّ فقال: عند هذه يُخاف عليّ، الأمر من بعدي إلى ابني علي»<sup>(١)</sup>.

## الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام:

وردت عدّة روايات مصرّحة بإمامة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، منها: ما رواه في الكافي: عن علي بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن يحيى بن يسار القنبري، قال: «أوصى أبو الحسن إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي»<sup>(٢)</sup>.

الحجة بن الحسن العسكري صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه:

وأما الروايات الواردة في إمامة الإمام الحجة بن الحسن العسكري، صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفي صفاته وعلائم ظهوره، وما

(١) الكافي ١: ٣٢٣.

(٢) الكافي ١: ٣٢٥.



يرتبط بخريطة تحرّكه بعد الظهور، وأنصاره، فهي كثيرة جداً، حتى ألّفت كتب ومجلّدات خاصّة في هذا الأمر، وبما أنّ بناءنا الاختصار فسوف نذكر عدّة منها:

فقد روي في النص عليه عليه السلام: عدّة أحاديث، منها ما رواه الصدوق: عن محمد بن علي بن ماجيلويه، عن محمد بن يحيى العطار، عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، عن معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري، قالوا: «عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلاً، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تنفروا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا.

قالوا: فخرجنا من عنده، فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو

محمد عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

كما جاء في الروايات الشريفة أنّ الإيمان بالأئمة كلّ لا يتجزأ، وأنّ الاعتراف بهم من دون الإمام الحجّة لا يساوي شيئاً، وهو كإنكار أمير المؤمنين عليه السلام، يروى الخزار القمي في «كفاية الأثر»: عن الحسن بن علي، عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله، عن موسى بن جعفر البغدادي، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول:

«كأنّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، ألا إنّ المقرّ بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع الأنبياء والرسل ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، أمّا إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله»<sup>(٢)</sup>.

وروى الصدوق: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين بن

(١) كمال الدين: ٤٣٥.

(٢) كفاية الأثر: ٢٩٦.

أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ (١). فقال عليه السلام: «الآيات هم: الأئمة، والآية المنتظرة: القائم عليه السلام؛ فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف، وإن آمنت بمن تقدّمه من آبائه عليهم السلام» (٢).

وقد روي أنه عليه السلام أشبه الناس برسول الله، وله اسمه وكنيته، روى الصدوق في «كمال الدين»: عن أبيه ومحمد بن الحسن ومحمد بن موسى المتوكل، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري، ومحمد بن يحيى العطار جميعاً، عن أحمد بن محمد بن عيسى وإبراهيم بن هاشم وأحمد بن أبي عبد الله البرقي ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب جميعاً، عن أبي علي الحسن بن محبوب السراد، عن داود بن الحصين، عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، عن آباءه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنييتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتى تضلّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» (٣).

كما جاء في الأخبار أنّ من الابتلاء للخلق في زمان غيبته أن يشك بعضهم في ولادته، فقد روى الشيخ الصدوق في «كمال الدين» ذلك عن أحمد بن محمد ابن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عثمان ابن عيسى الكلابي، عن خالد بن نجیح، عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم».

(١) الأنعام (٦): ١٥٨.

(٢) كمال الدين: ١٨.

(٣) كمال الدين: ٢٨٧.

قلت له: ولم؟

قال: يخاف. وأوماً بيده إلى بطنه، ثم قال: يا زرارة! هو المنتظر، وهو الذي يشكّ الناس في ولادته، منهم من يقول: هو حمل، ومنهم من يقول: هو غائب، ومنهم من يقول: ما ولد، ومنهم من يقول: ولد قبل وفاة أبيه بستين، غير أن الله تبارك وتعالى يحبّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في النصوص أنّه قد ولد، وأنّه عجلّ الله تعالى فرجه يحضر موسم الحج، فيعاين الخلق، وقد رآه - من جملة من رآه - نائبه الخاص (في الغيبة الصغرى) محمد بن عثمان العمري في الموسم متعلقاً بأستار الكعبة..

وتكمن أهمية مثل هذا النص في أنّه لا يؤكّد مولده فحسب بل اتّصّاله بالخلق، وذلك أنّ قضية المهدي عجلّ الله تعالى فرجه قضية اتّفاقية بين المسلمين جميعاً؛ لما ورد من النصوص المتواترة عن النبي ﷺ، ولكن الخلاف بينهم هو في: أنّه سيولد في آخر الزمان، كما يدّعي غير الشيعة؟

أو أنّه ولد، وأنّ أباه هو: الحسن بن علي العسكري، وأنّه غائب عن الأنظار، بعدما نصّ عليه أبوه عليه السلام، ورآه خلص شيعته، وأنّ له غيبتين: صغرى، كان يمارس فيها توجيه العباد عن طريق سفرائه الأربعة الخاصين، وكبرى إلى أوان ظهوره، وأنّه سيظهر عندما يأذن الله له؛ كما هو الحقّ، وبه يقول شيعة أهل البيت عليهم السلام؟

فقد روى الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه، بسند صحيح: عن عبد الله بن جعفر الحميري، أنّه قال: سألت محمد بن عثمان العمري عليه السلام، فقلت له: رأيت صاحب هذا الأمر؟

قال: «نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو يقول: اللهم انجز لي ما

وعدتني..»

(١) كمال الدين: ٣٤٢.

قال محمد بن عثمان رضي الله عنه وأرضاه: ورأيت صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: اللهم انتقم لي من أعدائك»<sup>(١)</sup>.

ملاحظة هامة:

إنّ الوضع العام الذي عاش فيه الأئمة عليهم السلام، خصوصاً بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كان وضعاً عصبياً، وقد حاول فيه الظلمة بكلّ جهدهم أن ﴿يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فكانوا يتربصون بالأئمة الدوائر، ويبغونهم الغوائل؛ للقضاء عليهم.

وهؤلاء الظلمة - في العهدين الأموي والعبّاسي - وإن لم يكونوا يقدمون على قتلهم جهراً وعلانية، إلا أنّهم كانوا يحاولون ذلك غيلة؛ وشاهد ذلك: ما نجده من إقدامهم على دس السّم للأئمة عليهم السلام، وهذه الظروف والأوضاع غير خافية على المتتبع لأحوالهم، والعارف بتأريخهم..

ويكفي لمعرفة ذلك: النظر إلى كيفية نصّ الإمام الصادق عليه السلام على إمامة الكاظم عليه السلام في وصيّته له؛ فقد كان العبّاسيون ينتظرون تعيين الإمام بنحو صريح من قبل الإمام الصادق عليه السلام ليقتلوه، فكان أن أوصى لخمسة، فضيّع عليهم هذه الفرصة.

ثم ما جرى على الإمام الكاظم عليه السلام من سجنه، ثم قتله.

وأيضاً ما جرى من التضيق والاضطهاد للإمام الهادي، ومن بعده ابنه الحسن العسكري عليه السلام، ومحاولتهم القبض على خليفته الإمام المهدي وقتله - بزعمهم - .

وهكذا عاش شيعة آل البيت من ظروف القمع والتقية، فلم يكونوا يسلموا

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٢٠.

(٢) التوبة (٩): ٣٢.

على عقائدهم في وقت كان يسلم فيه الكفار في بلاد الإسلام على ما كانوا عليه من ضلالة، فكان الكشف في هذه الظروف عن أسماء الأئمة المعصومين، خصوصاً من كان منهم في الفترات اللاحقة، وتناقل النصوص المصرحة بإمامتهم بين الرواة أمراً في غاية الخطورة على الإمام، وعلى شخص الناقل أيضاً.

ولكنهم مع ذلك قد حفظوا تلك النصوص وتناقلوها فيما بينهم، بالرغم مما كان يكتنفها من المشاكل والضغوط حتى أوصلوها إلى الأجيال التالية، وبذلك تمت الحجّة على من أنكر، والاحتجاج بها والاستناد عليها لمن آمن.

ولهذا أصبحت هذه القضية من المسلّمات العقائدية لدى شيعة أهل البيت، والمتواترة إجمالاً، إذ أنّهم عرفوا، حتى عند أعدائهم، بتوليهم لهؤلاء الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وميّزوا بأنهم (الاثنا عشرية)، في إشارة إلى اعتقادهم بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. وصار الأمر عند الشيعة إلى أنّ من كان لا يؤمن بأحدهم، أو جعل غيره مكانه، لا يُعدّ من هذه الطائفة المحقّقة.

بل ارتبط ذكر أسمائهم عليهم السلام بالصلاة وسجدة الشكر، كما في صحيحة ابن جندب عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد يراد في هذه الرواية من المؤمن أن يكون ذاكرًا لأئمّته في سائر أوقات اليوم، وحتى لا تُنسى هذه الصفوة الطاهرة، أو يدّعي آخرون عدم وجود الدليل أو النص عليهم، أو على بعضهم<sup>(١)</sup>.

### التحرر من الشبهات:

بعد سرد هذه النصوص، التي تمتاز بأعلى درجات الصحّة والامتانة من ناحية السند وال متن، لا يبقى أي مجال للشكّ والريب في تعيين مصاديق الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإنّ اطلاع عموم المؤمنين على هذه الأمور خاصة، وعلى أجوبة

(١) مقتطفات من كتاب: «النصوص الصريحة» لآية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي.

الشبهات المثارة ضدّ المذهب الحقّ بصورة عامّة، هو من أهمّ العوامل التي تسبّب فشل مخطّطات أعداء الإسلام الأصيل لإلقاء الشبهات في أذهان أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام..

وإنّ «كونستانسيو» هو أحد الذين تحرّروا من قيود تلك الشبهات والافتراءات، واكتشفوا الحقيقة بعد البحث والتأمّل، والتحقوا بركب أتباع النبيّ الأعظم وأهل بيت النبوة عليهم السلام.



(٤٣) ليندا فلورمونت (فاطمة)

(مسيحية / الفلبين)

ولدت في دولة الفلبين، وحينما أتمت دراستها العامة التحقت بكلية الحقوق، ثم نالت شهادة الليسانس.

نشأت في عائلة تنتمي للديانة المسيحية، حتى انتشلها الله سبحانه وتعالى من الضلال والضياع وهداها إلى سواء السبيل؛ إذ حصلت لها ظروف أدت إلى تعرّفها على بعض المسلمين الشيعة، فتعرّفت عن طريقهم على الإسلام.

**حرية الفكر في الإسلام:**

من الأمور المهمة التي يلاحظها الباحث في الدين الإسلامي - والتي تدفعه للاستبصار -: مدى الحرية الفكرية التي يمنحها الإسلام لأتباعه، وهي الحرية في كلّ من التعبير عن الأفكار والمفاهيم والرؤى للحياة والكون والمجتمع وحركة هذا المجتمع..

هذا وقد واجه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نوعاً من الاختلاف الفكري داخل الإطار الإسلامي؛ ولم تكن القضية قضية حقّ وباطل - طبعاً الحقّ واحد، وله ثبوت في نفس الأمر والواقع أيضاً، ولا بدّ أن نأخذ الحقّ من الطريق الصحيح - لكن عندما يختلف اجتهادان بشأن مسألة معيّنة داخل الإطار الإسلامي، ويكون

لكلّ منهما رأي، وكلّ منهما ينسب رأيه إلى الإسلام، فلا يكون هذا حقّ وذاك باطل إلا بمقدار انتساب هذا الرأي إلى الحقّ أو إلى الباطل في الواقع والتصاقه به، وفي هذه الحالة تكون الحرية أكثر سعة، فهنا رأيان لشخصين مسلمين في فهم تلك المسألة، ومن ثمة فيمكن أن تتلاقح الآراء وتصل إلى نتائج علمية أكثر قرباً للواقع..

وهذا أيضاً ما يميّز منهج أمير المؤمنين عليه السلام إذ أنّه هو الذي فتح باب الاجتهاد والحرية في مناقشة الأمور وتداولها ومتابعتها، وذهب إلى ضرورة إعطاء المجال للمسلمين في أن يدلّوا بأرائهم في فهم الكتاب والسنة من خلال المناقشة والحوار، من أجل الوصول إلى ما هو الواقع الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله في القرآن والسنة، ولكن هذه الحرية يجب أن تكون مضبوطة ومقننة ضمن القواعد والأصول العلمية التي تُتبع للوصول إلى الحقيقة، أو تقرب الإنسان منها..

وقد جسّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا الأمر من خلال العديد من الممارسات، منها:

### حرية إبداء النصح:

إنّ الوليّ الذي يدير أمور المسلمين ويتولّى شؤونهم لا بدّ له من أن يشاور هؤلاء المسلمين في ما يتعلّق بشؤون حياتهم، وبعد هذه المشورة، وتبيّن المصلحة من خلالها يتخذ القرار الذي يكون له علاقة بهذه المصلحة.

ولقد حدّد الإسلام المسؤولية بالمصلحة أولاً، وبيّن الطريق للوصول إلى هذه المصلحة ثانياً، وهو طريق التشاور الذي يعدّ من الواجبات حتى بالنسبة إلى المعصومين الذين يدركون المصلحة بدون الحاجة إلى التشاور، ومن أجل أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً يعبر عن حرّيته وحركته لإدراك السلوك حتى



في المواقف السياسية.

ولذلك فإن النبي ﷺ وهو المعصوم الذي يعرف المصالح، يخاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّفُتِّقْنَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).

كما ورد في وصف الجماعة الصالحة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٢).

ومن هنا نجد أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند توليه الحكم حث الناس على إبداء النصح والمشورة، وقد أشار عليه السلام إلى هذا الأمر في مجموعة من النصوص:

### النص الأول:

قوله عليه السلام في خطبة له بصيفين (٣): (إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعَظْمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظَّمَتْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظْمًا. وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ (٤) حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٍ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ (٥)، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا (٦) اللَّهُ

(١) آل عمران (٣): ١٥٩.

(٢) الشورى (٤٢): ٣٨.

(٣) صيفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صيفين بين علي عليه السلام ومعاوية في سنة ٣٧ في غرة صفر. معجم البلدان ٣: ٤١٤.

(٤) السخف: رقة العقل. كتاب العين ٤: ٢٠٢.

(٥) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. لسان العرب ١٥: ٦.

(٦) الانحطاط: الانحدار والإدبار والاضمحلال. تاج العروس ٥: ١١٩.

سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ.

وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الشَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ<sup>(١)</sup>؛ فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلٍ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي  
نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّيْبَةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أُفْرَغْ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ  
إِمْضَائِهَا<sup>(٣)</sup>، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ<sup>(٤)</sup>، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ  
أَهْلِ الْبَادِرَةِ<sup>(٥)</sup>، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ<sup>(٦)</sup>، وَلَا تَطُنُّوا بِي اسْتِنْقَالًا فِي حَقِّ قَبْلِ لِي، وَلَا  
الْتِمَاسَ<sup>(٧)</sup> إِعْظَامٍ لِنَفْسِي؛ فَإِنَّهُ مِنَ اسْتِنْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعُدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ  
الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ..

فَلَا تَكْفُؤُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ؛ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ،  
وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدُ  
مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا  
صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى<sup>(٨)</sup>.

قوله ﷺ: (وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحْبُّ الْإِطْرَاءِ وَاسْتِمَاعِ الشَّنَاءِ  
وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ وَلَوْ كُنْتُ أَحْبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ

- 
- (١) بلي الإنسان وابتلي، إذا امتحن. والبلاء في الخير والشر. والله يبلي العبد بلاءً حسناً  
وبلاءً سيئاً، وأبليت فلاناً عُذراً، أي: بينت فيما بيني وبينه ما لا لوم عليّ بعده. والبلوى:  
هي البلية، والبلوى: التجربة، بلوته أبلوه بلوا. كتاب العين ٨: ٣٤٠.
- (٢) فرغ من الشيء: أي: أصبح خالياً منه. كتاب العين ٤: ٤٠٨.
- (٣) أمضى الشيء: أنفذه. لسان العرب ١٥: ٢٨٣.
- (٤) الجبار: العاتي على ربه، القتال لرعيته. والجبار من الناس: العظيم في نفسه الذي لا  
يقبل موعظة أحد. كتاب العين ٦: ١١٧.
- (٥) البادية: ما يبدر من حدة الرجل عند الغضب؛ يقال: فلان مخشي عند البادية، و: أخاف  
حدته وبادرته. كتاب العين ٨: ٣٤.
- (٦) التصنع: تكلف حسن السميت. وتصنعت المرأة، إذا صنعت نفسها. الصحاح ٣: ١٢٤٦.
- (٧) الالتماس: الطلب. والالتمس: التطلب مرة بعد أخرى. الصحاح ٣: ٩٧٥.
- (٨) نهج البلاغة، ٢: ١٩٨، الخطبة: ١٠٦.

مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ، يَعْلَلُ ذَلِكَ بِمَشَاهِدَتِهِ لَجَلَالِ الرَّبِّ تَعَالَى. فَمَنْ كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَصْغُرَ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فِي قَلْبِهِ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَحْبَّ الْفَخْرَ أَوْ يَصْنَعَ أَمْرَهُ عَلَى الْكِبَرِ الَّذِينَ لَا يَلِيقَانِ إِلَّا بِعَظْمَةِ اللَّهِ، أَوْ يَظُنَّ بِهِ ذَلِكَ وَيَعَامَلُ بِمَا يَعَامَلُ بِهِ الْجَبَارَةُ مِنَ الْخَطَابِ بِهِ. وَكَلَامُهُ يَجْرِي مَجْرَى تَسْلِيمِ الْجَدَلِ، أَيْ: وَهَبَ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ فِيِّي بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ اللَّذَّةِ، لَكِنِّي لَوْ كُنْتُ كَذَلِكَ لِتَرْكِيهِ بِاعْتِبَارِ آخَرَ، وَهُوَ: الْإِنْحِطَاطُ وَالتَّصَاغُرُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ اللَّهُ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ. وَتَبَّ فِي ذَلِكَ عَلَى أَنْ الْإِطْرَاءَ يَسْتَلْزِمُ التَّكْبِيرَ وَالتَّعْظِيمَ، فَكَانَ تَرْكُهُ لَهُ وَكَرَاهَتُهُ لِكَوْنِهِ مُسْتَلْزِمًا لِهَمَا.

قوله: (وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ)، أَيْ: اسْتَحْلَى مِنْ أَسْبَلَى بِلَاءً حَسَنًا مِنَ الْوَلَاةِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يُمَدِّحَ وَيُثْنِيَ عَلَيْهِ بَعْدَ ابْتِلَائِهِ بِالشَّدَائِدِ وَمَكَايِدَتِهِ الْمَشَاقِّ. وَيَجْرِي كَلَامُهُ مَجْرَى تَمْهِيدِ الْعُذْرِ لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَأَنْتَ مَعْذُورٌ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ رَأَيْتَنِي أُجَاهِدُ فِي اللَّهِ وَأَحْتِ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْ عَادَةِ النَّاسِ أَنْ يَسْتَحْلُوا الثَّنَاءَ عِنْدَمَا يَبْلُوا بِلَاءً حَسَنًا فِي جِهَادٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ.

ثُمَّ أَجَابَ عَنْ هَذَا الْعُذْرِ فِي نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: (فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا)..

وَأَرَادَ: فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ لِأَجْلِ مَا تَرَوْنَهُ مِنِّي مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ إِخْرَاجٌ لِنَفْسِي إِلَى اللَّهِ مِنْ حُقُوقٍ بَاقِيَةٍ عَلَيَّ لَمْ أَفْرُغْ بَعْدَ مِنْ أَدَائِهَا، وَهِيَ حُقُوقٌ نَعَمَ، وَمِنْ فَرَائِضِهِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنَ الْمَضِيِّ فِيهَا، وَكَذَلِكَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيَّ لَكُمْ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي الدِّينِ وَالْإِشْرَاقِ إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ وَالتَّعْلِيمِ لِكَيْفِيَّةِ سُلُوكِهِ.

ثم بعد أن قدّم أنه إنّما يعمل لله ولهم، ويقوم بواجبه تجاه الله وتجاههم نهاهم عن أمور لا يريد أن يتعاملوا بها معه بقوله ﷺ: (فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ)؛ فإنّ الطغاة والظالمين والفراعنة قد عبّدوا الناس لهم وجعلوا لأنفسهم ألقاباً وأسماءً فيها التعظيم والرهبه، مما يمنع الناس من الحديث إليهم وإيراز شكواهم لهم.

قوله ﷺ: (وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ)، أي: لا تهابوني وتحترزوا مني فتمتنعوا من الحديث معي، والبوح لي بما تريدون، كما هي حالة الملوك الذين تعرفون من أنهم يغضبون لأنفسهم بمجرد أن لا يعجبهم منطق إنسان، أو لا يوافق مزاجهم، فيبادرون مستعجلين إلى الانتقام منه لأنفسهم وغضباً لذاتهم.

قوله: (وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ)، أي: إذا أردتم أن تكونوا معي في الحياة وتكون بيننا معاشرة ومخالطة ومصاحبة ولقاء فلا تتعاملوا معي بالمداراة والنفاق والخوف، بل كونوا صريحين واضحين تبدون آراءكم، وتقولون كلمتكم، وتناقشون فيما ترون.

قوله ﷺ: (وَلَا تَطْنُوا بِي اسْتِنْقَالًا فِي حَقِّ قَبْلِ لِي، وَلَا التِمَاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي؛ فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَنَقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ): نفى عن نفسه كل مشقة أو ثقل أو كلفة إذا قالوا له الحقّ ونطقوا بالصواب، كما نفى عن نفسه أن يرفض قولهم ولا يستمع لهم لأنّه يطلب العظمة لنفسه، وأنّه فوق أن يقال له الحقّ!!

وقد بيّن أنّ من يستثقل سماع الحقّ له، أو العدل يُعرض عليه، يكون العمل بهما أثقل عليه؛ لأنّه إذا كان مجرد عرض الحق والحديث فيه، ومجرّد ذكر العدل وبيانه، إذا كان مجرد ذلك ثقيل وصعب فالعمل به أشدّ وأصعب، بل من يستثقل

سماع الحقّ وبيان العدل يمتنع عليه القيام بهما وأداء حقّهما.

قوله ﷺ: (فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ): دعاهم إلى قول الحقّ وإبداء المشورة التي فيها عدل، ثم تواضع لهم كي يسترسلوا معه ولا يتحفّظوا أو يصانعوا، فأشار إلى أنّه ليس فوق أن يخطيء، ولا يطمئن إلى أنّه لا يقع فيه إلا بعون الله وتسديده الذي يملك من نفسه ما لا يملكه هو من نفسه.

قوله ﷺ: (فَاتِي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيَّ، وَلَا آمَنْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي)، وهذا القول صدر منه ﷺ كقول يوسف ﷺ: ﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فلا ينافي عصمته ﷺ فإنّ عصمتهم ﷺ إنّما بالله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي﴾<sup>(٢)</sup>، قال الرضا ﷺ: «لقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت به، لكنّه كان معصوماً والمعصوم لا يهّم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدّثني أبي عن الصادق ﷺ: أنّه قال: همّت بأن تفعل، وهمّ بأن لا يفعل»<sup>(٣)</sup>.

قوله ﷺ: (فَاتِمَّا أَنَا وَأَنْتُمْ عِبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى) ذكرهم بأنّه وإياهم سواء بسواء عبيد لله، مملوكون له، لا ربّ غيره ولا معبود سواه، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا، يملك حقّ حياتنا ومماتنا ومرضا وشفائنا وغنانا وفقرنا ولا نملك من ذلك شيئاً، فهو أملك منّا بأنفسنا، وهو الذي أخرجنا ممّا كنّا فيه من ظلمات الجاهلية وعاداتها والبعد عن الله إلى ما نحن

(١) يوسف (١٢): ٥٣، بناء على أن يكون الكلام ليوسف ﷺ كما استظهره المجلسي حيث قال: هذا من كلام يوسف على قول أكثر المفسرين، وقيل: هو من كلام امرأة العزيز كما ذكره علي بن إبراهيم، والاول أشهر وأظهر. بحار الأنوار ١٢: ٢٣٥.

(٢) يوسف (١٢): ٢٤.

(٣) تفسير نور الثقلين ٢: ١٩٤.

فيه من الصلاح في الدين والعقيدة والهدى، فأبدلنا بعد الهلاك النجاة، وبعد الضلال الهدى.

اعتناقها للإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام:

بعد أن توصلت «ليندا» إلى حقانية الدين الإسلامي، سارعت للانضواء تحت رايته، فنبذت الباطل وراء ظهرها، ثم غيرت اسمها وتسمت باسم سيدة نساء العالمين: فاطمة عليها السلام <sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٩.



(٤٤) ليوناردو ميراندا (محمد حسين)

(مسيحي / الفلبيني)

ولد في الفلبين ونشأ في أسرة مسيحية، تدرّج في الدراسة حتى صار مهندساً في فنّ الطائرات، التحق بركب أهل بيت النبوة واعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد البحث والتحقيق، متخطياً كل العوائق الطائفية والفئوية والقومية<sup>(١)</sup>.  
إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم:

نسمع في الآونة الأخيرة نداءات متزايدة وموجّهة للعرب من الشيعة؛ لأجل التفرقة بينهم وبين الشيعة من غير العرب، تركّز على كون التشيع مذهباً ليس عربياً، وبعيداً كل البعد عن العرب والعروبة، نحن لا نرى في بحث هذا الموضوع أثراً علمياً؛ إذ أنّ إثبات كون من نشأ هذا المذهب على أيديهم هم من العرب أو من غيرهم لا يؤثّر في أحقيته، ولكن يجب الالتفات إلى هذا الأمر؛ دفعا للشبهات وكيد الأعداء، لأنّ الذين يركّزون عليه لا تهتمهم مصلحة الأمة الإسلامية، بل تهتمهم منافعهم السياسية والمالية وما شابه ذلك.

يرى الباحث المنصف بعد التحقيق في المسألة صدق عكس الادّعاء الذي يدّعى من قبل المخالفين؛ فإذا طالعنا ترجمة أعلام مذهب أهل السنّة نرى أكثرهم

(١) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٣.

لا ينتمون إلى أسرٍ عربية، أليس أحمد بن حنبل ومالك وأبو حنيفة من الفرس؟! وهؤلاء هم ثلاثة من أربعة تدور عليهم رحى الانتماء المذهبي في الفقه عند السُّنة. ألم يكن خمسة من أصل ستة من أصحاب الصحاح من الفرس؟! ألم يشكّل غير العرب جلّ مفسري أهل السنة وفقهائهم أمثال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والليث بن سعد، وربيعة الرأي، والبيهقي، ومكحول بن عبد الله، ومحمد بن سيرين، والحسن البصري، والحاكم صاحب «المستدرک»، وعبد العزيز الماجشون الأصفهاني، وعبد الحق سيف الدين الدهلوي صاحب «مقدمة في مصطلح الحديث»، وعبد الحكيم القندهاري شارح البخاري في حاشيته، وعبد الحميد الخسروي شاهي صاحب «اختصار المذاهب على مذهب الأوزاعي»، وعبد الرحمن العضد الإيجي صاحب كتاب «المواقف»، وعبد الرحمن الجامي صاحب «فصوص الحكم»، وعبد الرحمن الكرمانی رئیس الأَصناف بخراسان وصاحب «شرح التجريد»، وشيخي زاده صاحب كتاب «مجمع الأنهار»، وأحمد بن عامر المروزي صاحب «مختصر كتاب المزني»، وسهيل بن محمد السجستاني صاحب كتاب «إعراب القرآن»، ومحمد بن إدريس أبي حاتم الرازي الذي يُعدّ بمستوى البخاري، والطبري صاحب التاريخ والتفسير، وأبي إسحاق الشيرازي صاحب كتاب «التشبيه». وعبد بن ذكوان أبي الزناد عالم المدينة بالفرائض والفقه وممّن روى عنه مالك والليث، وأحمد بن الحسين شهاب الدين الأصبهاني صاحب كتاب «غاية الاختصار»، ويعقوب بن إسحاق النيسابوري صاحب «المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج»، وأحمد بن عبد الله أبي نعيم صاحب «الحلية»، وابن خلّكان صاحب «وفيات الأعيان»، وأحمد بن محمد الثعلبي المفسّر... وغيرهم كثير كثير.

فالفكر السنّي مدين بكلّ أبعاده من الفقه والحديث والتفسير والعقائد



والتاريخ لغير العرب، وحتى أن محمد بن عبد الوهاب - إمام الوهابية - نشأ وتثقف على أيدي جماعة بعضهم من الفرس، يقول أحمد أمين عنه: ... فأقام نحو... سنة في «كردستان»، وستين في همذان، ثم رحل إلى أصفهان، ودرس هناك فلسفة الإشراف والتصوف، ثم رحل إلى «قم»، ثم عاد إلى بلده<sup>(١)</sup>.

### الشيعة والتمييز الطائفي:

يرى المبدأ الشيعي أن فكرة تفضيل قوم على قوم ولسان على لسان وأهل مدينة على أخرى لم يقرها الإسلام بعد ما كانت أمراً طبيعياً في العصر الجاهلي، ولكن نرى امتداد هذه الفكرة عند بعض من يتلبس بلباس الإسلام والدين إلى يومنا هذا، فنراهم يروجون لها بشكل كبير كأنها أصبحت جزءاً أساسياً من خطابهم الديني، ولكن الذي يبحث عن الحقيقة لا تؤثر عليه الإشاعات والافتراءات والشبهات، بل يبقى يشق طريقه بين ركाम الظلمات إلى النور، وإن «ليوناردو» هو ممن اكتشف الحقيقة بنفسه، ولم تؤثر عليه إلقاءات أعداء الإسلام.

---

(١) زعماء الإصلاح لأحمد أمين: ١٠.



(٤٥) مدين يو (مهدي)

(مسيحي / الفلبين)

من مواليد الفلبين، حاصل على شهادة الليسانس في الميكانيك، ترعرع في أسرة مسيحية، فتوجّه إلى التعبد متّخذاً هذا الدين سبيلاً ليوصله إلى رضوان ربّه، لكنّه رغم معيشتته في ظلّ أجواء حاولت إرخاء سحابة من الدخان حول فطرته، بقيت فطرته كامنة تهتف به لاعتناق المبادئ المتلائمة والمنسجمة معها، فبقي على هذه الحالة يعيش الأفكار المنطلقة من النظرة الضيقة للكون حتى تعرّف على الإسلام، فتجلّت له روعة الإسلام في انسجامها التام مع الكون، ولمس بنفسه الأثر الروحاني العظيم بعد أن وجدت المعارف الإسلامية سبيلاً إلى قلبه، فاندفع لدراسة الإسلام حتى توصل إلى هذه النتيجة: الإسلام هو العقيدة التي تقدّم له الحقيقة بصورة مقنعة وشاملة بحيث تتركه في وئام مع نفسه ومع الكون الذي حوله.

ولعل أكثر ما تميّز به الدين الإسلامي والمذهب الإمامي بالخصوص يكمن في ما يتعلّق بصفات الله عزّ وجلّ في النظرية الإسلامية.

**صفات الله عزّ وجلّ في النظرية الإسلامية:**

لا يختلف اثنان من المسلمين في أنّ الله سبحانه يوصف بكلّ ما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وأنّ عظّمته في الكمال والجلال كما هي لا يحدها وصف،

ولا يدركها عقل، وأنها أزلية أبدية، تماماً كذاته القدسية.

وإنما الكلام والخلاف في أنّ الصفات العليا بأيّ معنى تنسب إليه تعالى، وتطلق عليه؛ هل تنسب إليه جلّت عظمته على أنّها شيء غير الذات، وزائدة على كنهها وحقيقتها، تماماً كما هي الحال في وصف الإنسان بالعلم؟

فإنّ حقيقة الإنسان حيوان ناطق، وحقيقة العلم الكشف عن الواقع، فإذا وصفنا الإنسان بالعلم فقد وصفناه بما هو زائد وخارج عن ذاته وطبيعته، وإلا كان الإنسان بما هو عالماً من غير كسب واستفادة وبحث ودرس، وهذا خلاف الحسّ والوجدان؛ هل وصف الله بالعلم وغيره كذلك وعلى هذه الحال؟

أو أنّ الله يوصف بالعلم والقدرة بمقتضى ذاته وحقيقته، لا بشيء زائد عنها، تماماً كوصف الإنسان بالإنسانية، والشجر بالشجرية - مثلاً -؟

**الأولى: نظرية المعتزلة:**

ذهب مشايخ الاعتزال - لأجل حفظ توحيده سبحانه وتنزيهه عن التركيب من الذات والصفات - إلى أنّ ملاك إجراء هذه الصفات هو: الذات، وليست هناك أية واقعية للصفات سوى ذاته.

توضيحه: «إنّ حقيقة نظرية المعتزلة هي نظرية نيابة الذات عن الصفات من دون أن يكون هناك صفة، وذلك لأنّهم رأوا أنّ الأمر في أوصافه سبحانه يدور بين محذورين:

أولهما: إنّنا لو قلنا بأنّ له سبحانه صفات، كالعلم، وجب الاعتراف بأنّ هناك ذاتاً وصفة؛ لأنّ واقعية الصفة هي مغايرتها للموصوف، ولا يمكن أن يكون هنا صفة ولا تكون غير الموصوف، فعندئذ يلزم التركيب فيه سبحانه من: ذات وصفة؛ وهو محال.

ثانيهما: إنّ نفي العلم والقدرة وسائر الصفات الكمالية عنه سبحانه يستلزم

النقص في ذاته أولاً، ويكذِّبه إتقان آثاره وأفعاله ثانياً.

فالمخلص والمفرّج من هذين المحذورين هو: انتخاب نظرية النياية، وهي أن تقول بنياية الذات مناب الصفات، وإن لم يكن هناك واقعية للصفات وراء الذات. هذا هو المشهور عن المعتزلة وممن صرح به منهم: عبّاد بن سليمان؛ قال: «هو عالم، قادر، حي، ولا أثبت له علماً، ولا قدرة ولا حياة ولا أثبت سمعاً ولا أثبت بصراً، وأقول هو عالم لا بعلم، وقادر لا بقدرة، وحي لا بحياة، وسميع لا بسمع، وكذلك سائر ما يسمّى من الأسماء التي يسمّى بها»<sup>(١)</sup>.

### الثانية: نظرية الأشاعرة:

إنّ الأشاعرة ذهبت إلى وجود صفات كمالية زائدة على ذاته سبحانه مفهوماً ومصداقاً، فلا تعدو صفاته صفات المخلوقين إلا في القدم والحدوث، فالصفات في الواجب والممكن زائدة على الذات غير أنّ صفات الأوّل قديمة وفي غيره حادثة.

واستدلّ عليه الأشعري بوجهين:

الوجه الأوّل: إنّ كونه سبحانه عالماً بعلم، لا يخلو عن صورتين:

١- أن يكون عالماً بنفسه.

٢- أن يكون عالماً بعلم يستحيل أن يكون هو نفسه.

فإن كان الأوّل، كانت نفسه عالماً، ويستحيل أن يكون العلم عالماً، أو العالم عالماً. ومن المعلوم أنّ الله عالم.

ومن قال: إنّ علمه نفس ذاته، لا يصحّ له أن يقول: إنّهُ عالم؛ فإذا بطل هذا

الشقّ، تعيّن الشقّ الثاني، وهو أنّه يعلم بعلم يستحيل أن يكون هو نفسه<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: مقالات الإسلاميين: ١٦٥.

(٢) راجع: اللمع لأبي الحسن الأشعري: ٣١.

### الثالثة: نظرية الإمامية:

ذهب أهل العدل والتوحيد إلى أنه لا صفات لذات الله تزيد على ذاته، وأنّ وصفه بالعلم والقدرة تماماً كوصف الإنسان بالإنسانية، والشجر بالشجرية؛ لأنّ ذاته تعالى بما هي وبطبعها وحقيقتها تقتضي العلم والقدرة، بل هي عين العلم والقدرة، كما أنّ الإنسانية عين الإنسان؛ لأنّ كماله تعالى ذاتي لا كسبي، ومطلق غير مقيد بشيء دون شيء، وجهة دون جهة، وأتته بموجب هذا الكمال الذاتي المطلق غني عن كلّ شيء يزيد على ذاته وكنهه.

ولماذا الزيادة وما هو الداعي إليها مادامت الذات القدسية كاملة بنفسها من كلّ الجهات؟

وهل نحتاج إلى الزائد لنكمل به الكامل، ونتمّم التام؟!

وعلى هذا إذا أُطلقت صفات الكمال عليه تعالى، كالعالم والقادر، فيجب أن يراد بها نفس الذات القدسية التي تقتضي القدرة والعلم، بل هي عين العلم والقدرة، تماماً كما يراد من كلمة «الله».

وكلّ وصف جاء في القرآن الكريم، وعلى السنة الراسخين في العلم، فإنّ المراد هذا المعنى بالخصوص.

أمّا الصفات المنفيّة عن ذاته تعالى في كلام الإمام عليه السلام فهي الأحوال الخارجة عن الذات والزائدة عليها، وتعرض لها بسبب من الأسباب، تُنفى هذه عنه لأنّها من صفات المخلوقين دون الخالق. وقد يقول السائل: كيف نتصوّر وحدة الذات مع تعدّد الصفات؟ وهل هذا إلا كقول من قال: الأب والابن وروح القدس إله واحد؟

وأجاب بعضهم بأنّ الصفات بالنسبة إليه تعالى متعدّدة مفهوماً متّحدة مصداقاً.

وهذا الجواب لا يحلّ الإشكال؛ لأنّ صدق المفاهيم العديدة على شيء واحد يستدعي أن تكون به حيثيات عديدة، فيقال: هو عالم لصدق مفهوم العلم عليه، وقادر لصدق مفهوم القدرة.

والله واحد من كل وجه لا حيثيات له وجهات، أجل، يقال: هو علم لأنّ العلم ذاتي له، وهو عالم لأنّه يعلم كلّ شيء، ولكن الجهة هنا واحدة، وهي العلم. والأولى في الجواب: أنّه لا مصداق ولا مفاهيم، ولا حيثيات وجهات. لا شيء على الإطلاق إلا واجب الوجود الكامل المطلق من كلّ وجه، وإنّ التعدّد إنّما هو في أنواع الكمال وأقسامه، لا في ذات الكامل المطلق الذي هو المبدأ الأوّل لكلّ كمال.

وبتعبيرٍ ثانٍ: كما أنّ تعدّد المخلوقات لا يتنافى مع وحدة الخالق، كذلك تعدّد الكمالات لا يتنافى مع وحدة مبدئها ومصدرها.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين إلى هذه الحقيقة بقوله: (وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ)<sup>(١)</sup>.

فلا يصفه سبحانه بصفات مغايرة لذاته أو ناقصة في ذاتها، كأن يصفه بالظلم والعجز، وغيرها من الصفات التي تنزّه عنها<sup>(٢)</sup>.

فكمال المعرفة إنّما يكون بنفي الصفات غير اللائقة بذات الله، أو المنفصلة عنه، التي هي غير عين الذات.

ثم أنّه عليه السلام برهن على نفي هذه الصفات، وتنزّه الله عنها، وأنّها لا تليق به، ولا يمكن أن يتّصف بها، بالإشارة إلى أنّ العقلاء وأصحاب الفكر يعرفون أنّ الصفة

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى: ١: ١٥.

(٢) راجع: الإلهيات للسبحاني: ٣٧٧ - ٣٨٤.

غير الموصوف، والموصوف غير الصفة، فالكرم غير زيد، وزيد غير الكرم، فهما متغايران، والذات متقدمة على الصفة ومنفصلة عنها، ولا تقوم الصفة مستقلة برأسها بدون ذات، ومن يصف الله بغير ما هو أهل له من الصفات فقد وقع في الشرك، وكان إيمانه مشوباً بكثير من الأوهام الباطلة.

تحقيق صفاته سبحانه:

إنّ الصّفات على ثلاثة أقسام:

منها سلبية محضة، كالقدوسية والفردية، ومنها إضافية محضة، كالمبدئية والرازقية، ومنها حقيقية، سواء كانت ذات إضافة، كالعالمية والقادرية، أو لا، كالحياة والبقاء، ولا شك أنّ الإضافات زائدة على الذات، وزيادتها لا توجب انفعالاً ولا تكثرأ؛ لأنّ اعتبارها بعد اعتبار المضاف إليها، لكن يجب أن يُعلم أنّ الأمور السلبية بالنسبة إليه تعالى كلّها راجعة إلى سلب الإمكان، فإنّه يندرج فيه سلب الجوهرية، وسلب الجسميّة، وسلب المكان والحيز والشريك والنقص والعجز والآفة، وغير ذلك.

والإضافات في حقّه تعالى كلّها راجعة إلى الموجديّة التي تصحّح جميع الإضافات، كالخالقية والرازقية والكرم والجود والرحمة والغفران، ولو لم يكن له إضافة واحدة اتّحدت فيها جميع الإضافات اللاتفة به لأدّى تخالف حيثياتها إلى اختلاف حيثيات في الذات الأحديّة.

وأما الصفات الحقيقية، فكّلها غير زائدة على ذاته، وليس معنى عدم زيادتها مجرد نفي أضدادها عنه تعالى، حتى يكون علمه تعالى عبارة عن نفي الجهل، وقدرته عبارة عن نفي العجز، وعلى هذا القياس في السمع والبصر وغيرهما، ليلزم التعطيل، ولا أيضاً معنى كونه عالماً وقادراً أن يترتب على مجرد ذاته ما يترتب على الذات مع الصفة، بأن ينوب ذاته مناب تلك الصفات، ليلزم أن

لا يكون إطلاق العلم والقدرة وغيرهما عليه تعالى على سبيل الحقيقة، فيكون عالماً قادراً حياً سمياً بصيراً بالمجاز، فيصحّ سلبها عنه؛ لأنه علامة المجاز ولازمه.

فإن قلت: فما معنى قوله عليه السلام: (وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه)؟

قلنا: معناه أنها صفات عارضة موجودة بوجود زائد، كالعالم والقادر في المخلوقات، فإن العلم فينا صفة زائدة على ذاتنا، وكذا القدرة كيفية نفسانية، وكذا سائر الصفات، والمراد: أن هذه المفهومات ليست صفات له تعالى، بل صفاته ذاته وذاته صفاته، لأنّ هناك شيئاً هو الذات، وشيئاً آخر هو الصفة، ليلزم التركيب فيه، تعالى عنه علوّاً كبيراً، فذاته وجود وعلم وقدرة وإرادة وحياة وسمع وبصر، وهو أيضاً موجود عالم قادر حيّ يريد سميع بصير.

فإن قلت: الموجود ما قام به الوجود، والعالم ما قام به العلم، وكذا سائر المشتقات.

قلنا: ليس كذلك، بل ذلك متعارف أهل اللغة لَمَّا رأوا أنّ أكثر ما يطلق عليه المشتقّ لا بدّ فيه من صفة زائدة على الذات، كالأبيض والكاتب والضاحك وغيرها، فحكموا على الإطلاق أنّ المشتقّ ما قام به المبدأ، والتحقيق والاستقراء يوجبان خلافه؛ فإننا لو فرضنا بياضاً قائماً بنفسه لقلنا: إنه مفرّق للبصر، وإنه أبيض، فكذا الحال فيما سواه من العالم والقادر، فالعالم ما ثبت له العلم سواء كان بثبوت عينه أو بثبوت غيره.

**الرؤى الشيعية سبب الاستبصار:**

لَمَّا رأى «مدين يو» عمق نظرية الإمامية وكمالها بالنسبة لسائر النظريات اعتنق الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام<sup>(١)</sup>، وأصبح من الذين أنعم الله عليهم فهداهم سواء السبيل، وتيمناً باسم الإمام المنتظر عليه السلام سمى نفسه: «مهدياً».

(١) نقلاً عن كتاب: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٤.





## (٤٦) منتظر بونغالون (دو غلاس) (مسيحي / الفلبين)

ولد عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) في الفلبين في أسرة مسيحية الديانة، كاثوليكية المذهب.

حدث لـ «منتظر» في ريعان شبابه واقعة دعتة إلى البحث والتحقيق في معتقده السائد هناك، وهو أنه شاهد أحد الأصنام الموجودة في البيت ساقط ومكسّر، ما أثار في نفسه عدة شكوك وتساؤلات حول الربّ والخالق وغير ذلك وكانت هذه هي بداية المشوار.

### النظرية التوحيدية عند الشيعة:

هذا، ومما لفت نظر «منتظر» في أبحاثه: النظرية التوحيدية التي تبين موقع التوحيد في المعارف الدينية عند شيعة أهل البيت عليهم السلام. وهو ما استمدته «الشيعة» من القرآن والسنة.

فقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، إن «لا إله إلا الله» هي أهم كلمة وهي كلمة التوحيد، يعني ذلك أنه لا يمكن أن يتحقق التوحيد إلا من خلال

(١) محمد (٤٧): ١٩.

هذه الكلمة، أو هذه الجملة المباركة.

الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وكأنه لا يوجد في الدين إلا التوحيد، فالقرآن يريد أن يبين أنه: من علم التوحيد فقد علم كل شيء، فهو الدين كله، فإذا أحاط الإنسان بالتوحيد فقد أحاط بجميع المعارف الدينية، وإذا اختل هذا الأساس وهذا الركن اختلت جميع المعارف الدينية عنده. كما يوجد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ما يدل على هذه الحقيقة، فقد روي أنه دخل رجل على الإمام الصادق عليه السلام. فقال عليه السلام له: ممن الرجل؟ فقال: من محبيكم ومواليكم. فقال له جعفر عليه السلام: لا يحب الله عبداً حتى يتولاه، ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة.

ثم قال له: من أي محبين أنت؟

فسكت الرجل، فقال له سدير: وكم محبوكم يا ابن رسول الله؟

فقال: «على ثلاث طبقات:

طبقة أحبونا في العلانية، ولم يحبونا في السرّ.

وطبقة يحبونا في السرّ، ولم يحبونا في العلانية.

وطبقة يحبونا في السرّ والعلانية، هم النمط الأعلى، شربوا من العذب

الفرات، وعلموا تأويل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب، فهم النمط

الأعلى، الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل، مستتهم البأساء

والضراء وزلزلوا وفتنوا، فمن بين مجروح ومذبوح متفرّقين في كل بلاد قاصية،

بهم يشفي الله السقيم، ويغني العديم، وبهم تُنصرون، وبهم تُمطرون، وبهم تُرزقون،

وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً.

والطبقة الثانية: النمط الأسفل، أحبونا في العلانية وساروا بسيرة الملوك،

فألستهم معنا وسيوفهم علينا.

والطبقة الثالثة: النمط الأوسط، أحببنا في السرّ ولم يحببنا في العلانية، ولعمري لئن كانوا أحببنا في السرّ دون العلانية فهم الصّوامون بالنهار القوّامون بالليل، ترى أثر الرهبانية في وجوههم، أهل سلم وانقياد».

قال الرجل: فأنا من محببكم في السرّ والعلانية.

قال جعفر عليه السلام: «إنّ لمحبينا في السرّ والعلانية علامات يُعرفون بها».

قال الرجل: وما تلك العلامات؟

قال عليه السلام: «تلك خلال: أولها أنّهم عرفوا التوحيد حقّ معرفته، وأحكموا علم توحيده. والإيمان بعد ذلك بما هو وما صفته، ثمّ علموا حدود الإيمان وحقائقه وشروطه وتأويله».

قال سدير: يا ابن رسول الله، ما سمعتك تصف الإيمان بهذه الصفة؟

قال: «نعم يا سدير، ليس للسائل أن يسأل عن الإيمان ما هو حتى يعلم

الإيمان بمن».

قال سدير: يا ابن رسول الله، إن رأيت أن تفسّر ما قلت؟

قال الصادق عليه السلام: «من زعم أنّه يعرف الله بتوهم القلوب فهو مشرك، ومن زعم أنّه يعرف الله بالاسم دون المعنى فقد أقرّ بالطعن؛ لأنّ الاسم مُحدّث. ومن زعم أنّه يعبد الاسم والمعنى فقد جعل مع الله شريكاً، ومن زعم أنّه يعبد المعنى بالصفة لا بالإدراك فقد أحال على غايب، ومن زعم أنّه يعبد الصفة والموصوف فقد أبطل التوحيد؛ لأنّ الصفة غير الموصوف. ومن زعم أنّه يضيف الموصوف إلى الصفة فقد صغر بالكبير، وما قدروا الله حقّ قدره».

قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟

قال عليه السلام: «باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود؛ إنّ معرفة عين الشاهد

قبل صفته، ومعرفة صفة الغائب قبل عينه».

قيل: وكيف نعرف عين الشاهد قبل صفته؟

قال ﷺ: «تعرفه وتعلم علمه وتعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك. وتعلم أن ما فيه له وبه، كما قالوا ليوסף: ﴿قَالُوا أَلَيْسَ لَأَنْتَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾<sup>(١)</sup>، فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره، ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب، أما ترى الله يقول: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾<sup>(٢)</sup> يقول: ليس لكم أن تنصبوا إماماً من قبل أنفسكم تسمونه محققاً بهوى أنفسكم وإرادتكم».

ثم قال الصادق ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: من أنبت شجرة لم ينبتة الله، يعني من نصب إماماً لم ينصبه الله، أو جحد من نصبه الله. ومن زعم أن لهذين سهماً في الإسلام، وقد قال الله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

فالإمام بعد لم يقل ثانيها وثالثها، يريد أن يقول: أن التوحيد هو الأول، والثاني، والثالث، والأخير وهو كل شيء، فإن علم التوحيد هو علم الدين كله، وهذه هي الحقيقة التي يؤكد عليها أهل البيت ﷺ.

ولهذا يقول العلامة الطباطبائي: «ومن أهم ما يشاهد في هذا الدين ارتباط جميع أجزائه ارتباطاً يؤدي إلى الوحدة التامة بينها، بمعنى: أنه روح التوحيد سارية في الأخلاق الكريمة التي يندب إليها هذا الدين، وروح الأخلاق منتشرة في الأعمال التي يكلف بها أفراد المجتمع، فالجميع من أجزاء الدين الإسلامي ترجع بالتحليل إلى التوحيد»<sup>(٥)</sup>.

(١) يوسف (١٢): ٩٠.

(٢) النمل (٢٧): ٦٠.

(٣) القصص (٢٨): ٦٨.

(٤) تحف العقول: ٣٢٥ - ٣٢٩.

(٥) الميزان في تفسير القرآن ٤: ١٠٩.

فالباحث إذا حلل كل شيء يجد مرجعه ومآله إلى التوحيد، هو الأصل وهذه فروع وشعبه، فمن لم يعرف هذا الأصل ضاعت الفروع. وقد يقول قائل: لماذا تصادرون الآخرين، فالآخرون أيضاً يوجد عندهم علم التوحيد؟

ينبغي القول هنا بأن التوحيد عندهم ليس توحيداً خالصاً، إنما هو توحيد مشوب بالشرك، أو مشوب بالتجسيم وبالتشبيه، هو توحيد مشوب بالمحدودية والمعدودية، وأن التوحيد الحقيقي إنما هو في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فإذا حلل التوحيد يمكن استخراج العقائد والأخلاق والأعمال منه، وإذا ركبت هذه الأمور تخرج في كلمة واحدة هي: التوحيد، (فلو نزل) يعني: التوحيد (لكان هي، ولو سعدت لكانت هو)، يعني: هذه الحقيقة التوحيدية لو تنزلت لصارت هذه الفروع والشعب، وتلك الفروع والشعب لو سعدت ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾<sup>(١)</sup> تكون كلها هو.

الروايات الشريفة الدالة على هذه الحقيقة:

بملاحظة ما سبق، يتضح سبب تأكيد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام على مقولة التوحيد، فقد روي في هذا المجال عدة أحاديث، نذكر جملة منها:

الرواية الأولى: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل: لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

وهل يمكن أن يكون هناك شيء عدل لله سبحانه وتعالى؟! وقد قال يونس: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) فاطر (٣٥): ١٠.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ١٨.

(٣) الانبياء (٢١): ٨٧.

الرواية الثانية: عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ، قال: «الموجبتان: من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله تعالى دخل النار»<sup>(١)</sup>.

هنا يأتي السؤال: أين ذهب النبوة والإيمان بالمعارف؟

والجواب أنه لا يُعقل أن يكون هناك توحيد حقيقي من دون إيمان بالنبوة والعدل والكتب ومن دون العمل الصالح، فإذا كان فهو نحو من درجات الشرك.

الرواية الثالثة: عن جابر، عن أبي عبد الله جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرئيل بين الصفا والمروة، فقال: يا محمد! طوبى لمن قال من أُمّتك: لا إله إلا الله وحده مخلصاً»<sup>(٢)</sup>.

يعني أنه لا بد أن يكون التوحيد مع الإخلاص، ومعنى ذلك أن بعض المسلمين قد يقول بالتوحيد، لكنّه ليس بمخلص في قوله.

الرواية الرابعة: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّ وجلّ، من قالها مخلصاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار»<sup>(٣)</sup>.

الرواية الخامسة: عن عبد السلام بن صالح أبي الصلت الهروي، قال: كنت مع علي بن موسى الرضا عليه السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء، فإذا محمد بن رافع وأحمد بن حرب ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وعدّة من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته في المربعة، فقالوا: بحق آبائك المطهّرين، حدّثنا بحديث قد سمعته من أبيك، فأخرج رأسه من العمارية وعليه مطرف خزّ ذو وجهين، وقال:

(١) بحار الأنوار ٩٠: ٢٠٣.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ٢١.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق: ٢٣.

«حدّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي الصادق جعفر ابن محمّد، قال: حدّثني أبي أبو جعفر محمّد بن علي باقر علم الأنبياء، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين سيّد العابدين، قال: حدّثني أبي سيّد شباب أهل الجنّة الحسين، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: قال الله جلّ جلاله: إنّي أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل في حصني، ومن دخل في حصني أمن من عذابي»<sup>(١)</sup>.  
 الرواية السادسة: عن زيد بن أرقم، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنّة، وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلا الله عمّا حرم الله عزّ وجلّ»<sup>(٢)</sup>.

يعني: أن التوحيد الحقيقي لا بدّ أن يُترجم بعمل وسلوك خارجي.

### التوحيد الكامل المستبطن لجميع حقائق الدين:

إذن، عندما يراجع الباحث روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام يجد القضية واضحة وضوح الشمس، فإنّ للتوحيد محورية، ولكن أيّ توحيد؟ التوحيد الذي يستبطن كامل الاعتقادات، وكامل الأخلاق، والأعمال.

إذا صار الإنسان موحّداً لله سبحانه وتعالى حقيقةً، سيكون مقامه مع الملائكة، يقول تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾<sup>(٣)</sup>، يعني: أن الإنسان إذا شهد بالتوحيد الحقيقي يكون موقعه مع الملائكة.

فإذا صار الإنسان موحّداً تظهر آثار التوحيد عليه، فللتوحيد آثار عقديّة، وأخلاقية، وعملية، وهو يظهر في سلوك الإنسان الخارجي، وفي أخلاقه، وفي تعامله مع الغير وإذا لم توجد تلك الصفات في الشخص فهذا يعني أنّ في التوحيد

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٢٤ - ٢٥.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ٢٨.

(٣) آل عمران(٣): ١٨.

نقص، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿١﴾،  
والجميع متفق أنّ هذه الكلمة الطيبة هي: كلمة التوحيد، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي  
السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿٢﴾.

يعني: أنّ شجرة التوحيد لا ينقطع أكلها وثمرها، تظهر على كلّ سلوك،  
وعلى كلّ عمل، وعلى كلّ حركة، وسكنة ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾.

وفي المقابل: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴿٤﴾، وهي كلمة الشرك، ﴿اجْتُمَّتْ  
مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٥﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْذَهُبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ  
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٦﴾ (٢)، والذي ينفع الناس هو التوحيد، ولذا يقول تعالى:  
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴿٧﴾، يعني: كلمة التوحيد، فهي التي تصعد إليه تعالى  
﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿٨﴾ (٣)، أي: يدفعه إلى الأعلى، وإلا فالصاعد هو التوحيد.

### أهم النتائج المترتبة على التوحيد:

النتيجة الأولى: أنه لا يحقّ للإنسان أن يدخل في أيّ مفردة دينية عقديّة أو  
غير عقديّة، أصلية أو فرعية، إلا بعد تأسيس الأصل، وهو: التوحيد؛ يعني: ما لم  
يُبحث أصل التوحيد، سيكون البحث في أيّ مفردة أخرى عقيماً وعبثاً؛ فإن لم  
تُنقح مسائل التوحيد أولاً لا يمكن الدخول في المباحث الأخرى.

النتيجة الثانية: إنّ مدرسة أهل البيت تجعل التوحيد في الصف الأول، وأنّ  
التوحيد الذي عند هذه المدرسة هو التوحيد الذي بيّنه عدل القرآن الكريم، وهم  
أهل البيت عليهم السلام.

(١) إبراهيم (١٤): ٢٤ - ٢٦.

(٢) الرعد (١٣): ١٧.

(٣) فاطر (٣٥): ١٠.



النتيجة الثالثة: أن السُّنة هي المبيّنة للقرآن الكريم، فإنّ للشيعة والمعارف الدينية ركنين: الركن الأوّل هو القرآن الكريم، والركن الثاني هو السُّنة، وإنّما اختلف الشيعة مع غيرهم في معنى السُّنة، فغيرهم يقول: سُنّة الأمويين، وسُنّة البخاري، وسُنّة مسلم، ونحو ذلك، والشيعة تقول: سُنّة أهل البيت عليهم السلام، ليس الاختلاف في السُّنة، وإنّما في الطريق الموصل إلى السُّنة، فأهل السنة يقولون: الحقّ مع البخاري، ويقول الشيعة: أن الحقّ مع الكافي، إذ ليست المشكلة في السُّنة، وإنّما المشكلة في الطريق الموصل إليها.

النتيجة الرابعة: إنّ الذي يقول: كتاب الله، ويقف، فهو لا يخلو عن زندقة؛ لأنّ القرآن الكريم ينطق قائلاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(٣)</sup>.

### المذهب الشيعي ينسجم مع العقل والمنطق:

إنّ لمنهج أهل البيت عليهم السلام قراءة وفهم للتوحيد مستمدّ من القرآن والسُّنة، منسجم مع العقل والمنطق، بعيد عن الخرافة، وهذا خلاف ما يعتقده غيرهم، وهو مما جعل منتظر يعتنق الدين الإسلامي والمذهب الشيعي ويتعبّد إلى الله تعالى به، وكان استبصاره عام ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) في دولة الفلبين<sup>(٤)</sup>.

(١) الحشر (٥٩): ٧.

(٢) النحل (١٦): ٤٤.

(٣) النساء (٤): ٥٩.

(٤) للمستبصر ملف يذكر فيه أدلّة الاستبصار، وقد زار المركز مرّتين.



(٤٧) نيكانور كيكو (علي)  
(مسيحي / الفلبين)

من مواليد الفلبين، واصل دراسته الأكاديمية حتى تخرّج من معهد التكنولوجيا الكهربائية، نشأ في أسرة تعتنق الديانة المسيحية، بعد زمن من البحث والتحقيق في المجال الاعتقادي قرّر ترك التقليد الأعمى لموروث الآباء والأجداد، واعتنق الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

اهتمام المستبصرين بالبحوث العقائدية:

غالباً ما تكون عقلية الشخص الذي يوقّف للاستبصار عقلية علمية تحاول باستمرار أن تقف وقفة التأمل والتمحيص عند مرتكزاتها الفكرية وأصولها العقائدية، لتستبدل أفكارها الخاطئة بالأفكار الصحيحة، وتحفّز عقلها على الانعتاق من دوائر التبعية والتقليد الأعمى، لتستطيع عبر البحث المبني على القواعد العلمية الرصينة أن تكون لنفسها عقيدة صادقة وأصول ومبادئ سليمة.

فإن عقلية هكذا شخص تدرك بوضوح أهمية البحث في المجال العقائدي، وتدرك ما للعقيدة من صلة وثيقة بنشاط الإنسان الحيوي والعملي، وتعي أثر المعتقد على الإنسان نفسياً واجتماعياً وفكرياً.

(١) نقلاً عن: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٣.

وبهذه العقلية يدرك هكذا شخص أنه ينبغي أن يقوم بدراسة دقيقة لأفكاره وموروثاته العقائدية، ولا يصلح له أن يتغافل عنها أو يغض الطرف دونها، لئلا يسير على المسار الخاطيء وهو لا يشعر، ولئلا يستطيع الانتهازيون صرفه عن الحق وهو جاهل، ولئلا يتعلق بأذيال فهم خاطيء، أو يقع في شباك فرقة ضالة، ولئلا يكون «إمعة» في تصديق الأفكار والمعتقدات التي تُعرض عليه.

فلهذا لا يكون هكذا شخص من الذين يقفون من أمر عقائدهم موقف اللامبالاة، أو من الذين يكون موقفهم موقف من لا يعنيه شيء من أمر عقيدته، أو يقومون بإغلاق عقولهم عن التفكير في هذا المجال.

بل يقوم بغرلة معتقداته لي طرح أفكاره الرديئة ويستبدلها بالأفكار والرؤى السامية، ويخوض رحلة فكرية بحثاً عن الحقيقة، فيحكّم عقله ويقوم بتمحيص الحق ليعرفه من بين ركام الباطل.

ونجد في أقلام المستبصرين الإشارة إلى اهتمامهم بهذا الأمر ودعوتهم الآخرين إلى البحث في المجال العقائدي، يقول طارق زين العابدين:

«إنّ الدين الإسلامي لما كان هو نظام الحياة الذي يجب أن يؤسس كلّ مؤمن حياته عليه ويبنى عليه مصيره، كان لا بدّ أن يقوم اعتقاد كهذا على أساس يبعث اليقين والطمأنينة.

ولا يصحّ أن تُنال المصائر بالظنون والتوهم، أو تنال بالتقليد الأعمى الذي لا يعرف صاحبه الدليل والحجّة غير ما كان عليه آباؤه الأوّلون، فإذا سُئل: لماذا أنت مسلم؟ فإنّه لا يجيب إلا بالصمت والحيرة.

وإذا قيل له: لماذا أنت شيعي أو سنّي أو مالكي أو...؟ تراه يخطر في

الإجابة.

كل ذلك لأنه لم يفكر في اعتقاده ومصيره من قبل بحريّة، بل قام كلّ ما عنده من اعتقاد على التقليد الأبوي والاجتماعي، فصار على هذا مسلماً، شيعياً أو سنّياً<sup>(١)</sup>.

ويقول هذا المستبصر في مكان آخر من كتابه في مجال أهميّة التوجّه إلى البحوث العقائديّة:

«إنّ الحياة الدنيا ليست مجالاً لاكتساب أعمال قد أحيطت بالظنون وطوّقت بالأوهام؛ إذ أنّها حياة - وهي تؤدّي إلى مصير كهذا قطعاً - لا تحتل ذلك، لمحدوديّتها وقصرها، فلا بدّ إذاً أن يكون كلّ فعل يُكتسب فيها مؤسساً على اليقين والحقّ، والفعل الذي يبعث الاطمئنان على النتائج، فتأسس هذه الحياة على الظن والأوهام لا ينتهي إلا إلى هذين»<sup>(٢)</sup>.

ثم يضيف قائلاً:

«الحصول على هذا اليقين أولى ما يكون في العقيدة؛ إذ أنّها أصل لكلّ فرع، وفساده في فسادها، الذي هو موجبٌ لكلّ فساد لا محالة، إذ العقيدة هي التي نعيّنها بالتحقيق والتصحيح حتى تبدو وقد تأسست على الحقيقة واليقين، فلا بدّ إذاً من التحقّق من سلامتها بالفحص وإعادة النظر، وتقليب البصر وإعمال الفكر والتدبّر في أحوالها»<sup>(٣)</sup>.

ويقول ياسين المعيوف البدراني في هذا الخصوص:

«إنّه من واجب الإنسان الواعي أن يجعل الفكر والتبصّر والتأمّل رائداً له في سلوك الطريق الذي يوصل إلى الحقّ سبحانه وتعالى آخذاً بالعقائد الصحيحة

(١) دعوة إلى سبيل المؤمنين: ٨.

(٢) دعوة إلى سبيل المؤمنين: ١٥.

(٣) دعوة إلى سبيل المؤمنين: ١٦.

وتاركاً النزعات القبلية والعنصرية والقومية التي لا تولد عنده إلا القلق الدائم،  
والخوف المستمر، وعدم الاستقرار النفسي»<sup>(١)</sup>.

ويضيف هذا المستبصر قائلاً:

«يا إخوتي! في مثل هذه الحالة العقيمة المرّة التي نعيشها وسط مذاهب  
متعدّدة وطرق إسلاميّة شتى، لمّ لا نحاول البحث عن المذهب الحقيقي كي نتمسك  
به؟ ولماذا نأخذ الإسلام من موقع واحد؟ بينما هناك طرق ومشارب عديدة والله  
سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فمن واجب المسلم أن يدرس، وأن يتأمل المذاهب المطروحة  
في الساحة الإسلاميّة، وأن يعتمد على عقله وتفكيره، وعلى عوامل الاستدلال  
والاطمئنان المتوافرة لديه، وعند الاختلاف فإنّ الحق بيّن واضح لا يتعدّد، ولا  
يأخذ مظاهراً وصوراً وأشكالاً شتى، خلافاً لما يرى ويقول المصوّبة  
المغرضون»<sup>(٣)</sup>.

دوافع اهتمام المستبصرين بالبحوث العقائدية:

إنّ الشخص الذي يوفّق للاستبصار يكون دأبه التطلّع نحو المعرفة المبنية  
على الأدلّة الرصينة والبراهين السديدة، ودينه السير في طريق البحث من أجل  
الوصول إلى الحقيقة.

وحركة البحث من أجل فهم الواقع لا تتقدّم إلاّ عبر وجود ما يحفّزها، ومن  
جملة الدوافع الكثيرة التي تستثير همّة الإنسان للبحث العقائدي، هي الحقيقة، كما  
يمكن الإشارة إلى الأمور التالية:

(١) ياليت قومي يعلمون: ٤٩.

(٢) الزمر (٣٩): ١٧.

(٣) ياليت قومي يعلمون: ٤٩.

١ - حبّ المعرفة والاستطلاع، والشعور بالرغبة في تلمّس الحقيقة، وتوسيع دائرة الوعي، والنهوض بالمستوى العلمي، والاستزادة من معرفة الحقّ، والوقوف على كنهه وحقيقته.

وهذا هو السبب الذي دفع ياسين المعيوف البدراني للبحث؛ إذ أنّه يقول:  
«طلباً للمعرفة واستزادةً منها التقيت بعينات من أهل القرى والمدن، ممّا جعل بيني وبينهم بعض المناقشات والمحاورات، التي ولّدت عندي حافزاً جديداً لأن أعيد النظر في قراءاتي السابقة، وأن أقارن بينها وبين كتب أخرى، وما تحمل في طياتها من قضايا التاريخ ومجرياته.

ولقد وجدت عند كثير ممّن كنت أحاورهم وآخذ منهم تقاعساً عن اقتحام الحقيقة، وصمتاً أمام الدليل الواضح، متمسّين في ذلك مع ما يطلب الواقع، ومع ما هو موروث عن الآباء والأجداد، لكنني عزمت على العمل الدؤوب، والاستمرار في تقصي الحقيقة ومعرفة»<sup>(١)</sup>.

٢ - التوجّه بعد سموّ الوعي إلى الاهتمام بتنقيح القنوات وبنائها على ضوء الفكر السليم، والبحث الجادّ من أجل تطهير العقل من الخرافات المحتملة، التي تأخذ بيده إلى عالم الأوهام؛ لأنّ الرأي الفاسد الواحد يكفي لتهيئة العقل لتقبّل المزيد من شاكلته.

٣ - إيقاظ روح الجري وراء الحقيقة وتقصيها، والتطلّع إلى كسب البراهين، من أجل الوصول إلى العقيدة والرؤى الفكرية التي لم ينسجها الخيال البشري وفق ما تقتضي مصالحه ومآربه وأهوائه النفسية، ومن ثمّ التمكن من صيانة النفس من الاتجاهات الباطلة، والوصول إلى العقيدة السليمة التي تحفظ الإنسان من قبول الأفكار الضالّة والمنحرفة.

(١) ياليت قومي يعلمون: ٥.

وبعبارة أخرى، الوصول إلى العقيدة التي تقدّم لصاحبها الحقيقة بصورة مقنعة وشاملة، وتعيينه ليحصل على اليقين الكامل والتفكير النهائي، بحيث تهديه إلى الصراط المستقيم وتوصله إلى سبيل الرشاد.

ولهذا يقول إدريس الحسيني:

«والسؤال الذي يجب أن يطرحه كلّ مسلم على نفسه: لماذا أنا من هذه

الفرقة ولست مع تلك؟

هل الوراثة هي السبب أم الاجتهاد والقناعة؟

إذا كانت القناعة كما يدّعي بعضهم، فهي تعني الانسحاب من المذهب والبدء في مسيرة بحث محايدة ومتكافئة، أو قراءة التاريخ من أجل البحث عن الصواب، والاستعداد النفسي لخسران الكثير من المسلمات. والقراءة عن هذه الفرقة وكأنّها فرقة القارئ.. ثم تحكيم العقل، والقرآن، والوجدان... وجدير بنا القول آتئذٍ: (اللهم ما عرفتنا من الحقّ فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه).

أما أن نصم الآذان، ونعمي الأبصار، بحجّة الإيمان والتقوى فهو خداع

نفسى، وهروب من ضغوط الحقّ، ودفن للرأس في الرمال»<sup>(١)</sup>.

٤ - إبراء الذمّة أمام الله سبحانه وتعالى؛ لأن الرسول ﷺ حذر أمته بأنّها

ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا واحدة، وهذا ما يوجب على المسلم الاهتمام بمعرفة الحقّ.

ولهذا يقول محمد علي المتوكّل:

«فالأمر كما ترى جدّ خطير، فمجرد أن يكون هناك احتمال، ولو بنسبة

١٪، أن تكون من الأغلبية الضالّة، هو أمر يدعو إلى الخوف، ويدفع إلى التدقيق

(١) لقد شيعني الحسين: ٩٦ - ٩٧.

وإمعان النظر في كلِّ الموروث ومراجعته، علَّه يكون زائفاً.

وطالما أن الأمر أمرٌ جنة أو نار، فهو جدير بأن يندر المرء ما تبقى من أيام عمره - إذا تطلَّب الأمر - للبحث والتحقيق وتحري السبيل الذي يقود إلى النجاة، والطريق الذي ينتهي به إلى رسول الله ﷺ.

ثمَّ التصميم على اتِّباع نتائج البحث حتى ولو كانت نسفاً لكلِّ التراث الفكري والعقائدي، وخروجاً على الأسرة والمجتمع.

قد لا تكون في شكٍّ من سلامة أيِّ من معتقداتك ومسلّماتك التاريخية، مع أنّها في الغالب تكون مجرد تقليدٍ أعمى وتبعيَّة ساذجة للأسرة والمجتمع، فلماذا لا تخصص جزءاً من وقتك واهتمامك للتحقق من مطابقتها لمعتقداتك لحقائق الدين، ومسلّماتك التاريخية للواقع التاريخي؟

فإنَّك إن فعلت لن تخسر شيئاً، بل تكون لك الحجَّة إذا ما سئلت عن مصدر قناعاتك، ولا تكون من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وعندئذ تكون حجَّتك داحضة وعذرُك مردوداً<sup>(٢)</sup>.

ويقول طارق زين العابدين في هذا المجال:

«إنَّ الاختلاف الذي وقع بين المسلمين إلى اليوم يؤيِّد ما ذهبنا إليه في وجوب التحقيق والبحث في ما بلغنا من اعتقاد، وإلَّا فكيف نطمئن إلى حصول السلامة وبلوغ النجاة؟ وكيف نثبت ذلك ونقيم عليه الدليل والحجَّة؟

هذا أمر لا أظنَّ سيستهوِّنه مسلم ارتبط مصيره بيوم فيه حساب، ثمَّ ثواب أو عقاب، ولا أظنَّ إنساناً صدَّق باليوم الآخر ولا يرجو فيه التَّجاة والسلامة.

(١) الزخرف (٤٣): ٢٣.

(٢) ودخلنا التشيع سجداً: ٨.



فالتحقيق والبحث هو السبيل إلى بلوغ هذه الغاية والحصول على النجاة المطلوبة»<sup>(١)</sup>.

ويقول مروان خليفات أيضاً في هذا المجال:

«ونحن نرى اليوم أنّ المسلمين فرق عديدة، وكلّ واحدة تدّعي أنّها على الحقّ، وقد رأيت أنّ هذا الأمر مهمٌّ جدّاً، وعليه يتوقف مصير الإنسان، لذا فحريّ بكلّ مسلم يرجو الخلاص يوم القيامة أن يجتهد في معرفة هذه الفرقة، فيتبعها... ومن الغريب أن المسلم يقرأ حديث الافتراق هذا ولا يقوم بواجبه الشرعي في البحث عن هذه الطائفة بحرّيّة وموضوعيّة، كي تبرأ ذمّته ويلقى ربّه بقلب سليم»<sup>(٢)</sup>.

ويقول إدريس الحسيني بشأن أهمية الوصول إلى القطع الذي تثبت به براءة الذمّة:

«وليكن ما يكون، ولكن لا بدّ لي أن أفكّر، وأمارس كينونتي في الوجود؛ لأبريء ذمّتي، طلباً للحقّ والتماساً للنجاة، وبعدها أطلب العذر على تقصيري. المهم هو: الوصول إلى (القطع) الذي تثبت به المعدّريّة. وهذا القطع لا بدّ أن يحصل بالاجتهاد والبحث الحثيث»<sup>(٣)</sup>.  
ويقول التيجاني السماوي عن تأثره بحديث الافتراق والأهميّة التي يحضّي بها هذا الحديث:

«قرأت الحديث الشريف الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «افتترقت بنو إسرائيل إلى إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة،

(١) راجع: دعوة إلى سبيل المؤمنين: ١٦ - ١٧.

(٢) وركبت السفينة: ٢٢.

(٣) لقد شيعني الحسين: ٩٤.

وستفترق أمتي إلى ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة». فلاكلام لنا مع الأديان المتعددة التي يدعي كل منها أنه هو الحق وغيره الباطل، ولكن أعجب وأندهش وأحترار عند قراءة هذا الحديث. وليس عجيبي واندهاشي وحيرتي للحديث نفسه، ولكن للمسلمين الذين يقرؤون هذا الحديث، ويرددونه في خطبهم، ويمرّون عليه مرّ الكرام بدون تحليل ولا بحث في مدلوله، لكي يتبينوا الفرقة الناجية من الفرق الضالة. والغريب أن كل فرقة تدعي أنها هي وحدها الناجية، وقد جاء في ذيل الحديث:

(قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال ﷺ: من هم على ما أنا عليه، أنا وأصحابي).

فهل هناك فرقة إلا وهي متمسكة بالكتاب والسنة؟!

وهل هناك فرقة إسلامية تدعي غير هذا؟!

فلوسئل الإمام مالك أو أبو حنيفة أو الإمام الشافعي أو أحمد بن حنبل،

فهل يدعي أي واحد منهم إلا التمسك بالقرآن والسنة الصحيحة؟!

فهذه المذاهب السنية، وإذا أضفنا إليها الفرق الشيعية التي كنت أعتقد

بفسادها وانحرافها، فما هي الأخرى تدعي أيضاً أنها متمسكة بالقرآن والسنة

الصحيحة المنقولة عن أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، وأهل البيت أدري بما فيه، كما

يقولون.

فهل يمكن أن يكون كلهم على حق كما يدعون؟!

وهذا غير ممكن؛ لأنّ الحديث الشريف يفيد العكس، اللهم إلا إذا كان

الحديث موضوع، مكذوب، وهذا لا سبيل إليه؛ لأنّ الحديث متواتر عند السنة

والشيعة، أم أنّ الحديث لا معنى له ولا مدلول؟ وحاشى لرسول الله ﷺ أن يقول شيئاً لا معنى له ولا مدلول وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وكلّ أحاديثه حكمة وعبر.

إذا لم يبق أمامنا إلا الاعتراف بأنّ هناك فرقة واحدة على الحق وما بقي فهو الباطل، فالحديث يبعث على الحيرة، كما يبعث على البحث والتنقيب لمن يريد لنفسه النجاة.

ومن أجل هذا داخلني الشك والحيرة بعد لقائي بالشيعة؛ فمن يدري لعلهم يقولون حقاً وينطقون صدقاً؟!

ولماذا لا أبحث ولا أنقب، وقد كلفني الإسلام بقرآنه وسنته أن أبحث وأقارن وأتبيّن؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (١).

وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

وقد قال رسول الله ﷺ: (ابحث عن دينك حتى يقال عنك مجنون)؛ فالبحث والمقارنة واجب شرعي على كلّ مكلف (٣).

٥ - الرغبة في توسيع آفاق الرؤية والمعرفة وازدياد البصيرة، رفع مستوى الثقافة الدينيّة من خلال الانفتاح على باقي المذاهب.

ويندفع الباحث إلى هذه الأمور لتكون زاوية رؤيته للأمور الدينيّة رحبة ومتّسمة بالشموليّة، وليتسنى له بعد الإلمام بالرؤية الدينيّة أن يتّبع أحسنها، وأن يسلك أفضلها، ولعله يجد ضالته المنشودة في مذهب آخر!

(١) العنكبوت (٢٩): ٦٩.

(٢) الزمر (٣٩): ١٨.

(٣) ثمّ اهتديت: ٧٤ - ٧٥.

٦ - إنقاذ النفس من التيه والضياع والتخبُّط والفوضى في الصعيد الفكري والفراغ العقائدي والخواء الروحي وملئه بعقيدة تعيد للإنسان توازنه المفقود، وتمدّه بالعطاء والغذاء الروحي، وتأخذ بيده إلى الكمال والتسامي، بحيث يترك ذلك أثره الإيجابي في سلوكه وتصرفاته وتوجّهاته.

٧ - ارتقاء المستوى الفكري وبلوغ مرتبة النضج في الإدراك والتفكير، والتمكّن من الموازنة بين الأمور بتعقل وحكمة، ومن ثم التوجّه، انطلاقاً من الشعور بالثقة والإحساس بالجدارة، نحو البحث عن معين يغذّي العقل بمفاهيم نقيّة لا تشوبها أيّة شائبة.

لأنّ الإنسان نتيجة تراكم التجارب التي يتلقّاها خلال حياته، تنشأ في سريره مجموعة منبّهات تدفعه ليعيش حالة اليقظة والوعي والبصيرة، فيبدأ الإنسان بعد ذلك بإمعان النظر فيما يدور حوله وما يتلقّاه من أفكار ومفاهيم، ويندفع إلى غرلة خزين أفكاره وتنقية ذهنه من المفاهيم الخاطئة والعقائد الضالّة.

٨ - عدم الاكتفاء بما تملي الأجواء من انتماء، بل ربّما الشك في صحّتها بعد إمعان النظر فيها، والشعور بوجود شيء ينقصها، ومن ثم اتّخاذ قرار البحث والتنقيب ليكون المرء على بصيرة من أمر دينه، وعالماً بقضايا مذهبه، وليكون انتماءه مرتكزاً على الأدلّة الساطعة، ومبتنياً وفق ما تملي عليه الحجج والبراهين الواضحة.

٩ - الاقنناع بأنّ حب الاستطلاع في الأمور الدينيّة بحاجة إلى فكر يفتح ويتّسع في آفاق البحث، ليتحرّر من حالة التقليد الأعمى والجمود واحترام المقدّسات المزيّفة، ومن ثم الانطلاق بقوة وبجدية نحو البحث وتحدي كلّ العقبات التي تعتري حركة البحث باتجاه الوصول إلى الحقيقة التي يطمئن إليها القلب.

١٠ - الشعور بحالة سلبية نتيجة تراكم الشبهات والتساؤلات العقائدية في الذهن، ومن ثمّ الإحساس بلزوم التوجّه إلى مصدر يجيب عن هذه الأسئلة والاستفسارات، من أجل التمكن من اقتحام جميع المجاهيل المقفلة بعد الحصول على الأجوبة المقنعة للأسئلة الحائرة.

لأنّ الإنسان حينما يسمو وعيه تُساوره بعض الشكوك بشأن المبادئ التي يعتنقها، وتخطر على باله بعض الأسئلة والشبهات، فتعتربه حالة قلق المعرفة، تبدأ هذه الحالة تستشري في نفسه وتلحّ عليه ليتطّلع نحو الحقيقة ولينطلق بفكر منفتح وعقلية واعية ليعبّد لنفسه طريق الوصول إلى العقيدة الحقّة.

١١ - الانتباه إلى النفس ورؤيتها بأنّها لا تعتمد على ركن وثيق في أهم جانب من جوانبها الحيائية، وهي العقيدة، والاقتناع - على أثر النظر إلى البنية الفكرية - بالحاجة إلى إعادة النظر في المرتكزات الفكرية، ومن ثم العزم على تشييد عقيدة مبنية على الأسس المتينة والدعائم الراسخة.

١٢ - هنالك حالات خاصّة دفعت بعض المستبصرين للبحث في المجال

العقائدي، منها:

يذكر أحد المستبصرين قائلاً: ذهبت قبل الاستبصار إلى العلماء من أهل السُنّة لعليّ أجد عندهم ما يدلّني على الانتماء العقائدي الصحيح، وطلبت منهم الإجابة عن الشكوك العالقة بذهني، وإقناعي بردود وإجابات شافية ومقنعة تسكن حيرتي وتشفي غليلي وتريح ضميري، لكنّهم ثاروا بوجهي واتّهموني بالضلال، فقرّرت بعدها الاعتماد على نفسي، فانفردت بنفسي، فوجدت أنّي بحاجة ماسّة إلى التزوّد من المعرفة، ومن هنا نشأت في نفسي رغبة ملحة للبحث والمطالعة في الأمور العقائدية.

وهذا ما حدث مع إدريس الحسيني الذي أراد جملة ممّن حوله أن يمنعوه

عن البحث، لكن بآء محاولاتهم بالفشل، بل أدت إلى عكس ما أرادوه، يقول إدريس الحسيني عن هؤلاء:

«إنّ الذين لم يكونوا يجيبونني عن تساؤلاتي، وينصحونني بأن لا أقرأ التاريخ إطلاقاً، كانوا بمثابة حافز لي لالتماس الجواب بنفسي»<sup>(١)</sup>.

ويذكر مستبصر آخر عن عمّا دفعه للبحث في المجال العقائدي:

سمعت ذات مرّة عن طريق المحاورات التي تجري بين أوساط أبناء منطقتنا بعض الأمور والقضايا الإسلامية بحيث نالت إعجابي؛ لأنني وجدت آراء كاملة ورائعة، فاستفسرت عن القائمين بها، فقل لي أنّها تابعة للشيعه.

فقررت من ذلك الحين البحث حول التشيع لطلب المزيد من أمثال هذه الرؤى الإسلامية التي أثلجت صدري، وروت ضميري المتعطّش للحقائق الدينيّة.

ويقول صالح الورداني عن الدافع الأوّل الذي دفعه للبحث:

«إنّ ما عايشته وواجهته من قبل التيارات الإسلاميّة في مصر، كان الدافع الأوّل والأساس الذي أدّى بي للغوص في التراث الإسلامي، المصدر الأساس لهذه التيارات، كمحاولة للوصول إلى الخلل الذي أوجد التناحر والتكاثر بين هذه التيارات.. لم أجد هذا الخلل من الحاضر، بل وجدته من الماضي»<sup>(٢)</sup>.

ويقول هشام آل قطيط عن أحد العوامل التي حفّزته للبحث:

«إنّ قصّة الانتقال في العصر الحاضر من السُنّة إلى الشيعة، زادني حيرة وتأملاً وتفكيراً في هذا المجال العقائدي، فصرت أتساءل مع نفسي: ما هذا الانتقال الضخم والتحوّل الهائل من التسنن إلى التشيع؛ من علماء أهل السُنّة ومثقفهم، ولم أجد العكس...؟!»

(١) مجلّة المنبر/ العدد: ٣.

(٢) الخدعة: ٤.

لماذا...؟!!

فقلت: لو لم تكن الأدلة مقنعة لما انتقل هؤلاء بهذه الكثرة وتركوا التسنن وأصبحوا شيعة»<sup>(١)</sup>.

التفكر والاستبصار:

إن الاهتمام بالبحوث العقائدية هي نتيجة تفكير الإنسان بالمسائل الأساسية التي تبني رؤيته الكونية؛ فلماذا نرى أن معظم الذين وقَّعوا الاستبصار هم من أهل العلم والتفكر، ولا يُستثنى «نيكانور» من هذه القاعدة، فالحمد لله الذي جعل التدبّر والتفكر طريقاً لهداية الإنسان إلى الحقّ والسير على الصراط المستقيم؛ لنيل السعادة في الدنيا، والفوز برضا الله جلّ وعلا في الآخرة. وأما «نيكانور» فبعد استبصاره غير اسمه إلى «علي» تيمناً باسم مولود الكعبة أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) ومن الحوار اكتشفت الحقيقة: ٢١٧.



## (٤٨) والنتين كومز (علي رضا) (مسيحي / الفلبين)

ولد في الفلبين، حاصل على شهادة البكالوريوس في قسم الهندسة، نشأ في أسرة مسيحية، لكنه أحس في كنفها بحالة من الخلأ العقائدي والحيرة والضياع، وهذا ما دفعه إلى دراسة الأديان، فتعرف وبادر إلى دراستها بعمق لينقذ نفسه من حالة الفراغ العقائدي ومن التيه المظلم.

يا عمار تقتلك الفئة الباغية:

ومن الأمور التي تلفت نظر من يدرس التاريخ الإسلامي معاجز الرسول الأكرم ﷺ، والتي أنبأ من خلالها علي ما سيقع على الأمة في المستقبل، ومنها التي اثبت من خلالها حقيقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، من خلال إخباره بقتال علي عليه السلام أهل البغي وهم العادلون عن الحق الراضون لأمر الله وحكمه، وهم معاوية وأصحابه، فقد جاهدهم الإمام في وقعة صفين، وهو ما أخبر به النبي الأعظم ﷺ في مجموعة من الروايات:

١- عن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية إذ جاء رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منها: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: وليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال:



أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل (١).

قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات (٢).

وجاء في هامش تهذيب الكمال: وهو صحيح متواتر (٣).

ويجاب عبد الله هذا بأن قول رسول الله ﷺ يخصه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

قال الفخر الرازي: «يعني أن خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله، أما إذا أفضى إليه فلا تطعهما» (٥).

وهل هناك معصية أعظم من تكثير سواد الفئة الباغية، قتلة عمار بن ياسر التي أمر الله تعالى بقتالها في قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِي إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٦).

٢ - عن خالد العرفي، قال: دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة، فقلنا: يا أبا عبد الله! حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ في الفتنة، قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: دوروا مع كتاب الله حيث ما دار، فقلنا: فإذا اختلف الناس فمع من نكون؟ فقال: انظروا الفئة التي فيها ابن سمية فالزموها، فإنه يدور مع كتاب الله. قال: قلت: ومن ابن سمية؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: بينه لي. قال: عمار بن ياسر،

(١) مسند أحمد ٢: ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) مجمع الزوائد ٧: ٢٤٤.

(٣) تهذيب الكمال ٧: ٤٣٦.

(٤) لقمان (٣١): ١٥.

(٥) تفسير الرازي ٢٥: ١٤٧.

(٦) الحجرات (٤٩): ٩.

سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: يا أبا اليقظان! لن تموت حتى تقتلك الفئة  
الباغية عن الطريق<sup>(١)</sup>.

قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث له طرق بأسانيد صحيحة، أخرجنا  
بعضها ولم يخرجاه<sup>(٢)</sup>.

٣- عن عكرمة، أن ابن عباس قال له ولعلي بن عبد الله: انطلقا إلى أبي سعيد  
الخدري، فاسمعا من حديثه. قال: فانطلقا فإذا هو في حائط له، فلما رأنا أخذ  
رداءه فجاءنا فقعدا، نشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد، قال: كنا نحمل  
لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، قال: فرآه رسول الله ﷺ، فجعل  
ينفض التراب عنه ويقول: يا عمار! ألا تحمل لبنة كما يحمل أصحابك؟! قال: إني  
أريد الأجر من الله. قال: فجعل ينفذ التراب عنه ويقول: ويح عمار، تقتله الفئة  
الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، فجعل عمار يقول: أعوذ بالرحمن  
من الفتن<sup>(٣)</sup>.

قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم  
يخرجاه بهذه السياقة<sup>(٤)</sup>.

٤- عن عمرو بن ميمون، قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار. فكان  
رسول الله ﷺ يمرّ به ويمرّ يده على رأسه، فيقول: يا نار كوني برداً وسلاماً على  
عمار كما كنت على إبراهيم، تقتلك الفئة الباغية<sup>(٥)</sup>.

فقد أخبر النبي الأعظم ﷺ أن ما قام به المشركون بعمار سيكمله المنافقون

(١) تاريخ بغداد ٨: ٢٦٩.

(٢) مستدرک الحاكم ٢: ١٤٨.

(٣) صحيح البخاري ٣: ٢٠٧.

(٤) مستدرک الحاكم ٢: ١٤٩.

(٥) الطبقات الكبرى ٣: ٢٤٨.

معاوية وأصحابه، وذلك بقتله وهو ما حدث بالفعل.

٥ - عن أبي الغادية، قال: سمعت عماراً يقع في عثمان ويشتمه بالمدينة، فتوعدته بالقتل، فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس، فقيل: هذا عمار. فحملت عليه فطعنته في ركبته، فوق فقتلته، فأخبر عمرو بن العاص، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قاتله وسالبه في النار. فقيل لعمرو: ها أنت تقاتله، قال: إنما قال قاتله وسالبه<sup>(١)</sup>.

وفي معرض التعليق على هذه الرواية ينبغي الإشارة إلى عدة أمور:  
أولاً: هل إن سبَّ عمار لعثمان وشتمه حكمه القتل حتى يبرر أبو الغادية قتله لعمار بذلك؟ فإذا كان الأمر كذلك فينبغي قتل جميع بني أمية وأتباعهم، لأنهم سبوا علياً ثمانين سنة على منابر المسلمين.

ثانياً: إنَّ أبا الغادية توعد عماراً بالقتل، وكان سيقبله سواء أتى به علي عليه السلام كما سيأتي من أن معاوية نسب القتل إلى علي عليه السلام أو لم يأت به، فإن معاوية أمر بقتل عمار على كل حال.

ثالثاً: إنَّ جواب عمرو بن العاص للناس عندما سألوه: أليس هو ممن قتل عمار؟ يذكر الباحث بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ \* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا

(١) مسند أحمد ٤: ١٩٨.

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١).

فإن من أوضح مصاديق هذه الآيات عمرو بن العاص، إذ أنه كان قائد الجيش الذي أرسل أبو الغادية وأمثاله لقتل عمار وسلبه، فكيف لا يكون شريكا لهم في عملهم؟ ولكنّه يخادع الله والناس، ولم يعلم أنه لم يكن يخدع إلا نفسه، فبإذن غضب الله ورسوله، وذلك هو الخسران المبين.

وإن ما يكذب ما ادعاه معاوية - وأنه جاء قاصداً عامداً لقتل عمار - ما جاء

في مجموعة من المصادر التاريخية:

١ - قال ابن خلدون: «... فقال شبث بن ربعي: أيسرك يا معاوية أن تقتل عماراً؟ قال: نعم بمولاه، قال شبث: حتى تضيق والله الأرض الفضاء عليك، فقال معاوية: لو كان ذلك لكنت عليك أضيق..» (٢).

٢ - قال ابن الأثير: «... فقال شبث بن ربعي: أيسرك يا معاوية أن تقتل عماراً؟ فقال: وما يمنعني من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان، فقال شبث: والذي لا إله غيره لا تصل إلى ذلك حتى تنذر الهام عن الكواهل، وتضيق الأرض الفضاء عليك، فقال معاوية: لو كان ذلك لكنت عليك أضيق!..» (٣).

ثم إن كان علي عليه السلام هو الذي قتل عماراً فلماذا يعطي معاوية الجائزة لقاتله ولمن احتز رأسه كما تقدم في الأخبار الصحيحة، وكما سيأتي؟  
فهل الجائزة تعطى عند إغصاب الشخص أم عند إرضاءه؟

(١) البقرة (٢): ٨-١٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ ق ٢: ١٧١.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٠.

لقد سعد معاوية بقتل عمار، وإنه بقتله قد أزال حجر عثرة أمام مخططاته اللئيمة في إقامة حكومة بني أمية الجائرة.

ومما يؤكد أنه قتل بيد معاوية، وأنه قتله عالماً عامداً ما روي عن مغيرة، عن ابنة هشام بن الوليد بن المغيرة، وكانت تمرض عماراً، قالت: جاء معاوية إلى عمار يعود، فلما خرج من عنده، قال: اللهم لا تجعل منيته بأيدينا، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتل عماراً الفئة الباغية<sup>(١)</sup>.

وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، فلم يتقبل من هذا المنافق دعاءه، وكان استشهاد عمار على يديه، فباء بالخزي في الدنيا وبالخلود في السعير، وليبس مئوى المتكبرين.

ثم نسأل معاوية: هل أجبر علي عليه السلام عماراً أو أكرهه حتى يدعي أنه ألقاه بين أسيافكم ورماحكم؟ بل إن الروايات تصرح بأن عماراً كان يعتقد بأن القتال تحت راية علي عليه السلام هو كالقتال تحت راية النبي الأعظم ﷺ، وأن راية معاوية هي راية المشركين، ولم تكن هذه عقيدة عمار فحسب، بل كانت عقيدة صحابة النبي الأبرار الذي كانوا يميلون معه كيف مال، وجعلوه راية لهم.

ومما يؤيد أن معاوية لم يكن معتقداً بصحة كلامه ولا أصحابه ما رواه ابن الأثير، قال: إن ذا الكلاع خرج إلى الشام وأقام به، فلما كانت الفتنة كان هو القيم بأمر صفين، وقتل فيها.

قيل: إن معاوية سره قتله، وذلك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال لعمار بن ياسر: تقتله الفئة الباغية، فقال لمعاوية وعمرو: ما هذا، وكيف نقاتل علياً وعماراً؟ فقالوا: إنه يعود إلينا ويقتل معنا، فلما قتل ذو الكلاع وقتل عمار، قال معاوية: لو كان ذو

(١) مسند أبي يعلى ١٣: ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٢) المائدة (٥): ٢٧.

الكلاع حياً لمال بنصف الناس إلى علي<sup>(١)</sup>.

وقال الحلبي: «لما قتل عمار جرّد خزيمة بن ثابت سيفه، وقاتل مع علي، وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتل عماراً الفئة الباغية، فقاتل معاوية حتى قتل.

وكان ذو الكلاع مع معاوية، وقال له يوماً ولعمرو بن العاص: كيف نقاتل علياً وعمار بن ياسر؟ فقال له: إنَّ عماراً يعود إلينا ويقتل معنا، فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار، ولما قتل عمار قال معاوية: لو كان ذو الكلاع حياً لمال بنصف الناس إلى علي، أي: لأنَّ ذا الكلاع كان ذووه أربعة آلاف أهل بيت، وقيل: عشرة آلاف، وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء مع علي - رضي الله تعالى عنه - فلما قتل عمار أخذ سيفين، ولبس درعين، ولم يزل يضرب بسيفه»<sup>(٢)</sup>.

ولما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانَّت لي الضلالة، واقترب فقاتل حتى قتل، وكان الذي قتل عمار بن ياسر أبو غادية المزني، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذٍ يقاتل في محفّة، فقتل يومئذٍ وهو ابن أربع وتسعين سنة.

فلما وقع أكبر عليه رجل آخر فاحتز رأسه، فأقبلا يختصمان فيه، كلاهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إنَّ يختصمان إلا في النار، فسمعها منه معاوية، فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العاص: ما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان في النار. فقال عمرو: هو والله ذاك، والله إنَّك لتعلمه، ولوددت أني مت قبل هذه بعشرين سنة<sup>(٣)</sup>.

ولو كان عمرو بن العاص تأوّل واعتقد أن الحقّ مع القاسطين، فلماذا يتمنى الموت قبل عشرين سنة، والأولى أن يفرح بأنه يقوم بإقامة الحق والعدل، ومن هنا

(١) أسد الغابة ٢: ١٤٣.

(٢) السيرة الحلبيّة ٢: ٢٦٤.

(٣) مستدرک الحاكم ٣: ٣٨٥ - ٣٨٦.

يظهر أن عمرو بن العاص كان يعرف أن الحق مع أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنه باع دينه، واختار جهنم وبئس المصير في مقابل ثمن بخس وهي مصر.

قال ابن الأثير: ولما قتل عمار قال: ادفنوني في ثيابي، فأني مخاصم<sup>(١)</sup>.

ومن الذي يخاصمه عمار؟ هل يخاصم علياً أم يخاصم معاوية؟

ثم ما معنى المخاصمة إذا كان الأمر كما يدعي البعض بأن القاتل والمقتول في الجنة؟ فتكون المخاصمة إذاً من العبث، وهو ما يبين أن المخاصمة ستكون مع من قتله وهو معاوية، وإن عقيدة دخول الجاني والمجني عليه والباغي والمنافق مع المؤمنين الجنة ما هي إلا خرافة أوجدها الأمويون ليبرروا بها جرائمهم بحق الإسلام والمسلمين.

الاستبصار بعد البحث والتحقيق حول أحقية الدين الإسلامي:

عندما تتضح أدلة أحقية الدين الإسلامي بالعديد من الأمور، ومنها: المعاجز الإلهية على لسان نبيه الكريم يمتلىء قلب الباحث طمأنينة، ويغمركيانه النور، فيتجلى له الحق بأسمى تجلياته، وهذا ما حصل لـ «النتين»، وأدى به لاعتناق الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

(١) أسد الغابة ٤: ٤٧.

(٢) راجع: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٦٨.



(٤٩) ويكي لاهرا (زينب)  
(مسيحية / الفلبين)

ولدت في الفلبين، حاصلة على شهادة الليسانس أمضت فترة من حياتها معتنقة لديانة المسيحية، ولكنها وجدت تقليدها الأعمى لأصول هذه الديانة سيؤدّي إلى التعصّب للمفاهيم الخاطئة، وإنّ الحلّ الوحيد للتخلّص من هذه المعاناة النفسية هو التوجّه إلى البحث واكتشاف الحقيقة عن طريق الدليل والبرهان، فبذلت قصارى جهدها في البحث والتتبّع والدراسة عن الأمور الفكرية والعقائدية حتّى توصلت إلى أنّ الإسلام هو الدين الأكمل.

ومن المفاهيم التي تبرهن على كمال هذا الدين العظيم وتعطيه صبغة إعجازية هو أنّه لا ينحصر في زمان «معين»، بل لديه رؤية وإشراف على سائر الأزمنة.

ويتّضح ذلك من المغيّبات التي جاء بها النبيّ الأعظم ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

### كلام في علم الغيب:

ينقسم علم الغيب إلى قسمين:

القسم الأوّل: هو الذي انحصر في الله، وهي هذه الأمور الخمسة:



أ - علم الساعة ومتى تقوم القيامة.

ب - إنزال الغيب كميّة وكيفية، وفي أي مكان وأي زمان.

ج - علم ما في أرحام النساء، من ذكر أو أنثى، أسود أو أبيض، قصير أو طويل، جميل أو دميم، شقي أو سعيد، سخي أو بخيل، وإلى غيرها من الصفات.

د - ماذا يكسب هذا الإنسان غداً، من خير أو شرّ، كثير أو قليل، في أي زمان ومكان.

هـ - أين تكون وفاة هذا الإنسان؛ فهو من علم الغيب أيضاً.

القسم الثاني من الغيب: هو جزء من العلم عزّفه الله لنبيّه وأطلعه عليه، وبدوره قام النبيّ بإبلاغه للإمام عليّ عليه السلام وإفهامه إياه، وقد بلغه إياه النبيّ ودعاه أن يحفظه ويفهمه، فكان الإمام أصدق صورة تحكي النبيّ وتنقل عنه كلّ خصوصية وكلّ حقيقة، وقد قال المفسّرون عندما فسّروا قوله تعالى: ﴿وَتَعْبَهُ أُذُنٌ وَاَعْيُنٌ﴾<sup>(١)</sup>، قالوا: إنها أذن عليّ.

وقد قال النبيّ يومها: إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ. فقال عليّ عليه السلام: فما نسيت شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسى<sup>(٢)</sup>.

قد جاء في القرآن العظيم، في موارد كثيرة ذكر الغيب؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

(١) الحاقة (٦٩): ١٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٩: ٣٥.

(٣) البقرة (٢): ٣.

(٤) الأنعام (٦): ٥٩.

تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، وغيرها من الآيات الشريفة.

وقال تعالى في سورة الجن: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢)، يظهر من هذه الآية الشريفة أن الله تعالى يُطلع رسوله على الغيب.. هذا عيسى بن مريم عليه السلام كما جاء في القرآن يقول: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٣)، أليس هذا من علم الغيب؟!

وأخبر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة عليها السلام بأنها أول من يلحق به؛ وهو ما رواه مسروق عن عائشة، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مرحباً يا بنتي. ثم اجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً، فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاللوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألتهما، فقالت: أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإته عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، فضحكت (٤).

وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بقتاله الناكثين والقاسطين والمارقين، وهو ما رواه خلود المصري؛ قال: سمعت علياً أمير المؤمنين يقول يوم النهروان: «أمرني رسول

(١) التوبة (٩): ٩٤.

(٢) الجن (٧٢): ٢٧.

(٣) آل عمران (٣): ٤٩.

(٤) صحيح البخاري ٤: ١٩٣.

الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين»<sup>(١)</sup>.

وأخبر ﷺ عمّاراً بأنه ستقتله الفئة الباغية؛ وهو ما روي عن أمّ سلمة: أنّ رسول الله ﷺ قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية<sup>(٢)</sup>.

والإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ؑ كان مع النبي ﷺ في صغره وكبره، قال: «إنّ النبيّ علّمني ألف باب من العلم»<sup>(٣)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»<sup>(٤)</sup>.

قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد<sup>(٥)</sup>.

ونظائر هذه ممّا صدر من حجج الله ورسوله، لاسيّما من خاتم النبيّين وآله الطاهرين من خوارق العادات كثيرة جدّاً، نقلت في كتب الفريقين، بعضها بلغ حدّ التواتر وبعضها حدّ الشهرة.

وليُعلم أنّ أهل الله لو تفوّخوا بالدعاء لقوم أو عليهم لآثّر ذلك عاجلاً؛ لأنّهم بلغوا في اتّصافهم بالصفات الملكوتية وتخلّقهم بالأخلاق الإلهيّة وتقربهم إلى المبادي العالوية، لاسيّما إلى مبدأ المبادي وعلّة العلل: الله عزّ وجلّ، إلى مرتبة منيعة، ودرجة رفيعة؛ إذ لا فرق بينهم وبين حبيّهم في صدور كثير من الأفعال عنهم، كما جاء عن الإمام الصادق ؑ: «العبودية جوهره كنهها الربوبية، فما فقد في العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية أُصيب في العبودية»<sup>(٦)</sup>.

وتأثير القوى النفسانيّة يصير إلى حدّ معجب لمن كان بمعزل عن العلم

(١) البداية والنهاية ٧: ٣٣٨.

(٢) صحيح مسلم ٨: ١٨٦.

(٣) الخصال: ٥٧٢.

(٤) المعجم الكبير ١١: ٥٥.

(٥) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٢٦.

(٦) مصباح الشريعة: ٥٣٦.

بأسرار النفس.

ثم إن ظهور الآثار الغريبة أثر تكويني لهذه الجوهرة النفيسة القدسية فيعم الكل، وكلما كانت أقوى كان فعلها أشد، لاسيما إذا كان حجة الله على عباده، من نبي أو وصي؛ فإنهم بسبب شدة انسلاخهم عن النواصيت الإنسانية تدوم عليهم الإشراقات العلوية بسبب الاستضاءة بضوء القدس والإلف بسناء المجد، فتطيعهم مادة الكائنات القابلة للصور المفارقة بإذن الله تعالى، فيتأثر المواد عن أنفسهم كما يتأثر أبدانهم عنها، فهذا يكون دعاءهم مسموعاً في العالم الأعلى والقضاء السابق، ويتمكن في أنفسهم نور خلاق به يقدرون على الأشياء التي يعجز عنها غيرهم؛ قال عز من قائل في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه خطاباً لعيسى بن مريم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾.

ثم إن سفراء الله وحججه على خلقه لصفاء جوهر نفوسهم القدسية وشدة صقلتها ونورانيتها الموصل لها إلى المبادي العالية، وشدة الالتصاق بها من غير كسب وتعلم، قدروا على الاطلاع على الأمور الغائبة من غير كسب وفكر.

وما يناسب المقام من الحديث عن الغيب عن أمير المؤمنين ورئيس الموحدين وقدوة العارفين علي بن أبي طالب عليه السلام: ما أتى به نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفيين، قال: حدّثني مصعب بن سلم، قال أبو حيان التميمي، عن

(١) المائة (٥): ١١٠.

أبي عبدة، عن هرثمة بن سليم، قال: غزونا مع عليّ بن أبي طالب غزوة صفّين، فلما نزلنا بكر بلا صلّى بنا صلاة، فلما سلّم رفع إليه من تربتها، فشمّها، ثمّ قال: واهاً لك أيّتها التربة! ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب.

فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته وهي جرداء بنت سمير وكانت شيعة لعليّ، فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن، لما نزلنا بكر بلا رفع إليه من تربتها فشمّها، وقال: واهاً لك يا تربة! ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب، وما علمه بالغيّب.

فقال له: دعنا منك أيّها الرجل، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلّا حقّاً.

فلما بعث عبدة الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن عليّ وأصحابه، قال: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه عرفت المنزل الذي نزل بنا عليّ عليه السلام فيه والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين عليه السلام: معنا أنت أو علينا؟ فقلت: يا ابن رسول الله! لا معك ولا عليك، تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من ابن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: قولٌ هرباً حتى لا ترى لنا مقتلاً، والذي نفس حسين بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلّا أدخله الله النار.

قال: فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي عليّ مقتله<sup>(١)</sup>.

ومن النماذج: ما روي أنّه لما عزم عليه السلام على حرب الخوارج<sup>(٢)</sup>، وقيل له: إنّ

(١) وقعة صفّين: ١٤٠ - ١٤١.

(٢) الخوارج من أهل الأهواء: لهم مقالة على جدة، سُمّوا به لخروجهم على الناس. القاموس المحيط ١: ١٨٥.

القوم قد عبروا جسر النهر وان<sup>(١)</sup>، فقال علي<sup>(٢)</sup>: (مَصَارِعُهُمْ<sup>(٣)</sup> دُونَ النَّطْفَةِ، وَاللَّهُ لَا يُفْلِتُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُمْ عَشْرَةٌ وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ<sup>(٥)</sup>).

قال الرضي: يعني بالنطفة: ماء النهر؛ وهو أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جمماً<sup>(٥)</sup>.

أقول: رواه البلاذري في أنسابه<sup>(٦)</sup>، والشيخ الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة<sup>(٧)</sup>، وابن شهر آشوب في مناقبه<sup>(٨)</sup>، والبيهقي في سننه<sup>(٩)</sup>، وابن أبي شيبة في مصنفه<sup>(١٠)</sup>، والدارقطني في سننه<sup>(١١)</sup>، والمتقي الهندي في كنزه<sup>(١٢)</sup>.

وروى أصحاب السيرة عن جندب بن عبد الله الأزدي، قال: شهدت مع علي<sup>(١٣)</sup> الجمل وصبين لا أشك في قتال من قاتله، حتى نزلنا النهر وان، فدخلني شك وقلت: قرأونا وخيارنا نقتلهم؟! إن هذا الأمر عظيم.

فخرجت غدوة أمشي ومعني إداوة ماء حتى برزت عن الصفوف. فركزت رمحي ووضعت ترسي إليه واستترت من الشمس، فإني لجالس حتى ورد أمير

(١) النهروان: ثلاثة طساسيج من سواد العراق: النهروان الأعلى، والنهران الأوسط، والنهران الأسفل. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٤: ١٣٣٧.

(٢) مصارع القوم: سقوطهم عند الموت. كتاب العين ١: ٢٩٩.

(٣) الإفلات يكون بمعنى الانفلات لازماً، وقد يكون واقعاً، يقال: أفلتت من الهلكة، أي: خلصت. كتاب العين ٨: ١٢٣.

(٤) نهج البلاغة ١: ١٠٧، الخطبة ٥٩.

(٥) نهج البلاغة ١: ١٠٧.

(٦) أنساب الأشراف: ٣٧٣.

(٧) كمال الدين وتمام النعمة: ١٢٠.

(٨) مناقب آل أبي طالب ٢: ٩٩.

(٩) السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٨٥.

(١٠) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ٨: ٧٣٢.

(١١) سنن الدارقطني ٣: ٩٩.

(١٢) كنز العمال ١١: ٢٨٧.

المؤمنين عليه السلام فقال لي: «يا أخا الأزدي أمتعك طهور؟» قلت: نعم، فناولته الإداوة، فمضى حتى لم أره، ثم أقبل وقد تطهر، فجلس في ظلّ الترس، فإذا فارس يسأل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين! هذا فارس يريدك. قال: «فأشر إليه». فأشرت إليه، فجاء، فقال: يا أمير المؤمنين! قد عبر القوم، وقد قطعوا النهر. فقال: «كلّ ما عبروا»، قال: بلى والله لقد فعلوا. قال: «كلّ ما فعلوا».

قال: فإنّه كذلك إذ جاء آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، قد عبر القوم. قال: «كلّ ما عبروا». قال: والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال. قال: «والله ما فعلوا، وإنّه لمصرعهم ومهراق دمائهم».

ثم نهض ونهضت معه، فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل، وعزّفتني أمره، هذا أحد رجلين: إمّا رجل كذاب جريء أو على بيتة من ربّه وعهد من نبيّه، اللهم إني أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة، إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله، وأوّل من يطعن بالرمح في عينه، وإن كانوا لم يعبروا (أن أقيم) على المناجزة والقتال.

فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي، قال: فأخذ بقفائي ودفعني، ثم قال: «يا أخا الأزدي! أتبيّن لك الأمر؟»

قلت: أجل يا أمير المؤمنين.

قال: «فشأنك بعدوك».

فقتلت رجلاً، ثم قتلت آخر، ثم اختلفت أنا ورجل آخر، أضربه ويضربني، فوقعنا جميعاً، فاحتملني أصحابي، فأفقت حين أفقت وقد فرغ القوم.

وهذا حديث مشهور شائع بين نقلة الآثار، وقد أخبر به الرجل عن نفسه في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وبعده، فلم يدفعه عنه دافع، ولا أنكر صدقه فيه منكر، وفيه إخبار بالغيب، وإبانة عن علم الضمير ومعرفة ما في النفوس، والآية باهرة فيه،

لا يعاد لها إلا ما ساواها في معناها من عظيم المعجز وجليل البرهان<sup>(١)</sup>.  
وفي إخباره عليه السلام بما في نفس الرجل زيادة دلالة على صدقه وإمامته  
وأحقّيته.

ومن النماذج أيضاً: ما روي من تنبّه عليه السلام بتغلّب معاوية على الخلافة،  
وسيطرته على الكوفة، وأنه سيأمر أهل الكوفة من الشيعة بسبّه، والبراءة منه؛ فقال:  
(أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رَحْبُ أُنْبُلُومٍ، مُنْدَحِقُ أَلْبَطُنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا  
لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبِرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي؛  
فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ، وَأَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِرُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبِّقْتُ  
إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ)<sup>(٢)</sup>.

وهذه النبوءة تحققت بتمامها، والمقصود: معاوية؛ لأنه كان بطيئاً كثير الأكل،  
فقد كان يأكل فيمبل، فيقول: ارفعوا، فوالله ما شبع، ولكن مللت، وتعبت<sup>(٣)</sup>، وكان  
ذلك داء أصابه من دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٤)</sup>.

وقد أمر الناس بسبّ الإمام عليه السلام، والبراءة منه، وقتل طائفة من عظماء  
أصحابه؛ لأنّهم ثبتوا على ولائه، فلم يتبرؤوا منه، منهم: حجر بن عدي الكندي،  
وجماعته، وقال قوم: إنّ المعني بهذا الكلام: زياد بن أبيه، وقال قوم: إنّه المغيرة بن  
شعبة، وكلّ ولي الكوفة، وأمر بالسبّ، والبراءة<sup>(٥)</sup>.

اعتناق «ويكي» للإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام:

ومن هذا المنطلق تخلّت «ويكي» عن معتقداتها السابقة واعتنقت الحقيقة

(١) الإرشاد ١: ٣١٧.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٠٦.

(٣) النصائح الكافية: ٢٠٢.

(٤) صحيح مسلم ٨: ٢٧.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٥٥.



التي وجدتها في الدين الإسلامي، فأعلنت إسلامها، واندفعت بقوة للحفاظ على هذه الجوهرة الثمينة، التي تمكنت من الحصول عليها بعد اجتيازها العديد من العقبات التي وقفت أزاء حركتها باتجاه معرفتها الحقيقية، وبعد استبصارها غيرت اسمها إلى زينب، تيمناً بعقيلة الهاشميين زينب الكبرى عليها السلام <sup>(١)</sup>.

---

(١) نقلا عن: معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب: ٥٧١.



## المصادر

\* القرآن الكريم.

- ١- الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، طبع عام ١٣٨٦هـ.
- ٢- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: مير داماد الاسترآبادي، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
- ٣- اعتقادات فرقة المسلمين والمشركون، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ضبط، تقديم وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٤- الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري ومحمد الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ٥- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، صححه وعلق عليه: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - طهران.
- ٦- الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٨- الانتصار، العاملي الكوراني، دار السيّدة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٩- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة المصحّحة ١٤٠٣هـ.
- ١٠- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ١١- بشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لشيعة المرتضى عليه السلام، عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري (ت ٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ١٢- بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن حسن الصفّار (ت ٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: ميرزا حسن كوچه باغي، مطبعة الأحمدية - طهران، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ.
- ١٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، سنة الطبع ١٤١٤هـ.
- ١٤- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الرابعة.
- ١٥- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، سنة الطبع ١٣٩١هـ.
- ١٦- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.

- ١٧- تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ.
- ١٨- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.
- ١٩- التاريخ الصغير، محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ٢٠- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
- ٢١- تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربان، ترجمه: نصير مروه وحسن قبيسي، راجعه وقدم له: موسى الصدر، والأمير عارف تامر، عويدات للنشر والطباعة - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.
- ٢٢- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية - ديار بكر، تركية.
- ٢٣- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، سنة الطبع ١٤٢١هـ.
- ٢٤- تاريخ يعقوبي، أحمد بن إسحاق يعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، دار صادر - بيروت.
- ٢٥- التبيان، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٢٦- تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين - قم المقدّسة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٢٧- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٨- تخريج الأحاديث والآثار، جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٩- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٠- تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، يوسف بن قزاو غلي بن عبد الله التركي المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: حسين تقي زاده، نشر المجمع العالمي لأهل البيت - قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٣١- ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت الأهوازي (ت ٢٤٤هـ)، ترتيب وتقديم وتعليق: محمد حسن البكائي، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٢- تصحيح إعتقادات الإمامية، محمد بن محمد بن نعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، دار المفيد للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٣٣- تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان، أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ)، خرّج أحاديثه وعلّق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، شركة الطباعة الفتية المتحدة، مكتبة القاهرة.

- ٣٤- تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيّب، المكتبة العصرية - صيدا.
- ٣٥- تفسير البغوي المعروف بـ«معالم التنزيل»، أبو محمد الحسين بن مسعود أبو الفداء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ.
- ٣٦- تفسير الثعالبي المسمّى بـ«جواهر الحسان في تفسير القرآن»، عبد الرحمن ابن محمد الثعالبي المالكي (ت ٨٧٥هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٣٧- تفسير الثعلبي المعروف بـ«الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٣٨- تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٣٩- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.
- ٤٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة - بيروت، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- ٤١- تفسير القرطبي المسمّى بـ«الجامع لأحكام القرآن»، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.

- ٤٢- تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن الثالث والرابع الهجري)، تصحيح وتعليق وتقديم: طيّب الموسوي الجزائري، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم المقدّسة.
- ٤٣- التفسير الكبير، الفخر الرّازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة.
- ٤٤- تفسير الآلوسي (روح المعاني)، الآلوسي.
- ٤٥- تفسير مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٤٦- التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة مهر - قم المقدّسة، الطبعة الأولى محقّقة ١٤٠٩هـ، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بقم المقدّسة.
- ٤٧- تفسير نور الثّقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي (ت ١١١٢هـ)، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلّاتي، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم المقدّسة، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ.
- ٤٨- تقریب المعارف، أبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي (ت ٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس الحسون، سنة الطبع ١٤١٧هـ.
- ٤٩- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، شرف الإسلام بن سعيد المحسن بن كرامة (ت ٤٩٤هـ)، تحقيق: تحسين آل شبيب الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، سنة الطبع: ١٤٢٠هـ، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
- ٥٠- التوحيد، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ.



- ٥١- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ٥٢- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: حسن الموسوي الخرسان، مطبعة خورشيد، الطبعة الثالثة ١٣٦٤ ش.
- ٥٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزني (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ٥٤- الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: نبيل رضا علوان، مطبعة الصدر - قم المقدسة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، الناشر: مؤسسة أنصاريان.
- ٥٥- ثم اهتديت، محمد التيجاني السماوي، مؤسسة الفجر - لندن.
- ٥٦- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تقديم: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، مطبعة أمير - قم المقدسة، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ ش.
- ٥٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٥٨- الجامع الصغير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- ٥٩- الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- ٦٠- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ.
- ٦١- الجمل، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، مكتبة الداوري - قم المقدسة.
- ٦٢- جواهر العقود، شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي (توفي في القرن الثاني الهجري)، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٦٣- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت ٨٧١هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، المطبعة: دانس، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦٤- الآحاد والمثاني، الضحاك ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية للطباعة والنشر - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٦٥- الأحاديث الطوال، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٦٦- أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦٧- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٨١م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ٦٨- حياة محمد (صلى الله عليه وآله)، محمد حسين هيكل، مطبعة مصر - القاهرة، وطبعت بالأفست، سنة الطبع ١٣٥٤هـ.
- ٦٩- الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.
- ٧٠- الخدعة (رحلتي من السنة الى الشيعة)، صالح الورداني، مطبعة توحيد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، الناشر: دار النخيل - بيروت.
- ٧١- خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأمير بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٧٢- الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم المقدّسة، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.
- ٧٣- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٧٤- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، دار المعرفة - بيروت.
- ٧٥- أدب الأملاء والأستملاء، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٧٦- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة - بيروت.

- ٧٧- دعوة الى سبيل المؤمنين، طارق زين العابدين، مطبعة مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٧٨- دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ٧٩- ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ)، سنة الطبع ١٣٥٦هـ، مكتبة القدسي - القاهرة.
- ٨٠- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ٨١- رجال ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي (ت القرن الخامس الهجري)، تحقيق: السيّد محمّد رضا الجاللي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، مطبعة: سرور، الناشر: دار الحديث.
- ٨٢- رجال الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٨٣- رجال النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: موسى الشيبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ.
- ٨٤- الرد على المتعصّب العنيد المانع من ذم يزيد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: هيثم عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ٨٥- رسالة التشيع في العالم المعاصر، محمد حسين الطباطبائي، المترجم: جواد علي الكسّار (خالد توفيق)، مؤسسة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

- ٨٦- رسالة المحكم والمتشابه، الشريف المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق وتقديم: السيد عبد الحسين الغريفي البهبهاني، طبع في مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- ٨٧- رأس الحسين، أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق السيد الجميلي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٨٨- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ٨٩- روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (الشهيد في ٥٠٨هـ)، تقديم: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي - قم المقدّسة.
- ٩٠- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٩١- أسباب نزول الآيات، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - القاهرة، سنة الطبع ١٣٨٨هـ.
- ٩٢- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمّد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٩٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٩٤- الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، تقديم: السيد عادل العلوي، مطبعة أمير - قم المقدّسة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

- ٩٥- سنن ابن ماجّة، محمّد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجّة (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٩٦- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: مجدي بن منصور سيّد الشوري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٩٧- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الفكر - بيروت.
- ٩٨- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيّد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٩٩- السياسة الشرعيّة في إصلاح الرّاعي والرعيّة، أبو العبّاس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيميّة الحرانيّ الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٠- سير أعلام النبلاء، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الزبيق، اشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.
- ١٠١- السيرة الحلبيّة في سيرة الأمين والمأمون، نور الدين الحلبي الشافعي (ت ١٠٤٤هـ)، دار المعرفة - بيروت، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.
- ١٠٢- السيرة النبويّة، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة - بيروت، سنة الطبع: ١٣٩٦هـ.
- ١٠٣- شجرة طوبى، محمّد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية، الطبعة الخامسة ١٣٨٥هـ.
- ١٠٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحلبي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

- ١٠٥- شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، شهاب الدين المرعشي النجفي (ت ١٤١١هـ)، منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم المقدّسة.
- ١٠٦- شرح صحيح مسلم المسمى بـ«المنهاج» محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، سنة الطبع ١٤٠٧هـ.
- ١٠٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ
- ١٠٨- الشمائل المحمديّة، أبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أسامة الرّحال، دار الفيحاء - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ١٠٩- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام، عبّيد الله ابن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١١٠- الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنّية (ت ١٤٠٠هـ)، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ.
- ١١١- «الشيعة» نص الحوار مع المستشرق كوربان، السيد محمد حسين الطباطبائي، المترجم: جواد علي الكسّار (خالد توفيق)، مؤسسة أمّ القرى، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ١١٢- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
- ١١٣- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

- ١١٤- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، تحقيق وتعليق وتخريج وتقديم: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي سنة الطبع ١٤١٢هـ.
- ١١٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، سنة الطبع ١٤٠١هـ.
- ١١٦- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر - بيروت.
- ١١٧- صلح الحسن عليه السلام، الشيخ راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ١١٨- أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)، تحقيق: علاء آل جعفر، مطبعة ستارة - قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ١١٩- الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة، نور الله التستري (الشهيد في سنة ١٠١٩هـ)، تصحيح: جلال الدين المحدث، مطبعة النهضة - طهران.
- ١٢٠- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ١٢١- ضعفاء العقيلي، أبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي الملكي، تحقيق وتوثيق: عبد المعطى أمين قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
- ١٢٢- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ١٢٣- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر - بيروت.



- ١٢٤- إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، تحقيق: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، دار الوطن للنشر، طبع عام ١٤١٢ هـ.
- ١٢٥- إعانة الطالبين، أبو بكر المشهور بالبكري الدمياطي (ت ١٣١٠ هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- ١٢٦- عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ت ١٣٨١ هـ)، تقديم: حامد حفني داود، انتشارات أنصاريان - قم المقدسة.
- ١٢٧- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- ١٢٨- علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، سنة الطبع ١٣٨٥ هـ.
- ١٢٩- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب عليه السلام، جمال الدين أحمد بن علي المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ.
- ١٣٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٣١- عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي (ت نحو عام ٨٨٠ هـ)، تحقيق: مجتبي العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام.
- ١٣٢- أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات - بيروت.
- ١٣٣- عيون الحكم والمواعظ، أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الحديث.

- ١٣٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، سنة الطبع ١٤٠٤هـ.
- ١٣٥- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ)، تحقيق: نزار رضا، المطبعة والناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ١٣٦- الغارات، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق: جلال الدين المحدث.
- ١٣٧- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ.
- ١٣٨- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحرابي (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: سليمان بن إبراهيم العاير، دار المدينة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ١٣٩- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.
- ١٤٠- الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ١٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية.
- ١٤٢- الفتح السماوي، المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: أحمد مجتبى، مطبعة دار العاصمة، الرياض.
- ١٤٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، عالم الكتب

- ١٤٤- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي، أحمد بن الصديق المغربي (ت ١٣٨٠هـ)، تحقيق وتعليق وتصحيح الأسانيد: محمد هادي الأميني، مطابع نقش جهان - طهران، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
- ١٤٥- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ١٤٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو علي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، مطبعة الأدبية - مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٠، الناشر: دار الصادر - بيروت.
- ١٤٧- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريزي، مطبعة سرور، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
- ١٤٨- فضائل الصحابة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٤٩- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الذهلي (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ١٥٠- الفوائد الرجالية، الشيخ مهدي الكجوري الشيرازي (ت ١٢٩٣هـ)، تحقيق: محمد كاظم رحمان ستايش، دار الحديث للطباعة والنشر - قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ١٥١- الفهرست، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ١٥٢- فهرست النديم، محمد بن أبي يعقوب النديم البغدادي (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد.

- ١٥٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)،  
تصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى  
١٤١٥هـ.
- ١٥٤- في ضلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الطبعة الأولى  
١٤٢٧هـ، مطبعة: ستار.
- ١٥٥- قاموس الرجال، محمد تقي التستري (ت ١٤١٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر  
الإسلامي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- ١٥٦- قاموس الكتب المقدّس، مجمع الكنائس الشرقية، الطبعة السادسة ١٩٨١م،  
الناشر: مكتبة المشغل - بيروت.
- ١٥٧- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة  
الرسالة - بيروت.
- ١٥٨- قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري (ت ٣٠٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل  
البيت عليه السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١٥٩- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري،  
دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الخامسة ١٣٦٣ش.
- ١٦٠- كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: نشر  
الفقاهة، الناشر: دار السرور - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١٦١- الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر - بيروت،  
سنة الطبع ١٣٨٥هـ.
- ١٦٢- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني  
(ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: سهيل زكار، قراءة وتدقيق: يحيى مختار عزاوي، دار  
الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

- ١٦٣- كتاب السنّة، عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.
- ١٦٤- كتاب الضعفاء والمتروكين، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ١٦٥- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبعة الصدر، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
- ١٦٦- كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٦٧- كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعمم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي سيدي، دار الأضواء، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٦٨- الكتاب المقدس تحت المجهر، عودة مهاوش الأردني، مطبعة الصدر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مؤسسة أنصاريان - قم المقدسة.
- ١٦٩- الكتاب المقدس (العهد الجديد) و(العهد القديم)، الكنيسة، الناشر: دار الكتاب المقدس، سنة الطبع ١٩٨٠م.
- ١٧٠- كتاب المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ)، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، مطبعة باقري - قم المقدسة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- ١٧١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، سنة الطبعة ١٣٨٥هـ، الناشر: شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده - مصر.
- ١٧٢- كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

- ١٧٣- كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي (ت ١٢٢٨هـ)، انتشارات مهدي - أصفهان.
- ١٧٤- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ١٧٥- كفاية الأثر في النص على الأئمّة الاثني عشر عليه السلام، علي بن محمد الخزاز القمي (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري، مطبعة خيام - قم المقدّسة، سنة الطبع: ١٤٠١هـ.
- ١٧٦- كمال الدين وتمام النعمة، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.
- ١٧٧- الإكمال في أسماء الرجال، ولي الدين أبو عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ)، تعليق: محمد بن عبد الله الأنصاري، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
- ١٧٨- إكمال الكمال، الحافظ ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي.
- ١٧٩- كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتّقّي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: بكري حيّاني، تصحيح: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة الطبع ١٤٠٩هـ.
- ١٨٠- اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
- ١٨١- لسان العرب، ابن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة - قم المقدّسة، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.
- ١٨٢- لسان الميزان، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

- ١٨٣- لقد شيعني الحسين، إدريس الحسيني، مطبعة مهر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ١٨٤- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ)، صحّحه وقدم له وعلّق عليه: حموده غرابة، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.
- ١٨٥- الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ١٨٦- مادر گريه نكن، محمود شاه حسيني، المترجم: علي ملكي، الطبعة الأولى ١٣٨١ش، مطبعة: مكتب النشر الإسلامي.
- ١٨٧- الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١٨٨- الأمالي، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١٨٩- الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ١٩٠- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: علي شبري، منشورات الشريف الرضي - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١٩١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
- ١٩٢- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

- ١٩٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة الطبع ١٤٠٨هـ.
- ١٩٤- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ.
- ١٩٥- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٩٦- مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين - بيروت، إعادة الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٩٧- المراجعات، عبد الحسين شرف الدين العاملي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق حسين الراضي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- ١٩٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ١٩٩- المستبصرون، غلام أصغر البجنوري، دار الصفاة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٢٠٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة - بيروت.
- ٢٠١- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي) (المتوفي في أوائل القرن الرابع الهجري)، تحقيق: أحمد محمودي، مطبعة سلمان الفارسي - قم المقدسة، الطبعة الأولى محققة ١٤١٥هـ.



- ٢٠٢- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
- ٢٠٣- مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الذهلي (ت ٢٤١هـ)، دار صادر - بيروت.
- ٢٠٤- مسند زيد بن علي، زيد بن علي (ت ١٢٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٢٠٥- مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- ٢٠٦- مصباح المتهدّد، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٢٠٧- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
- ٢٠٨- المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن أبي شيبه الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، تعليق سعيد محمّد اللحام، دار الفكر - بيروت ١٤٢٠هـ.
- ٢٠٩- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، كمال الدين أحمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية.
- ٢١٠- المعارف، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف - القاهرة.
- ٢١١- معاني الأخبار، الشيخ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

- ٢١٢- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة الطبع ١٣٩٩هـ.
- ٢١٣- معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١١هـ)، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.
- ٢١٤- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية.
- ٢١٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ، عالم الكتب - بيروت.
- ٢١٦- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، سنة الطبع ١٤١٥هـ، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر.
- ٢١٧- معرفة تحليلية عن الإسلام وبعض الأديان والمذاهب، العلامة النوري، إعداد وتحرير: الهيئة العلمية التحريرية، مجمع المطالعات والتحقيقات الإسلامية ومجمع المعارف الإسلامية.
- ٢١٨- معرفة الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي (ت ٢٦١هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة.
- ٢١٩- معرفة الإمام، محمد حسين الحسيني الطهراني، دار المحجة البيضاء - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- ٢٢٠- المغني في الضعفاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة الطبع ١٤١٨هـ.

- ٢٢١- مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: محمّد رضا النوري الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م، مطبعة البعثة - قم المقدّسة.
- ٢٢٢- المفردات في غريب القرآن، الحسن بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ٢٢٣- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.
- ٢٢٤- مقالات الإسلاميين، علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تصحيح: هلموت ريتز، إصدار: جمعية المستشرقين الألمانية، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
- ٢٢٥- مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ.
- ٢٢٦- الملل والنحل، محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
- ٢٢٧- مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، سنة الطبع ١٣٧٦هـ.
- ٢٢٨- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمّد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠هـ)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مجمع ضياء الثقافة الإسلاميّة - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٢٢٩- المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: مالك المحمودي، طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدّسة، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- ٢٣٠- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، سنة الطبع ١٤٢٠هـ.

٢٣١- منتهى المطلب، جمال الدين الحسن بن يوسف المشهور بـ«العلامة الحلبي»  
(ت ٧٢٦هـ)، طبعة حجرية.

٢٣٢- من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف  
بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،  
منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية - قم المقدّسة، الطبعة الثانية  
١٤٠٤هـ.

٢٣٣- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي  
(ت ١٣٢٤هـ)، تحقيق: إبراهيم الميانجي، الطبعة الرابعة، المطبوعة الإسلامية  
في طهران.

٢٣٤- منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدرية، أبو العباس أحمد بن عبد  
الحليم بن تيميّة الحرّانيّ الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، وضع حواشيه وخرجه: عبد  
الله محمود محمد عمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٣٥- منهاج الصالحين، الشيخ حسين الوحيد الخراساني.

٢٣٦- منهج في الأتّماء المذهبي، صائب عبد الحميد، مطبعة باقري، الطبعة الخامسة  
١٤١٤هـ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية - قم المقدّسة.

٢٣٧- منية المرید في أدب المفيد والمستفيد، زين الدين بن علي العاملي المعروف  
بـ«الشهيد الثاني» (ت ٩٦٦هـ)، تحقيق: رضا المختاري، مطبعة مكتب  
الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٣٨- موسوعة الأسئلة العقائدية، تأليف: مركز الأبحاث العقائدية، مطبعة: ستارة،  
الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٢٣٩- موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار  
الحديث، مطبعة: دار الحديث - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

- ٢٤٠- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين - بيروت،  
الطبعة الثالثة ١٩٩٣ م.
- ٢٤١- موسوعة مقارنة الأديان، المجلد الثاني: المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة  
النهضة المصرية - القاهرة، الطبعة العاشرة ١٩٩٣ م.
- ٢٤٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي  
(ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المحرق - بيروت، الطبعة  
الأولى ١٣٨٢هـ.
- ٢٤٣- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات  
جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.
- ٢٤٤- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:  
محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ.
- ٢٤٥- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، محمد بن عقيل العلوي (ت ١٣٥٠هـ)،  
دار الثقافة - قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٢٤٦- نص (إنجيل برنابا)، سيف الله أحمد فاضل، دار القلم - الكويت، الطبعة الثانية  
١٤٠٣هـ.
- ٢٤٧- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين،  
جمال الدين محمد بن يوسف الزرّندي الحنفي المدني (ت ٧٥٠هـ)، الطبعة  
الأولى ١٣٧٧هـ.
- ٢٤٨- نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة عليهم السلام، محمد بن جرير الطبري  
(الشيوعي) (المتوفي في أوائل القرن الرابع الهجري)، تحقيق: مؤسسة الإمام  
المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٢٤٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، عز الدين ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ).

- ٢٥٠- نهج البلاغة، ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمد عبده، دار الذخائر - قم المقدّسة، المصورة على طبعة دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
- ٢٥١- أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- ٢٥٢- ودخلنا التشييع سجّداً، محمد علي المتوكل، دار الخليج العربي للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية (فريدة ومنقّحة) ١٤٢٢ هـ.
- ٢٥٣- وركبت السفينة، مروان خليفات، الطبعة الثانية، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
- ٢٥٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أحمد بن محمّد بن خلّكان (ت ٦١٨ هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة - بيروت.
- ٢٥٥- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني - مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ.
- ٢٥٦- ومن الحوار اكتشفت الحقيقة، هشام آل قطيط، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ، الناشر: دار المنتظر - بيروت.
- ٢٥٧- الهدى الى دين المصطفى، محمد جواد البلاغي (ت ١٣٢٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ.
- ٢٥٨- يا ليت قومي يعلمون، ياسين معروف البدراني، مؤسسة العارف للطباعة والنشر - بيروت.
- ٢٥٩- يا أهل الحقّ، علي محمد علي دخيل، دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

٢٦٠- إيمان أبي طالب المعروف بـ «كتاب الحجّة على الذاهب الى تكفير أبي طالب عليه السلام»، فخار بن معد الموسوي، تحقيق: محمد بحر العلوم، مطبعة أمير - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٦١- ينباع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.